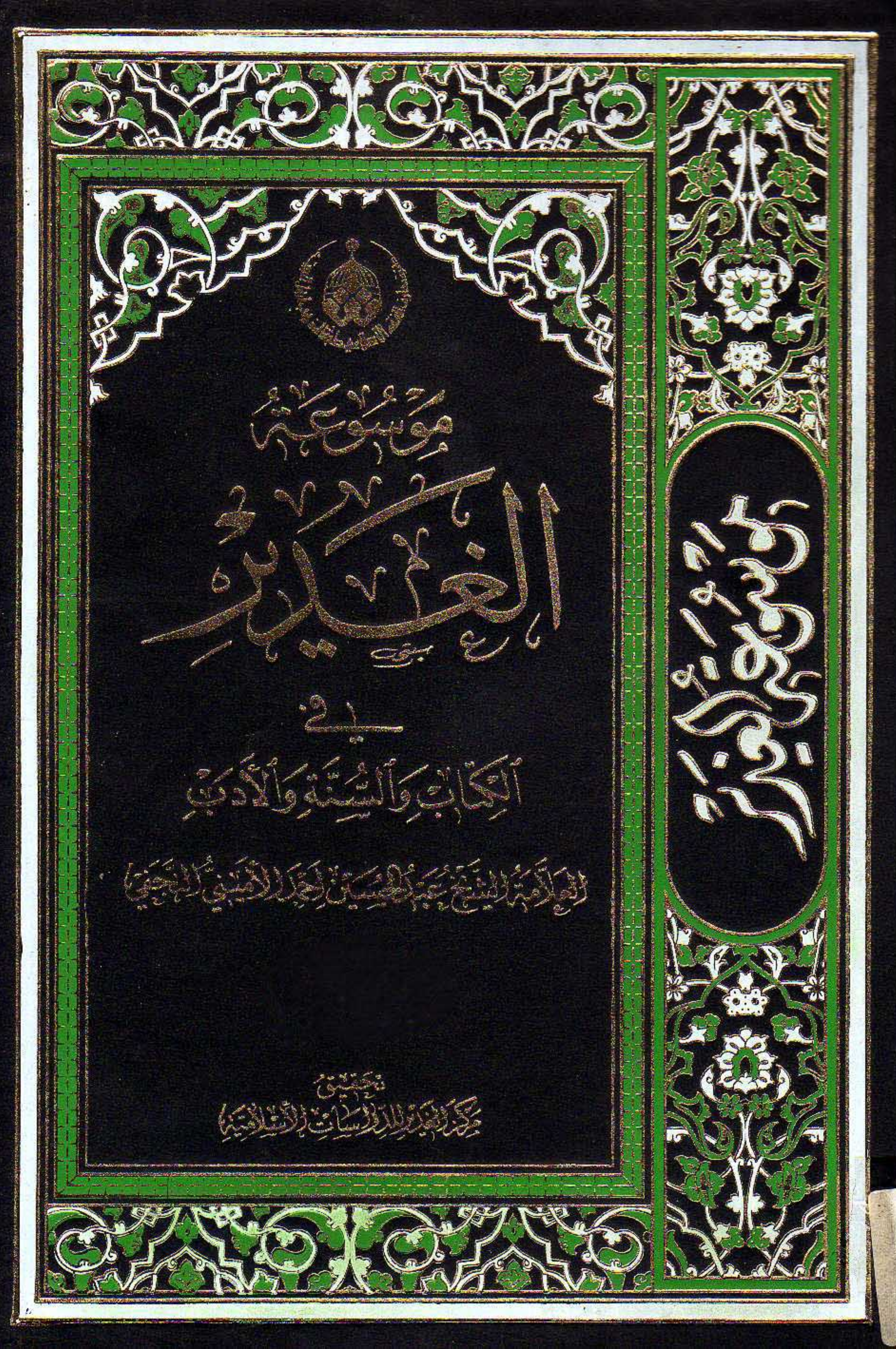


موسوعة
الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب
العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

تأليف

الحبر العلم الحجة آية الله شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الرابع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٤

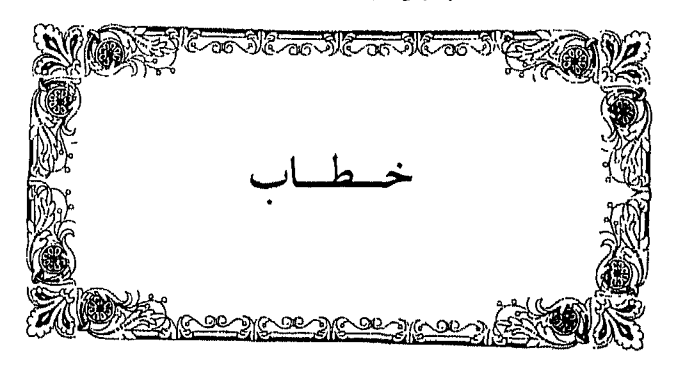
الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت . شارع المطار . قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم



خطاب

تفضّل به الفيلسوف الشهير الدكتور محمّد غلّاب مدرّس الفلسفة في شعبة أُصول الدين من الجامع الأزهر المصري بالقاهرة ، وقد نشرته مجلّة «البيان» العصماء النجفيّة في عددها العاشر من سنتها الأُولى ص ٢٥٨ بعد كلمتها القيّمة حول ذلك الخطاب ، نتقدّم بنشرهما مع تقدير للناشر وإكبارٍ لمقام الكاتب وثناءٍ على ما يعطيه من النصفة من نفسه في كلّ موضوعٍ .

بريد البيان

ننشر نصّ الرِّسالة التي بعث بها الدكتور محمّد غلّاب من مصر إلى سماحة العلّامة الجليل الشيخ عبد الحسين الأميني حول كتابه ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب ـ وفيها أعرب عن حقائق ناصعة تبشّر بفجر صادق يكفل لنا تقدير الآراء المذهبيّة الحقّة، والإعتراف بالحقائق التاريخيّة التي قاومتها العاطفة ردحاً من الزّمن، وإليك نصّ الرِّسالة :

تحيّتي يقتادها تقديري، وسلامي يدفعه إجلالي لعلماء العراق عامّة ولأهل النجف الأشرف خاصّة، وفي طليعتهم المؤلّفون الأماجد أمثالكم. وبعد: فقد تسلّمت الجزئين: الأوّل والثاني من كتابكم النفيس [الغدير] الذي شابه الغدير حقّاً في صفائه ونفعه، والذي يلفي الباحث فيه أمنيّته على نحو ما يجد المسافرالظامىء في الغدير ما ينقع غلّته، والذي عنيتم فيه بجانب هامّ من جوانب

التراث الإسلامي، متوخّين الحقائق، متتبّعين الآثار الصادقة، متعقّبين مواطن الشبه بالتصحيح والنقد.

ونحن على يقين من أنّ الشاب العصريّ الإسلاميّ سيستفيد من هذه الثمار الشهيّة، لاسيّما أنّ أكثر ما يكتب اليوم غثٌّ خفيف الوزن، تافه القيمة، وأنّ الحركتين العلميّة والأدبيّة قد تحوّلتا إلى حركةٍ تجاريّةٍ بحتة.

ولقد جاءني كتاب حضرتكم في الوقت الملائم لأنّي عاكفٌ على دراسة كثير من الجوانب الإسلاميّة وعلى التأليف فيها، ولذا يعنيني كثيراً أن تنكشف أمامي المبادىء الحقيقيّة، والآراء الصحيحة للشيعة الإماميّة حتّى لانكبو ـ بإزاء هذه الفرقة الجليلة ـ في مثل ما كبا فيه. . . . . و. . . . . [1] وأمثالهما من المحدثين المتسرعين، ولقد تسلّمت أيضاً قبل الآن بضعة كتب من علماء العراق في مبادىء الشيعة الإماميّة وآرائهم، ونسأل الله أن يوفّقنا إلى ما فيه الرّشاد؛ وأن يهدينا إلى سبل السّداد، وأن ينفع بما ننتجه الناطقين بالضّاد، وتفضّلوا بقبول إحترامي.

الدكتور محمد غلاب

استاذ الفلسفة بكليّة اصول الدين

بالجامعة الأزهريّة بالقاهرة

---

(١) سمى رجلين من المحدثين المتسرعين لم نذكرهما لعدم علمنا برضاه.



مقال

أتانا من الشخصية البارزة ، بطل الجهاد السياسي ، صاحب المعالي الدكتور عبد الرّحمٰن الكيالي الحلبي ، أحد رجالات الأُسرة الكريمة «الرفاعية» بحلب الشهباء ، العريقة بالمجد المؤثل ، المطنبة في أرجاء العالم الإسلامي بشرف النسب والحسب والعلم والكرامة ، والمقال يعرب عن تقدّمه في حبك الكلام ، وترصيف القول ، وسبك الغرر والدرر في بوتقة البيان ، كما يعرّفه بدقة النظر ، ورصانة الفكر ، والشعور الحيّ ، والروح الشاعرة ، حيّاه الله وبيّاه ، وإليك المقال :

صاحب الفضل والفضيلة العلّامة الجليل الاستاذ الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني المحترم

الحمد لله موحِّد القلوب، وباعث الهمم على جمع شمل المسلمين، والصَّلاة والسَّلام على رسوله هادي الأُمم إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه ومن والاهم من المؤمنين.

وبعد: فإنّ تاريخ الإسلام هو تاريخ العرب، والعرب قصَّروا في دراسة تاريخهم دراسة علميَّة مجرَّدة عن الغرض والهوى.

والذين كتبوا التاريخ الإسلاميَّ في عهود الأمويِّين والعباسيِّين لم يخل أكثرهم من شبهات الميل إلى العاطفة، والإنحياز عن الحقِّ، فلم يستطع

المتأخّرون النقّادون استخراج الوقائع، والحقائق، والأحداث، وربطها ببعضها البعض بسياق العبر، واستجلاء الأسباب، وإظهار النتائج، وهي من أهمّ مقاصد التاريخ.

إنَّ العالم الإسلاميّ الذي لا يزال في حاجة ماسَّة إلى مثل هذه الدراسات يهمّه ولا شكَّ أن يعلم تطوّر الحكم قبل الإسلام وبعده، وأسباب الأحداث التي رافقت قضيَّة الخلافة والخلفاء وما جرى في أيّامهم، ويهمّه أن يعلم لماذا تعدَّدت دول الإسلام وتفرّقت؟ وماذا حدث في عصورها من حروب وأعمال؟ وكيف زالت تلك الدول وحلّ محلّها غيرها؟ وماذا أدّى كلّ منها من الخدمات إلى الحضارة الإسلاميَّة وإلى الذين شادوا بنيانها ورفعوا منارها؟ ويهمّه أن يعلم ما هي عوامل السّرعة في الفتوحات واتّساعها وانتشار الإسلام بيد الأُمم والشعوب على اختلاف مللهم ونحلهم؟ ولماذا بدأ الإختلاف بعد وفاة الرَّسول الأعظم وابعد بنو هاشم عن حقهم؟ ويهمّه أن يعلم ما هي بواعث الإنحطاط والإنحلال في المسلمين حتّى أصبحوا على ما هم عليه؟ وما هي الطرق المؤدّية إلى وحدة كلمتهم ونهضتهم دينيّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وأدبيّاً وعلميّاً؟ وهل يمكن تدارك ما فات بالرجوع إلى ما كتبته التواريخ القديمة والإعتماد عليها؟ أم يجب البحث والعمل والإنصراف إلى التحرّي والإستقراء بتجرّد ونزاهة؟ حتى يمكن الإستنباط والتحقّق من العلل، واستخراج الأسباب، وبيان ما يجب أن يتهيّأ له الجيل الجديد للأخذ بمقومات العلم والنهضة والتمسّك بالمثل العليا التي تمثّل لنا مبادىء الرّسول، وسيرته وتعاليمه، وتعاليم من ساروا سيرته. وعملوا بهديه، واستناروا بنوره، وكانوا مصابيح الشريعة، وسند الحق، وكعبة الحياة السعيدة، ومثالاً للزهد والتقوى.

إنَّني لأرى - وأنا الواثق بأنَّ مثل هذه الدراسة وهذا النهج القويم هو خير ما يجب على رجال العلم والدين والإصلاح السعي لتحقيقه وإبرازه إلى حيِّز الوجود - انَّ في كتابكم « الغدير » الذي أخرجتموه إلى العالم الإسلامي ما يثبت لنا فائدة هذه الدّراسة على هذا الطراز العلميّ، وفيه ما يحقّق لنا حقيقة تاريخيَّة

لم ينصف المؤرِّخون في روايتها بإجماع كما حدثت، بل تناولها بعضهم بالإثبات وبعضهم بالنَّفي، وهنالك مَن رواها بالزيادة أو النقصان، ومنهم مَن نقَلها محرَّفة، ومنهم من ذَكَرها دون اهتمام، كأنَّها قضيَّةٌ لا يتوقَّف على صحَّتها والعمل بها سلامة البداية وخلود النهاية، فمرَّ بها مرور الغافل، أو الجاهل، أو المغرض.

وفي كلِّ ما حدث بقي العالم الإسلامي بعيداً عن فهم الحقيقة حقيقة الحدث التاريخيِّ الذي لو عمل به صحابة العهد النبوي، ونفذ ما جاء في الوصيَّة حسبما أراده الرَّسول الأمين، والمؤسِّس الأعظم ما وقع ما وقع، وأصاب المسلمين ما أصاب من بلاء الشقاق، وشقاء الإختلاف، ولبقيت وحدة المسلمين متماسكة الحلقات، سليمة من النوازع والرَّغبات، وسارت الخلافة تحفّها مواكب النصر، وتظلّها أعلام الهدى والرَّشاد في طريق القوَّة والإجماع، كما رسم خططها الرَّسول، فلا يتولاها إلاّ ذو استعدادٍ، وكفايةٍ، وعلمٍ، وإرادةٍ، وشجاعةٍ، وقوَّةٍ، وحزمٍ، وثبات، إدراكه إدراكٌ صحيحٌ لسياسة الشريعة، وحكمته حِكمةٌ عادلة تجمع بين الدين والدّنيا، وخلقه خلق النبوَّة، وسيرته سيرة المصلح، وهديه هدي القرآن، وحياته حياة الزاهد في حطام الدنيا وزينتها ولذّاتها، وعمله عمل الحقِّ والرَّحمة والمحبَّة، وسيفه سيف الحكيم الخبير بمواطن الداء، وحُكمه حُكم القاضي الذي لا تأخذه في الحقِّ لومة لائم، ويده يد الجبَّار على الظالم، ويد الرحيم مع الضّعيف، وعلمه الذي يقيس القضايا بمقاييس العقل والحقِّ والصّالح العام، والتجرُّد عن كلِّ ما يخالف أمر الله، يريد وجهه في كلِّ عمل وقول.

أما والواقع كان خلاف ما يجب أن يكون، وحدث ما ليس في الحسبان، وأضاع العرب الفرصة والزمان، وخسر المسلمون رجالاتهم وقوَّتهم وهم في أوّل نشأتهم في منابذات ومنازعات، ما أغناهم عنها! ولولاها لدوّخوا العالم، ودكّوا العروش، ونشروا ألوية السَّلام في أقلِّ من نصف قرن، ولبسطوا سلطانهم على العالم، وأسَّسوا هُدى شريعتهم دون عناء.

أما وقد انطوت أحداث التاريخ على ما لا يُحمد وما يُحمد خلال تلك القرون فليكن لنا منها عبرة وبعث ينشّطنا إلى بسط الحقائق، وربط الوقائع، وبيان العلل والأسباب، وكشف النتائج معتمدين على منطق العلم والعقل والتجارب، ومنهج جمع الشمل، ولثم الجروح حتّى لا تشوب مباحثنا شائبة الزيغ أو التقصير أو الإهمال، فنطهّر سيرة ذلك الوصيّ الذي عاش لله ودينه، واستشهد في سبيل إعلاء كلمته والدفاع عن حقّه، وناصر ابن عمّه بروحه وجسمه وطاعته وولائه، وبذل جهده وإخلاصه ونفسه لِلّذين تولّوا امور المسلمين على أن يكونوا لدين الله ناصرين، وبكتابه عاملين، ولرعيّته راعين، ولتعاليمه حافظين، ولرسالته مؤيّدين، ولهديه تابعين.

كان في أدبه وأخلاقه وأعماله مثلاً أعلى لما رسمه الإسلام لتابعيه، وكان سيّد الفصاحة والبلاغة، وباب العلم والإجتهاد، وسيف النبيّ على الأعداء، وصاحب الإرادة التي لا تلين لمطمع أو غاية، والإمام الورع كرّم الله وجهه وطهّره وآله وعترته من الرّجس وعصمهم عن الزيغ، وأوجب عباده محبّتهم، ووهبهم جمال الخلق، وصفاء السريرة، وحسن الطويّة، وعفّة اليد واللسان، وحباهم بالصبر والثبات.

أماوالعالم الإسلاميُّ اليوم لفي حاجة إلى إبراز ما منح الله تلك الشخصيَّة الفذّة من الصّفات، والمزايا، والفضائل، والسياسة، والتدبير، لتكون رائد المؤمنين في حياتهم أينما كانوا وحيثما تولّوا، يتبعونها بروحهم وأفكارهم، فينالهم الشفاء، وتنفحهم الهداية بنعمائها ونفحاتها العلويَّة، فتنقى أرواحهم وقلوبهم من أدران المدنيّة الكاذبة، وتصفى عقولهم من هواجس الشكّ ونزوات الإلحاد، فإنّ كتاب « الغدير » وما فيه من سنّة، وأدب، وعلم، وفنّ، وتاريخ، وأخلاق، وحقائق، وتتبّعات، وأقوال، لجديرٌ بالإطّلاع عليه والإحاطة به، وخليقٌ بكلّ مسلم إقتناؤه، فيعلم كيف قصّر المؤرّخون، وأين هي الحقيقة، وبذلك نتفادى نتائج التقصير والإهمال، وننال الأجر والثواب في إقرار الحقائق واتّباع الأوامر، وجمع الكلمة، وتوحيد العقائد والمذاهب، وإجماع الرأي،

لعلّنا ننهض وينهض من آلمهم ما وصل إليه المسلمون، ويستيقظ الجميع وقد عاد إليهم رشدهم وعزّهم وقوّتهم وما ذلك على الله بعزيز.

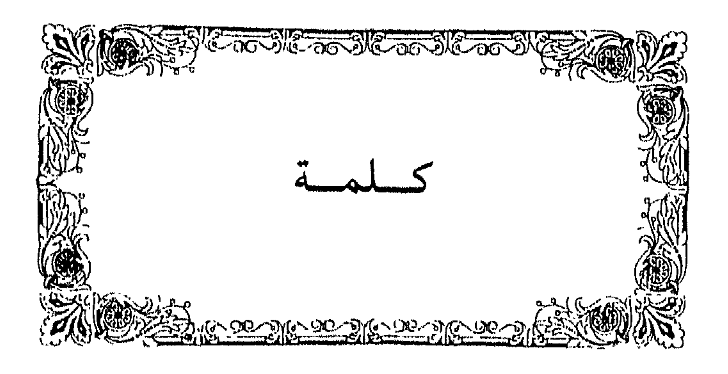
ابارك عملكم، وأشكر هديَّتكم، وأرجو دوام سعيكم، ولسيِّدي الاستاذ الجليل أن يتقبَّل إحترام أخيه وتمنياته بدوام صحّته، وأن يتفضّل بإعلامه عن وصول هذا المقال، وله من الله الجزاء الأوفر انّه على كلّ شيء قدير، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته بدءاً وختاماً.

المخلص

الدكتور عبد الرَّحمن الكيالي

حلب في ١٨ محرم الحرام عام ١٣٧٣

المصادف ٢٦ أيلول عام ١٩٥٣



للبحّاثة الكبير والكاتب القدير الأستاذ المحامي توفيق الفكيكي البغدادي حول كتاب [الغدير] نشرتها مجلّة الغريّ الغرّاء النجفيّة في عددها ١٧ من سنتها الثامنة ص ٤١٥ ونحن نذكرها مشفوعة بالشكر والتقدير للكاتب والناشر .

في أواخر الصيف المنصرم وردتني هديّةٌ ثمينةٌ غاليةٌ من فضيلة العلّامة الجليل والمحقّق الفاضل الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي وهي الجزء الأوّل والثاني من كتابه النفيس القيّم [الغدير] وكانت علّة التأخير والتقصير عن إبداء رأيي في هذا الكتاب الفريد والإشادة بذكره في حينه هي استبداد المجلد في مطالعتهما واحتكاره والإستفادة من ثمراتهما الشهيّة، وبعد أن ارتوى المجلّد عفى الله عنه من منهل الغدير العذب قدّمه لي، ولكن شواغل الحياة ومتاعب المحاماة كلّ ذلك من الدواعي والأسباب أرغمتني ارغاماً على أن اسرف في التقصير عن انصاف كتاب [الغدير] النادر الطريف، إلّا أنّ طمعي الكثير بحلم فضيلة المؤلّف حفظه الله خير ضمان لعفوه الكريم وقد قيل: - والعذر عند كرام الناس مقبول -

وقبل أن اسجّل كلمتي في تقدير قيمة الكتاب العلميّة، أتقدّم بجزيل الشكر لفضيلة البحّاثة النحرير مؤلّف الكتاب على هديّته وتحفته العجيبة، وعندي أنّ إهداء تحف العقول النيّرة، وغرر القرائح المشرقة، وعرائس الأفكار

الزاهرة، هي أثمن وأغلى من زفّ العرائس الأبكار، بل وأفضل من تقديم الجواهر والأعلاق من كرائم الأحجار.

وبعد: فقد تصفَّحت الجزئين من كتاب «الغدير» ووقفت على ما دوَّنه المؤلِّف المحترم فيهما من الموضوعات والمضامين، ثمَّ فحصت ما جاء فيهما من البحوث الجليلة والتحقيقات العلميَّة العميقة، والتدقيقات التاريخيَّة المضنية، ومناقشة الأحاديث النبويَّة المرفوعة والموضوعة منها، ما قام به فضيلته من بحث وتحليل للمسائل اللغويَّة الغامضة، والرِّوايات الكثيرة المتضاربة المختلفة، والمساجلات الأدبيَّة والشعريَّة، وأثرها في خدمة المبادىء العلوية الشريفة، وكذلك أمعنت النظر في ما نقله صاحب [الغدير] وأحاط به من الآراء العلميَّة السديدة في التفسير والتأويل لنصوص الذِّكر الحكيم؛ والحكمة المحمديَّة العالية، تلك الآراء والنظرات الصائبة التي كشفت الغطاء وزاحت الستار عن كثير من الحقائق المطموسة، والأسرار المحجوبة في شأن يوم الغدير، وقد كان فضيلته في كلٍّ ذلك موفَّقاً أعظم التوفيق في تنبيه الأفكار، وتنوير الأذهان، وإرشاد الحائرين إلى معرفة تلك الحقائق التاريخيّة، وإدراك كنه الحكمة التشريعيَّة في قصَّة الغدير، وما يتَّصل بها من مقدِّمات خطيرة محزنة، ونتائج كبيرة مؤلمة، لا تزال مدعاة للتأمّل العميق، والعبرة البالغة في التأريخ الإسلامي وسجِّل القوميَّة العربيَّة.

لم يكن العلاّمة مؤلِّف كتاب (الغدير) أوّل من كتب وألَّف في « الغدير » فقد سبقه إلى ذلك كثيرٌ من العلماء الأعلام، وجملةٌ كبيرةٌ من كبار الأدباء وحملة الأقلام إلا انَّهم مع الإعتراف بغزارة فضلهم، وعلوِّ كعبهم في الأدب والعلم، فلم يتمكنوا من إزاحة العلّة، وشفاء الغلّة، ولم يتوصَّلوا إلى ما وصل إليه العلاّمة الأميني من تحقيقٍ وتدقيق وتمحيص، بنتيجة جلده الجبّار في البحث والإستقصاء وصبره العتيد على التعمّق في الاستقراء والإستنتاج؛ ومن ثمَّ بلوغه إلى إصابة الهدف وتقرير الحقيقة، وإبرازها سافرة ناصعةً، مما دلّ على شدَّة مراسيه، وعنته في جميع الأدلّة التاريخيَّة القويَّة، وإقامة البراهين العلميَّة الساطعة؛ وسوق الحجج العقليّة والنقليَّة والأدبيَّة لإثبات دعم موضوعه الخطير

في الغدير، وهو في ذلك قد أبطل المثل السائر ـ ما ترك الأوائل للأواخر من شيء وأراد أن يثبت للقراء بأنَّ الأواخر قد أتوا بما لا تسطعه الأوائل من ابتكار ومعجزات في العلوم والفنون.

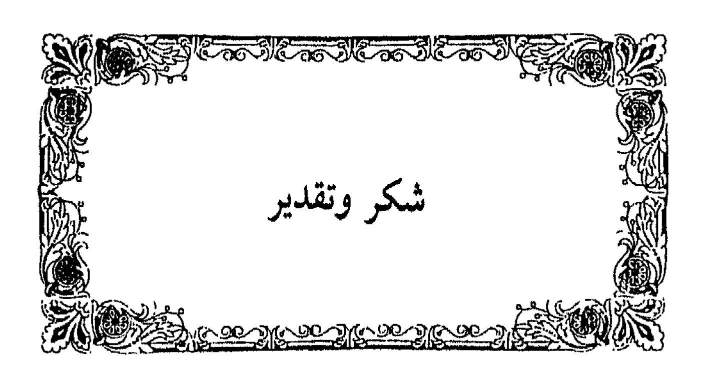
لا اغالي في القول إذا قلت: إنَّ كتاب [الغدير] ما هو إلّا موسوعةٌ نادرةٌ في العلم والفنِّ والتاريخ والتراجم، وروضةٌ بهيجةٌ أنيقةٌ ساحرةٌ بالطرف الأدبيَّة الزاهرة، وهو فوق ذلك فإنَّه دائرة معارف جليلة مهمَّة؛ حافلةٌ بكثير من الآراء الدينيَّة السديدة، التي تطمئنُّ إليها النفوس الزائغة الحائرة الغارقة في حنادس الجهالة، وغياهب الشكِّ، ودياجير الضلالة، والحقّ فإنَّ هذا الأثر النفيس الخالد مما يعجز عن تحقيقه وتخليده أكبر الجمعيّات العلميَّة في عصرنا الحاضر، وعليه فإنَّ هذا المجهود الجبّار أعظم مفخرةٍ خالدةٍ للعلّامة البحّاثة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي في ميدان العلم والفنِّ، وهو أكبر خدمة أسداها فضيلته للمكتبة العربيَّة وهي تستحقُّ الإعجاب والتقدير.

والذي نؤاخذ به حضرة المؤلِّف هو عدم قيامه بإكمال هذه المنَّة من وضع الفهارس بأسماء الرِّجال والشعراء والأماكن ولكن هذا لا ينقص من قيمة الكتاب التاريخيَّة والعلميَّة والأدبيَّة، وأعتقد أنَّ أزمة الورق هي السبب الأوَّل لهذا النقص في الكتاب.

أمّا فضيلة المؤلِّف فقد أهدى هذه الخدمة المشكورة إلى صاحب الولاية الكبرى، وسيِّد الأُمّة، وأبي الأئمَّة، مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إذ لم يجد أحداً أولى بإهداء كتابه إليه من صاحب الولاية الكبرى. أيّها الشيخ الفاضل إنّ بضاعتك المزجاة وهي صحائف ولائك الخالص لأمير المؤمنين عليه السلام لأعظم صفقة رابحة في تجارتك التي لن تبور، وإنّي ابشّرك بصكّ الفوز الأكبر من الفزع الأكبر فلا يمسّك وأهلك الضرّ إن شاء الله تعالى.

بغداد

توفيق الفكيكي المحامي

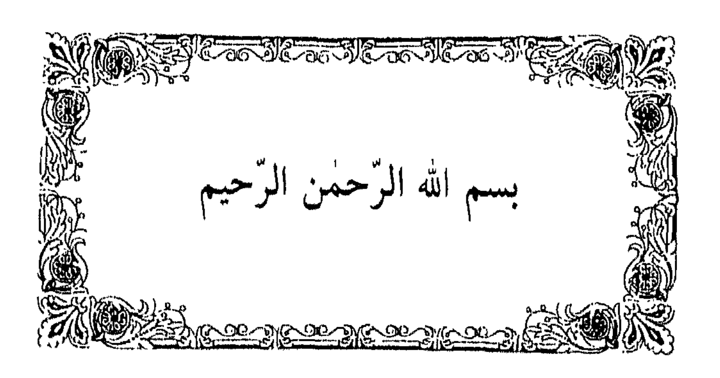


شكر وتقدير

أُقدم شكري إلى الأعلام الأفذاذ والأساتذة الأماجد من الذين كتبوا كلمة حول كتابنا [الغدير] إشادة بذكر الحقّ ، وإعلاءاً لكلمة الولاء وتوحيد الكلمة ، وسعياً وراء صالح الأُمّة .

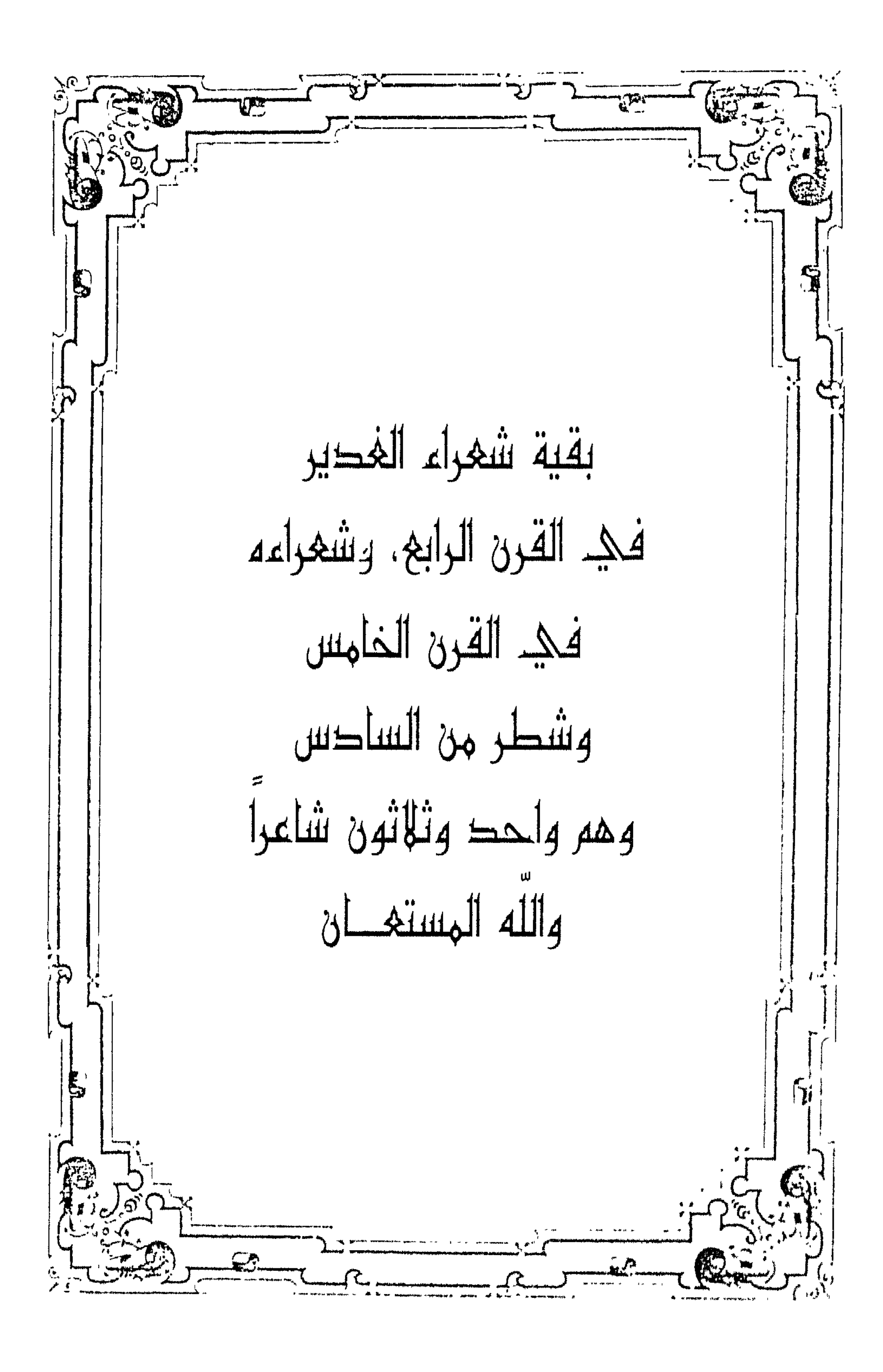
وأردفه بالتقدير لرجالات الصّحف والمجلّات ناشري تلكم الكلم القيّمة في الأقطار الإسلاميَّة من مصر وسوريا والهند والعراق .

الأميني



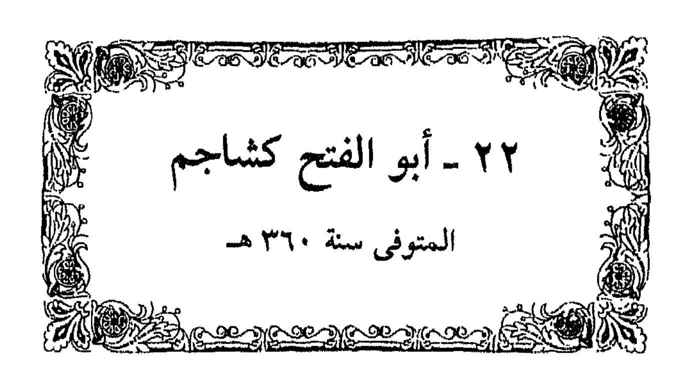
الْحَمْدُ لِلَّهِ علىٰ ما عرَّفنا من نفسِهِ ، وألهَمنَا من شكرِهِ ، وفتحَ لنا مِنْ أبوابِ العلمِ بِربوبيَّتِهِ ، ودلَّنا عليه من الإخلاصِ في توحيدِهِ ، وجنَّبنَا مِنَ الإلحادِ والنِّفاقِ والشِّقاقِ والشكِّ في أمرِهِ ، ومَنَّ علينا بسيِّدِ رُسُلِهِ صلّىٰ اللَّهُ عليهِ وآلِهِ ، وأكرمَنَا بالثَّقلَيْنِ خليفَتَيْ نبيِّهِ : كتابِ اللَّهِ العزيزِ . والعترةِ الطاهرةِ سلامُ اللَّهِ عليهِمْ ، وأسعَدَ حَظَّنا بتواصُلِ أشواطِنَا في السَّعْيِ وراءَ صالِحِ المجتمعِ ، ووفَّقنَا لِلسيْرِ في سبيلِ الخدمةِ للملأ وفي مُقَدَّمِهِمْ رُوّادُ العِلْمِ والفضيلةِ ، وأثبَتَ أقدامنَا في جَدَدِ الحقِّ والحقيقةِ ، وتعالىٰ في تلكَ الجِدَةِ جَدُّنا ، وتوالَتْ بِسَعْدِ الجَدِّ صحائفُ أعمالنا وآثارُ يَرَاعِنَا ، ونحنُ نستثبتُ فِي الأمرِ ولا نتفوَّهُ إلَّا بثبت ، واللَّهُ وليُّ التوفيق ، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النَّصيرُ .

عبد الحسين أحمد الأميني



بقية شعراء الغدير
في القرن الرابع، وشعراءه
في القرن الخامس
وشطر من السادس
وهم واحد وثلاثون شاعراً
واللّه المستعـــان





٢٢ ـ أبو الفتح كشاجم

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

له شغلٌ عن سؤال الطللْ ... أقام الخليط به؟ أم رحلْ؟

فما ضمنته لحاظ الظبا ... تطالعه من سجوف الكللْ

ولا تستفزُّ حجاه الخدود ... بمصفرَّة واحمرار الخجلْ

كفاه كفاه فلا تعذلاه ... كرّ الجديدين كرّ العذلْ

طوى الغيّ مشتعلاً في ذراه ... فتطفى الصبابةُ لمّا اشتعلْ

له في البكاء على الطاهرين ... مندوحةٌ عن بُكاء الغزلْ

فكم فيهمُ من هِلالٍ هوى ... قُبيل التمام وبدرٍ أفلْ

همُ حجج الله في خلقه ... ويوم المعاد على من خذلْ

ومَن أنزل الله تفضيلهم ... فردٌ على الله ما قد نزل

فجدّهمُ خاتم الأنبياء ... ويعرف ذاك جميع المللْ

ووالدهم سيّد الأوصياء ... ومُعطي الفقير ومُردي البطلْ

ومن علّم السّمر طعن الحلي ... لدى الروع والبيض ضرب القللْ

ولو زالت الأرض يوم الهياج ... من تحت أخمصه[1] لم يزلْ

ومن صدَّ عن وجه دنياهمُ ... وقد لبست حليها والحللْ

وكان إذا ما اضيفوا إليه ... فأرفعهم رتبة في المَثَلْ

سماءٌ اضيف إليها الحضيض ... وبحرٌ قرنت إليه الوَشَلْ[2]

---

(١) أخمص القدم: ما لا يصيب الأرض من باطنها، ويراد به القدم كلها.

(٢) الوشل كما مر: الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل.

بجودٍ تعلّم منه السحاب ... وحلم تولّد منه الجبَلْ
وكم شبهة بهُداه جلا ... وكم خُطّة بحجاه فصلْ
وكم أطفأ الله نار الضّلال ... به وهي ترمي الهدى بالشعلْ
ومَن ردَّ خالقنا شمسه ... عليه وقد جنحت للطفلْ[1]
ولو لم تعد كان في رأيه ... وفي وجهه من سناها بدلْ
ومن ضَرب الناس بالمرهفات ... على الدين ضرب عراب الإبلْ
وقد علموا أنّ يوم الغدير ... بغدرهمُ جرَّ يوم الجملْ
فيا معشر الظالمين الذين ... أذاقوا النبيَّ مضيض الثكلْ

إلى أن قال:

يُخالفكم فيه نصُّ الكتاب ... وما نصَّ في ذاك خير الرُّسلْ
نبذتم وصيّته بالعراء ... وقلتم عليه الذي لم يقلْ

إلى آخر قصيدته الموجودة في نسخ ديوانه المخطوط ٤٧ بيتاً وقد أسقط ناشر ديوانه من القصيدة ما يخالف مذهبه وليست هذه بأوّل يد حرَّفت الكلم عن مواضعها.

(الشاعر)

أبو الفتح محمود بن محمَّد بن الحسين بن سندي بن شاهك الرملي[2] المعروف بكشاجم. هو نابغةٌ من رجالات الأُمَة، وفذٌّ من أفذاذها، وأوحديٌّ من نياقدها، كان لا يُجارى ولا يُبارى، ولا يُساجل ولا يُناضل، فكان شاعراً كاتباً متكلّماً منجِّماً منطقيّاً محدِّثا، ومن نُطس الأواسيِّ محقِّقا مدقِّقاً مجادلاً جواداً.

فهو جُماع الفضائل وإنَّما لقَّب نفسه بكشاجم إشارة بكلِّ حرف منها إلى علم فبالكاف إلى أنَّه كاتب، وبالشين إلى أنَّه شاعر، وبالألف إلى أدبه أو إنشاده، وبالجيم إلى نبوغه في الجدل أو جوده، وبالميم إلى أنَّه متكلّم أو

(١) طفلت الشمس: دنت للغروب. مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٦٥ - ١٨٠.
(٢) نسبة إلى الرملة من أرباض فلسطين.

منطقيٌّ أو منجِّمٌ، ولمّا ولع في الطبِّ وبرع فيه زاد على ذلك حرف الطاء فقيل: طكشاجم. إلاّ أنَّه لم يشتهر به، هذا ما طفحت به المعاجم[١] في تحليل هذا اللقب على الخلاف الذي أوعزنا إليه في الإشارة، لكن الرجل بارع في جميع ما ذكر من العلوم ولعلّه هو المنشأ للإختلاف في التحليل.

أدبه وشعره:

إنَّ المترجَم قدوةٌ في الأدب وأُسوةٌ في الشعر، حتّى انَّ الرفاء السري الشاعر المفلق على تقدُّمه في فنون الشعر والأدب كان مغرى بنسخ ديوانه، وكان في طريقه يذهب، وعلى قالبه يضرب[٢] ولشهرته بهذا الجانب قال بعضهم:

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد الواجمِ[٣]
لولا تعلّله[٤] بكأس مُدامة ... ورسائل الصّابي وشعر كشاجمِ[٥]

دوَّن شعره أبو بكر محمَّد بن عبد الله الحمدوني، ثمَّ ألحق به زيادات أخذها من أبي الفرج إبن كشاجم.

وشعره كما تطفح عنه شواهد تضلّعه في اللغة والحديث، وبراعته في فنون الأدب والكتاب والقريض، كذلك يقيم له وزناً في الغرائز الكريمة النفسيَّة، ويمثّله بملكاته الفاضلة كقوله:

شهرت نداي مناصبٌ لي ... وفي ذرى كسرى صريحهْ
وسجيَّةٌ لي في المكا ... رم إنَّني فيها شحيحهْ
متحيِّزا فيها معلّى المجسد مجتنباً منيحهْ
ولقد سننت من الكتا ... بة للورى طرقاً فسيحهْ
وفضضت من عذر المعا ... ني الغرِّ في اللغة الفصيحهْ

---

(١) راجع شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧، والشيعة وفنون الاسلام ص ١٠٨.
(٢) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢١٨.
(٣) يمنى: يبتلى ويصاب. يهمى: يسيل. الواجم: العبوس من شدة الحزن.
(٤) علل فلاناً بكذا: شغله. أو: لهاه به.
(٥) معجم الادباء ج ١ ص ٣٢٦.

وشفعت مأثور الروا | ية بالبديع من القريحهْ
ووصلت ذاك بهمَّةٍ | في المجد سائبةٍ طموحهْ
عزيمةٍ لا بالكليلة | في الخطوب ولا الطليحهْ
كلتاهما لي صاحبٌ | في كلِّ داميةٍ جموحهْ

ويحكي القارىء عن نبوغه وسرده المعاني الفخمة في أسلاك نظمه، ورقّة لطائفه، وقوّة أنظاره، ودقّة فكرته، ومتانة رويّته قوله:

لو بحقٍّ تناول النجم خلقٌ | نلت أعلى النجوم باستحقاقِ
أوَ ليس اللسان منّي أمضى | من ظبات المهنّدات الرقاقِ؟
ويدي تحمل الأنامل منها | قلماً ليس دمعه بالراقي
أفعواناً تهاب منه الأعادي | حيَّة يستعيذ منها الرّاقي
وتراهُ يجود من حيث تجري | منه تلك السموم بالدِّرياق
مطرقاً يهلك العدوّ عقاباً | ويريش الوليّ ذا الأخفاق
وسطورٌ خططتها في كتاب | مثل غيم السحابة الرَّقراقِ
صغت فيه من البيان حليّاً | باختراع البعيد لا الاشفاقِ
وقوافٍ كأنَّهن عقود الد | رّ منظومة على الأعناقِ
غررٌ تظهر المسامع تيهاً | حين يسمعنها على الأحداقِ
ويحار الفهم الرَّقيق إذا ما | جال منهنَّ في المعاني الرِّقاق
ثاويات معي وفكري قد سـ | ـيَّرها في نوازح الأفاقِ
وإذا ما ألمَّ خطبٌ فرأسي | فيه مثل الشهاب في الأعناق
وإذا شئت كان شعري أحلى | من حديث الفتيان والعشّاقِ
حلف مشمولة وزير عوان | أسدٌ في الحروب غير مطاق
إصطباحي تنفيذ أمرِ ونهي | ومن الراح بالعشيِّ اغتباقي
ووقور الندى ولا اخجل الشا | رب منه ولا أذمُّ الساقي
أنزع الكأس إذا شربت وأ | سقيه دهاقاً صحبي وغير دهاق
ومعدٌّ للصيد منتخبات | من اصول كريمة الأعراق

مضمرات كأنَّها الخيل تطوى ... كلّ يوم بطونها للسِّباق
رائقات الشباب مكتسبات ... حللاً من صنيعة الخلاق
تصف البيض والجفون إذا ما ... أخرجت ألسناً من الأشداقِ
وكأنَّ المها إذا ما رأتها ... حذرت واستطامنت في وثاقِ
مع ندامى كأنَّهم والتَّصافي ... خُلقوا من تألّفٍ واتِّفاقِ

والباحث يجد شاعرنا عند شعره معلِّماً أخلاقياً فذّاً بعدما يرى أمثلة خلائقه الكريمة، ونفائس سجاياه، وصدقه في ولاءه، وقيامه بشؤون الإنسانيَّة نصب عينيه مهما وقف على مثل قوله:

ولدينا لذي المودَّة حفظٌ ... ووفاءٌ بالعهد والميثاقِ
أتواخى رضاه جهدي فلما ... مسَّه الضرُّ مسَّه إرفاقي
تلك أخلاقنا ونحن اناسٌ ... همنا في مكارم الأخلاقِ

وقوله:

اناسٌ أعرضوا عنّا ... بلا جُرم ولا معنى
أساؤا ظنّهم فينا ... فهلّا أحسنوا الظنّا
وخلّونا ولو شاؤا ... لعادوا كالَّذي كنّا
فإن عادوا لنا عُدنا ... وإن خانوا لَما خُنّا
وإن كانوا قد اشتغلوا ... فإنّا عنهمُ أغنى

وقوله من قصيدة يمدح بها إبن مقلة:

كم فيَّ من خلّة لو انَّهاامتحنت ... أدَّت إلى غبطةٍ أو سدَّت الخلّه
وهمَّةٍ في محلِّ النجم موقعها ... وعزمةٍ لم تكن في الخطب منجلّه
وذلَّةٍ أكسبتني عزّ مكرمةٍ ... وربَّما يُستفاد العزُّ بالذلّه
صاحبت سادات أقوام فما عثروا ... يوماً على هفوة منّي ولا زلّه
واستمتعوا بكفاياتي وكنت لهم ... أوفى من الدرع أو أمضى من الالّه
خطٌّ يروق وألفاظٌ مهذَّبة ... لا وعرة النظم بل مختارةٌ سهله
لو أنَّني منهلٌ منها أخا ظمأ ... روت صداه فلم يحتج إلى غلّه

وكم سننتُ رسوماً غير مشكلةٍ كانت لمن أمَّها مُسترشداً قبله
عمت فلا منشىء الديوان مكتفياً منها ولم يغن عنها كاتب السلّه
وصاحبتني رجالاتٌ بذلت لها مالي فكان سماحي يقتضي بذله
فأعمل الدهر في ختلي مكائده والدهر يعمل في أهل الهوى ختله
لكن قنعت فلم أرغب إلى أحد والحرُّ يحمل عن اخوانه كلّه

وتراه متى ما أبعده الزَّمان عن أخلاّئه وحجبهم عنه، عزَّ عليه البين، وعظمت عليه شُقّته؛ وثقل عليه عبءه، فجاء في شكواه يفزع ويجزع، ويأنُّ ويحنُّ، فيصوِّر على قارىء شعره حنانه وحنينه، ويمثِّل سجاح عينه لوعة وجده، ولهب هواه بمثل قوله:

يا مَن لعين ذرفتْ ومَن لروحٍ تلفتْ
مُنهلّة عبرتها كأنّها قد طرفتْ[1]
إن أمنت فاضت وإن خافت رقيباً وقفتْ
وإنّما بكاؤها على ليالٍ سلفتْ

وقوله:

يا مُعرضاً لا يلتفتْ بمثل ليلي لا تبتْ
برَّح هجرانك بي حتّى رثى لي من شمتْ
علقت قلبي بالمنى فأحيه أو فأمت

وبما كان [كشاجم] مجلوباً بالحنان ولين الجانب، وسجاحة الخلائق، وحسن الأدب، مطبوعاً بالعطف والرأفة، مفطوراً على عوامل الإنسانيَّة، والغرائز الكريمة، ولم يكن شريراً، ولا رديء النفس، ولا بذيَّ اللسان، ولا مسارعاً في الوقيعة في أحد، كان يرى الشعر إحدى مآثره الجمَّة، ويعدُّه من فضائله، وما كان يتَّخذه عدَّةً للمدح، ولا جنَّةً في الهجاء، وما يُهمّه التوجّه إلى الجانبين، لم ير لأيٍّ منهما وزناً، لعدم تحرِّيه التحامل على أحد، وعدم اتّخاذه مكسباً ليدرَّ له أخلاف الرِّزق، ولا آلةً لدنياه وجمع حطامها، وكان يقول:

(١) طرفت عينه: أصابها شيء فدمعت.

ولئـن شعـرتُ لـمـا قـصـد ... ت هجـاء شخصٍ أو مـديحـهْ
لـكـن وجـدت الـشـعـر لـل ... آداب تـرجـمـةً فـصـيـحـهْ

هجاؤه:

أخرج القرن الرابع شعراء هجّائين قد إتّخذ كلُّ واحدٍ منهم طريقة خاصّةً من فنون الهجاء، وكلُّ فنّ مع هذه نوعٌ فذٌّ في الهجاء، يظهر ميزه متى قرن بالآخر ومنهم مُكثرٌ ومنهم من استقلَّ، وشاعرنا من الفرقة الثانية، وله فنٌّ خاصٌّ من الهجاء كان يختاره ويلتزم به في شعره.

ولعلّك تجده في فنِّه المختار مجلوب خلائقه الحسنة، ونفسيّاته الكريمة، وملكاته الفاضلة، فكأنّه قد خمرت بها فطرته، ومزجت بها طينته، أو جرت منه الدم، واستولت على روحه، وحكمت في كلّ جارحةٍ منه، حتى ظهرت آياتها في هجائه النادر الشاذّ، فيخيَّل إليك مهما يهجو أنَّه واعظٌ بارٌّ يخطب، أو نصوحٌ يُودِّد ويعاتب، أو مجادلٌ دون حقِّه يجامل، لا أنَّـه يغمز ويعيب، ويغيظ في الوقيعة ويُناضل، ويثور ويثأر لنفسه، وتجده قد اتَّخذ الهجاء شكَّة دفاع له لا شكَّة هجوم، وترى كلَّ هجائه خليّاً عن لهجةٍ حادَّة، وسُبابٍ مُقذع، عارياً عن قبيح المقال وخبث الكلام، بعيداً عن هتك مهجوِّه، ونسبته إلى كلِّ فاحشة، وقذفه بكلِّ سيِّئة؛ غير مُستبيح إيذاء مهجوِّه، ولا مُستحلّ حرمته؛ ولا مجوِّز عليه الكذب والتهمة، خلاف ما جرت العادة بين كثير من أدباء العصور المتقادمة، فعليك النظر إلى قوله في بعض أبناء رؤساء عصره وقد أنفذ إليه كتاباً فلم يجبه عنه:

هـا قد كتبتُ فمـا رددت جوابي ... ورجَّعتَ مختـومـاً عليَّ كتـابي
وأتى رسـولاً مستكينـاً يشتـكي ... ذلَّ الحجـاب ونخـوة البـوّابِ
وكـأنّني بـك قـد كتبت معـذِّراً ... وظـلمتـني بـمـلامـةٍ وعـتـابِ
فـارجع إلى الإنصـاف واعلم أنَّه ... أولى بـذي الآداب والأحسـابِ
يـا رحمـة الله التي قـد أصبحت ... دون الأنام عليَّ سـوط عـذابِ
بـأبي وامّي أنت من مستجمـع ... تيـه القيـان ورقَّـة الكتّـابِ

وقوله الآخر في هجاء جماعة من الرؤساء:

عدمت رئاسة قوم شقوا شباباً ونالوا الغنى حين شابوا
حديثٌ بنعمتهم عهدهم فليس لهم في المعالي نصابُ
يرون التكبّر مُستصوباً من الرأي والكبر لا يُستصابُ
وإن كاتبوا صارفوا في الدعاء كأنَّ دعاؤهمُ مُستجابُ

ومن لطيف شعره في الهجاء قوله:

إنَّ مظلومة التي زوّجت من أبي عمرْ
ولدت ليلة الزفا ف إلى بعلها ذَكَرْ
قلت: من أين ذا الغلا م وما مسَّها بشرْ؟
قال لي بعلها: ألم يأت في مسند الخبرْ؟
ولد المرأ للفرا ش وللعاهر الحجَرْ
قلت: هنّيته على رغم مَن أنكر الخبرْ

كشاجم والرئاسة:

وبما كان المترجَم كما سمعت مطبوعاً بسلامة النَّفس، وقداسة النَفس، وطيب السريرة، متحلّياً بمكارم الأخلاق، خالياً من المكيدة والمراوغة والدسيسة، مزاولاً عن البذاء والإيذاء والإعتساف، كان مترفِّعاً نفسه عن الرتبة وإشغال المنصَّة في أبواب الملوك والولاة، وما كان له مطمعٌ في شأن من الوزراء والولاية والكتابة والعمالة عند الأُمراء والخلفاء، وما اتَّخذ فضائله الجمَّة لها شرَكاً، ولنيل الآمال وسيلةً، وكان يرى التقمّص بالرّئاسة من مرديات النَّفس ويقول:

رأيت الرّئاسة مقرونةً بلبس التكبّر والنخوهْ
إذا ما تقمَّصها لابسٌ ترفَّع في الجهر والخلوهْ
ويقعد عن حقّ إخوانه ويطمع أن يهرعوا نحوهْ
وينقصهم من جميل الدعاء ويأمل عندهم الحظوهْ
فذلك إن أنا كاتبته فلا يسمع الله لي دعوهْ
ولستُ بآتٍ له منزلاً ولو أنَّه يسكن المروهْ

وكان بالطبع والحال هذه ينهى أوليائه عن قبول الوظائف السلطانيّة، والتولّي بشيءٍ من المناصب عند الحُكّام، ويحذِّرهم عن التصدّي بوظيفةٍ من شؤون الملك والمملكة، ويمثّل بين يديهم شنعة الإئتمار، وينبِّههم بما يقتضيه الترأس من الظلم والوقيعة في النفوس، ونصب العداء لمخالفيه، وما يوجب من دحض الحقِّ، وإضاعة الحقوق؛ ورفض مكارم الأخلاق. وحسبك ما كتبه إلى صديق له وكان قد تقلَّد البريد من قوله:

صرت لي عامل البريد مقينا[1] وقديماً إليَّ كنت حبيبا
كنت تستثقل الرقيب فقد صر ت علينا بما وليت رقيبا
كرهتك النفوس وانحرفت عنـ ـك قلوبٌ وكنت تسبي القلوبا
أفلا يعجب الأنام بشخصٍ صار ذئباً وكان ظبياً ربيبا؟!

حكمه ودرر كلمه:

فيا له في شعره من شواهد صادقة تمثِّله بهذا الجانب العظيم؛ وتُعرب عن قدم صدقه في حثِّ امَّته إلى المولى سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وبثِّ الدَّعوة إليه بدُرر الكلم وغُرر الحِكَم، وإصلاح امَّته ببيان الحقيقة، وتشريح دعوة النَّفس الأمّارة بالسّوء، ومن حكميّاته قوله:

ليس خلقٌ إلّا وفيه إذا ما وقع الفحص عنه خيرٌ وشرُّ
لازمٌ ذاك في الجبلَّة لا يد فعه مَن له بذلك خبرُ
حكمة الصانع المدبِّر أن لا شيء إلّا وفيه نفعٌ وضرُّ
فاجتهد أن يكون أكبر قسمـ ـيك من النفع والأقل الأضرُّ
وتحمَّل مرارة الرأي واعلم أنّ عقبى هواك منه أمرُّ
رُض بفعل التدبير نفسك واقصر ها عليه ففيه فضلٌ وفخرُ
لا تُطعها على الذي تبتغيه وليرعها منك اعتسافٌ وقهرُ
إنَّ مِن شأنها مجانبة الخـ ـير وإتيان كل ما قد يَغرُّ

وقوله:

---

(١) مذكر المقينة: الماشطة.

عجبي ممَّن تعالت حالـه وكفاه الله زلات الطلبْ
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين: نعيم وأدبْ؟!
فإذا ما نال دهراً حظّه فحديثٌ ونشيدٌ وكتبْ
مرَّة جِدّاً وأخرى راحةً فإذا ما غسق الليل انتصبْ
يقتضي الدنيا نهاراً حقّها وقضى لله ليلاً ما يجبْ
تلك أقسامٌ متى يعمل بها عاملٌ يسعد ويرشد ويصبْ

ومن كلمه الذهبيَّة في تحليل معنى الرضا عن النَّفس وما يوجب ذلك من سخطها وجموحها ورفض الآداب قوله:

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ورضى الفتى عن نفسه إغضابها
لو أنَّني عنها رضيت لقصَّرت عمّا تُريد بمثلها آدابها
وبيننا آثارُ ذاك وأكثرت عذلي عليه وطال فيه عتابها

ومن حكمه قوله:

بالحرص في الرِّزق يذلُّ الفتى والصبر فيه الشَّرفُ الشامخُ
ومُستزيدٌ في طلاب الغنى يجمع لحماً ما له طابخُ
يضيع ما نال بما يرتجي والنّار قد يطفئها النافخ

وقوله:

حُلل الشبيبة مستعارهْ فدع الصِّبا واهجر ديارهْ
لا يشغلنك عن العلا خودٌ تمنِّيك الزيارهْ
خودٌ تطيَّب طيبها ويزين ساعدها سوارهْ
يحلو أوائل حبّها ويشوب آخره مرارهْ
ما عذر مثلك خالعاً في سكر لذَّته عذارهْ
من بعد ما شدَّ الأشـ ـدّ على تلابيه إزارهْ
من ساد في عصر الشبا ب غدت لسودده غفارهْ
ما الفخر أن يغدو الفتى متشبِّعاً ضخم الحرارهْ
كلفاً بشرب الراح مشـ ـغوفاً بغزلان الستارهْ

مهجورةً عرصاته لا تقرب الأضياف دارهْ
الفخر أن يُشجي الفتى أعداؤه ويُعزُّ جارهْ
وَيذبُّ عن أعراضه ويَشبُّ لِلطرّاق نارهْ
ويروح إمّا للإما رة سعيه أو لِلوزارهْ
فرد الكتابة والخطا بة والبلاغة والعبارهْ
متيقّظ العزمات يجـ ـتنب الكرى إلّا غرارهْ
فكأنَّه مِن حدَّةٍ ونفاذ تدبيرٍ شرارهْ
حتّى يُخاف ويُرتجى ويُرى له نشبٌ وشارهْ
في موكب لجب كأنَّ الليل ألبسه خمارهْ
تزهي به عصبٌ تنفَّض عن مناكبه غبارهْ
ويُطيل أبناء الرغا ئب في مشاكله انتظارهْ
فادأب لمجدٍ حادثٍ أو سالف يعلي منارهْ
واعمر لِنفسك في العلا حالاً وكن حسن العمارهْ
واقمر لها سوقاً يُنـ ـفِّقها وتاجرها تجارهْ
لا تَغدُ كلًّا واجتنب أمراً يخاف الحرُّ عارهْ
وإذا عدمت عن المآ كل خيرها فكل الحجارهْ

رحلة كشاجم:

غادر المترجم بيئة نشأته [الرملة] إلى الأقطار الشرقيَّة، وساح في البلاد، ورحل رحلة بعد اخرى إلى مصر وحلب والشام والعراق، وكان كما كان في قصيدته التي يمدح بها إبن مقلة بالعراق:

هذا على أنَّني لا أستفيق ولا أفيق من رحلة في إثرها رحله
وما على البدر نقصٌ في إضاءته . أن ليس ينفكُّ من سير ومن نقله

وقال وهو في مصر:

قد كان شوقي إلى مصر يُؤرِّقني فاليوم عدتُ وعادت مصر لي دارا

أغدو إلى الجيزة الفيحاء مُصطحباً[1] طوراً وطوراً ارجّي السير أطوارا
بينا اسامي رئيساً في رئاسته إذ رحتُ أحسب في الحانات خمّارا
فللدواوين إصباحي ومُنصرفي إلى بيوت دُمى يعلمن أوتارا
أمّا الشباب فقد صاحبت شرَّته وقد قضيت لبانات وأوطارا
من شادنٍ من بني الأقباط يعقد ما بين الكثيب وبين الخصر زنّارا

وكأنَّه في بعض آناته يرى نفسه بين مصر والعراق، ويتذكّر أدواره فيهما، وما ناله في سفره إليهما من سرّاء أو ضرّاء، أو شدَّة أو رخاء، وما حظي من الأهلين من النِّعمة والنقمة، والإكبار والإستحقار، فيمدح هذا ويذمُّ ذلك فيقول:

يا هذه قلت فاسمعي لفتى في حاله عبرةٌ لمعتبره
أمرت بالصبر والسلوّ ولو عشقت ألفيت غير مصطبره
من مبلغٍ إخوتي؟ وإن بعدوا: إنَّ حياتي لبعدهم كدِره
قد همتُ شوقاً إلى وجوههم تلك الوجوه البهيَّة النضره
أبناء ملك علاهمُ بهمُ على العلا والفخار مفتخره
ترمي بهم نعمة تُزيِّنها مروءةٌ لم تكن ترى نزره
ما أنفك ذا الخلق بين منتصر على الأعادي بهم ومنتصره
جبال حلمٍ بدور أنديةٍ اسد وغى في الهياج مُبتدره
بيض كرام الفعال لا بخل الأ يدي وليست من الندى صفره
للناس منهم منافعٌ ولهم منافعٌ في الأنام مُشتهره
متى أراني بمصر جارهم نسبي بها كلَّ غادةٍ خضره
والنيل مستكملٌ زيادته مثل دروع الكماة منتشره
تغدو الزواريق فيه مُصعدةً بنا وطوراً تروح منحدره
والراح تسعى بها مذكّرة أردانها بالعبير مُختمره
بكران لكن لهذه مائة وتلك ثنتان وثنتا عشره
يا ليتني لم أرَ العراق ولم أسمع بذكر الأهواز والبصره

---
(١) الجيزة: بليدة في غربي فسطاط مصر.

تـرفـعني تـارةً وتُـخـفـضـني ... اخـرى فمن سهلة ومـن وعـره
فـوق ظـهـر سـلهـبـة[1] ... قـطانـهـا والـبـدار مُـغـتـفـره
وتـارةً فـي الـفـرات طـامـيـة ... أمـواجـه كـالخيـال معتكـره
حـتّى كـأنَّ الـعـراق تعـشقـني ... أو طـالبتني يـد الـنـوى بتـره

وكـان يجتمـع في رحـلاتـه مـعٍ الملوك والأمـراء والـوزراء ويحـظى بجوائزهم، ويستفيد من صِلاتهم، ويتّصل بمشيخة العلم والحديث والأدب، ويقرأ عليهم، ويسمع عنهم، ويـأخذ منهم، وجـرت بينه وبينهم محـاضرات ومناظرات ومكاتبات، إلى أن تضلّع في العلوم، وحاز قصب السبق في فنون متنوِّعة، وتقدَّم في الكتابة والخطابـة، وحصل لـه من كلِّ فنّ حـظّه الأوفى، ونصيبه الأعلى حتّى عرَّفه المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ص ٥٢٣ بأنَّه كان من أهل العلم والرواية والأدب.

عقيدته:

إنَّ عصر المترجَم من العصور التي ذاعت فيه النحل والمذاهب، وشاعت فيه الأهواء والآراء، وقلَّ فيه من لا يرى في العقائد رأياً يفسِّر به إسلامه وهو ينصُّ به على خبيئة قلبه تارةً ويضمرها اخرى، وأمّا شاعرنا فكان في جانبٍ من ذلك، إمامياً صادق التشيّع، موالياً لأهل بيت الوحي، متفانياً في ولائهم، ويجد الباحث في خلال شعره بيِّنات تظاهره بالتهالك في ولاء آل الله، وبثّه الدعوة إليهم بحججه القويَّة، والتفجّع في مصابهم والذبِّ عنهم، والنيل من مناوئيهم، واعتقـاده فيهم أنَّهم وسائله إلى المـولى في الحاضـرة، وواسطة نجـاحه في الآخرة.

وكان من مصاديق الآية الكريمة: يُخرج الحيّ من الميت. فـإنَّ نُصب جدِّه السندي إبن شاهك وعدائه لأهل البيت الطاهر وضغطه وإضطهاده الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه في سجن هارون مما سار به الرُّكبان، وسوّدت

(١) السلهبة: الجسيمة.

به صحيفة تاريخه؛ إلّا أنَّ حفيده هذا باينه في جميع نزعاته الشيطانيّة، فهو من شعراء أهل البيت المجاهرين بولائهم، المتعصِّبين لهم، الذابِّين عنهم ولا بدع فإنَّ الله هو الذي يخرج الدُّر من بين الحصى، ويُنبت الورد محتفّاً بالأشواك، فمن نماذج شعره في المذهب قوله:

بكاءٌ وقلَّ غناء البكاءِ ... على رزء ذرِّية الأنبياءِ
لئن ذلَّ فيه عزيز الدُّموع ... لقد عزَّ فيه ذليل العزاءِ
أعاذلتي إنَّ برد التّقى ... كسانيه حبّي لأهل الكساءِ
سفينة نوح فمن يعتلق ... بحبِّهمُ يعتلق بالنجاءِ
لعمري لقد ضلَّ رأي الهوى ... بأفئدة من هواها هوائي
وأوصى النبيُّ ولكن غدت ... وصاياه مُنبذةً بالعراءِ
ومن قبلها أمر الميِّتون ... بردِّ الأُمور إلى الأوصياءِ
ولم ينشر القوم غلّ الصدو ... ر حتّى طواه الرَّدى في رداءِ
ولو سلّموا لإمام الهدى ... لقوبل معوجّهم باستواءِ
هلالٌ إلى الرشد عالي الضيا ... وسيفٌ على الكفر ماضي المضاءِ
وبحرٌ تدفّق بالمعجزات ... كما يتدفّق ينبوع ماءِ
علومٌ سماويَّةٌ لا تُنال ... ومن ذا ينال نجوم السماء؟
لعمري الأولى جحدوا حقَّه ... وما كان أولاهمُ بالولاءِ
وكم موقف كان شخص الحمام ... من الخوف فيه قليل الخفاءِ
جلاه فإن أنكروا فضله ... فقد عرفت ذاك شمس الضحاءِ
أراها العجاج قُبيل الصَّباح ... وردَّت عليه بُعيد المساءِ
وإن وتر القوم في بدرهم ... لقد نقض القوم في كربلاءِ
مطايا الخطايا خذي في الظلام ... فما همَّ إبليس غير الحداءِ
لقد هتكت حرم المصطفى ... وحلَّ بهنَّ عظيم البلاءِ
وساقوا رجالهمُ كالعبيد ... وحادوا نساءهمُ كالإماءِ
فلو كان جدُّهمُ شاهداً ... ليتبع أظعانهم بالبكاءِ

حقودٌ تضرَّم بدريَّةٌ وداءُ الحقود عزيزُ الدواءِ
تراه مع الموت تحت اللوا ء واللهِ والنصر فوق اللواءِ
غداة خميس إمام الهدى وقد غاث فيهم هزبر اللقاءِ
وكم أنفس في سعيرٍ هوت وهام مطيَّرة في الهواءِ
بضربٍ كما انقدَّ جيب القميص وطعن كما انحلَّ عقد السقاءِ
وخيرة ربّي من الخيرتين وصفوة ربّي من الأصفياءِ
طهرتم فكنتم مديح المديح وكان سواكم هجاء الهجاءِ
قضيت بحبِّكمُ ما عليَّ إذا ما دُعيت لفصل القضاءِ
وأيقنت أنَّ ذنوبي به تساقط عنّي سقوط الهباءِ
فصلّى عليكم آله الورى صلاةً توازي نجوم السماءِ

وقوله في مدحهم صلوات الله عليهم:

آل النبيِّ فضلتمُ فضل النجوم الزاهره
وبهرتمُ أعدائكم بالمأثرات السائره
ولكم مع الشّرف البلا غة والحلوم الوافره
وإذا تفوخر بالعلا منكم علاكم فاخره
هذا وكم أطفأتمُ عن أحمد من نائره
بالسّمر تخضب بالنجيع (١) وبالسيوف البائره
تشفى بها أكبادكم من كلِّ نفسٍ كافره
ورفضتمُ الدنيا لذا فزتم بحظِّ الآخره

وقوله في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلى ما رويناه ص ٤٦ في الجزء الثالث مما ورد في حبِّ أمير المؤمنين عليه السلام:

حبُّ الوصيِّ مبرَّةٌ وصله وطهارةٌ بالأصل مكتفله
والنّاس عالمهم يسدين به حبّاً ويجهل حقَّه الجهله
ويرى التشيّع في سراتهمُ والنّصب في الأرذال والسفله

(١) النجيع: من الدم ما كان مائلاً إلى السواد.

وقوله في المعنى:

حبُّ عليٍّ علوّ همّه ... لأنّه سيّد الأئمّه
ميِّز محبِّيه هل تراهم ... إلّا ذوي ثروة ونعمه؟!
بين رئيس إلى أديب ... قد أكمل الطرف واستتمّه
وطيّب الأصل ليس فيه ... عند امتحان الأصول تُهمه
فهم إذا خلصوا ضياء ... والنصب الظالمون ظلمه

هذه الأبيات ذكرها له الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ١٣٦ في وجه إضافة السواد إلى وجه الناصبي، ويأتي مثله في ترجمة الناشي الصغير.

ولكشاجم يرثي آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

أجل هو الرزء فادحهُ ... باكره فاجعٌ ورائحهُ
لا ربع دارٍ عفا ولا طلل ... أوحش لمّا نأت ملاقحهُ
فجائعٌ لو درى الجنين بها ... لعاد مبيضّةً مسالحهُ
يا بُؤس دهرٍ على آل رسو ... ل الله تجتاحهم جوائحهُ[1]
إذا تفكّرت في مصابهمُ ... أثقب زند الهموم قادحه
بعضهمُ قربت مصارعه ... وبعضهم بوعدت مطارحهُ
أظلم في كربلاء يومهمُ ... ثمَّ تجلّى وهم ذبائحهُ
لا يبرح الغيث كلّ شارقة ... تهمى غواديه أو روائحهُ
على ثرى حلّة غريب رسو ... ل الله مجروحةٌ جوارحه
ذلَّ حماه وقلَّ ناصره ... ونال أقصى مناه كاشحهُ
وسيق نسوانه طِلاح[2] ... أحسن أن تهادى بهم طلائحهُ
وهنَّ يمنعن بالوعيد من النـ ... ـوح والملأ الأعلى نوائحه
عادى الأسى جدّه ووالده ... حين استغاثتهما صوائحهُ
لو لم يُرد ذو الجلال حربهم ... به لضاقت بهم فسائحهُ

---

(١) جاحه واجاحه واجتاحه: استأصله وأهلكه. جوائح جمع جائحة: البلية والداهية العظيمة.

(٢) طلاح: معيية من السفر.

وهو الذي اجتاح حين ما عقر ... ت ناقته إذ دعاه صالحهُ
يا شيع الغيِّ والضَّلال ومن ... كلّهمُ جمَّة فضائحهُ
غششتم الله في أذيَّة مَن ... إليكمُ ادِّيت نصائحهُ
عفرتمُ بالثرى جبين فتىً ... جبريل قبل النبيِّ ماسحهُ
سيّان عند الإله كلُّكمُ ... خاذله منكمُ وذابحهُ
على الذي فاتهم بحقِّهم ... لعنٌ يغاديه أو يُراوحهُ
جهلتمُ فيهم الذي عرفه البيـ ... ـت وما قابلت أباطحهُ
إن تصمتوا عن دعائهم فلكم ... يوم وغى لا يُجاب صائحهُ
في حيث كبش الرَّدى يُناطح من ... أبصر كبش الورى يُناطحهُ
وفي غدٍ يعرف المخالف من ... خاسر دينٍ منكم ورابحهُ
وبين أيديكمُ حريق لظى ... يلفح تلك الوجوه لافحهُ
إن عبتموهم بجهلكم سفهاً ... ما ضرَّ بدر السَّماء نائحهُ
أو تكتموا الحق فالقرآن مشكله ... بفضلهم ناطقٌ وواضحهُ
ما أشرق المجد من قبورهم ... إلّا وسكّانها مصابحهُ
قومٌ أبى حدُّ سيف والدهم ... للدين أو يستقيم جامحهُ
وهو الذي استأنس الزَّمان به ... والدين مذعورةٌ مسارحهُ
حاربه القوم وهو ناصره ... قِدماً وغشّوه وهو ناصحهُ
وكم كسى منهم السيوف دماً ... يوم جلاد يطيح طائحهُ
ماصفح القوم عندما قدروا ... لمّا جنت فيهمُ صفائحهُ
بل منحوه العناد واجتهدوا ... أن يمنعوه والله مانحهُ
كانوا خفافاً إلى أذيَّته ... وهو ثقيل الوقار راجحهُ

وله قوله:

زعموا أنَّ من أحبَّ عليّاً ... ظلَّ لِلفقر لابساً جلبابا
كذبوا من أحبَّه من فقيرٍ ... يتحلّى من الغنى أثوابا
حرّفوا منطق الوصيِّ بمعنى ... خالفوا إذ تأوَّلوه الصَّوابا
إنَّما قال: ارفضوا عنكم الد ... نيا إذا كنتمُ لنا أحبابا

مشايخه وتآليفه:

لم نقف في المصادر التي بين أيدينا على ما يفيدنا في التنقيب عن أيّام صباه، وكيفيَّة تعلّمه، وأساتذته في فنونه، ومشايخه في علومه، والمصادر برمَّتها خاليةٌ من البحث عن هذا الجانب إلّا أنَّ شعره يُفيدنا تتلمذه على الأخفش الأصغر عليِّ بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ فهو إمّا قرأ عليه في مصر أيَّام الأخفش بها وقد ورد الأخفش مصر سنة ٢٨٧ وخرج منها إلى حلب سنة ٣٠٦، وإمّا في بغداد قبل أن غادرها الأخفش إلى مصر، إذ يذكر قرائته عليه في قصيدة يمدحه بها في الشام حينما نزل بها الأخفش إمّا في رواحه إلى مصر، وإمّا في أوبته عنها فقال:

فلمّا خُيِّل الصبح ولـمّا يبدُ تبليجه
واتبعت العرا وجهاً كسى البشر تباهيجه
إلى كعبة آداب بأرض الشام محجوجه
إلى معدن بالحكمة والآداب ممزوجه
سماعيٌّ قرائيٌّ له في العلم مرجوجه
ومَن يعدل بالعلم من المنآد تعويجه
إذ الأخبار حاجته ثناها وهي محجوجه
به تغدو من الشكِّ قلوب القوم مثلوجه
ويلقى طرق الحكمة للأفهام مهوجه
لكي يفرج عنّي الخطـ ـب لا أسطيع تفريجه
وكي يمنحني تأديـ ـه المحض وتخريجه
ومَن أولى بتقريب خلا من كنت ضرِّيجه
ومن توَّجني من علـ ـمه أحسن تتويجه

له أدب النديم كما في فهرست النديم.

٢ - كتاب الرسائل.

٣ - ديوان شعره.

٤ ـ كتاب المصائد والمطارد[1]
٥ ـ خصائص الطرف.
٦ ـ الصبيح.
٧ ـ البيرزة في علم الصيد.

ولادته ووفاته:

ما عثرنا في الكتب والمعاجم على ما يفيدنا تاريخ ولادته لكن يلوح من شعره الذي يذكر فيه شيبه وهرمه في أوائل القرن الرابع أنّه ولد في أواسط القرن الثالث قال من قصيدة:

وإنَّ شيبي قـد لاحت كـواكبـه	في ظلمة من سواد اللمّـة الجثله
فهـذه جملةٌ في العـذر كـافيـةٌ	تغنيك فاغن عن التفصيل بالجمله
وبـان منّي شبابٌ كـان يشفع لي	سقياً له من شبـاب بان سقياً له
قـد كـان بـابي للعـافين منتجعـاً	ينتـابـه ثُلّة من بعـدهـا ثُلّه
وكنت طود المنى يُؤوى إلى كنفي	كحـائط مُشرف من فـوقـه ظلّه
أفنى الكثيـر فما إن زال ينقصني	متى دفعت إلـى الأفنـان والـقلّه
وقـد غنيت وأشغـالي تبيِّن مـن	فضلي فقـد سترتـه هذه العـطله
والسيف في الغمد مجهول جواهره	وإنّمـا يجتنيـه عيـن من سلّه

وهذه القصيدة يمدح بها أبا علي ابن مقلة الوزير ببغداد في أيّام وزارته قبل حبسه وقد قبض عليه وحبس سنة ٣٢٤ وتوفي سنة ٣٢٨.

وأمّا وفاته ففي « شذرات الذهب » أنّه توفّي سنة ٣٦٠ وتبعه ـ تاريخ آداب اللغة العربيّة ـ وفي كشف الظنون، وكتاب الشيعة وفنون الاسلام، والأعلام للزركلي انّها في سنة ٣٥٠ وردّدها غير واحد من المعاجم بين التاريخين، وكلٌّ منهما يمكن أن يكون صحيحاً، كما يقرب إليهما ما في مقدّمة ديوانه من أنّه توفّي سنة ٣٣٠ وهو كما سمعت في مدحه إبن مقلة كان يشكو هرمه قبل سنة ٣٢٤.

---

(١) ينقل عنه ابن خلكان في تاريخه ج ٢ ص ٣٧٩.

لفت نظر: ذكر المسعودي في «مروج الذهب» ج ١ ص ٥٢٣ لكشاجم أبياتاً كتبها إلى صديق له ويذمّ النرد وذكر اسمه أبو الفتح محمّد بن الحسن، وأحسبه منشأ ترديد سيِّدنا صدر الدين الكاظمي في تأسيس الشيعة في إسمه وإسم أبيه بين محمود ومحمّد. والحسين والحسن، وذكر المسعودي صوابه في مروجه ج ٢ ص ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥٠.

ولده:

أعقب المترجم ولديه أبا الفرج وأبا نصر أحمد ويُكنّي كشاجم نفسه بالثاني في قوله:

قالوا: أبو أحمد يبني. فقلت لهم:	كما بنت دودة بنيان السرق
بنته حتى إذا تمَّ البناء لها	كان التمام ووشك الخير في نَسق

ويثني عليه ويصفه بقوله:

نفسي الفداء لمن إذا جرح الأسى	قلبي أسوت به جروح أسائي
كبدي وتاموري وحبّة ناظري	ومؤمّلي في شدَّتي ورخائي
ربّيته متوسّماً في وجهه	ما قبل فيَّ توسّمت آبائي
ورزقته حسن القبول مبيِّناً	فيه عطاء الله ذي الآلاء
وغدوت مقتنياً له عن امِّه	وهي النجيبة وابنة النجباءِ
وعمرت منه مجالسي ومسالكي	وجمعت منه مآربي وهوائي
فأظلّ أبهج في النهار بقربه	وأريه كيف تناول العلياءِ
وأزيره العلماء يأخذ عنهمُ	ولشذَّ من يغدو إلى العلماءِ
وإذا يجنُّ الليل بات مسامري	ومجاوري وممثّلاً بإزائي
فأبيت أُذني مهجتي من مهجتي	وأضمُّ أحشائي إلى أحشائي

وكان أبو نصر أحمد بن كشاجم شاعراً أديباً ومن شعره يذمُّ به بخيلاً قوله[1]:

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٨، ونهاية الارب ج ٣ ص ٣١٨.

صديق لنا من أبرع الناس في البخل ... وأفضلهم فيه وليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديق صديقه ... فجئت كما ياتي إلى مثله مثلي
فلمّا جلسنا للطعام رأيته ... يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبدهُ ... وأعلم أنّ الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً ... وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدُّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً ... فيلحظني شزراً فأعبث بالبقلِ
إلى أن جنت كفّي لحتفي جنايةً ... وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرّت يدي للحين رجل دجاجةٍ ... فجرت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدّم من بعد الطعام حلاوَة ... فلم أستطع فيها أمرّ ولا أحلي
وقمت لو أنّي كنت بيّتُ نيّة ... ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

وذكر الثعالبي في «يتيمة الدهر» ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٦١ من شعره ما يُناهز ستّين بيتاً . وقال صاحب تعاليق اليتيمة ج ١ ص ٢٤٠ : [لم نعثر في ديوان كشاجم على شيء من هذه المختارات] ذاهلاً عن أنَّ الديوان المعروف هو لكشاجم لا لإبنه أبي نصر أحمد الذي انتخب الثعالبي من شعره ، ويستشهد بشعره الوطواط في «غرر الخصائص» .

خرج أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير المتوفّى سنة ٣٩١ إلى بستانه بالمقس فكتب إليه أبو نصر بن كشاجم على تفّاحة بماء الذهب وأنفذها إليه[١] .

إذ الوزير تخلّى للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميّا ه جعفر بن الفراتِ

ويوجد في « بدائع البداية » شيءٌ من شعره راجع ج ١ ص ١٥٧ ، وذكر من شعره إبن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٤٩ ما نظمه سنة ٣٥٦ بالرملة لمّا ورد إليها أبو علي القرمطي القصير.

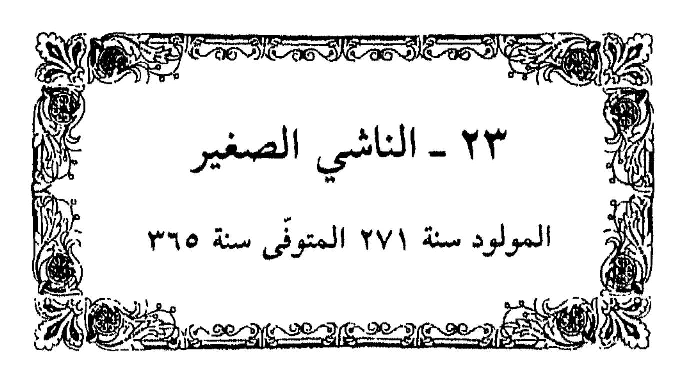
---

(١) في معجم الادباء ج ٢ ص ٤١١ .

ويذكر محمَّد بن هارون بن الأكتمي إبني كشاجم ويهجوهما بقوله[١] :

يا بني كشاجم أنتما   مستعملان مجرَّبان
مات المشوم أبوكما   فخلفتماه على المكانِ
وقرنتما في عصرنا   ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا   م وميتة الملك الهجانِ

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٢.



٢٣ ـ الناشي الصغير

المولود سنة ٢٧١ المتوفى سنة ٣٦٥

يا آل ياسين مَن يحبّكمُ   بغيرِ شكٍّ لنفسه نصحا

أنتم رِشادٌ من الضّلال كما   كلُّ فسادٍ بحبِّكم صلحا

وكلُّ مستحسنٍ لغيركمُ   إن قيس يوماً بفضلكم قبحا

ما مُحيت آية النهار لنا   وآية الليل ذو الجلال محا

وكيف تُمحى أنوار رشدكمُ   وأنتمُ في دُجى الظلام ضُحى

أبوكمُ أحمد وصاحبه   الممنوح من علم ربّه منحا

ذاك عليٌّ الذي تفرُّده   في يوم «خُمّ» بفضله اتّضحا

إذ قال بين الورى وقام به   مُعتضداً في القيام مكتشحا

: من كنت مولاه فالوصيُّ له   مولى بوحي من الآله وحا

فبخبخوا ثمَّ بايعوه ومَن   يُبايع الله مخلصاً ربحا

ذالك عليٌّ الذي يقول له   جبريل يوم النزال مُمتدحا

: لا سيف إلّا سيف الوصيِّ ولا   فتى سواه إن حادثٌ فدحا

لو وزنوا ضربه لعمرو وأعما   ل البرايا لَضربُهُ رجحا

ذال عليٌّ الذي تراجع عن   فتح سواه وسار فافتتحا

في يوم حصِّ اليهود حين أ   قلّ الباب من حصنهم وحين دحا

لم يشهد المسلمون قطُّ رحى   حرب وألفوا سواه قطب رحى

صلّى عليه الآله تزكيةً   ووفّق العبد يُنشئ المدحا

وقال في قصيدة يوجد منها ٣٦ بيتاً:

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القوم إذ خالفوكا
أدلُّ دليلٍ على أنّهم ... أبوْك وقد سمعوا النصَّ فيكا
خلافهمُ بعد دعواهمُ ... ونكثهمُ بعدما بايعوكا

إلى أن قال:

فيا ناصر المصطفى أحمد ... تعلّمت نصرته من أبيكا
وناصبت نصّابه عنوةً ... فلعنة ربّي على ناصبيكا
فأنت الخليفة دون الأنام ... فما بالهم في الورى خلّفوكا؟
ولا سيَّما حين وافيته ... وقد سار بالجيش يبغي تبوكا
فقال أُناس: قلاه النبيّ ... فصرتَ إلى الطّهر إذ خفّضوكا
فقال النبيُّ جواباً لما ... يؤدّي إلى مسمع الطّهر فوكا
: ألم ترض إنّا على رغمهم ... كموسى وهارون إذ وافقوكا؟
ولو كان بعدي نبيٌّ كما ... جعلت الخليفة كنت الشريكا
ولكنّني خاتم المرسلين ... وأنت الخليفة إن طاوعوكا
وأنت الخليفة يوم انتجاك ... على الكور حيناً وقد عاينوكا
يراك نجيّاً له المسلمون ... وكان الآله الذي ينتجيكا
على فم أحمد يوحي إليك ... وأهل الضغائن مُستشرفوكا
وأنت الخليفة في دعوة ... العشيرة إذ كان فيهم أبوكا
ويوم «الغدير» وما يومه ... ليترك عذراً إلى غادريكا
لهم خلفٌ نصروا قولهم ... ليبغوا عليك ولم ينصروكا
إذا شاهدوا النصَّ قالوا لنا: ... توانى عن الحقِّ واستضعفوكا
فقلنا لهم: نصُّ خير الورى ... يُزيل الظنون وينفي الشّكوكا

وله يمدح آل الله قوله:

بآل محمَّد عُرف الصوابُ ... وفي أبياتهم نزل الكتابُ
همُ الكلمات والأسماء لاحت ... لآدم حين عزَّ له المتابُ
وهم حُجج الآله على البرايا ... بهم وبحكمهم لا يُستراب

بقيَّة ذي العُلى وفروعِ أصلٍ ... بحسن بيانهم وضح الخطابُ
وأنوارٌ ترى في كلِّ عصرٍ ... لإرشاد الورى فهمُ شهابُ
ذراري أحمد وبنو عليٍّ ... خليفته فهم لبٌّ لبابُ
تناهوا في نهاية كلِّ مجد ... فطهِّر خلقهم وزكوا وطابوا
إذا ما أعوز الطلّاب علمٌ ... ولم يوجد فعندهمُ يُصابُ
محبّتهم صراطٌ مستقيمٌ ... ولكن في مسالكه عقابُ
ولا سيما أبو حسن عليّ ... له في الحرب مرتبةٌ تُهابُ
كأنَّ سنان ذابله ضميرٌ ... فليس عن القلوب له ذهابُ
وصارمه كبيعته بخمٍّ ... معاقدها من القوم الرِّقابُ
عليٌّ الدرّ والذهب المصفّى ... وباقي الناس كلّهم تُرابُ
إذا لم تَبر من أعدا عليٍ[1] ... فما لك في محبّته ثوابُ
إذا نادت صوارمه نفوساً ... فليس لهم سوا نِعَم جوابُ
فبين سنانه والدِّرع سلمٌ ... وبين البيض والبيض اصطحابُ
هو البكّاء في المحراب ليلاً ... هو الضحّاك إن جدَّ الضرابُ
ومَن في خفِّه طرح الأعادي ... حباباً كي يلسبه[2] الحبابُ
فحين أراد لبس الخفِّ ... وافى يُمانعه عن الخفِّ الغرابُ
وطار به فأكفأه وفيه ... حبابٌ في الصعيد له انسيابُ[3]
ومَن ناجاه ثعبانٌ عظيمٌ ... بباب الطّهر ألقته السِّحابُ
رآه الناس فانجفلوا[4] برعب ... وأغلقت المسالك والرحابُ
فلمّا أن دنا منه عليٌّ ... تدانى الناس واستولى العجابُ
فكلّمه عليٌّ مستطيلاً ... وأقبل لا يخاف ولا يهابُ

---

(١) كذا في تخميس العلامة الشيخ محمد علي الأعسم. وفي كتاب الانايل والتحفة:

ومن لم يبر من أعدا علي ... فليس له النجاة ولا ثواب

(٢) لسبته الحية: لدغته.

(٣) انسابت الحية: اجرت وتدافعت.

(٤) انجفل وتجفل القوم: هربوا مسرعين.

ودنَّ لحاجر[١] وانساب فيه وقال وقد تغيَّبه التراب
: أنا ملك مُسخت وأنت مولى دُعاؤك إن مَننت به يُجاب
أتيتك تائباً فاشفع إلى مَن إليه في مهاجرتي الإياب
فأقبل داعياً وأتى أخوه يُؤمِّن والعيون لها انسكاب
فلمّا أن أجيبا ظلَّ يعلو كما يعلو لدى الجِدّ العقاب
وأنبتَ ريش طاووسٍ عليه جواهر زانها التِّبر المُذاب
يقول: لقد نجوت بأهل بيتٍ بهم يُصلى لظىً وبهم يُثاب
همُ النبأ العظيم وفُلك نوحٍ وباب الله وانقطع الخطابُ

(ما يتبع الشعر)

الأصحّ أنَّ هذه القصيدة للناشي كما صرَّح به إبن شهراشوب في « المناقب »، وروى إبن خلكان عن أبي بكر الخوارزمي: انَّ الناشي مضى إلى الكوفة سنة ٣٢٥ وأملى شعره بجامعها، وكان المتنبّي وهو صبيٌّ يحضر مجلسه بها وكتبٍ من إملائه لنفسه من قصيدة:

كأنَّ سنان ذابله ضميرٌ فليس من القلوب له ذهاب
وصارمه كبيعته بخمٍّ مقاصدها من الخلق الرِّقاب

وذكرها له الحموي في « معجم الأدباء » ج ٥ ص ٢٣٥، واليافعي في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٣٣٥؛ وجزم بذلك في « نسمة السحر » وعزى مَن نسبها إلى عمرو بن العاص إلى أفحش الغلط، وهؤلاء مهرة الفنِّ وإليهم المرجع في أمثال المقام.

فما تجده في غير واحد من المعاجم وكتب الأدب ككتاب الإكليل[٢] وتحفة الأحبّاء من مناقب آل العباء[٣] من نسبتها إلى عمرو بن العاص على وجوه متضاربة مما لا مُعوَّل عليه، قال صاحبا الإكليل والتحفة: إنَّ معاوية بن أبي

(١) الحاجر: الارض المرتفعة ووسطها منخفض.
(٢) تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني اليمني.
(٣) تأليف جمال الدين الشيرازي.

سفيان قال يوماً لجلسائه: مَن قال في عليٍّ فله هـذه البَدرة. فقـال عمرو بن العاص هذه الأبيات طمعاً بالبَدرة.

وكذلك لا يصحُّ عزوها إلى ابن الفارض كما في بعض المعاجم، وكان إبن خلكان والحموي معاصرين لإبن الفارض، فما كان يخفى عليهما لو كان الشعر له، على أنَّه كانت تتناقله الرواة قبل وجود إبن الفارض.

والذي أحسبه انَّ لجملة من الشعراء قصائد علويَّة على هذا البحر والقافية مبثوثة بين الناس، وربما حُرّفت أبيات منها عن مواضعها فأدرجت في قصيدة الآخر، كما أنَّك تجد أبياتاً من شعر الناشي في خلال أبيات السوسي المذكورة في مناقب إبن شهراشوب، وكذلك أبياتاً من شعر إبن حمّاد في خلال أبيات العوني، وأبياتاً من شعر الزاهي في خلال شعر الناشي، وأبياتاً من شعر العبدي في خلال شعر إبن حمّاد، وبذلك اشتبه الحال على الرُّواة فعزي الشعر إلى هذا تارةً وإلى ذلك اخرى.

خمّس جملةً من هذه القصيدة العلاّمة الحجَّة الشيخ محمَّد علي الأعسم النجفي أوّله:

بنـو المختـار هم للعلم بـابُ ... لهم في كـلِّ مُعضلة جـوابُ
إذا وقـع اختـلافٌ واضـطرابٌ ... بـآل محمَّـد عُـرف الصَّـوابُ

(الشاعر)

أبو الحسن[1] عليُّ بن عبد الله بن الوصيف الناشي (الصغيـر) الأصغر البغدادي من باب الطاق، نزيل مصر، المعروف بالحلاّء، كان أبوه يعمل حلية السيوف فسمّي حلاّءً ويقال له: الناشي لأنّ الناشي يقال لمن نشأ في فنّ من فنون الشعر كما قال السمعاني في الأنساب.

كان أحد من تضلّع في النظر في علم الكلام، وبرع في الفقه، ونبغ في

---

(١) في فهرست الشيخ، ورجال أبي داود: أبو الحسين.

الحديث، وتقدَّم في الأدب، وظهر أمره في نظم القريض، فهو جماع الفضائل، وسمط جمار العلوم، وفي الطليعة من علماء الشيعة ومتكلّميها، ومحدِّثيها، وفقهائها، وشعرائها.

روى عنه الشيخ الإمام محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد، وبواسطته يروي عنه شيخ الطائفة أو جعفر الطوسي كما في فهرسته ص ٨٩، واحتمل في « رياض العلماء » رواية الشيخ الصدوق عنه ايضاً، وقال: لعلّه الذي كان من مشايخ الصَّدوق، وفي « الوافي بالوفيات » و« لسان الميزان » ج ٤ ص ٢٣٨ : أنَّ أبا عبد الله الخالع. وأبا بكر بن زرعة الهمداني. وعبد الواحد العكبري. وعبد السَّلام بن الحسن البصري اللغوي. وإبن فارس اللغوي. وعبد الله بن أحمد بن محمَّد بن روزبة الهمداني وغيرهم يروون عنه، وأنَّه يروي عن المبرّد وابن المعتزّ وغيرهما.

وذكر إبن خلكان: أنَّه أخذ العلم عن أبي سهل إسماعيل بن عليٍّ بن نوبخت، وهو من أعاظم متكلّمي الشيعة.

وقال شيخ الطائفة في فهرسته ص ٨٩: وكان يتكلّم على مذهب أهل الظاهر في الفقه. وأهل الظاهر هم أصحاب أبي سليمان داود بن علي بن خلف الإصبهاني المعروف بالظاهري المتوفّى سنة ٢٧٠، قال إبن نديم في « الفهرست » ص ٣٠٣: هو أوَّل من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنَّة وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس. وقال إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٩٣ : كان أبو سليمان صاحب مذهب مستقلّ، وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهريَّة.

وفي رجال النجاشي: انَّ للمترجم كتاباً في الإمامة، لكن الشيخ الطوسي يذكر له كتباً في « الفهرست »، وفي تارخ إبن خلكان: انَّ له تصانيف كثيرة، وفي الوافي بالوفيات: انَّ شعره مدوَّنٌ، وانَّ مدائحه في أهل البيت عليهم السَّلام لا تُحصى كثرةً، ولذلك عدَّه إبن شهراشوب في « معالم العلماء » من مجاهري شعراء أهل البيت عليهم السَّلام.

وفي « معجم الأدباء » قال الخالع: كان الناشي يعتقد الإمامة، ويناظر عليها بأجود عبارة، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتّى عُرف بهم، وأشعاره فيهم لا تُحصى كثرةً، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبارٌ، وقصد كافوراً الأخشيدي بمصر وامتدحه، وامتدح إبن خنزابة وكان يُنادمه، وطرى إلى البريديّ بالبصرة؛ وإلى أبي الفضل بن العميد بارّجان. وقال: قال إبن عبد الرحيم حدَّثني الخالع قال: حدَّثني الناشي، قال: أدخلني إبن رائق على الراضي بالله وكنتُ مدّاحاً لابن رائق ونافقاً عليه فلمّا وصلتُ إلى الراضي قال لي: أنت الناشي الرافضيّ؟ فقلت: خادم أمير المؤمنين الشيعيّ، فقال: من أيِّ الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشم. فقال: هذا خبث حيلة. فقلت: مع طهارة مولد، فقال: هات ما معك. فأنشدته فأمر أن يخلع عليَّ عشر قطع ثياباً، وأُعطى أربعة آلاف درهم، فأُخرج إليَّ ذلك وتسلّمته وعُدت إلى حضرته فقبلت الأرض وشكرته وقلت: أنا ممّن يلبس الطيلسان فقال: ها هنا طيالس عدنيَّة أعطوه منها طيلساناً وأضيفوا إليها عمامة خزٍّ. ففعلوا، فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العبّاس إنَّ لكم دماءً ... أراقتها اميَّة بالذّحولِ[1]

فليس بهاشميٍّ من يوالي ... اميَّة واللعين أبا زبيلِ

فقال: ما بينك وبين أبي زبيل: فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فابتسم وقال: انصرف.

ويستفاد من غير واحد من الأخبار أنَّ الناشي على كثرة شعره في أهل البيت عليهم السَّلام حظي منهم بالقبول والتقدير وحَسبه ذلك مأثرةً لا يقابلها أيُّ فضيلة، ومكرمةً خالدةً تكسبه فوز النشأتين.

روى الحموي في « معجم الأدباء » قال: حدَّثني الخالع قال: كنتُ مع والدي في سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة وأنا صبيٌّ في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة وهو غاصٌّ بالنّاس وإذا رجلٌ قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز، وهو شعث، فسلّم على الجماعة

---

(١) الذحل: الثأر. العداوة ، الحقد ج ذحول.

بصوت يرفعه، ثمَّ قال: أن رسول فاطمة الزهـراء صلوات الله عليها فقـالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرِّفون لي أحمد المزوِّق النائح؟ فقالوا: ها هو جالسٌ، فقال: رأيت مولاتنا عليها السَّلام في النوم فقالت لي: إمض إلى بغداد واطلبه وقل له: نُح على ابني بشعر الناشي الذي يقول فيه:

بني أحمـد قلبي بكـم يتقـطَّعُ   بمثـل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

وكان الناشي حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوِّق والناس كلّهم وكان أشدَّ الناس في ذلك الناشي ثمَّ المزوِّق ثمَّ ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلّى الناس الظهر، وتقوَّض المجلس، وجهدوا بالرَّجل أن يقبل شيئاً منهم، فقال: والله لو اعطيت الدنيا ما أخذتها فإنَّني لا أرى أن أكون رسول مولاتي عليها السَّلام ثمَّ آخذ عن ذلك عوضاً. وانصرف ولم يقبل شيئاً، قال: ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبٌ لكم تُفنـون قتـلاً بسيفكم   ويسطو عليكم مَن لكم كان يخضعُ
كـأنَّ رسـول الله أوصى بقتلكم   وأجسـامكم في كلِّ أرض تُـوزَّعُ

قال الأميني: أوَّل هذه القصيدة:

بني أحمـد قلبي لكـم يتقـطَّعُ   بمثـل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ
فما بقعةٌ في الأرض شرقاً ومغرباً   وليس لكم فيهـا قتيـلٌ ومصـرعُ
ظُـلمتـم وقُتّـلتم وقُسِّم فـيئكـم   وضاقت بكم أرضٌ فلم يحم موضعُ
جسومٌ على البوغاء تُرمى وأرؤسٌ   على أرؤس اللدن الذوابل تُـرفعُ
تـوارون لم تأو فـراشـاً جنوبكم   ويسلمني طيب الهجوع فأهجعُ

وقال الحموي: حدَّثني الخالع قال: إجتزت بالناشي يوماً وهو جالسٌ في السرّاجين فقال لي: وقد عملت قصيدةً قد طُلبت وأُريد أن تكتبها بخطِّك حتّى أُخرجها. فقلت: أمضي في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال لي: أُحبُّ أن تقوم فتكتب قصيدة الناشي البائيَّة فإنّا قد نحنا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرَّجل قد توفّي وهو عائدٌ من الزِّيارة، فقمت ورجعت إليه

وقلت: هات البائيَّة حتّى أكتبها، فقال: من أين علمت أنَّها بائيَّة؟ وما ذكرت بها أحداً، فحدَّثته بالمنام فبكى، وقال: لا شكَّ أنَّ الوقت قد دنا فكتبتها فكان أوَّلها:

رجائي بعيدٌ والممات قريبُ ويخطىء ظنّي والمنون تُصيبُ

قال الأميني: ومن البائيَّة في المديح قوله:

اناسٌ علوا أعلا المعالي من العلا فليس لهم في الفاضلين ضريبُ
إذا انتسبوا جازوا التناهي لمجدهم فما لهمُ في العالمين نسيبُ
هم البحر أضحى درّه وعبابه فليس له من منتفيه رسوبُ
تسير به فُلك النجاة وماؤها لشرّابه عذب المذاق شروبُ
هو البحر يُغني مَن غدا في جواره وساحله سهل المجال رحيبُ
همُ سببٌ بين العباد وربِّهم محبُّهمُ في الحشر ليس يخيبُ
حووا علم ما قد كان أو هو كائنٌ وكلِّ رشادٍ يحتويه طلوبُ
وقد حفظوا كلَّ العلوم بأسرها وكلّ بديعٍ يحتويه غيوبُ
همُ حسنات العالمين بفضلهم وهم للأعادي في المعاد ذنوبُ

وجمع العلاّمة السماوي شعر الناشي في أهل البيت عليهم السّلام يربو على ثلاثمائة بيت.

(**ولادته ووفاته**) حكى الحموي في « معجم الأدباء » نقلاً عن خالع أنَّه قال: مولده على ما أخبرني به سنة ٢٧١، ومات يوم الإثنين لخمس خلون من صفر سنة ٣٦٥ وكنت حينئذ بالري فورد كتاب إبن بقيَّة[1] إلى إبن العميد يخبره. وقيل: إنَّه تبع جنازته ماشياً وأهل الدولة كلّهم، ودُفن في مقابر قريش وقبره هناك معروفٌ.

---

(١) أبو طاهر محمد بن بقية كان وزير عز الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة بيمارستان العضدي ببغداد سنة ٣٦٧، (ابن خلكان ج ٢ ص ١٧٥).

وهو ممن نُبش قبره في واقعة سنة ٤٤٣ وأُحرقت تربتُه[1] وقال إبن شهرآشوب في « المعالم » ص ١٣٦ : حرّقوه بالنار. وظاهره أنَّه استشهد حرقاً والله أعلم.

وهناك أقوال اخر لا تقارف الصحَّة فقد أرّخ وفاته اليافعي في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٢٣٥ : بسنة ٣٤٢، وإبن خلكان بسنة ٣٦٠، وابن الأثير في « الكامل » بسنة ٣٦٦، وهو محكيٌّ إبن حجر في « لسان الميزان » عن إبن النجار، وبها أرّخ علاء الدين البهائي في « مطالع البدور » ج ١ ص ٢٥ وذكر له :

ليس الحجاب بآلة الأشرافِ ... إنَّ الحجاب مجانبُ الإنصافِ
ولقلَّ ما يأتي فيحجب مرَّةً ... فيعود ثانيةً بقلبٍ صافِ

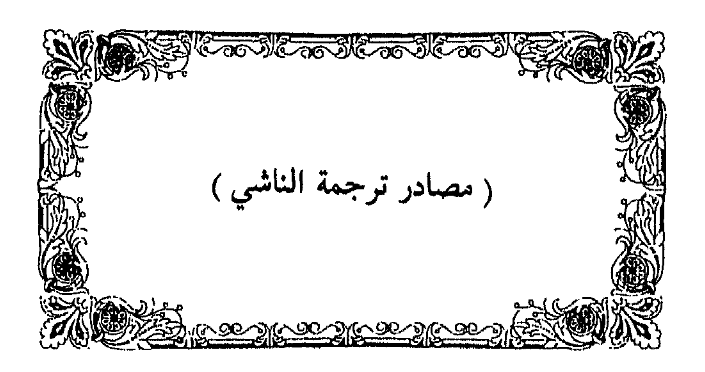
وذكر له الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ١٣٦ في نسبة السواد إلى وجه الناصبي قوله :

ياخليلي وصاحبي ... من لُويٍّ بن غالبِ
حاكم الحبّ جائرٌ ... موجبٌ غير واجبِ
لك صدغٌ كأنَّما ... لونه وجه ناصبي
يلدغ الناس إذ تعقـ ... ـرب لدغ العقاربِ

لفت نظر : توجد في « تنقيح المقال » ج ٢ ص ٣١٣ ترجمة الناشي وفيها : والظهر أنَّه هو عليٌّ بن عبد الله بن وصيف بن عبد الله الهاشمي الذي رُوي في « العيون » عنه عن الكاظم عليه السّلام النصّ على الرِّضا . اه. وهذا أعجب ما رأيت في طيِّ هذا الكتاب القيِّم من العثرات.

---

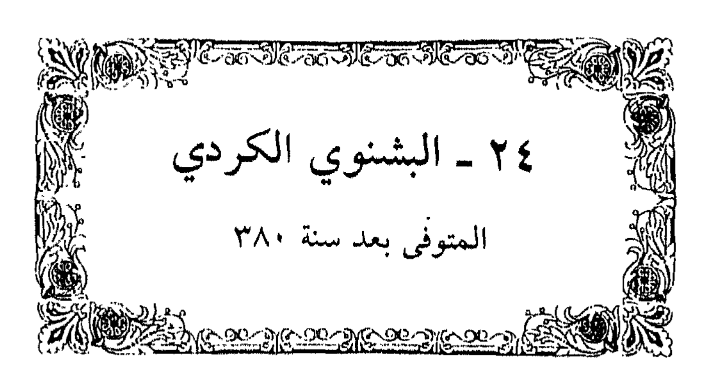
(١) سيوافيك في هذا الجزء في ترجمة المؤيد ما وقع في تلك الواقعة الهائلة من الطامات والفظائع.



فهرست الشيخ
رجال النجاشي
وفيات الأعيان
الوافي بالوفيات
كامل إبن الأثير
شذرات الذهب
تلخيص الأقوال
أمل الآمل
ملخّص المقال
تلخيص المقال
تنقيح المقال
الطليعة

معالم العلماء
يتيمة الدهر
معجم الأدباء
خلاصة الرِّجال
مجالس المؤمنين
مطالع البدور
مُنتهى المقال
خاتمة الوسائل
الحصون المنيعة
تأسيس الشيعة
هديَّة الأحباب
بغية الطالب

رجال إبن داود
أنساب السمعاني
ميزان الإعتدال
نقد الرِّجال
لسان الميزان
جامع الرُّواة
نسمة السحر
رياض العلماء
الشيعة وفنون الإسلام
روضات الجنّات
وفيات الأعلام
شهداء الفضيلة



٢٤ ـ البشنوي الكردي

المتوفى بعد سنة ٣٨٠

وقد شهدوا عيد « الغدير » واسمعوا … مقال رسول الله من غير كتمانِ

:ألست بكم أولى من الناس كلّهم؟ … فقالوا: بلى يا أفضل الإنس والجانِ

فقام خطيباً بين أعواد منبرٍ … ونادى بأعلا الصوت جهراً بإعلانِ

بحيدرةٍ والقوم خرس أذلّةٌ … قلوبهمُ ما بين خلف وعينانِ

فلبَّ مُجيباً ثمَّ أسرع مقبلاً … بوجه كمثل البدر في غصن البانِ

فلاقاه بالترحيب ثمَّ ارتقى به … إليه وصار الطّهر للمصطفى ثانِ

وشال بعضديه وقال وقد صغى … إلى القول أقصى القوم تالله والدانِ

: عليٌّ أخي لا فرق بيني وبينه … كهارون من موسى الكليم ابن عمرانِ

ووارث علمي والخليفة في غدٍ … على امّتي بعدي إذا زُرت جثماني

فيا ربِّ مَن والى عليّاً فواله … وعاد الذي عاداه واغضب على الشاني

وله قوله من قصيدة:

أأترك مشهور الحديث وصدقه … غداة بخمٍّ قام أحمد خاطبا؟

: ألست لكم مولى ومثلي وليّكم … عليٌّ فوالوه وقد قلت واجبا

وله قوله:

يوم « الغدير » لذي الولاية عيدُ … ولذي النواصب فضله مجحودُ

يومٌ يوسَّم في السماء بأنَّهُ … العهد فيه وذلك المعهودُ

والأرض بالميراث أضحت وسمه … لو طاع موطودٌ وكفَّ حسودُ

(الشاعر)

أبو عبد الله الحسين بن داود الكُردي البشنوي. من الشعراء المجاهرين في مدائح العترة الطاهرة عليهم السَّلام كما عدَّه إبن شهراشوب منهم في [معالم العلماء] ويشهد لذلك شعره الكثير فيهم المبثوث في كتاب « المناقب » للسروي، فهو في الرَّعيل الأوَّل من حاملي ألوية البلاغة، وأحد شعراء الإماميَّة الناهضين بنشر الأدب، وينمُّ عن مذهبه قوله:

ألِيَّـة ربّي بـالهُـدى متمسِّكـاً ... بـإثني عشـر بعـد النبيِّ مـراقبـا
ابقي على البيت المـطهَّـر أهله ... بيـوت قـريش للديـانـة طـالبـا

وقوله:

يا مُصرف النصِّ جهلاً عن أبي حسنٍ ... باب المدينة عن ذي الجهل مقفولُ
مدينة العلم مـا عن بابهـا عوضٌ ... لـطالب العلم إذ ذو العلم مسؤولُ
مـولى الأنـام عليٌّ والـوليُّ معـاً ... كما تفوَّه عن ذي العرش جبريلُ

وقوله:

قد خان من قدَّم المفضول خالقه ... ولـلآلـه فبـالمفضـول لم أخن

وسيوافيك من شعره ما يظهر منه تضلّعه في التشيّع، وتمحّضه في الولاء، وانقطاعه إلى سادات الأئمَّة صلوات الله عليهم، فهو من شعراءهم، وما كان يقال: من أنَّه شاعر بني مروان كما في كامل إبن الأثير ص ٢٤ من ج ٩ فالمراد به ملوك ديار بكر من أولاد اخت باذ الكردي أوَّلهم أبو علي بن مروان استولى على ما كان يحكم عليه خاله من ديار بكر، وبعد قتله ملك أخوه ممهِّد الدولة، وبعد قتله قام أخوه أبو نصر وبقي ملكه من سنة ٤٢٠ إلى سنة ٤٥٣، وخلفه ولدان: نصر وسعيد، أمّا نصر فملك ميافارقين وتوفّي سنة ٤٥٣، وملك بعده ابنه منصور، وأمّا سعيد فاستولى على آمد[١].

وكان البشنوي المترجَم له يستحثُّ الأكراد البشنويَّة[٢] أصحاب قلعة فتك

(١) راجع تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٣٣ و١٨٩ و٢٠٤.
(٢) كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٢٤.

لموازرة باذ الكردي خال بني مروان المذكورين في وقعة سنة ٣٨٠ التي وقعت بينه وبين أبي طاهر والحسين إبني حمدان لمّا ملكا بلاد الموصل سنة ٣٧٩ وله في ذلك قوله من قصيدة:

ألبشنــويّــة أنصــارٌ لــدولـتكـم وليس في ذا خفاً في العجم والعربِ

فإنتماء المترجَم إلى بني مروان هؤلاء بعلاقة خالهم باذ المتّحد معه في العنصر الكردي؛ فعلى ما ذكرنا لا يكون لقول من قال[1]: إنَّ البشنوي توفّي سنة ٣٧٠ مقيلٌ من الحقيقة فإنَّ التاريخ يشهد بحياته بعدها بعشر سنين.

ذكـر صاحب [معـالم العلماء] للمتـرجَم كتاب الـدلائل ، والـرسائـل البشنويّة، وقال إبن الأثير في « اللباب » ج ١ ص ١٢٧ : وله ديوانٌ مشهور.

(البشنويّة)

كانت في العراق في شرقي دجلة طوائف كثيرة من الأكراد ينتمون إلى حصون وقلاع وبلاد كانت لهم في نواحي الموصل والأربل، ومنهم: البشنويّة ومنها شاعرنا المترجَم، كانت تسكن هذه الطائفة فوق الموصل قرب جزيرة إبن عمر[2] بينهما نحو من فرسخين، وما كان يقدر صاحب الجزيرة ولا غيره مع مخالطتهم للبلاد عليها، قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان »: وهي بيد هؤلاء الأكراد منذ سنين كثيرة نحوالثلاثمائة سنة وفيهم مروّةٌ وعصبيّةٌ ويحمون مَن يلتجيء إليهم ويحسنون إليه. اه. ولهذه الطائفة هناك قلاعٌ منها قلعة برقة، وقلعة بشير، وقلعة فنك، ومن امرائها صاحب قلعة فنك الأمير أبو طـاهر؛ والأميـر إبراهيم، والأمير حسام الدين من امراء القرن السّادس.

---

(١) ذكره صاحب اعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) حزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات، واحسب ان أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء فاحاط بها الماء من جميع جوانبها، ويقال في النسبة إليها: جزري (معجم البلدان) .

(ومنهم الزوزانيَّة) تُنسب هذه الطائفة إلى الزوزان بفتح أوَّله وثانيه، ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة إبن عمر، وأوَّل حدودها من نحو يومين من الموصل إلى أوَّل حدود خلاط، وينتهي حدُّها إلى آذربايجان إلى عمل سلماس؛ وفيها قلاعٌ كثيرةٌ حصينةٌ للأكراد البشنويَّة والزوزانيَّة والبختيَّة.

(ومنهم البختيَّة) لهم عدَّة قلاع في الزوزان منها قلعة [جُرذقيل] وهي أجلُّ قلعةٍ لهم وكرسيُّ ملكهم، وقلعة آتيل. وعلّوس. والقي. وأروخ وباخوخة. وبرخو، وكنكور، ونيروه. وخوشب. ومن زعمائهم الأمير موسك بن المجلي.

(الهكّاريَّة) بالفتح وتشديد الكاف ينتمون إلى [الهَكّاريَّة] قرى فوق الموصل من جزيرة إبن عمر، ومن أمرائهم بحلب عزّ الدين عمر بن علي، وعماد الدين أحمد بن علي المعروف بإبن المشطوب، وكان أكبر أمير في مصر، ومن علمائهم شيخ الاسلام أبو الحسن عليّ بن أحمد الهَكّاري المتوفّى سنة ٤٨٦، والمترجَم في تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٣٧٧.

(الجلاّنيَّة) بالفتح وتشديد اللاّم وكسر النون والياء المشدَّدة، تنسب هذه الطائفة إلى الجلاّنيَّة وهي قلعةٌ من قلاع الهَكّارية المذكورة.

(الزَواديَّة)[1]، وهم أشرف الأكراد، ومنهم اسد الدين شيركوه المتوفّى سنة ٥٦٤ وأخوه نجم الدين أيّوب.

(الشوانكاريَّة) وهم الذين التجأ إليهم في سنة ٥٦٤ شملة ملك فارس صاحب خوزستان المتوفّى سنة ٥٧٠.

(الحميديّة)، كانت لهم قلاعٌ حصينةٌ تجاوز الموصل.

(الهذبانيَّة)، لهم قلعة إربل وأعمالها.

(الحكميَّة)، ومن امرائهم الأمير أبو الهيجاء الأربلي.

ومنهم الأكراد المارانيَّة. واليعقوبيَّة. والجوزقانيَّة. والسورانيَّة. والكورانيَّة، والعماديَّة، والمحموديَّة، والجوبيَّة، والمهرانيَّة، والجاوانيَّة،

---

(١) كذا في الكامل وفي غيره: الردادية.

والرضائيَّة، والسروجيَّة، والهارونيَّة، واللريَّة، إلى غير ذلك من القبائل التي لا تُحصى كثرةً.

نبذة من شعره:

ومن شعر شاعرنا [البشنوي] في المذهب قوله:

خير الوصيِّين مِن خير البيوت ومِن ... خيـر القبائـل معصومٌ مِن الـزَّللِ
إذا نظرتَ إلى وجه الـوصيِّ فقد ... عبدتَ ربّك في قولٍ وفي عملِ

أشار بالبيت الأخير إلى ما رواه محبّ الدين الطبـري في رياضـه ج ٢ ص ٢١٩ عن أبي بكر. وعبد الله بن مسعود. وعمرو بن العاص. وعمران بن الحصين. وعن غيرهم عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: النظر إلى وجه عليٍّ عبادة.

ورواه الكنجي في « كفاية الطالب » ص ٦٤ و ٦٥ عن إبن مسعود بطريقين وقال: الحديث الأوَّل أحسن إسناداً من الثاني، والحديث الثاني روته الحفّاظ كأبي نعيم في حليته، والطبراني في معجمه، وهو حسنٌ عال جليلٌ غريبٌ من هذا الوجه، والحديث الأوَّل عال حسن السياق.

ورواه بـطريق آخر عن معـاذ بن جبل ص ٦٦ فقـال: وأخرجـه الحافظ الدمشقي في تاريخه عن غير واحد من الصحابة منهم أبو بكر. وعمر، وعثمان. وجابر. وثوبان. وعائشة. وعمران بن الحصين. وأبو ذر. وفي حديث أبي ذر قال رسول الله ﷺ: مثل عليٍّ فيكم أو قال في هذه الأُمَّة كمثل الكعبة المستورة، النظر إليها عبادةٌ. والحجُّ إليها فريضةٌ. ورواه في ص ١٢٤ بطريق آخر عن عليٍّ عليه السّلام وله قوله:

ولـسـتُ ابـالـي بـأيِّ الـبـلاد ... قضى الله نحبي إذا مـا قضـاه
ولا أيـن حـطتُ إذا مضـجـعي ... ولا مَـن جـفـاه ولا مَـن قـلاه
إذا كـنـتُ أشـهـد أن لا آلـه ... هـو الله والـحقُّ فيمـا قـضـاه
وأنَّ مـحمَّـداً الـمـصـطفى ... نـبـيٌّ وأنَّ عـليّـاً أخـاه
وفـاطمـة الـطّهر بنت الرَّسـول ... رسـولاً هـدانـا إلى مـا هـداه
وابـنـاهـمـا فـهـمـا سـادتي ... فـطوبى لعبـدهـمـا سيِّـداه

وله قوله:

يـا ناصبيَّ بكـلِّ جهدك فـاجهـدِ ... إنّي علقـتُ بحـبِّ آلِ محـمَّـدِ
الـطيِّبين الطاهـرين ذوي الهـدى ... طـابوا وطـاب وليّهم في المولـدِ
واليتهم وبـرئتُ من أعـدائـهم ... فـاقلل ملامـك لا أباً لـك أوزدِ
فهمُ أمـانٌ كـالـنّجـوم وإنّـهم ... سُفن النجاة من الحديث المسندِ

وله قوله:

فقـال كبيـرهم: مـا الـرأي فيمـا ... تـرون يـردّ ذا الأمـر الـجـليِّ
سـمعـتم قـولـه قـولاً بـليغـاً ... وأوصى بـالخـلافـة في عليٍّ؟
فقـالـوا: حيلة نصبت علينـا ... ورأيٌ لـيس بـالعـقـد الـوفـيِّ
تـدبّـر غـيـر هـذا في امـور ... تنـال بهـا مـن العـيش السـنيِّ
سنجعلهـا إذا مـا مـات شـورى ... لـتـيـمـيٍّ هـنـالـك أو عـديِّ

وله قوله:

يـا قـارىء القـرآن مـع تـأويله ... مع كلِّ محكمـة أتت في حـالِ
أعمـارة البيت المحـرَّم مثله ... وسقـاية الحجّـاج في الأمثالِ؟!
أم مـثلي الـتيـميِّ أو عـدوِّيـهم ... هل كان في حالٍ من الأحوالِ؟!
لا والـذي فـرضٌ عـليَّ وداده ... مـا عنـدي العلمـاء كـالجهّـالِ

وله قوله:

فمـدينـة العلم التي هـو بـابهـا ... أضحى قسيم النّـار يوم مـآبـهِ
فعـدوُّه أشقى البـريَّـة في لـظى ... ووليّـه المحبـوب يـوم حسـابـهِ

وله قوله:

خير البريَّـة خاصف النعـل الذي ... شهـد النبيُّ بحقّـه في المشهـدِ
وبـعلمــه وقـضـائــه وبسيفــه ... شهد الرَّسول مع الملائك فاشهدِ

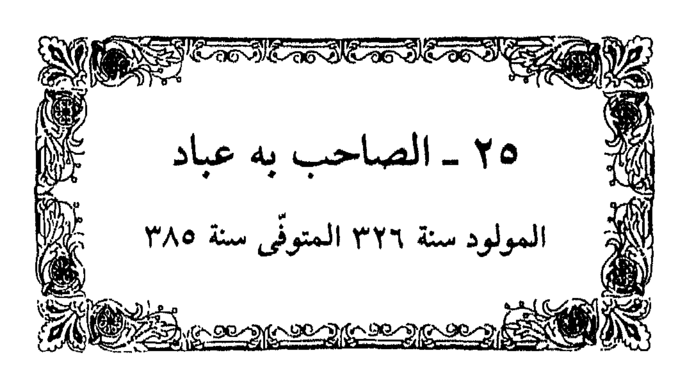
وله في الصديقة الزَّهراء سلام الله عليها قوله:

وقف النـدا في مـوضـع عبرت ... فيـه البتـول: عيـونكم غضّـوا
فـتـغضُّ والأبـصـار خـاشعـةً ... عـلى بـنـان الـظالـم الـعضُّ

تسودُّ حينئذ وجوههمُ ووجوه أهل الحقِّ تبيض

وله يمدح الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام قوله:

سليل أئمَّة سلكوا كراما على منهاج جدِّهم الرَّسولِ
إذا ما مشكلٌ أعيى علينا أتونا بالبيان وبالدليلِ



٢٥ ـ الصاحب به عباد

المولود سنة ٣٢٦ المتوفّى سنة ٣٨٥

قالت: فَمن صاحب الدين الحنيف أجب؟   فقلت: أحمد خير السّادة الرُّسلِ
قالت: فَمن بعده تُصفى الولاء له؟   فقلت: الوصيّ الذي أربى على زُحلِ
قالت: فَمن بات مِن فوق الفراش فدى؟   فقلت: أثبت خلق اللّه في الوهلِ
قالت: فَمن ذا الذي آخاه عن مقةٍ   فقلت: من حازردَّ الشمس في الطفلِ
قالت: فَمن زوّج الزَّهراء فاطمة؟   فقلت: أفضل من حافٍ ومُنتعلِ
قالت: فَمن والد السبطين إذ فرعا؟   فقلت: سابق أهل السبق في مهلِ
قالت: فَمن فاز في بَدرٍ بمعجزها؟   فقلت: أضرب خلق اللّه في القللِ
قالت: فَمن أسد الأحزاب يفرسها؟   فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطلِ
قالت: فيوم حُنين مَن فرا وبَرا؟   فقلت: حاصدُ أهل الشِّرك في عجلِ
قالت: فَمن ذا دُعي للطيّر يأكله؟   فقلت: أقرب مَرضيٍّ ومُنتحلِ
قالت: فَمن تلوه يوم الكساء أجب؟   فقلت: أفضل مِكسوٍّ ومُشتملِ
قالت: فَمن ساد في يوم «الغدير» ابن؟   فقلت: مَن كان للإسلام خير ولي
قالت: ففي مَن أتى في هل أتى شرفٌ؟   فقلت: أبذل أهل الأرض للنفلِ
قالت: فَمن راكعٌ زكّى بخاتمه؟   فقلت: أطعنهم مذ كان بالأسلِ
قالت: فَمن ذا قسيم النار يسهمها؟   فقلت: مَن رأيه أذكى من الشّعلِ
قالت: فَمن بأهل الطّهر النبيُّ به؟   فقلت: تاليه في حلٍّ ومُرتحلِ
قالت: فَمن شبه هارون لنعرفه؟   فقلت: مَن لم يحل يوماً ولم يزلِ

قالت: فَمن ذا غدا باب المدينة قل؟ فقلت: مَن سألوهُ وهو لم يَسلِ
قالت: فَمن قاتل الأقوام إذ نكثوا؟ فقلت: تفسيره في وقعة الجملِ
قالت: فَمن حاربَ الأرجاس إذ قسطوا؟ فقلت: صفِّين تُبدي صفحة العملِ
قالت: فَمن قارعَ الأنجاس إذ مرَقوا؟ فقلت: معناه يوم النَّهروان جَلي
قالت: فَمن صاحب الحوض الشريف غداً؟ فقلت: مَن بيته في أشرف الحللِ
قالت: فَمن ذا لواء الحمد يحمله؟ فقلت: مِن لم يكن في الرَّوع بالوجلِ
قالت: أكلُّ الذي قد قلتَ في رجلٍ ؟ فقلت: كلُّ الذي قد قلتُ في رجلِ
قالت: فَمن هو هذا الفرد سمه لنا؟ فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي

وله من قصيدة:

يا كفو بنت محمَّد لولاك ما زُفَّت إلى بشر مدى الأحقابِ
يا أصل عترة أحمد لولاك لم يك أحمد المبعوث ذا أعقابِ
كان النبيُّ مدينة العلم التي حوت الكمال وكنتَ أفضل بابِ
رُدَّت عليك الشمس وهي فضيلةٌ بهرت فلم تُستر بلفِّ نقابِ
لم أحك إلاّ ما روته نواصبٌ عادتك فهي مباحة الأسلابِ
عوملت يا تلو النبيِّ وصنوه بأوابد جاءت بكلِّ عجابِ
قد لقَّبوك أبا تراب بعدما باعوا شريعتهم بكفٍّ ترابِ
لم تعلموا أنَّ الوصيَّ هو الذي آتى الزكاة وكان في المحرابِ
لم تعلموا أنَّ الوصيَّ هو الذي حَكَم الغدير له على الأصحابِ

وله قوله:

وقالوا: عليٌّ علا. قلت: لا فإنَّ العُلا بعليٍّ علا
ولكن أقول كقول النبيِّ وقد جمع الخلق كلَّ الملا
: ألا إنَّ مَن كنت مولى له يُوالي علياً وإلاّ فلا

وله من قصيدة قوله:

وكم دعوةٍ للمصطفى فيه حُقِّقت وآمال من عادى الوصيَّ خوائبُ

فمن رَمَدٍ آذاه جَلّاه داعياً ... لساعته والريح في الحرب عاصبُ
من سطوةٍ للحرِّ والبرد رفّعت ... بدعوته عنه وفيها عجائبُ
وفي أيِّ يوم لم يكن شمس يومه ... إذا قيل هذا يومٍ تُقضى المآربُ؟
أفي خطبة الزّهراء لمّا استخصَّه ... كفاءاً لها والكلُّ من قبل طالبُ؟
أفي الطير لمّا قد دعا فأجابه ... وقد ردَّه عنه غبيٌّ مواربُ؟
أفي رفعه يوم التباهل قدره؟ ... وذلك مجدٌ ما علمت مواظبُ؟
أفي يوم خمٍّ إذ أشاد بذكره؟ ... وقد سمع الايصاء جاءٍ وذاهبُ
أيعسوب دين الله صنو نبيِّه ... ومن حبّه فرضٌ من الله واجبُ
مكانك من فوق الفراقد لائحٌ ... ومجدك من أعلى السّماك مراقبُ
وسيفك في جيد الأعادي قلائدٌ ... قلائد لم يعكف عليهنَّ ثاقبُ

(الشاعر)

الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن العباس بن عبّاد بن أحمد بن إدريس الطالقاني.

قد يرتج القول على صاحبه بالرغم من بلوغه الغاية القصوى من القدرة في تحليل شخصيّات كبيرة أتتهم الفضائل من شتّى النواحي، واكتنفتهم المزايا الفاضلة من جهات متفرِّقة، ومن هاتيك النفسيّات الكبيرة التي أعيت البليغ حدودها نفسيَّة ـ الصاحب ـ فهي تستدعي الإفاضة في تحليلها من ناحية العلم طوراً، ومن ناحية الأدب تارةً، كما تسترسل القول من وجهة السياسة مرَّة، ومن وجهة العظمة اخرى، إلى جودٍ هامرٍ، وفضلٍ وافرٍ، وشرفٍ صميم، ومذهبٍ قويم وفضائل لا تُحصى ومهما هتف المعاجم بشي من ذلك فإنّه بعض الحقيقة، ولعلَّ في شهرته بهاتيك المآثر جمعاء غنىً عن الإطناب في وصفه، وإنَّك لا تجد شيئاً من كتب التراجم إلّا وفيه لمعٌ من محامده، ومن أشهرها « يتيمة الدهر » للثعالبي وهو أبسط مَن كتب فيه من القدماء وقد استوعب فيه ٩١ صحيفة، وإنَّما ألفها له ولشعرائه، وأفرد غير واحد من رجال التأليف كتاباً في ترجمته منهم:

١ - مهذّب الدين محمَّد بن علي الحلّي المزيدي المعروف بأبي طالب الخيمي له كتاب [الديوان المعمور في مدح الصاحب المذكور].

٢ - الشيخ محمَّد علي ابن الشيخ أبي طالب الزاهدي الجيلاني المولود سنة ١١٠٣ والمتوفّى سنة ١١٨١.

٣ - السيِّد أبو القاسم أحمد بن محمَّد الحسني الحسيني الإصبهاني، له كتاب [رسالة الارشاد في أحوال الصاحب بن عباد] ألفها سنة ١٢٥٩.

٤ - الاستاذ خليل مردم بك له كتاب في المترجَم طبع في مطبعة الترقّي ٢٥٢ صحيفة بدمشق وهو الجزء الرابع من أئمة الأدب الأربعة في أربعة أجزاء.

وبعد هذه الشهرة الطائلة فليس علينا إلاّ سرد ترجمة بسيطة هي جُماع ما في هذه الكتب.

وُلد الصاحب في إحدى كور فارس باصطخر أو بطالقان في ١٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦، وأخذ العلم والأدب عن والده وأبي الفضل إبن العميد. وأبي الحسن أحمد بن فارس اللغوي، وأبي الفضل العبّاس بن محمّد النحوي الملقَّب بعرام. وأبي سعيد السيرافي، وأبي بكر بن مقسم، والقاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن شجرة، وعبد الله بن جعفر بن فارس، ويروي عن الأخيرين.

قال السمعاني: إنَّه سمع الأحاديث من الإصبهانيِّين والبغداديِّين والرازيِّين وحدَّث، وكان يحثّ على طلب الحديث وكتابته؛ وروى عن إبن مردويه أنَّه سمع الصاحب يقول: من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الإسلام.

وكان يُملي الحديث على خلقٍ كثير فكان المستملي الواحد ينضاف إليه الستَّة كلٌّ يبلّغ صاحبه، فكتب عنه الناس الكثير الطيِّب منهم: القاضي عبد الجبّار. والشيخ عبد القاهر الجرجاني. وأبو بكر بن المقري. والقاضي أبو الطيِّب الطبري. وأبو بكر بن عليٍّ الذكواني. وأبو الفضل محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم النسوي الشافعي.

ثمَّ شاع نبوغه في العلوم وتضلّعه في فنون الأدب، واعترف به الشاهد والغائب حتّى عدَّه شيخنا بهاء الملّة والدين في رسالة غسل الرجلين ومسحهما من علماء الشيعة في عداد ثقة الإسلام الكليني. والصَّدوق. والشيخ المفيد. والشيخ الطوسي والشيخ الشهيد ونظرائهم. ووصفه العلاّمة المجلسي الأوَّل في حواشي نقد الرجال بكونه من أفقه فقهاء أصحابنا المتقدِّمين والمتأخِّرين، وعدَّه في مقام آخر: من رؤساء المحدِّثين والمتكلّمين. وأطراه شيخنا الحرُّ العاملي في « أمل الآمل » بأنَّـه محقِّقٌ عظيم الشأن جليل القدر في العلم.

كما أنَّ الثعالبي في « فقه اللغة » جعله أحد أئمَّتها الذين اعتمد عليهم في كتابه أمثال الليث. والخليل. وسيبويه. وخلف الأحمر. وثعلب الأحمثي. وابن الكلبي. وإبن دريد. وعدَّه الأنباري ايضاً من علماء اللغة فأفرد له ترجمته في كتابه: طبقات الادباء النّحاة، وكذلك السيوطي في « بغية الوعاة » في طبقات اللغويِّين والنّحاة، ورآه العلاّمة المجلسي في مقدِّمة البحار علَماً في اللغة والعروض والعربيَّة من الإماميّة.

وقال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ١٨٠ : كان يخالط العلماء والادباء ويقول لهم: نحن بالنهار سلطان وبالليل إخوان، وسمع الحديث وأملى، وروى أبو الحسن عليّ بن محمَّد الطبري المعروف بكيا قال: سمعت أبا الفضل زيد بن صالح الحنفي يقول: لَمّا عزم الصاحب إسماعيل بن عبّاد على الإملاء وكان حينئذ في الوزارة خرج يوماً متطلساً متحنّكاً بزيٍّ أهل العلم فقال: قد علمتم قِدمي في العلم فأقروا له بذلك. فقال: وأنا متلبِّسٌ بهذا الأمر وجميع ما انفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدّي، ومع هذا فلا أخلو من تبعات، اشهد الله واشهدكم أنِّي تائبٌ إلى الله من كلِّ ذنب أذنبته. واتَّخذ لنفسه بيتاً وسمّاه بيت التوبة، ولبث اسبوعاً على ذلك، ثمَّ أخذ خطوط الفقهاء بصحَّة توبته، ثمَّ خرج فقعد للإملاء وحضر الخلق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف إليه ستَّة كلٌّ يبلِّغ صاحبه، فكتب الناس حتّى القاضي عبد الجبّار، وكان الصاحب ينفذ كلَّ سنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار تفرَّق في

الفقهاء وأهل الأدب وكان لا تأخذه في الله لومة لائم .

وإخباتاً إلى علمه وأدبه ألّف له غير واحد من الأعلام الأفذاذ تآليف قيِّمة منهم :

١ - شيخنا الصّدوق أبو جعفر القمي ألَّف له كتابه [عيون أخبار الرِّضا]

٢ - الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي كتابه [نفي التشبيه] كذا في لسان الميزان ج ٢ ص ٣٠٦ نقلاً عن فهرست النجاشي، ويظهر من النجاشي ص . ٥ انّه غيره ولم يسمّه.

٣ - الشيخ الحسن بن محمَّد القمي ألّف له كتابه [تاريخ قم]

٤ - أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي اللغوي كتابه [الصاحبيّ].

٥ - القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني كتابه [التهذيب].

٦ - أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصّواف المالكي، ألَّف للصاحب كتابه [الحجر] ووجَّهه إليه فقال الصاحب: رُدّوا الحجر من حيث جاء. ثمَّ قبله ووصله عليه، ذكره إبن فرحون في « الديباج المذهَّب » ص ٣٦

وللصاحب آثارٌ خالدةٌ في العلم والأدب منها:

١ - كتاب أسماء الله وصفاته.

٢ - » نهج السبيل في الاصول.

٣ - » الإمامة في تفضيل أمير المؤمنين.

٤ - » الوقف والإبتداء.

٥ - » المحيط في اللغة في عشر مجلّدات [1].

٦ - » الزيديَّة.

---

(١) كذا في معجم الادباء، وفي كشف الظنون: في سبع مجلدات.

٧ ـ كتاب المعارف في التاريخ.

٨ ـ « الوزراء.

٩ ـ « القضاء والقدر.

١٠ ـ « الروزنامجه. ينقل عنه الثعالبي في « يتيمة الدهر ».

١١ ـ « أخبار أبي العيناء.

١٢ ـ « تاريخ الملك واختلاف الدُّول.

١٣ ـ « الزيديِّين.

١٤ ـ « جوهرة الجمهرة لإبن دُريد.

١٥ ـ « الإقناع في العروض.

١٦ ـ « نقض العروض.

١٧ ـ « ديوان رسائله في عشر مجلّدات.

١٨ ـ « الكافي في الرَّسائل وفنون الكتابة.

١٩ ـ « الأعياد وفضائل النيروز.

٢٠ ـ « ديوان شعره.

٢١ ـ « الشواهد.

٢٢ ـ « التذكرة.

٢٣ ـ « التعليل.

٢٤ ـ « الأنوار.

٢٥ ـ « الفصول المهذِّبة للعقول.

٢٦ ـ « رسالة الإبانة عن مذهب أهل العدل.

٢٧ - كتاب في الطبّ.

٢٨ - « في الطبِّ أيضاً.

٢٩ - « الكشف عن مساوىء شعر المتنبّي طبعت بمصر في ٢٦ صحيفة قال الثعالبي في « اليتيمة »: ولَمّا عمل الصاحب هذه الرِّسالة عمل القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني كتابه« الوساطة،» بين المتنبّي وخصومه في شعره، وقال فيه بعض ادباء نيسابور:

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت داره شاحطه
كتاب « الوساطة » في حسنه لعقد معاليك كالواسطه

٣٠ - رسالةٌ في فضل سيِّدنا عبد العظيم الحسني المدفون بالري.

٣٢ - كتاب السفينة نسبها إليه الثعالبي في تتمَّة اليتيمة.

٣٣ - كتابٌ مفرد في ترجمة الشافعي محمَّد بن ادريس إمام الشافعيَّة كما في « الكواكب الدريَّة » ص ٢٦٣ .

وشافهني الاستاذ حسين محفوظ الكاظمي بأنَّه رأى من تآليف الصاحب ما يلي:

١ - الفصول الأدبيَّة والمراسلات العباديَّة، مرتَّبة على خمسة عشر باباً في كلِّ باب خمسة عشر فصلاً، والنسخة مؤرَّخةٌ بسنة ٦٢٨.

٢ - رسالة في الهداية والضَّلالة، مخطوطةٌ بالخطّ الكوفي، نسخت من نسخة المؤلف وعليها خطه.

٣ - الأمثال السائرة من شعر أبي الطيِّب المتنبي. وهي ٣٧٢ بيتاً، والنسخة بخط الباخرزي مؤرّخة بسنة ٤٣٤ .

والقارىء جِدُّ عليم بأنَّ مؤلِّف هذه الكتب المتنوِّعة أحد أفذاذ العلم الذين لم يعدهم أيُّ مقام منيع من الفنون، فهو فيلسوفٌ متكلّمٌ فقيهٌ محدِّثٌ مؤرِّخٌ لغويٌ نحويٌ أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ، فما ظنّك بمثله من نابغة جمع الشوارد؛ وألّف

بين متفرِّقات العلوم، وهل تجده إلاّ في الذروة والسنام من الفضل الظاهر، فحقّ له هذا الصيت الطائر. والذكر السائر مع الفلك الدائر.

وكانت للصاحب مكتبةٌ عامرةٌ وقد نوَّه بها لمَّا أرسل إليه صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني في السير يستدعيه إلى حضرته، ويرغِّبه في خدمته وبذل البذول السنيَّة، فكان من جملة أعذاره قوله: ثمَّ كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي؟ وعندي من كتب العلم خاصَّة ما يُحمل على أربعمائة حمل أو أكثر.

في « معجم الادباء » قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: بيت الكتب الذي بالري دليلٌ على ذلك بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين فإنِّي طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلّدات، فإنَّ السلطان محمود لَمّا ورد إلى الري قيل له: إنَّ هذه الكتب كتب الروافض وأهل البدع فاستخرج منها كلَّ ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه.

يظهر من كلام البيهقي هذا أنَّ عمدة الكتب التي احرقت هي خزانة كتب الصاحب، وهكذا كانت تعبث يد الجور بآثار الشيعة وكتبهم ومآثرهم.

وكان خازن تلك المكتبة ومتوليها أبو بكر محمَّد بن إبراهيم بن عليّ المقري المتوفّى سنة ٣٨١[١] وأبو محمّد عبد الله الخازن بن الحسن الأصبهاني.

وزارته، صلاته، مادحوه

قال أبو بكر الخوارزمي: الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها؛ ودبَّ ودرج من وكرها؛ ورضع أفاويق درّها، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقِّه:

ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الأسناد بالأسنادِ
يروي عن العبّاس عبّاد وزا ... رته وإسماعيل عن عبّاد

---

(١) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ٣٤١.

وهو أوّل من لُقِّب بالصاحب من الوزراء لأنّه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له: صاحب إبن العميد، ثمَّ اطلق عليه هذا اللقب لمّا تولّى الوزارة وبقي عَلَماً عليه، وذكر الصّابي في كتاب التّاجي: انّه إنّما قيل له الصاحب لأنّه صحب مؤيّد الدولة ابن بُويه منذ الصبى وسمّاه الصاحب فاستمرَّ عليه هذا اللقب واشتهر به ثمَّ سُمّي به كلٌّ من ولي الوزارة بعده.

إستكتبه مؤيِّد الدولة من سنة ٣٤٧ تقريباً إلى سنة ٣٦٦ وسافر معه إلى بغداد سنة ٣٤٧ حتّى استوزره من سنة ٣٦٦؛ إلى وفاة مؤيّد الدولة سنة ٣٧٣ ثمَّ استوزره أخوه فخر الدولة، وسافر معه إلى الري عاصمة مملكته، ولم يؤل الصاحب جُهداً في خدمة أميره وتوسيع مملكته قال الحموي: فتح الصاحب خمسين قلعة سلّمها إلى فخر الدولة لم يجتمع عشرٌ منها لأبيه ولا لأخيه[1] .

وله أيّام وزارته عطائه الجزل، وسيب يده المتدفّق، وبرُّه المتواصل إلى العلماء والشعراء، قال الثعالبي: حدَّثني عون بن الحسين قال: كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب فرأيت في ثبت حسابات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخزّ التي صارت تلك الشتوة للعلويِّين والفقهاء والشعراء خاصَّة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين، وكان ينفذ إلى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرَّق على الفقهاء والادباء؛ وكانت صِلاته وصدقاته وقرباته في شهر رمضان تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة، فكان لا يدخل عليه في شهر رمضان أحدٌ كائناً من كان فيخرج من داره إلّا بعد الإفطار عنده، وكانت داره لا تخلو في كلِّ ليلة من لياليه من ألف نفس مفطرة فيها [يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٧٤].

وكان عهده أخصب عهد للعلم والأدب بتقريبه رجالات الفضيلة وتشويقه إيّاهم وتنشيطهم لنشر بضائعهم الثمينة حتّى نفق سوقها، وراج أمرها، وكثرت طلّابها، ونبغت روّادها، فكانت قلائد الدرر منها تُقابل بالبدر والصرر فمدحه

(١) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ٣٤٢.

على فضله المتوفر وجوده المديد الوافر خمسمائة شاعر، تجد مدائحهم مبثوثةً في الدواوين والمعاجم، قال الحموي، حدَّث إبن بابك قال: سمعت الصاحب يقول: مُدحت والعلم عند الله بمائة ألف قصيدة شعراً عربيَّة وفارسيَّة. وقد خلّدت تلك القصائد له على صفحة الدهر ذكراً لا يبلى، وعظمةً لا يخلقها مرُّ الجديدين ومن أولئك الشعراء:

١ ـ أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم العراقي له قصائد في الصاحب منها نونيَّة مطلعها:

سواك يعدُّ الغنى واقتنى ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبّادٍ المرتجى تعدُّ نوالك نيل المنى

٢ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن بابك يمدح الصاحب بقصيدة أوَّلها:

خلعت قلائدها عن الجوزاءِ عذراء رقَّصها لعاب الماءِ

٣ ـ أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الوزير من آل بويه له قصيدة منها:

أقول وقلبي في ذراك مخيَّمٌ وجسمي جنيبٌ للصبا والجنائب
يُجاذب نحو الصاحب الشوق مقودي وقد جاذبتني عنه أيدي الشواذبِ

٤ ـ الوزير أبو العبّاس الضبّي المتوفّى سنة ٣٩٨ [أحد شعراء الغديرالآتي شعره وترجمته] له قصائد في مدح المترجَم.

٥ ـ الكاتب أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني كتب إلى الصاحب بقصيدةٍ أوّلها:

إذا الغيوم أرجفنَّ باسقها وحفَّ أرجاءها بوارقها

٦ ـ أبو الحسن محمَّد بن عبد الله السلامي العراقي المتوفّى سنة ٣٩٤ له في الصاحب قصيدة أوّلها:

رقى العذَّال أم خدع الرقيبِ سقت ورْد الخدود من القلوبِ

وله فيه ارجوزةٌ منها:

فما تحلُّ الوزراء ما عقدْ بجهدهم ما قاله وما اجتهدْ

شتّان ما بين الاسود والنقدْ هل يستوي البحر الخضم والثمدْ
امنيّتي من كلّ خيرٍ مُستعدْ أن يسلم الصاحب لي طول الأبدْ

٧ - القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني المتوفّى سنة ٣٩٢ له من قصيدة في الصاحب قوله:

أوَ ما انثنيت عن الوداع بلوعة ملأت حشاك صبابةً وغليلا؟!
ومدامع تجري فيحسب انَّ في آماقهنَّ بنان إسماعيلا؟!
يا أيّها القرم الذي بعلوّه نال العلاء من الزَّمان السولا
قسمت يداك على الورى أرزاقها فكنوك قاسم رزقها المسؤولا

وله فيه قصائد كثيرة اخرى.

٨ - أبو الحسن عليّ بن أحمد الجوهري الجرجاني [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] له قصائد كثيرة في الصاحب همزيَّة. رائيَّة. فائية. بائيَّة وغيرها.

٩ - أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري، له في الصاحب قصائد منها ميميَّة أوَّلها:

الدمع يُعرب مالا يُعرب الكلِمُ والدمع عدلٌ وبعض القول متَّهمُ

١٠ - أبو هاشم محمَّد بن داود بن أحمد بن داود بن أبي تراب علي بن عيسى بن محمَّد البطحائي بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. المعروف بالعلوي الطبري له شعرٌ كثيُر في الصاحب وللصاحب فيه كذلك.

١١ - أبو بكر محمَّد بن العبّاس الخوارزمي له قصائد في الصاحب ومن قصيدة يمدحه:

ومَن نصر التوحيد والعدل فعله وأيقظ نوّام المعالي شمائله
ومَن ترك الأخيار ينشد أهله أحل أيّها الربع الذي خفَّ آهله

١٢ - أبو سعد نصر بن يعقوب له قصيدة في الصاحب مطلعها:

أبى لي أن ابـالي بـالليـالـي وأخشى صـرفهـا فيمن يُبـالي

١٣ ـ السيِّد أبو الحسين عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن القاسم بن محمَّد بن القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام صهر الصاحب له قصيدة تربو على السِّتين بيتاً يمدح بها الصاحب خالية من حرف الواو، ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر منها ٢٠ بيتاً، ومؤلِّف (الدرجات الرفيعة) ١٤ بيتاً أوّلها.

بـرقٌ ذكـرت بـه الحبـائبْ لَمّـا بـدى فـالـدمـع سـاكبْ

١٤ ـ أبو عبد الله الحسين بن أحمد الشهير بابن الحجّاج البغدادي المتوفّى سنة ٣٩١ [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] له فائيَّة يمدح بها الصاحب أوَّلها:

أيّـهـا السـائـل عـنّـي أنـا فـي حـالٍ طـريـفـه

واخرى مطلعها:

سـاق على حسن وجههـا تَلفي وسرّها ما رأته العين من دَنفي

وله نونيَّةٌ في مدحه أوَّلها:

يـا عـذولـي أمـا أنـا فـسـبـيـلـي إلـى الـعـنـا
وحـديـثـي مـن حـقِّـه فـي الـزمـان أن يُـدوَّنـا

١٥ ـ أبو الحسن عليّ بن هارون بن المنجِّم له قصيدةٌ في الصاحب يصف بها داره بقوله:

وأبـوابهـا أثـوابهـا من نقـوشهـا فلا ظلم إلا حين تُرخى ستورها

١٦ ـ الشيخ أبو الحسن بن أبي الحسن صاحب البريد ابن عمة الصاحب له قصيدةٌ يصف بها داراً بناها المترجم بإصبهان وانتقل إليها:

دارٌ على العزِّ والتـأييـد مبنـاهـا وللمكـارم والعليـاء مغنـاهـا

١٧ـ أبو الطيِّب الكاتب له في وصف دار الصاحب بإصبهان قصيدة مطلعها:

ودار تـرى الدنيـا عليها مـدارهـا تحـوز السماء أرضهـا وديـارهـا

١٨ ـ أبو محمَّد إبن المنجِّم له رائيَّةٌ يصف بها دار الصاحب مستهلّها:

هجرت ولم أنو الصدود ولا الهجرا ولاأضمرت نفسي الصروف ولاالغدرا

١٩ ـ أبو عيسى إبن المنجِّم يمدح الصاحب بقصيدة يصف داره ويقول:

هي الدار قد عمَّ الأقاليم نورها ولو قدرت بغداد كانت تزورها

٢٠ ـ أبو القاسم عبيد الله بن محمَّد بن المحلّى يصف دار الصاحب بقصيدة أوَّلها:

بي من هواها وإن أظهرت لي جلدا وجدٌ يُذيب وشوقٌ يصدع الكبدا

٢١ ـ أبو العلاء الأسدي يمدحه بقصيدة ويصف داره مطلعها:

وأسعد بدارك انَّها الخلدُ والعيش فيها ناعمٌ رغدُ

٢٢ ـ أبو الحسين الغويري له قصائد في الصاحب منها قصيدةٌ يصف بها داره بإصبهان أوَّلها:

دارٌ غدت للفضل داره أفلاك أسعده مداره

٢٣ ـ أبو سعيد الرستمي محمَّد بن محمَّد بن الحسن الأصبهاني مدح الصاحب بقصائد منها بائيَّة مستهلّها:

عقّني بالعقيق ذاك الحبيب فالحشى حشوه الجوى والنحيب

وله من قصيدة لاميَّة يمدح بها الصاحب قوله:

أفي الحقِّ أن يُعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضى شاعرٌ مثلي؟!

كما ألحقت واو بعمرو زيادةً وضويق باسم الله في ألف الوصلِ

٢٤ ـ أبو محمَّد عبد الله بن أحمد الخازن الإصبهاني له قصائد يمدح بها الصاحب أجودها قصيدةٌ مطلعها:

هذا فؤادك نهبى بين أهواءِ وذاك رأيك شورى بين آراءِ

٢٥ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد البديهي وهو الذي قال فيه صاحبنا المترجَم:

تقول البيت في خمسين عاماً فلمْ لقَّبت نفسك بالبديهي

له قصائد يمدح بها الصاحب منها لاميَّة أوَّلها:

قد أطعت الغرام فاعص العذولا ما عسى عائب الهوى أن يقولا

٢٦ ـ أبو إبراهيم إسمعيل بن أحمد الشاشي العامريُّ، له قصائد صاحبيَّة منها بائيَّةٌ أوَّلها:

سرينا إلى العليا فقيل كواكبُ وثرنا إلى الجلّى فقيل قواضبُ

٢٧ ـ أبو طاهر بن أبي الربيع عمرو بن ثابت له صاحبيّات منها جيميَّة أوَّلها:

أما لصحابي بالعذيب معرَّجُ على دمنٍ أكنافها تتأرَّجُ

٢٨ ـ أبو الفرج الحسين بن محمَّد بن هند وله صاحبيّات منها قصيدةٌ أوَّلها:

لها من ضلوعي أن يشتّ وقودها ومن عبراتي أن تفضَّ عقودها

٢٩ ـ العميري قاضي قزوين، أهدى إلى الصاحب كتباً وكتب معها:

العميريُّ عبد كافي الكفاة وإن اعتدَّ في وجوه القضاةِ

خدم المجلس الرفيع بكتبٍ مفعماتٍ من حسنها مترعاتِ

فوقَّع الصاحب بقوله:

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقياتِ

لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هاتِ

٣٠ ـ أبو الرَّجاء الأهوازي مدح الصاحب لَمّا ورد الصاحب الأهواز ومن قصيدته:

إلى ابن عبّاد أبي القاسم الصاحب إسماعيل كافي الكفاةْ

وتشرب الجند هنيئاً بها من بعد ماء الريّ ماء الفراتْ[1]

(١) أعجب ما رأيت من تعاليق معجم الادباء الطبعة الثانية تعليق هذا البيت في ج ٦ ص ٢٥٤ جعل الاستاذ الرفاعي الشطر الثاني في المتن (من بعد ماء الري ماء الصراة) وقال في التعليق: الصراة: نهر بالعراق.

٣١ - أبو منصور أحمد بن محمّد اللجيمي الدينوري له شعر يمدح به الصاحب.

٣٢ - أبو النجم أحمد الدامغاني المعروف ب (شصت كلّه) المتوفّى سنة ٤٣٢ له قصيدةٌ بالفارسيَّة مدح بها الصاحب.

٣٣ - الشريف الرضي [أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته] مدح الصاحب بداليَّة سنة ٣٧٥ ولم ينفذها إليه، واخرى سنة ٣٨٥ قبل وفاة الصاحب بشهر وأنفذها إليه.

٣٤ - القاضي أبو بكر عبد الله بن محمّد بن جعفر الأسكي، له شعرٌ في الصاحب ومنه قوله:

كلُّ برٍّ ونوالٍ وصِله — واصل منك إلى معتزله

يا بن عبّاد ستلقى ندماً — لفراق الجيرة المرتحله

٣٥ - أبو القاسم غانم بن محمّد بن أبي العلا الأصبهاني، له صاحبيّات مدحاً ورثاءً قال الثعالبي في تتميم يتيمته: كان يُساير الصاحب يوماً فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلاً:

طرفٌ تحاول شأوه ريح الصَّبا — سفهاً فتعجز أن تشقَّ غباره

باري بشمس قميصه شمس الضحى — صبغاً ورضَّ حجاره بحجاره

٣٦ - أبو بكر محمّد بن أحمد اليوسفي الزوزني له صاحبيّة أوَّلها:

أطلع الله للمعاني سعودا — وأعاد الزمان غضّاً جديدا

ومنها:

بعث الدهر جنده وبعثنا — نحوه دعوة الإله جنودا

يا عميد الزَّمان إنَّ الليالي — كدن يتركن كلَّ قلب عميدا

حادثات أردن إحداث هدم — لعلاه فأحدثت تشييدا

وله من اخرى قوله:

سلامٌ عليها إنَّ عيني عندما — أشارت بلحظ الطرف تخضب عندما

٣٧ ـ أبو بكر يوسف بن محمّد بن أحمد الجلودي الرازي له قصيدةٌ صاحبيّةٌ منها قوله:

رياضٌ كأنَّ الصاحب القرم جادها بأنوائه أو صاغها من طباعه
يجلّي غيابات الخطوب برأيه كما صدع الصبح الدُّجى بشعاعه

ومنها:

سحابٌ كيمناهُ وليلٌ كبأسه وبرقٌ كماضيه وخرقٌ كباعه

٣٨ ـ أبو طالب عبد السّلام بن الحسين المأموني، قال فريد وجدي في «دائرة المعارف» ج ٦ ص ٢٠: مدح الصاحب بقصائد فأعجبه نظمه توفّي سنة ٣٨٣.

٣٩ ـ أبو منصور الجرجاني، كتب إلى الصاحب قوله:

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إنّي رُزقت ولداً كالصبح إذ تبلّجا
لا زال في ظلّك ظـ ـلّ المكرمات والحجى
فسمّه وكنّه مشرّفاً ... متوّجا

فوقّع الصاحب تحتها بقوله:

هنّته هنئته شمس الضحى بدر الدجا
فسمّه محسّناً وكنّه أبا الرجا

٤٠ ـ الأوسي مدح الصاحب ببائيّة أنشدها بين يديه فلمّا بلغ إلى قوله:

لمّا ركبت إليك مُهري أنعلت بدر السماء وسمّرت بكواكب

قال له الصاحب لِمَ أنّثت المُهر؟ ولِم شبّهت النعل بالبدر ولا يشبهه؟ ولو شبّهته بالهلال لكان أحسن فإنّه على هيئته فقال الأوسي: أمّا تأنيث المهر فلأنّي عنيت المهرة! وأمّا تشبيهي النعل ببدر السماء فلأنّي أردت النعل المطبقة.

٤١ - إبراهيم بن عبد الرَّحمن المعرّي مدح الصاحب بقصيدة منها:

قـد ظهـر الحقُّ وبـان الهُـدى ... لـمـن لـه عـيـنـان أو قـلـبُ
مثل ظهـور الشمس في حجبها ... إذ رفعت عن نـورهـا الحـجبُ
بـالمَلك الأعـظم مـستبشـرٌ ... شـرق بـلاد الله والـغـربُ

٤٢ - محمَّد بن يعقوب أحد أئمّة النحو كتب إلى الصاحب كما في « دمية القصر » ج ١ ص ٣٠١:

قـل لـلوزيـر أدام الله نعـمتـه ... مُستخدماً لمجاري الدَّهر والقدرِ
أردت عبـداً وقـد أعـطيته ولـداً ... فسمِّه باسم مَن بـالعرب مفتخرِ
وإن وصلت لـه تشـريف كنيتـه ... جمعت بالطَول بين الروض والمطرِ
لا زال ظلّك ممـدوداً ومنتشـراً ... فـإنّـه خيـر ممـدودٍ ومنتشـرِ
هنِّيته، ابناً يشيـع الأُنس في البشر ... هنِّيت مَقـدم هذا الصـارم الذكـرِ

٤٣ - محمَّد بن علي بن عمر أحد أعيان الري قرأ على الصاحب ومدحه برائيَّة. والادباء يعبرون عن المترجَم وأبي إسحاق الصّابي بالصادين كما وقع في قـول الشيخ أحمـد البربيـر المتوفّى سنـة ١٢٢٦ في كتابـه « الشرح الجلي » ص ٢٨٣ يمدح كاتباً مليحاً.

لله كـاتـبـاً الـذي أنـا رقّـه ... وهـو الـذي لازال قـرَّة عيني
فـي ميـم مبسـمـه ولام عـذاره ... مـا بات ينسخ بهجـة الصّـادين

شعره في المذهب:

وللصاحب مراجعات ومراسلات مع مادحيه تجدها في الكتب والمعاجم، وشعره كما سمعت كثيرٌ مدوَّنٌ ونحن نقتصر من نظمه الذهبيِّ بما عقد سمط جمانه في المذهب ذكر له الثعالبي في [يتيمة الدهر] ج ٣ ص ٢٤٧:

حـبُّ عـليّ بـن أبـي طـالـب ... هـو الـذي يهـدي إلى الجنَّـة
إن كـان تفضـيلي لـه بـدعـةً ... فـلعنـة الله عـلى الـسـنَّـة

وذكر له في الكتاب:

ناصبٌ قال لي: معاوية خا ... لك خير الأعمام والأخوالِ
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً ... قلت: خالٌ لكن من الخير خالي

وذكر له فقيه الحرمين الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ في « كفاية الطالب » ص ٨١، والخوارزمي في « المناقب » ص ٦٩ :

يا أمير المؤمنين المرتضى ... إنَّ قلبي عندكم قد وقفا
كلّما جدَّدت مدحي فيكمُ ... قال ذو النصب: نسيت السلفا[١]
مَن كمولاي عليّ زاهد ... طلّق الدنيا ثلاثاً ووفى؟!
مَن دُعي للطير أن يأكله؟ ... ولنا في بعض هذا مكتفى
مَن وصيُّ المصطفى عندكمُ؟ ... ووصيّ المصطفى من يُصطفى

وذكر الفقيه الكنجي في الكتاب ص ١٩٢، وسبط إبن الجوزي في « تذكرة خواصّ الامّة » ص ٨٨، والخوارزمي في « المناقب » ص ٦١ :

حبُّ النبيِّ وأهل البيت معتمدي[٢] ... إنَّ الخطوب أساءت رأيها فينا
أيا ابن عمّ رسول الله أفضل مَن ... ساس الأنام وساد الهاشميِّينا
يا نُدرة الدين يا فرد الزمان أصخ ... لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سيفك في الإسلام لو عرفوا؟ ... وهذه الخصلة الغرّاء تكفينا
هل مثل علمك إذ زالوا وإذ وهنوا ... وقد هديت كما أصبحت تهدينا؟
هل مثل جمعك للقرآن نعرفه ... لفظاً ومعنىً وتأويلاً وتبيينا؟
هل مثل حالك عند الطير تحضره ... بدعوةٍ نلتها دون المصلّينا؟
هل مثل بذلك للعاني الأسير وللـ ... ـطفل الصغير وقد أعطيت مسكينا؟
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ ختروا ... حتّى جرى ما جرى في يوم صفّينا؟
هل مثل فتواك إذ قالوا مجاهرةً ... : لولا عليٌّ هلكنا في فتاوينا؟
يا ربّ سهِّل زياراتي مشاهدهم ... فإنَّ روحي تهوى ذلك الطينا
يا ربّ صيِّر حياتي في محبّتهم ... ومحشري معهم آمين آمينا

---

(١) تسب السلفا. الخوارزمي.
(٢) هذه الأبيات المحكية عن الكتب الثلاث لم توجد في (أعيان الشيعة) سوى ثلاثة منها.

وذكر إبن شهراشوب من هذه القصيدة بعد البيت الثاني من أوّلها:

أنت الإمام ومنظور الأنام فمن يردّ ما قلته يقمع براهينا

هل مثل فعلك في ليل الفراش وقد فديت بالروح ختّام النبيّينا؟

هل مثل فاطمة الزّهراء سيّدةٌ زوّجتها يا جمال الفاطميّينا؟

هل مثل برّك في حال الركوع وما برٌّ كبرّك برّاً للمزكينا؟

هل مثل فعلك عند النعل تخصفها لو لم يكن جاحدو التفضيل لاهينا

هل مثل نجليك في مجدٍ وفي كرم إذ كوّنا من سلال المجد تكوينا؟

وله في مناقب الخطيب الخوارزمي ص ١٠٥، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٤٣، وتذكرة خواصّ الامَّة ص ٣١، ومناقب إبن شهراشوب، وغيرها قصيدةٌ ولوقوع الإختلاف فيها نجمع بين رواياتها ونشير إلى ما روته رجال العامَّة بـ(ع):

بلغت نفسي مناها بالموالي آل طه

برسول الله مَن حاز المعالي وحواها

وببنت المصطفى مَن أشبهت فضلاً أباها

ع مَن كمولاي عليٍّ والوغى تحمي لظاها؟

ع من يصيد الصّيد فيها بالظبى حتّى انتظاها؟

يوم أمضاها عليهم ثمَّ أمضاها عليهم فارتضاها

ع مَن له في كلِّ يومٍ وقعاتٌ لا تضاهى؟

ع كم وكم حرب ضروس سدَّ بالمرهف فاها؟

ع أذكروا أفعال بدرٍ لستُ أبغي ما سواها

ع أذكروا غزوة أُحدٍ إنَّه شمس ضُحاها

ع اذكروا حرب حنين إنَّه بدر دُجاها

ع أذكروا الأحزاب قدماً إنَّه ليث شرها

ع أذكروا مهجة عمرو كيف أفناها شجاها؟

ع أذكروا أمر براءة واخبروني مَن تلاها؟

ع أذكروا مَن زوّج الـ ـزهراء قد طاب ثراها[١]
ع اذكروا بكرة طيرٍ فلقد طارٍ ثناها؟
ع أذكروا لي قلل العلم ومن حلّ ذراها
ع حاله حالة ها رون لموسى فافهماها
ع أعلى حبِّ عليٍّ لامني القوم سفاها؟!
ع أهملوا قرباه جهلاً وتخطّوا مُقتضاها
ع أوَّل النّاس صلاةً جعل التقوى حُلاها
ع رُدَّت الشّمس عليه بعد ما غاب سناها
ع حجَّة الله على الخلق شقي مَن قد قلاها
وبحبّي الحسن الـ ـبالغ في العليا مداها
والحسين المرتضى يوم المساعي إذ حواها
ليس فيهم غير نجم قد تعالى وتناهى
عترةٌ أصبحت الدّ نيا جميعاً في حماها
ما تحدَّت عصب الـ ـبغي بأنواع عماها
أردت الأكبر بالسمّ وما كان كفاها
وانبرت تبغي حسيناً وعرته وعراها
منعته شربةً والطّـ ـير قد أروت صداها
فأفاتت نفسه ياليت روحي قد فداها
بنته تدعو أباها أخته تبكي أخاها
لو رأى أحمدُ ما كان دهاه ودهاها
لشكا الحال إلى الله وقد كان شكاها[٢]

---

(١) في لفظ أهل السنة:
اذكروا من زوّج الزهراء كيما تتباهى

(٢) غير واحد من الأبيات لا يوجد في (أعيان الشيعة)

وله في مناقب إبن شهراشوب والخطيب الخوارزمي ص ٢٣٣ قصيدةٌ نجمع بينهما لاختلافهما في عدد الأبيات ألا وهي:

ما لعليٍّ العُلى أشباهُ ... لا والذي لا آله إلّا هو

مبناه مبنى النبيِّ تعرفه ... وابناه عند التفاخر إبناهُ

إنَّ عليّاً علا إلى شرفٍ ... لو رامه الوهم ذلَّ مرقاهُ

أيا غداة الكساء لا تهني ... عن شرح علياه إذ تكسّاهُ [1]

يا ضحوة الطير تنبئي شرفاً ... فاز به لا يُنال أقصاهُ

براءة استعملي ببلاغك مَن ... أقعد عنه ومَن تولاهُ؟!

يا مرحب الكفر قد أذاقك مَن ... مِن حدِّ ما قد كرهت ملقاهُ؟!

يا عمرو مَن ذا الذي أنالك من ... حارة الحتف حين تلقاهُ؟!

لو طلب النجم ذات أخمصه ... علاه والفرقدان نعلاهُ

أما عرفتم سموَّ منزله؟! ... أما عرفتم علوَّ مثواهُ؟!

أما رأيتم محمَّداً حدباً ... عليه قد حاطه ورباهُ؟!

واختصَّه يافعاً وآثره ... واعتامه مخلصاً وآخاهُ

زوَّجه بضعة النبوَّة إذ ... رآه خير امرىءٍ وأتقاهُ

يا بأبي السيِّد الحسين وقد ... جاهد في الدين يوم بلواهُ

يا بأبي أهله وقد قُتلوا ... من حوله والعيون ترعاهُ

يا قبَّح الله امَّةً خذلت ... سَيدها لا تريد مرضاهُ

يا لعن الله جيفةً نجساً ... يقرع مِن بغضه ثناياه

وله داليَّة ذكرها الخوارزمي في « المناقب » ص ٢٢٣ ، وإبن شهراشوب في مناقبه ونجمع بين الرِّوايتين وهي:

هو البدر في هيجاء بدر وغيرُه ... فرائصه من ذكره السيف ترعدُ

عليٌّ له في الطير ما طار ذكره ... وقامت به أعداؤه وهي تشهدُ

عليٌّ له في هل أتى ما تلوتمُ ... على الرَّغم من آنافكم فتفرّدوا

---

(١) هذا البيت وما بعده إلى أربعة أبيات لا توجد في مناقب ابن شهراشوب بل رواها الخوارزمي.

وكم خبـر في خيبـر قـد رويتمُ ... ولكنّكم مثـل النعـام تشـرَّدوا
وفي احـدٍ ولّى رجـالٌ وسيفـه ... يسـوِّد وجه الكفـر وهـو مسـوَّدُ
ويـوم حنينٍ حنَّ للغـلّ بعضكم ... وصـارمه عضب الغـرار مهنَّـدُ
تـولّى امـور النّاس لم يستغلّهم ... ألا ربمـا يـرتـاب مَن يتقـلّدُ
ولم يك محتاجاً إلى علم غيره ... إذا احتاج قومٌ في قضايا تبلّدوا
ولا سدَّ عن خير المسـاجد بـابه ... وأبـوابهم إذ ذاك عنـه تُسـدَّدُ
وزوجتـه الـزَّهـراء خيـر كـريمةٍ ... لخير كريم فضلها ليس يُجحدُ[1]
وبالحسنين المجـد مـدّ رواقـه ... ولـولاهما لم يبقِ للمجـد مشهدُ
تفـرّعت الأنـوار لـلأرض منهمـا ... فـلِلّه أنـوارٌ بـدت تـتـجـدّدُ
هم الحجج الغرُّ التي قد توضَّحت ... وهم سرج الله التي إليس تخمدُ
اواليـكـمُ يـا آل بيـت مـحـمـدٍ ... فكلّكمُ للعـلم والـدين فـرقـدُ
وأتـرك من نـاواكمُ وهـو هتكـه ... يُنادى عليه مـولـدٌ ليس يُحمـدُ

وذكر له الحمويي صاحب « فرائد السمطين » في السمط الثاني في الباب الأوَّل:

منائح الله جـاوزت أمـلي ... فليس يدركها شكـري ولا عملي
لكنَّ أفضلهـا عنـدي وأكملهـا ... محبَّتي لأميـر المـؤمنين عـلي

وذكر العلاّمة المجلسي في « البحار » ج ١٠ ص ٢٦٤ نقـلاً عن بعض الكتب القديمة من قصيدةٍ طويلة له:

أجـروا دمـاء أخي النبيِّ محمَّـد ... فلتجـر غـزر دمـوعنـا ولتهمـلِ
ولتصـدر اللَّعنـات غيـر مـزالـة ... لعـداه من مـاضٍ ومن مُستقبلِ
وتـجـرَّدوا لبنيـه ثـمَّ بنـاتـه ... بعـظائم فاسمـع حديث المقتلِ
منعوا الحسين الماء وهو مجاهـدٌ ... في كـربلاء فنُح كنوح المعـولِ
منعـوه أعذب منهـلٍ وكذا غـداً ... يـردون في النيران أوخم منهـلِ
أيجزُّ رأس إبن النبيِّ وفي الورى ... حيٌّ أمـام ركـابـه لم يُـقتـلِ

---

(١) هذا البيت رواه الخوارزمي ولا يوجد فيما جمع له السيد في (أعيان الشيعة)

وبنو السفاح تحكّموا في أهل حيّ على الفلاح بفرصةٍ وتعجّلِ
نكت الدعي بن الدعيّ ضواحكاً هي للنبيِّ الخير خير مُقبَّلِ(١)
تمضي بنو هند سيوف الهند في أوداج أولاد النبيِّ وتعتلي
ناحت ملائكة السّماء لقتلهم وبكوا فقد أُسقوا كؤوس الذبَّلِ
فأرى البكاء على الزمان محلّلا والضحك بعد الطفِّ غير محلّلِ
كم قلت للأحزان: دومي هكذا وتنزّلي في القلب لا تترحّلي

هذه نبذةٌ من شعره في الأئمَّة عليهم السَّلام، وفي مناقب إبن شهراشوب منه نبذٌ منثورة على أبواب الكتاب جمعها السيّد في [أعيان الشيعة] ولمثول الكتابين للطبع وانتشارهما ضربنا عن ذكر جميعها صفحاً، ولم نذكر هٰهنا إلاّ الخارج عن الكتابين ولو في الجملة.

قال السيِّد في « الدرجات الرفيعة »: إنَّ الصاحب رحمه الله قال قصيدةً معرّاة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنثور والمنظوم وأوَّلها:

قد ظلَّ يجري صدري مَن ليس يعدوه فكري

وهي في مدح أهل البيت عليهم السَّلام في سبعين بيتاً فتعجَّب الناس، وتداولتها الرُّواة فسارت مسير الشمس في كلِّ بلدة، وهبت هبوب الريح في البرِّ والبحر، فاستمرَّ الصاحب على تلك الطريقة، وعمل قصائد كلٌ واحدة منها خاليةً من حرف واحدٍ من حروف الهجاء وبقيت عليه واحدة تكون خالية من الواو فانبرى صهره أبو الحسين عليّ لعملها وقال قصيدةً ليست فيها واوٌ ومدح الصاحب بها وأوَّلها:

برقٌ ذكرت به الحبائب لمّا بدى فالدَّمع ساكب

كان للصاحب خاتمان نقش أحدهما هذه الكلمات:

على الله توكلت وبالخمس توسَّلت

ونقش الآخر:

---

(١) لم يذكر سيدنا الأمين في أعيان الشيعة من القصيدة إلا هذا البيت.

شفيــع إسمـاعيــل في الآخـره　　مـحـمَّـدٌ والـعـتـرةُ الـطاهــره

ذكره الشيخ في المجالس وأشار إليـه شيخنا الصَّـدوق في أوَّل « عيون الأخبار »

الصاحـــب ومذهبـــه :

إنَّ كون الصاحب من عُليَّة الشيعة الإماميّة مما لا يمتري فيه أيُّ أحد من علماء مذهبه الحقّ، كما يشهد بذلك شعره الكثير الوافر في أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام ونثره المتدفِّق منه لوائح الولاية والتفضيل وهو يهتف بقوله:

فكم قـد دعوني رافضيـاً لحبّكم　　فلم ينثني عنكم طـويل عـوائهم

وقد نصَّ على مذهبـه هذا السيِّـد رضيُّ الدين إبن طـاووس في كتاب « اليقين » ومرَّ عن المجلسي الأوَّل انَّه من أفقه فقهاء أصحابنا، واقتفى أثره ولده في مقدِّمات البحار فصرح بانَّه كان من الإماميَّـة، وعدّه القـاضي الشهيد في مجالسه من وزراء الشيعة، ويقول شيخنا الحرّ في أمل الآمل، إنّه كان شيعيّاً اماميّاً، وعدَّه إبن شهراشوب في المعالم من شعراء أهل البيت المجـاهرين، وشيخنا الشهيد الثاني من أصحابنا، وفي « معاهد التنصيص »: انَّه كان شيعيّاً جلداً كآل بُويه معتزليّاً، وقبل هذه الشهادات كلّها شهادة الشيخين العَلمين رئيس المحدِّثين الصدوق في « عيون أخبار الرِّضا »، وشيخنا المفيد فيما حكاه عنه إبن حجر في « لسان الميزان » ج ١ ص ٤١٣، ورسالته في أحوال عبد العظيم الحسني المندرجة في خاتمة « المستدرك » ج ٣ ص ٦١٤[1] من جملة الشواهد أيضاً، وفي « لسان الميزان » ج ١ ص ٤١٣: كان الصاحب إماميَّ المـذهب وأخطأ من زعم انَّه كان معتزليّاً، وقد قال عبد الجبّار القاضي لَمّا تقدَّم للصلاة عليه: ما أدري كيف اصلّي على هذا الرافضيّ. وعن إبن أبي طيّ: انَّ الشيخ المفيد شهد بأنَّ الكتاب الذي نُسب إلى الصاحب في الإعتزال وُضع على لسانه ونُسب إليه وليس هو له.

---

(١) نقلاً عن نسخة بخط بعض بني بابويه مؤرخة بسنة ٥١٦.

وهناك نُقولٌ متهافتةٌ يبطل بعضها بعضاً تفيد اعتناق الصاحب مذهب الإعتزال تارةً وتمذهبه بالشافعيَّة اخرى، وبالحنفيَّة طوراً، وبالزيديَّة مرَّةً، وفي القاذفين مَن يحمل عليه حقداً يُريد تشويه سمعته بكلٍّ ما توحي إليه ضغائنه كأبي حيّان التوحيدي ومن حكي عنه طرفي نقيض كشيخنا المفيد الذي ذكرنا حكاية إبن حجر عنه بوضع ما نُسب إلى الصاحب من الكتاب الذي يدلُّ على الإعتزال، ونقل عنه أيضاً نسبته إلى جانب الإعتزال.

وهذا التهافت في النقل يُسقط الثقة بأيِّ النقلين وإن كان النصُّ على تشيعه معتضداً بكلمات العلماء قبله وبعده، والسيِّد رضيُّ الدين الذي عرفت النصَّ عنه بتشيعه في كتاب « اليقين » فقد نُقل عنه حكايته عن الشيخ المفيد وعلم الهدى نسبته إلى الإعتزال، وأنت تعلم أنَّ نصَّه الأوَّل هو معتقده وهذه حكايةٌ محضةٌ، وقد عرفت حال المحكيِّ عن الشيخ المفيد، وأمّا السيِّد المرتضى فالظاهر أنَّ مُنتزع هذه النسبة إليه هو ردُّه على الصاحب في تعصّبه للجاحظ الذي هو من أركان المعتزلة، غير أنّا نحتمل انَّ هذا التعصّب كان لأدبه لا لمذهبه كتعصّب الشريف الرضيّ للصابي.

وما وقع إلينا في المحكيِّ عن رسالة « الإبانة » للصاحب من إنكار النصّ على أمير المؤمنين عليه السّلام فهو حكايةٌ محضةٌ عمَّن يقول بذلك بل ما في « الإبانة » يكفي بمفرده في إثبات كونه إماميّاً وإليك نصُّ كلامه مشفوعاً بمقاله في « التذكرة » حول الإمامة.

قال في « الإبانة »: زعمت العثمانيَّة وطوائف الناصبيَّة انَّ أمير المؤمنين عليه السلام مفضولٌ في أصحاب رسول الله ﷺ غير فاضل واستدلَّت بأنّ أبا بكر وعمر وليا عليه وقالت الشيعة العدليَّة: فقد ولى النبيّ عليه السّلام عليهما عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل فليقولوا: إنّه خيرٌ منهما، فقالت الشيعة: عليٌّ عليه السّلام أفضل الناس بعد النبيِّ فلذلك آخى بينه وبينه حين اخى بين أبي بكر وعمر فلم يكن ليختار لنفسه إلاّ الأفضل، وقد ذكر ذلك بقوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. ثمَّ إنَّه لم يستثن إلاّ النبوَّة وفيه قال: اللهمَّ آتني بأحب

خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. وقد قال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال مَن والاه، وعاد من عاداه. إلى آخر الدُّعاء.

وبعدُ: فالفضيلةُ تستحقُّ بالمسابقة وهو أسبقهم إسلاماً، وقد قال الله تعالى: السّابقون السّابقون أولئك المقرَّبون. وبالجهاد وهو لم يغمد حساماً، ولم يقصر إقداماً، كشّاف الكروب، وفرّاج الخطوب، ومسعر الحروب، قاتل مرحب، وقالع باب خيبر، وصارع عمرو بن عبدودّ؛ ومَن قال فيه النبيُّ ﷺ لُأعطينّ الراية غداً رجلاً يُحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. كرّاراً غير فرّار، وقد قال الله تعالى: فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. وبالعلم والنبيُّ ﷺ قال: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. وأثر ذلك بيِّنٌ لأنّه عليه السّلام لم يسئل من الصحابة أحداً وقد سألوه، ولم يستفتهم وقد استفتوه، حتّى انَّ عمر يقول: لولا عليٌّ لهلك عمر، ويقول: لا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبو الحسن، وقد قال الله تعالى: قُلْ هَلْ يَستَوي الذينَ يعلمون والذين لا يَعلمون. وبالزُّهد والتقوى والبر والحسنى فإذا كان أعلمهم فهو أتقاهم وقال الله تعالى: إنَّما يخشى الله من عباده العلماء. وبعدُ: فهو الذي آثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه مخرجاً قوته كلَّ ليلة إليهم عند فطره حتى أنزل الله تعالى: وَيُطعمونَ الطَّعامَ عَلى حبِّهِ مِسكيناً وَيَتيماً وأسيرا. فأخبر نبيَّه وعده عليه الجنَّة. والحديث طويلٌ وفضله كثيرٌ، وهو الذي تصدَّق بخاتمه في ركوعه حتّى أنزل الله فيه: إنَّما وليّكم الله ورسوله.

وزعمت طائفةٌ من الشيعة ذاهلةً عن تحقيق الإستدلال انَّ عليّاً عليه السلام كان في تقيّة فلذلك ترك الدعوة إلى نفسه. وزعمت أنَّ عليه نصّاً جليّاً لا يحتمل التأويل، وقالت العدليَّة: هذا فاسدٌ، كيف تكون عليه التقيَّة في إقامة الحقّ وهو سيّد بني هاشم؟ وهذا سعد بن عبادة نابذ المهاجرين وفارق الأنصار لم يخش مانعاً ودافعاً وخرج إلى حوران ولم يبايع، ولو جاز خفاء النصّ الجليّ عن الامَّة في مثل الإمامة لجاز أن يتكتّم صلاةٌ سادسةٌ وشهرٌ يُصام فيه غير شهر رمضان فرضاً. وكلّما أجمع عليه الامَّة من أمر الأئمَّة الذين قاموا بالحقّ وحكموا بالعدل

صوابٌ ، وأمّا من نابذ عليّاً عليه السّلام وحاربه وشهر سيفه في وجهه فخارجٌ عن ولاية الله إلّا من تاب بعد ذلك وأصلح إنَّ الله يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين . اه‍ .

المراد على مايفهم من جواب العدليَّة انَّ دعوى تقيّة عليّ عليه السّلام وتركه الدعوة إلى نفسه مع ادِّعاء النصِّ الجليِّ عليه زعمٌ فاسدٌ ، وانَّ الإعتقاد بترك الدَّعوة لا يوافق مع القول بالنصِّ الجليِّ إذ لو كان لأبان وماترك الدَّعوة ، والمدَّعي ذاهلٌ عن تحقيق الإستدلال بما ذكر من الكتاب والسنَّة فإنّه عليه السلام دعا إلى نفسه واحتج بأدلّة اوعزت إليها ، فنسبة إنكار النصِّ الجليِّ إلى المترجَم بهذه العبارة كما فعله غير واحد في غير محلّه جدّاً .

وقال في ذيل كتابه [التذكرة] ذكر الصاحب رحمه الله في آخر كتاب : « نهج السبيل » : انَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أفضل الصّحابة بعد النبيِّ ﷺ واستدلَّ عليه بأنّ الأفضليَّة تُستحقُّ بالسابقة والعلم والجهاد والزهد فوق جميعهم ، فلا شكَّ انَّه متقدّمهم وغير متأخّر عنهم ؛ وقد سبقهم بمنازلة الأقران ، وقتل صناديد الكفّار وأعلام الضّلالة ، وهو الذي آخى النبيُّ ﷺ بينه وبينه حين آخى بين أبي بكر وعمر ، ورضيه كفواً لسيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها ؟ ودعا الله أن يوالي مَن والاه ويعادي مَن عاداه ، وأخبرنا انَّه منه بمنزلة هارون من موسى لفضل فيه ، وقال عليه السّلام : اللهّم ائتني بأحبِّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر ، ولا يكون أحبّهم إلى الله إلّا أفضلهم ، وقال : أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، وقال : أنا ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لعليٍّ مثله حتّى سألت له النبوَّة فقيل : لا ينبغي لأحدٍ من بعدك ، ولم يكن يسألها إلّا لفضله . ولهذا استثنى النبوَّة في حديث : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى . فصبر على المحن ؛ وثبت على الشدائد ، ولم تزده ؟ أيام توليته إلّا خشونةً في الدين ، وأكله للجشب[1] ولبساً للخشن ، يستقون من علمه ؛ وما يستقي إلّا ممن هو أعلم ، خير الأوّلين وخير الآخرين ، عهد إليه في الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقُتل بين

---

(١) جشب الطعام : غلظ .

يديه عمّار بن ياسر المشهود له بالجنّة لبصيرته في أمره، وشبّهه رسول الله ﷺ بعيسى بن مريم عليه السّلام كما شبّهه بهارون، لا تضرب الأمثال إلّا بالأنبياء، وتصدّق بخاتمه في ركوعه حتّى انزل فيه: إنّما وَلِيّكُمُ الله وَرَسوله. الآية، وآثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه حتّى انزل فيه: ويُطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وقال تعالى: إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قوم هاد. فقال ﷺ: أنا المنذر وأنت يا عليّ الهادي، وقال تعالى: وتعيها اذنٌ واعيةٌ وقال ﷺ: هي اذن عليّ عليه السّلام وجعله الله في الدنيا فصلاً بين الايمان والنّفاق حتّى قيل: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم علياً عليه السّلام، وأخبر انّه في الآخرة قسيم الجنّة والنار، وقال ابن عبّاس: ما أنزل الله في القرآن يا أيّها الذّين آمنوا إلّا وعليٌّ سيّدها وأبوها وشريفها، وأعلى من ذلك قوله ﷺ: عليٌّ يعسوب المؤمنين، وله ليلة الفراش حين نام عليه في مكان رسول الله ﷺ صابراً على ما كان يتوقّع من الذبح صحبة إسحاق ذبيح الله حين صبر على ما ظنّ انّه نازلٌ به من الذبح، وقال فيه مثل عمر بن الخطاب: لولا عليٌّ لهلك عمر، ولا أعاشني الله لمشكلةٍ ليس لها أبو الحسن. ودهره كلّه إسلامٌ وزمانه أجمع ايمانٌ، لم يكفر بالله طرفة عين، عاش في نصرة الإسلام حميداً، ومضى لسبيله شهيداً، جعلنا الله ممن آثر المحبّة في القربى، وهدانا للّتي هي أحسن وأولى، وحسبنا الله منزل الغيث وفاطر النسم[١].

وقد أبان عن مذهبه الحقّ [الإماميّة] في شعره بقوله:

بالنصّ فاعقد إن عقدت يمينا ... كلّ اعتقاد الإختيار رضينا

مكّن لقول إلهنا تمكينا ... : واختار موسى قومه سبعينا

وقال في قصيدته البائيّة التّي مرّت:

لم تعلموا أنّ الوصيّ هو الذي ... آتى الزّكاة وكان في المحراب

لم تعلموا أنّ الوصيّ هو الذي ... حكم « الغدير » له على الأصحاب

---

(١) كل ما ذكره الصاحب من الأحاديث في فضل مولانا أمير المؤمنين ثابت وصحيح عند القوم مبثوث في أجزاء كتابنا بأسانيده، أخرجه بها الحفاظ في الصحاح والمسانيد.

وله قوله:

إنَّ المحبَّة للوصيِّ فريضةٌ　　أعني أمير المؤمنين عليّا
قد كلّف الله البريَّة كلّها　　واختاره للمؤمنين وليّا

وما في « لسان الميزان » من اشتهاره بذلك المذهب « الاعتزال » وانّه كان داعية إليه فيدفعه تخطأته أوّلاً من زعم أنّه من معتنقيه، وما نقله عن القاضي عبد الجبّار من انّه لمّا تقدّم للصّلاة عليه قال: ما أدري كيف اصلّي على هذا الرافضيِّ، وما تكرّر في شعره من قذف أعدائه له بالرّفض، إلاّ أن يُريد إبن حجر الإشتهار المحض دون الحقيقة فليلتئم مع قوله الآخر.

والذي أرتأيه ويُساعدني فيه الدليل انّ الصاحب كغيره من أعلام الإماميَّة كان يوافق المعتزلة في بعض المسائل كمسألة العدل التي تطابقت آراء الشيعة والمعتزلة فيها على مجابهة الأشاعرة في الجبر واستلزامه تجوير الحقِّ تعالى، وإن افترقا من ناحيةٍ اخرى في باب التفويض وأمثال هذه، فقد كان يصعب على الباحث التمييز بين الفريقين فيرمى كلُّ فريق باسم قسيمه، ومن هنا اتي الصاحب بهذه القذيفة كغيره من أعلام الطائفة مثل علم الهدى السيِّد المرتضى وأخيه الشريف الرَّضي.

وأمّا نسبته إلى الشافعيَّة فيدفعها عزوه إلى الحنفيَّة، ومن أبدع التناقض قول أبي حيّان في كتاب [الإمتاع ج ١ ص ٥٥] انَّه كان يتشيَّع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيديَّة، وأمّا انتسابه إلى الزيديَّة فيدفعه تعداده الأئمة عليهم السَّلام في شعره كقوله:

بمحمَّدٍ ووصيِّه وابنيهما　　الطاهرين وسيِّد العبّاد
ومحمَّدٍ وبجعفر بن محمَّد　　وسميِّ مبعوث بشاطىء الوادي
وعليِّ الطوسيِّ ثمَّ محمَّد　　وعليِّ المسموم ثمَّ الهادي
حسنٍ وأتبع بعده بإمامةٍ　　لِلقائم المبعوث بالمرصادِ

وقوله:

بمحمَّد ووصيِّه وابنيهما وبعابدٍ وبباقرين وكاظمِ
ثمَّ الرِّضا ومحمَّدٍ ثمَّ ابنه والعسكريِّ المتّقي والقائمِ
أرجو النجاة من المواقف كلها حتّى أصير إلى نعيمٍ دائمِ

وقوله:

نبيٌّ والوصيُّ وسيِّدانِ وزينُ العابدين وباقرانِ
وموسى والرِّضا والفاضلان بهم أرجو خلودي في الجنانِ

وقوله ارجوزةً:

يا زائراً قد قصد المشاهدا وقطع الجبال والفدافدا
فأبلغ النبيَّ من سلامي مالا يَبيد مدَّة الأيّامِ
حتى إذا عدت لأرض الكوفه البلدة الطاهرة المعروفه
وصرت في الغريِّ في خير وطن سلّم على خير الورى أبي الحسن
ثَمَّة سر نحو بقيع الغرقدِ مسلّماً على أبي محمَّدِ
وعُد إلى الطفِّ بكربلاءِ أهد سلامي أحسن الإهداءِ
لخير مَن قد ضمَّه الصعيدُ ذاك الحسين السيِّد الشهيدُ
واجنب إلى الصحراء بالبقيعِ فثَمَّ أرض الشرف الرّفيعِ
هناك زين العابدين الأزهرُ وباقر العلم وثمَّ جعفرُ
أبلغهمُ عنّي السَّلام راهنا قد ملأ البلاد والمواطنا
وأجنب إلى بغداد بعد العيسا مسلّماً على الزكيِّ موسى
واعجل إلى طوس على أهدى سكنْ مبلّغاً تحيَّتي أبا الحسنْ
وعُد لبغداد بطير أسعدِ سلّم على كنز التّقى محمَّدِ
وأرض سامراء أرض العسكرِ سلّم على عليٍّ المطهَّرِ
والحسن الرضيِّ في أحواله من منبع العلوم في أقواله
فإنَّهم دون الأنام مفزعي ومَن إليهم كلّ يوم مرجعي

وله ارجوزةٌ اخرى يعدُّ فيها الأئمَّة الهداة ويُسميهم. وقصيدةٌ في الإمام أبي الحسن الرِّضا ثامن الحجج صلوات الله عليهم، تُذكر في مقدِّمة « عيون

الأخبار ». لشيخنا الصَّدوق، وقصيدةٌ اخرى فيه عليه السلام ايضاً ألا وهي،

يا زائراً قد نهضا ... مُبتدراً قد ركضا
وقد مضى كأنّه ... البرق إذا ما أومضا
أبلغ سلامي زاكياً ... بطوس مولاي الرِّضا
سبط النبيِّ المصطفى ... وابن الوصيِّ المرتضى
من حاز عزّاً أقعسا ... وشاد مجداً أبيضا
وقل له عن مخلصٍ ... يرى الولا مفترضا
: في الصَّدر نفح حرقةٍ ... تترك قلبي خَرَضا
من ناصبين غادروا ... قلب الموالي مُمرضا
صرَّحت عنهم مُعرضاً ... ولم أكن معرِّضا
نابذتهم ولم أبل ... إن قيل: قد ترفَّضا
يا حبَّذا رفضي لمن ... نابَذكم وأبغضا
ولو قدرتُ زرته ... ولو على جمر الغضا
لكنّني مُعتقلٌ ... بقيد خطب عَرَضا
جعلتُ مدحي بدلاً ... من قصده وعوضا
أمانةً موردهُ ... على الرِّضا ليرتضى
رام بن عبّادٍ بها ... شفاعةً لن تُدحضا

نوادر فيها المكارم:

١ - يُحكى أنَّ الصاحب إستدعى في بعض الأيّام شراباً فأحضروا قدحاً فلمّا أراد أن يشربه قال له بعض خواصِّه: لا تشربه فإنّه مسمومٌ - وكان الغلام الذي ناوله واقفاً - فقال للمحذِّر: ما الشاهد على صحَّة قولك؟ فقال: تجرِّبه في الذي ناولك إيّاه. قال: لا أستجيز ذلك ولا أستحلّه. قال: فجرِّبه في دُجاجة قال: التمثيل بالحيوان لا يجوز. وردَّ القدح وأمر بقلبه، وقال للغلام: انصرف عنّي ولا تدخل داري، وأمر بإقرار جاريةٍ وجرايته عليه، وقال لا يُدفع اليقين بالشكّ، والعقوبة بقطع الرِّزق نذالة.

٢ ـ كتب إليه بعض العلويِّين يُخبره بأنَّه قد رُزق مولوداً ويسأله أن يسميه ويكنِّيه فوقَّع في رقعته:

أسعدك الله بالفارس الجديد، والطالع السعيد، فقد والله ملأ العين قرَّة، والنفس مسرة مستقرَّة، والإسم عليٌّ ليعلي الله ذكره، والكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره، فإنّي أرجو له فضل جِدِّه، وسعادة جَدِّه، وقد بعثتُ لتعويذه ديناراً من مائة مثقال، قصدتُ به مقصد الفال، رجاء أن يعيش مائة عام، ويخلص خلاص الذهب الأبرز من نُوَب الأيّام، والسَّلام.

٣ ـ كتب بعض أصحاب الصاحب إليه رقعةً في حاجة فوقَّع فيها، ولمّا رُدَّت إليه لم يَر فيها توقيعاً، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها، فعرضها على أبي العبّاس الضبّي فما زال يتفحصها حتّى عثر بالتوقيع وهو ألِفٌ واحدة، وكان في الرقعة: فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا؟ فَعَلَ. فأثبت الصاحب أمام «فَعَلَ» ألفاً يعني: أفعلُ.

٤ ـ كتب الصاحب إلى أبي هاشم العلويِّ وقد أهدى إليه في طبق فضَّة عطراً:

العبد زارك نازلاً بـرواقكا ... يستنبط الإشراق من إشراقكا
فاقبل من الطيب الذي أهديته ... ما يسرق العطّار من أخلاقكا
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه ... فأضف به طبقاً إلى أطباقكا

٥ ـ نظر أبو القاسم الزَّعفراني يوماً إلى جميع مَن فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوَّنة فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً فسأل الصاحب عنه، فقيل: إنَّه في مجلس كذا يكتب. فقال: عليَّ به. فاستمهل الزعفرانيُّ ريثما يكمل مكتوبه فأعجله الصاحب، وأمر بأن يُؤخذ ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه وقال: أيَّد الله الصاحب.

اسمعه ممن قاله تزدد به ... عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال: هات يا أبا القاسم. فأنشده أبياتاً منها:

سواك يعدُّ الغنى ما اقتنى ... ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبّادٍ المرتجى ... تعدُّ نوالك نيل المنى
وخيرك من باسط كفّه ... وممن ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى ... فأصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحماً ... وأشكرهم عاجزاً ألكنا
أيا مَن عطاياه تُهدي الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوتَ المقيمين والزائرين ... كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ... ضروب من الخزِّ إلاّ أنا
ولست اذكّر لي جارياً ... على العهد يحسن أن يحسنا

فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة: أنَّ رجلاً قال له: أحملني أيّها الأمير؛ فأمر له بناقةٍ وفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ وجاريةٍ، ثمَّ قال له: لو علمت أنَّ الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخزِّ بجبّةٍ. وقميصٍ. ودُرّاعةٍ. وسراويلَ. وعمامةٍ. ومنديلٍ. ومطرفٍ. ورداءٍ. وجوربٍ. ولو علمنا لباساً آخر يُتخذ من الخزِّ لأعطيناكه، ثمَّ أمر بإدخاله الخزانة، وصبِّ تلك الخلع عليه، وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

٦ ـ كتب أبو حفص الورّاق الإصبهاني إلى الصاحب: لولا أنَّ الذكرى أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين؛ وهزَّة الصمصام تعين المصلتين لما ذكرت ذاكراً، ولا هززت ماضياً، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح، ويكدّ الجواد السمح، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده في الحنطة مختلفةٌ، وجرذان داره عنها منصرفةٌ، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، ولم يشدّ رحله؟ فَعَل إن شاء الله تعالى، فوقّع الصاحب فيه:

أحسنت أبا حفص قولاً، وسنحسن فعلاً، فبشّر جرذان دارك بالخصب؛ وأمنها من الجدب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع إن شاء الله تعالى.

٧ ـ عن أبي الحسن العلويِّ الهمداني الشهير بالوصيِّ انَّه قال: لَمّا توجَّهتُ تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان فكّرتُ في كلامٍ ألقى به الصاحب، فلم يحضرني ما أرضاه، وحين استقبلني في العسكر، وأفضى عناني إلى عنانه جرى على لساني: « ما هذا بشرٌ إن هذا إلاّ ملكٌ كريم ». فقال:«إنّي لأجد ريح يوسف لولا أنْ تُفنِّدوني»، ثمَّ قال: مرحباً بالرَّسول ابن الرَّسول، الوصيِّ ابن الوصيِّ.

٨ ـ مرض الصاحب في الأهواز فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير، حتّى لا يتبرَّم به الخدم، فكانوا يودّون دوام علّته، ولَمّا عوفي تصدَّق بنحو من خمسين ألف دينار.

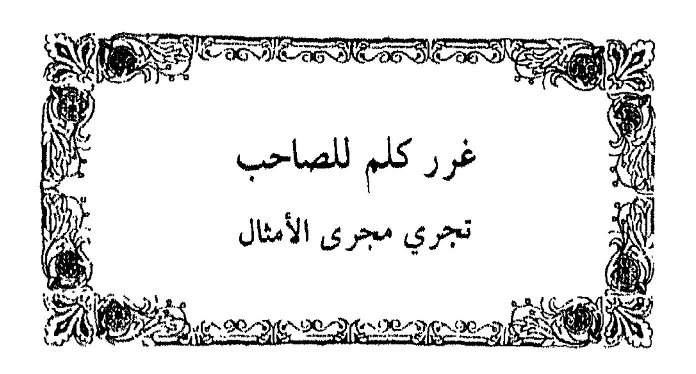
٩ ـ في « اليتيمة » عن أبي نصر ابن المرزبان انّه قال: كان الصاحب إذا شرب ماءً بثلج أنشد على أثره:

قعقعة الثلج بماءٍ عذبِ ... تستخرج الحمد من أقصى القلب

ثمَّ يقول: اللهمَّ جدِّد اللعن على يزيد.

١٠ ـ في « معجم الادباء » كان إبن الحضيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عينه ليلة فنام وخرجت منه ريحٌ لها صوتٌ، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب: أبلغوه عنّي:

يا بن الحضيريّ لا تذهب على خجل ... لحادث كان مثل الناي والعودِ
فإنّها الريح لا تسطيع تحبسها ... إذ لست أنت سليمان بن داود



غرر كلم للصاحب
تجري مجرى الأمثال

مَن استماح البحر العذب، إستخرج اللؤلو الرطب.

مَن طالت يده بالمواهب، امتدَّت إليه ألسنة المطالب.

مَن كفر النعمة، إستوجب النقمة.

مَن نبت لحمه على الحرام، لم يحصده غير الحسام.

مَن غرَّته أيّام السلامة، حدَّثته ألسن الندامة.

مَن لم يهزّه يسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة.

رُبَّ لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال.

الصدر يطفح بما جمعه، وكلُّ إناء مؤدٍّ ما أودعه.

اللبيب تكفيه اللمحة، وتُغنيه اللحظة عن اللفظة.

الشمس قد تغيب ثمَّ تشرق، والرَّوض قد يذبل ثمَّ يورق.

البدر يأفل ثمَّ يطلع، والسيف ينبو ثمَّ يقطع.

العلم بالتذاكر، والجهل بالتناكر.

إذا تكرَّر الكلام على السمع، تقرَّر في القلب.

الضمائر الصحاح أبلغ من الألسنة الفصاح.

الشيء يحسن في إبّانه، كما أنّ الثمر يُستطاب في أوانه.

الآمال ممدودةٌ، والعواري مردودةٌ.

الذكرى ناجعةٌ، وكما قال الله تعالى نافعةٌ.

متن السيف ليّنٌ، ولكن حدّه خشنٌ، ومتن الحيَّة ألين، ونابها أخشن.

عقد المنن في الرِّقاب لا يُبلغ إلاّ بركوب الصعاب.

بعض الحلم مذلَّة، وبعض الإستقامة مزلّة.

كتاب المرء عنوان عقله، بل عيار قدره، ولسان فضله، بل ميزان علمه.

إنجاز الوعد من دلائل المجد، وإعتراض المطلّ من إمارات البخل، وتأخير الإسعاف من قرائن الاخلاف.

خير البرِّ ما صفا وضفا، وشرُّه ما تأخَّر وتكدَّر.

فراسة الكريم لا تبطيء؛ وقيافة الشرِّ لا تخطيء.

قد ينبح الكلب القمر ،فليلقم النابح الحجر.

كم متورّط في عثار رجاء أن يُدرك بثار.

بعض الوعد كنقع الشراب، وبعضه كلمع السراب.

قد يبلغ الكلام حيث تقصر السّهام.

ربما كان الإقرار بالقصور أنطق من لسان الشكور.

ربما كان الإمساك عن الإطالة أوضح في الإبانة والدلالة.

لكلِّ امرىءٍ أمل، ولكلِّ وقت عمل.

إن نفع القول الجميل، وإلاّ نفع السيف الصقيل.

شجاع ولا كعمرو، مندوبٌ ولا كصخر.

لا يذهبنَّ عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والبغاث.

كفران النعم عنوان النقم.

جحد الصنائع داعية القوارع.

تلقّي الإحسان بالجحود تعريض النعم للشرود.

قد يقوى الضعيف، ويصحو النزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد.

للصدر نفثةٌ إذا أحرج، وللمرء بثّةٌ إذا أحوج.

ما كلّ امرء يستجيب للمراد، ويُطيع يد الإرتياد.

قد يُصلّي البريء بالقسيم، ويُؤخذ البّر بالأثيم.

ما كلُّ طالب حقٍّ يُعطاه، ولا كلُّ شائم مزن يسقاه.

وقد أكثر الثعالبي في ذكر أمثال هذه الكلم الحكميَّة في « يتيمة الدَّهر » وذكرها برمَّتها سيِّدنا الأمين في « أعيان الشيعة ».

هذا مثال الشيعة وهذه أمثلته، هذا وزير الشيعة وهذه حِكَمه، هذا فقيه الشيعة وهذا أدبه، هذا علم الشيعة وهذه كلمه، هذا متكلّم الشيعة وهذا مقاله، هؤلاء رجال الشيعة وهذه مآثرهم وآثارهم، هكذا فليكن شيعة آل الله وإلاّ فلا.

وفـــاتـــه :

توفّي الصاحب ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ٣٨٥ بالري ولمّا توفّي عُطلت المدينة وأسواقها، واجتمع الناس على باب قصره، ينتظرون خروج جنازته، وحضر فخر الدولة وسائر القوّاد، وقد غيَّروا بزّاتهم، فلما خرج نعشه من الباب على أكتاف حامليه للصَّلاة عليه قام الناس بأجمعهم إعظاماً، وصاحوا صيحةً واحدةً، وقبَّلوا الأرض، وخـرقوا ثيـابهم، ولطمـوا وجوههم، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم، وصلّى عليـه أبو العبّـاس الضبّي، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة وقعد في بيته للعزاء أيّاماً، وبعد الصَّلاة عليه عُلق نعشه بالسلاسل في بيت إلى أن نُقل إلى إصفهان فدفن في قبَّة هناك تُعرف بباب

درية[١] قال إبن خلكان: وهي عامرةٌ إلى الآن واولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض. وقال السيِّد في « روضات الجنات » قلت: بل وهي عامرةٌ إلى الآن، وكان أصابها تشعّثٌ وانهدام فأمر الإمام العلاّمة محمَّد إبراهيم الكرباسي في هذه الأيّام بتجديد عمارتها، ولا يدع زيارتها مع ما به من العجز في الأسبوع والشهر والشهرين، وتُدعى في زماننا بباب الطوقچي والميدان العتيق، والناس يتبرَّكون بزيارته، ويطلبون عند قبره الحوائج من الله تعالى.

قال الثعالبي في « اليتيمة »: لما كنّى المنجِّمون عما يعرض عليه له في سنة موته قال الصاحب:

يا مالك الأرواح والأجسامِ ... وخالق النّجوم والأحكامِ
مدبر الضياء والظلامِ ... لا المشتري أرجوه للانعامِ
ولا أخاف الضرَّ من بهرامِ ... وإنَّما النجوم كالأعلامِ
والعلم عند الملِك العلاّمِ ... يا ربُّ فاحفظني من الأسقامِ
ووقِّني حوادث الأيّامِ ... وهجنة الأوزار والآثامِ
هبني لحبِّ المصطفى المِعتامِ ... وصنوه وآله الكرامِ

ورُثي الصاحب بقصائد كثيرة منها نونيَّة أبي منصور أحمد بن محمَّد اللجيمي منها[٢]:

أكافينا العظيم إذا وردنا ... ومولانا الجسيم إذا فقدنا
أردنا منك ما أبت الليالي ... فأبطل ما أرادت ما أردنا
شققتُ عليك جيبي غير راضٍ ... به لك فاتَّخذتُ الوجد خدنا
ولو أنّي قتلتُ عليك نفسي ... لكان إلى قضاء الحقِّ أدنى
أفِدنا شرح أمرٍ فيه لبسٌ ... فإنّا طالما كنّا استفدنا
ألم تك منصفاً عدلاًّ؟ فأنّى ... عمرت حفيرةً وقلبت مدنا

---

(١) بفتح الدال المهملة وكسر الراء كذا ضبطها السيد في أعيان الشيعة، وتجدها في « اليتيمة » وغيرها بالذال المعجمة كما يأتي بعيد هذا في شعر أبي منصور اللجيمي.

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٧٥.

وكيف تركت هذا الخلق حالت خلائقهم فليس كما عهدنا؟!
تملّكنا اللئام وصيَّرونا عبيداً بعدما كنّا عُبدنا
لئن بلغت رزيَّته قلوباً فذبن أو أعيناً منّا فجدنا
لمَا بلغت حقائقها ولكن على الأيّام نعرف مَن فقدنا

وله في رثائه من قصيدة[1]:

مضى مَن إذا ما أعوز العلم والندى أُصيبا جميعاً من يديه وفيهِ
مضى من إذا أُفكرتُ في الخلق كلّهم رجعتُ ولم أظفر له بشبيهِ
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرةٍ ليأنس كلٌّ منهما بأخيهِ
هما اصطحبا حيّين ثمَّ تعانقا ضجيعين في قبرٍ بباب ذريهِ

قد يُعزى بعض هذه الأبيات إلى أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني مع حكاية طيفٍ عنه.

ومنها نونيَّة أبي القاسم بي أبي العلاء الإصفهاني ذكر منها الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ٣ ص ٢٦٣ قوله:

يا كافيَ الملك ما وفيتُ حظّك من وصف وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فقت الصفات فما يرثيك من أحد إلّا وتزيينه إيّاك تهجينُ
ما متَّ وحدك لكن مات من ولدت حوّاء طرّاً بل الدنيا بل الدينُ
هذي نواعي العلا مذمتَّ نادبةً من بعد ما ندبتك الخرَّدُ العينُ
تبكي عليك العطايا والصِّلات كما تبكي عليك الرَّعايا والسلاطينُ
قام السّعاة وكان الخوف أقعدهم فاستيقظوا بعد ما متَّ الملاعينُ
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحلَّ الشياطينُ

ومنها داليَّة أبي الفرج بن ميسرة ذكر منها الثعالبي في [اليتيمة] ج ٣ ص ٢٥٤ قوله:

ولو قَبِل الفداء لكان يُفدى وإن جلَّ المصابُ على التفادي

---

(١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٧٥.

ولكنَّ المنون لها عيونٌ تكدّ لحاظها في الإنتقادِ
فقال للدَّهر: أنت أُصبت فالبس برغمك دوننا ثوبي حدادِ
إذا قدَّمت خاتمة الرَّزايا فقد عرَّضت سوقك للكسادِ

ومنها داليَّةٌ لأبي سعيد الرستمي ذكر الثعالبي منها قوله:

أبعد ابن عبّاس يهشُّ إلى السّرى أخو أمل أو يُستماح جوادُ؟!
أبى الله إلاّ أن يموتا بموته فما لهما حتَّى المعاد معادُ

ومنها لاميَّة أبي الفيّاض سعيد بن أحمد الطبري ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٢٥٤ :

خليلي كيف يقيلك المقيلُ؟ ودهرك لا يقيل ولا يقيلُ
يُنادي كلّ يوم في بنيه : ألا هبّوا فقد جدَّ الرَّحيلُ
وهم رجلان منتظرٌ غفولٌ ومبتدرٌ إذا يُدعى عجولُ
كأنَّ مثال مَن يفنى ويبقى رعيلٌ سوف يتلوه رعيلُ
فهم ركبٌ وليس لهم ركابٌ وهم سفرٌ وليس لهم قفولُ
تدور عليهمُ كأس المنايا كما دارت على الشرب الشمولُ
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقدمهم دليلُ
ألم تر مَن مضى مِن أوَّلينا وغالتهم من الأيّام غولُ
قد احتالوا فما دفع الحويلُ وأعولنا فما نفع العويلُ؟!؟!
كذاك الدّهر أعمارٌ تزول وأحوالٌ تحول ولا تؤولُ
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسولٌ لا يُصاب لديه سولُ
وقد وضح السبيل فما لخلق إلى تبديله أبداً سبيلُ
لعمرك إنَّه أمدٌ قصيرٌ ولكن دونه أمدٌ طويلُ
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى وَلهٍ يهولُ
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأنَّ شعاعها طرفٌ كليلُ
أرى القمر المنير بدا ضئيلاً بلا نور فأضناه النُّحولُ
أرى زهر النجوم محدّقات كأنَّ سراتها عورٌ وحولُ

أرى وجه الزّمان وكلّ وجهٍ ... به ممّا يكابده فلولُ
أرى شُمّ الجبال لها وجيبٌ ... تكاد تذوب منه أو تزولُ
وهذا الجوُّ أكلفُ مقشعرٌّ ... كأنَّ الجوّ من كمد عليلُ
وهذي الرّيح أطيبها سمومٌ ... إذا هبَّت وأعذبها بليلُ
وللسحب الغزار بكلّ فجٍّ ... دموع لا يُزار بها المحولُ
نعى الناعي إلى الدنيا فتاها ... أمين الله فالدنيا ثكولُ
نعى كافي الكفاة فكلُّ حرٍّ ... عزيزٍ بعد مصرعه ذليلُ
نعى كهف العفاة فكلُّ عين ... بما تقذي العيون به كحيلُ
كأنَّ نسيم تربته سحيراً ... نسيم الروض تقبله القبولُ
إذا وافى انوف الرّكب قالوا ... : سحيق المسك أم تربٌ مهيلُ؟!
أيا قمر المكارم والمعالي ... أبن لي كيف عاجلك الأُفولُ؟!
أبن لي كيف هالك ما يهول ... وغالك بعد عزّك ما يغولُ؟!؟!
ويا مَن ساس أشتات البرايا ... وألجم من يقول ومَن يصولُ
أدلت على الليالي من شكاها ... وقد جارت عليك فمن يُديلُ
بكاك الدين والدنيا جميعاً ... وأهلهما كما يبكي الحمولُ
بكتك البيض والسّمر المواضي ... وكنت تعولها فيمن تعولُ
بكتك الخيل معولةً ولكن ... بُكاها حين تندبك الصهيلُ
قلوب العالمين عليك قلبٌ ... وحظّك من بكائهمُ قليلُ
ولي قلبٌ لصاحبه وفيٌّ ... يسيل وتحته روحٌ تسيلُ
إذا نظمت يدي في الطرس بيتاً ... محاهُ منه منتظمٌ هطولُ
فإن يك ركّ شعري من ذهولي ... فذلك بعض ما يجني الذهولُ
كتبت بما بكيت لأنَّ دمعي ... عليك الدّهر فيّاض همولُ
وكنت أعدّ من روحي فداءً ... لروحك إن أُريد لها بديلُ
أأحيا بعده وأقرّ عيناً ... حياتي بعده هدرٌ غلولُ
حياتي بعده موتٌ وَحِيٌّ ... وعيشي بعده سمٌّ قتولُ
عليك صلاة ربّك كلّ حين ... تهبُّ بها من الخلد القبولُ

ومنها ميميَّة أبي القاسم غانم بن محمَّد بن أبي العلا الإصبهاني يقول فيها: (١)

مضى نجل عبّاد المرتجى فمات جميعُ بني آدمِ
أُواري بقبرك أهل الزمان فيرجح قبرك بالعالمِ

وله من قصيدة اخرى في رثاء الصاحب يقول فيها:

هي نفسٌ فرَّقتها زفراتي ودماءٌ أرقتها عبراتي
لشباب عذب المشارع ماضٍ ومشيب جذب المراتع آتِ
زمنٌ أذرت الجفون عليه من شؤوني ما كان ذوب حياتي
تتلاقى من ذكره في ضلوعي ودموعي مصائفٌ ومشاتي
جاد تلك العهود كلّ أجش الـ ـودق ثرّ الاخلاف جون السراتِ
بل ندى الصاحب الجليل أبي القا سم نجل الأمير كافي الكفاةِ
تتبارى كلتا يديه عطايا ومنايا حتماً لعافٍ وعاتِ
ضامناً سيبه لغنم مفادٍ مؤذناً سيفه بروح مفاتِ
وارتياحٌ يريك في كلِّ عطفٍ ألف ألف كطلحة الطلحاتِ
ويدٌ لا تزال تحت شكور لاثم ظهرها وفوق دواةِ

ومنها تائيَّةٌ رثاه بها صهره السيِّد أبو الحسن عليُّ بن الحسين الحسني أوَّلها(٢).

ألا إنَّها أيدي المكارم شلّتِ ونفس المعالي إثر فقدك سلّتِ
حرامٌ على الظلماء إن هي قوّضت وحجرٌ على شمس الضحى أن تجلّتِ (٣)
لتبك على كافي الكفاة مآثرٌ تباهي النجوم الزهر في حيث حلّتِ
لقد فدحت فيه الرزايا وأوجعت كما عظمت منه العطايا وجلّتِ
ألا هل أتى الآفاق آية غمَّة أطلّت؟! ونعمى أيِّ دهرٍ تولَّتِ؟!
وهل تعلم الغبراء ماذا تضمَّنت وأعواد ذاك النعش ماذا أقلّتِ؟!؟!

---

(١) تتميم يتيمة الدهر ج ١ ص ١٢٠.

(٢) ذكرها له الحموي في معجم الادباء والسيد في (الدرجات الرفيعة)

(٣) الحجر: المنع.

فلا أبصرت عيني تهلل بارقٍ يُحاكي ندى كفَّيك إلّا استهلّتِ
ولو قبلت أرواحنا عنك فديةً لجدنا بها عند الفداء وقلّتِ

وقال السيِّد أبو الحسن محمَّد بن الحسين الحسني المعروف بالوصيِّ الهمداني المترجَم في يتيمة الدهر في رثائه:

مات الموالي والمحبّ لأهل بيت أبي ترابِ
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع التّرابِ[1]

وله في رثائه:

نوم العيون على الجفون حرامُ ودموعهنّ مع الدماء سجامُ
تبكي الوزير سليل عبّاد العلا والدين والقرآن والإسلامُ
تبكيه مكّة والمشاعر كلّها وحجيجها والنسك والإحرامُ
تبكيه طيبة والرّسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلامُ
كافي الكفاة قضى حميداً نحبه ذاك الإمام السيِّد الضرغامُ
مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلامُ

ورثاه سيِّدنا الشريف الرضي [الآتي ذكره في شعراء القرن الخامس] بقصيدة شرحها أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢ في مجلّد واحد كما ذكره الحموي في « معجم الادباء » ج ٥ ص ٣١؛ ولنشر القصيدة في ديوان ناظمه الشريف وفي غير واحد من المعاجم نضرب عنها صفحاً أوّلها:

أكذا المنون يُقطّر الأبطالا؟! أكذا الزّمان يُضعضع الأجيالا؟!
أكذا تُصاب الاسد وهي مُدلّةٌ تحمي الشبول وتمنع الأغيالا؟!
أكذا تُقام على الفرائس بعدما ملأت هماهمها الورى أوجالا؟!
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلى مِن بعد ما شأت العيون منالا؟!

[القصيدة ١١٢ بيتاً]

ومرَّ أبو العبّاس الضبّي بباب الصاحب بعد وفاته فقال:

---

(١) ذكرهما له في ترجمته الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٢٦٠.

أيّها الباب لم عـلاك اكتئـابٌ؟! أين ذاك الحجـابُ والحُجّابُ؟!
أين مَن كان يفزع الـدهر منـه؟! فهـو اليـوم في التـراب تـرابُ

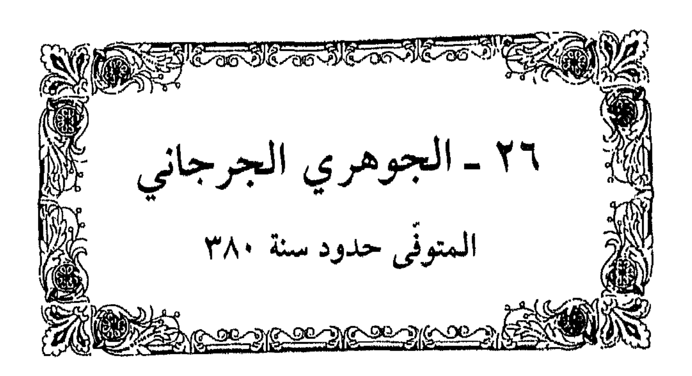
لا يذهب على القارىء أنَّ استدلال مثل الصاحب أحد عمد مراجع اللغة والأدب على أفضليَّة امير المؤمنين نظماً ونثراً بحديث الغدير » حجَّةٌ قويَّةٌ على صحَّة إرادة معنى للمولى لا يُبارح الإمامة والخلافة كما أراد هو.

مصادر ترجمة الصاحب:

يتيمة الدهر ج٣ ص ١٦٩ ـ ٢٦٧	فهرست ابن النديم ص ١٩٤
أنساب السمعاني . معالم العلماء	محاسن إصبهان للمافرّ وخي الأصبهاني
نزهة الألبّاء في طبقات الادباء	كامل إبن الأثير ج ٩ ص ٣٧
معجم الادباء ج ٦ ص ١٦٨ ـ ٣١٧	المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١٧٩
تجارب السلف لابن سنجر ص ٢٤٣	تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٧٨
مرآة الجنان لليافعي ج ٢ ص ٤٤١	تاريخ إبن كثير ج ١١ ص ٣١٤
شرح دراية الحديث للشهيد	نهاية الأرب ج ٣ ص ١٠٨
شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٣	معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٦٢
بغية الوعاة للسيوطي ص ١٩٦	مجالس المؤمنين للقاضي ص ٣٢٤
بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٦٤ ـ ٧	الدرجات الرفيعة للسيِّد علي خان
أمل الآمل لشيخنا الحرّ العاملي	لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٤١٣
تكملة الأمل للشيخ عبد النبي الكاظمي	منتهى المقال لأبي علي ص ٥٦
روضات الجنّات	تنقيح المقال لشيخنا المامقاني ج ١ ص ١٣٥
أعيان الشيعة ج ١٢ في ٢٤٠ صحيفة	سفينة البحار للقمي ج ٢ ص ١٣
الكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٧١	الطليعة في شعراء الشيعة ج ١

قال الحموي في « معجم البلدان » ج ٦ ص ٨: ذكرتُ أخباره مستقصاةً في أخبار مردويه.

ولأبي حيّان التوحيدي المتوفّى سنة ٣٨٠ رسالةُ [مثالب الوزيرين] ألّفها في تعيير المترجَم الصاحب وأبي الفضل إبن العميد نُشرت في [الإمتاع والمؤانسة] ج ١ ص ٥٣ ـ ٦٧ وقد سلب عنهما ما لهما من المآثر والفضائل، وبالغ في التعصّب عليهما، وجاء بأمر خداج، وأتى بمنكر من قول وزور، وفاحشة مبيّنة، وما أنصف وما أبرّ بإجماع المؤرِّخين، ولهتيكته هذه أسبابٌ تجد ذكرها في أعيان الشيعة وغيره.



٢٦ ـ الجوهري الجرجاني

المتوفى حدود سنة ٣٨٠

أما أخذتُ عليكم إذ نزلت بكم « غدير خمّ » عقوداً بعد أيمانِ؟!
وقد جذبتُ بضبعي خير من وطىء البطحاء من مضر العليا وعدنانِ
وقلتُ والله يأبى أن أُقصِّر أو أعف المسالة عن شرحٍ وتبيانِ
: هذا عليّ مولى من بُعثت له مولى وطابق سرّي فيه اعلاني
هذا ابن عمي ووالي منبري وأخي ووارثي دون أصحابي وإخواني
محلُّ هذا إذا قايست من بدني محلّ هارون من موسى بن عمرانِ[1]

وله في « المناقب » لابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٠٣ قوله:

و« غدير خمّ » ليس ينكر فضله إلاّ زنيمٌ فاجرٌ كفّارُ
مَن ذا عليه الشمس بعد مغيبها ردّت ببابل؟ فاستبن يا حارُ
وعليه قد رُدَّت ليوم المصطفى يوماً وفي هذا جرت أخبارُ
حاز الفضائل والمناقب كلّها أنّى تُحيط بمدحه الأشعارُ؟!

(الشاعر)

أبو الحسن عليُّ بن أحمد الجرجاني ويُعرف بالجوهري كما ذكر ذلك في غير مورد من شعره، مقياسٌ من مقاييس الأدب، وأحد أعضاد العربيّة، ومن المفلقين في صياغة القريض، كان من صنائع الوزير الصاحب ابن عبّاد وندمائه

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣٢ طبع ايران، والصراط المستقيم للبياضي العاملي.

وشعرائه، تعاطى صناعة الشعر في ريعان من عمره واوليات أمره، وكان يرمي إلى المغازي البعيدة بلفظ قريب، وترتيب سهل، وكان في إعطاء المحاسن إيّاه زمامها كما قيل:

جَذَعٌ يبنُّ على المذاكي القُرَّح[١].

وكان الصاحب يعجب به أشدَّ الاعجاب، ويروقه مستحسن شعره المجانس لحسن روائه، ومناسبة روحه وشمائله خفَّةً وظرفاً؛ وقد اصطنعه لنفسه واختاره للسفارة بينه وبين العمّال والامراء، فكان يُمثِّله في رسالاته أحسن تمثيل، فيملأ العيون جمالاً، والقلوب كمالاً، وقد أطراه أبلغ إطراء فيما كتبه إلى أبي العبّاس الضبّي [أحد شعراء الغدير] بإصبهان واستحثّه على إكرامه وجلب مراضيه والكتاب مذكور في « اليتيمة » ج ٤ ص ٢٦ وها نحن نأخذ منه لبابه قال: فإن يقل مولاي: مَن ذا الذي هذا خَطبه وهذه خُطّته؟! أقُل: مَن فضله برهان حقٍّ، وشعره لسان صدقٍ، ومن أطبق أهل جلدته على أنَّه معجزة بلدته فلا يُعدُّ لجرجان بعيداً ولا قريباً، أو لأُختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله، ومن أخذ برقاب النظم أخذه، وملك رقَّ القوافي ملكه، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره، وقبل أن تحدثه الآداب، وقبل جري المذكيات غلاب ـ أبو الحسن الجوهري ـ أيّده الله، وبناؤه منذ حين وخصوصه بي كالصبح المبين، إلاّ أنَّ لمشاهدة الحاضر ومعاينة الناظر، مزيَّةٌ لا يستقصيها الخبر، وإن امتدَّ نفسه وطال عنانه ومرسه، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بينها، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها نفاذاً في أدب الخدمة، ومعرفةً بحقِّ الندام والعشرة، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة، إنصاتاً للمتبوع إلاّ إذا وجب القول، وإعظاماً للمخدوم إلاّ إذا خرج الأمر، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة، وحديثاً يسكت به العناد، ويطاول البلابل، فإن اتّفق أن يفسح له الفارسيَّة نظماً ونثراً طفح آذيّه، وسال آتيّه، فألسنة أهل مصره إلاّ الأفراد بروقٌ إذا وطئوا أعقاب العجم

---

(١) الجذع بالحركتين: صغير البهائم والشاب الحديث: بين من أبن بالمكان: أقام به وثبت ولزم. المذاكي ج المذكي: من الخيل ما تم صنة وكملت قوته. القرح ج القارح هو من ذي الحافر الذي شق نابه وطلع.

وقيودٌ إذا تعاطوا لغات العرب، حتّى أنَّ الأديب منهم المقدّم والعليم المسوّم يتلعثم إذا حاضر بمنطقه كأنّه لم يدر من عدنان، ولم يسمع من قحطان، ومن فضول أخينا أو فضله انَّه يدَّعي الكتابة، ويُدارس البلاغة، ويُمارس الإنشاء، ويهذي فيه ماشاء، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمَّد بن إبراهيم فوفَّق التوفيق كلّه صيانةً لنفسه، وأمانةً في ودائع لسانه ويده، واظهاراً لنسك لم أعهده في مسكه، حتّى خرج وسلم على نقده، وانَّ نقده لشديدٌ لمثله، ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي، فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه إمّا بين يديَّ، أو بأقرب المجالس لديَّ، ولا يقولنَّ: هذا أديب وشاعرٌ، أو وافدٌ وزائرٌ، بل يحسبه قد تخفّف بين يديه أعواماً واحقاباً، وقضى في التصرُّف لديه صباً وشباباً، وهذا إنَّما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزّه، ولم يظهر طرزه، وإلاّ فسيكون بعدُ شفيع من سواه، ووسيط من عداه؛ فهناك يحمد الله درقه وحدقه، وجنة مطرفة، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها ورفارفها وحواشيها فليملأ مولاي عينه من منتزهات إصبهان، فعسى طماحه أن يخفَّ وجماحه أن يقلَّ.

والثعالبي لم يئل جهداً في الثناء عليه وقال: عهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وذكر نبذاً راقية من شعره في مجلّدات « اليتيمة »، وترجمه صاحب « رياض العلماء » ووصف فضله وشعره، ومن قوله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

وجدي بكوفان ما وجدي بكوفانِ ... تهمي عليه ضلوعي قبل أجفاني
أرضٌ إذا نفخت ريح العراق بها ... أتت بشاشتها أقصى خراسانِ
ومن قتيلٍ بأعلى كربلاء على جهـ ... ـد الصّدى فتراه غير صديانِ
وذي صفائح يستسقى البقيع به ... ريَّ الجوانح من رَوْحٍ ورضوانِ
هـذا قسيم رسـول الله من ادم ... قدّا معاً مثل ما قدَّ الشراكانِ
وذاك سبطا رسول الله جدّهما ... وجه الهدى وهما في الوجه عينانِ
واخجلتا من أبيهم يوم يشهدهم ... مضرَّجين نشاوى من دمٍ قانِ
يقول: يا امَّةً حفَّ الضلال بها ... واستبدلت للعمى كفراً بايمانِ

مـاذا جنيتُ عليكم إذ أتيتكمُ ... بخير ما جاء من آيٍ وفرقانِ؟!
ألم أجركم وأنتم في ضلالتكمُ ... على شفا حفرةٍ من حرِّ نيرانِ؟!
ألم اؤلِّف قلوباً منكمُ فِرقاً ... مشارةً بين أحقادٍ وأضغانِ؟!
أما تركت كتاب الله بينكمُ ... وآية العزِّ في جمعٍ وقرآنِ؟!
ألم أكن فيكمُ غوثاً لمضطهد؟! ... ألم أكن فيكمُ ماءً لظمآنِ؟!
قتلتموا ولدي صبراً على ظمأٍ ... هذا وترجون عند الحوض إحساني
سبيتمُ ثكلتكم امَّهاتكمُ ... بني البتول وهم لحمي وجثماني
مزَّقتمُ ونكثتم عهد والدهم ... وقد قطعتم بذاك النكث أقراني
يا رب خُذلي منهم إذ همُ ظلموا ... كرام رهطي وراموا هدمَ بنياني
ماذا تجيبون والزَّهراء خصمكمُ ... والحاكم الله للمظلوم والجاني؟!
أهل الكساء صلاة الله ما نزلت ... عليكم الدهر مِن مثنى ووُحدانِ
أنتم نجوم بني حوّاء ما طلعت ... شمس النهار وما لاح السّماكانِ
ما زلتُ منكم على شوقٍ يُهيِّجني ... والدَّهر يأمرني فيه وينهاني
حتّى أتيتك والتوحيد راحلتي ... والعدل زادي وتقوى الله امكاني
هذي حقائق لفظٍ كلّما برقت ... ردَّت بلألئها أبصار عميان
هي الحلى لبني طه وعترتهم ... هي الرَّدى لبني حربٍ ومروانِ
هي الجواهر جاء [الجوهريُّ] بها ... محبَّةً لكمُ من أرض جُرجانِ

وله قصيدة يرثي بها الإمام الشهيد قتيل الطفّ عليه السّلام في يوم عاشوراء ذكرها له الخوارزمي في مقتله، وإبن شهراشوب في مناقبه، والعلاّمة المجلسي في المجلّد العاشر من البحار:

يا أهل عاشور يا لهفي على الدينِ ... خذوا حدادكمُ يا آل ياسين
اليوم شقّق جيب الدين وانتهبت ... بنات أحمد نهب الرّوم والصين
اليوم قام بأعلى الطفّ نادبهم ... يقول: مَن ليتيمٍ أو لمسكينٍ؟!
اليوم خضّب جيب المصطفى بدمٍ ... أمسى عبير نحور الحور العين
اليوم خرَّ نجوم الفخر من مضر ... على مناخر تذليلٍ وتوهين

اليوم اطفيء نور الله متقداً وجرّرت لهم التقوى على الطينِ
اليوم هُتِّك أسباب الهدى مزقاً وبرقعت غرَّة الإسلام بالهونِ
اليوم زعزع قدسٌ من جوانبه وطاح بالخيل ساحات الميادينِ
اليوم نال بنو حربٍ طوائلها مما صلوه ببدرٍ ثمَّ صفّين
اليوم جُدِّل سبط المصطفى شرقاً من نفسه بنجيعٍ غير مسنونِ
زادوا عليه بحبس الماء غلته تبّاً لرأي فريقٍ منه مغبونِ
نالوا أزمَّة دنياهم ببغيهمُ فليتهم سمحوا منها بماعونِ
حتّى يصيحَ بقنَّسرين[1] راهبها : يا فرقة الغيِّ يا حزب الشياطينِ
أتهزؤن برأس بات منتصباً على القناة بدين الله يوصيني؟!
آمنتُ ويحكمُ بالله مهتدياً وبالنبيِّ وحبُّ المرتضى ديني
فجدَّلوه صريعاً فوق جبهته وقسَّموه بأطراف السكاكينِ
وأوقروا صهوات الخيل من إحنٍ على اساراهمُ فعل الفراعينِ
مصعَّدين على أقتاب أرحلهم محمولةً بين مضروب ومطعونِ
أطفال فاطمة الزهراء قد فُطموا من الشديِّ بأنياب الثعابينِ
يا امَّةً ولي الشيطان رايتها ومكّن الغيُّ منها كلَّ تمكينِ
ما المرتضى وبنوه مِن معاوية ولا الفواطم من هند وميسونِ
آل الرسول عباديد السيوف فمـ ـن هامٍ على وجهه خوفاً ومسجونِ
يا عين لا تدَّعي شيئاً لغاديةٍ تهمي ولا تدَّعي دمعاً لمحزونِ
قومي على جدث بالطفِّ فانتقضي بكلِّ لؤلؤ دمع فيكِ مكنونِ
يا آل أحمد إنَّ « الجوهريَّ » لكم سيف يقطِّع عنكم كلَّ موصونِ

وذكر له الثعالبي كثيراً من شعره في « اليتيمة » ج ٤ ص ٢٩ ـ ٤١ ومما ذكر له من قصيدة في شريف حسنيٍّ قوله:

لا عتب إن بذلت عيني بما أجدُ فقد بكى ليَ عوّادي لما عهدوا
لو أنَّ لي جسداً يقوى لطفت به على العزاء ولكن ليس لي جسدُ

---

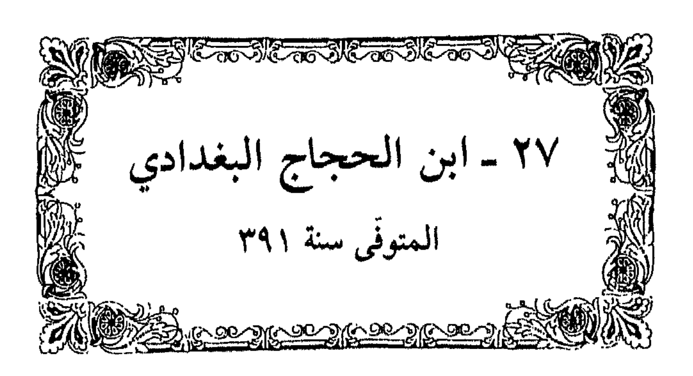
(١) قنسرين بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده: مدينة بينها وبين حلب مرحلة.

تبعتهم بـذمـاء كـان يمسكـه تـعلّلٌ بـخيـالٍ كـلّمـا بعـدوا
يـا ليلة غمضت عنّي كـواكبهـا تـرفّقي بجفـونٍ غمضهـا رمـدُ
أهوى الصّباح ومالي فيه منتصفٌ من الـظلام ولكن طـالمـا أجـدُ
لو أنَّ لي أمداً في الشـوق أبلغه صبرت عنك ولكن ليس لي أمدُ
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي وهل سمعت ببالٍ دمعـه جلدُ؟
تذوب نار فؤادي في الهوى برداً وهـل سمعت بنارٍ ذوبهـا بـردُ؟!
قالوا: ألفت رُباجيّ[1] فقلت لهم: الحبُّ أهـلٌ وإدراك المنى ولـدُ
أنـدى محـاسن جَـيٍّ انّـه بلدٌ طلق النـهـار ولكـن ليله نكـدُ
إذا استحبّ بـلادٌ للمعـاش بهـا فحيثمـا نعمت حـالي بـه بلدُ
وللمكـارم قـومٌ لا خفـاء بهم هم يُعرفون بسيمـاهم إذا شهدوا
لله معشـر صـدقٍ كلّمـا تُليت على الورى سورةٌ من مجدهم سجدوا
ذرِّيّـةٌ أبـهـرت طـه بجـدِّهـمُ وهـل أتى بـأبيهم حين ننتقدُ؟!
وإن تُصنّـع شعـرٌ في ذوي كـرم يا بن النبيِّ فشعري فيك مقتصدُ
أصبت فيك رشادي غيـر مجتهدٍ وليس كـلّ مصيب فيـك مجتهـدُ
بسطت عرض فناء الدهر مكرمـةً طـرائق الحمد في حـافاتهـا قِدَدُ

توفّي المترجَم بجرجان بعـد سنـة ٣٧٧ وقبـل سنـة ٣٨٥ فقـد بعثـه الصاحب بن عبّاد رسولاً إلى الأمير أبي الحسن ناصر الدولة سنة ٣٧٧ ووجهه بعـدها إلى أبي العبّـاس الضبي إلى إصفهان، ولمّـا انقلب من إصبهـان إلى جرجان لم تطل به الأيّام حتى أصبح مقبوراً كما ذكره الثعالبي، فوفاة المترجم في حياة الصاحب المتوفّى سنة ٣٨٥ تستدعي وقوعها بين التاريخين حدود سنة ٣٨٠.

---

(١) جى بالفتح ثم التشديد: مدينة بينها وبين اصبهان نحو ميلين، قال ياقوت في المعجم وتسمى الآن عند العجم: شهرستان وعند المحدثين: المدينة.



٢٧ ـ ابن الحجاج البغدادي

المتوفى سنة ٣٩١

يا صاحب القبة البيضاء في النجفِ   مَن زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبـا الحسن الهادي لعلّكمُ   تحظون بالأجـر والإقبال والـزُّلفِ
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن   يـزره بالقبـر ملهوفـاً لـديـه كُفي
إذا وصلتَ فـأحـرم قبـل تـدخله   ملبياً واسعُ سعياً حـولـه وطفِ
حتّى إذا طفتَ سبعـاً حول قبّتـه   تـأمّـل البـاب تلقـا وجهـه فقفِ
وقل: سلامٌ من الله السّلام على   أهل السّلام وأهل العلم والشرفِ
إنّي أتيتـك يـا مـولاي من بلدي   مُستمسكاً مِن حبال الحقّ بالطرفِ
راجٍ بـأنّك يـا مولاي تشفـع لي   وتسقني من رحيقٍ شـافيَ اللّهفِ
لأنّك العروة الوثقى فمن علقت   بهـا يـداه فلن يشقى ولم يخفِ
وإنّ أسماءك الحسنى إذا تُليت   على مريض شُفي من سقمه الدَّنفِ
لأنّ شـأنـك شـأنٌ غيـر مُنتقصٍ   وانّ نـورك نـورٌ غيـر مُنكسفِ
وإنّك الآية الكبـرى التي ظهرتْ   للعـارفين بـأنـواع من الـطرفِ
هـذي مـلائكـة الـرَّحمن دائمـة   يهبطن نحوك بـالألطاف والتّحفِ
كالسطل والجام والمنديل جاء به   جبـريـل لا أحـدٌ فيـه بمختلفِ
كـان النبيُّ إذا استكفـاك معضلة   من الامور وقد أعيت لـديه كفي
وقصّـة الطائـر المشويّ عن أنس   تخبر بما نصّه المختار من شرفِ
والحب والقضب والزيتون حين أتوا   تكرُّماً من آله العرش ذي اللطف

والخيل راكعة في النقع ساجدة — والمشرفيّات قد ضجّت على الحجفِ[1]
بعثت أغصان بانٍ في جموعهمُ — فأصبحوا كرمادٍ غير منتسفِ
لو شئتَ مسخهم في دورهم مُسخوا — أو شئت قلت لهم: يا أرض انخسفي
والموت طوعك والأرواح تملكها — وقد حكمتَ فلم تظلم ولم تجفِ
لا قدّس الله قوماً قال قائلهم: — بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرفِ
وبايعوك «بخمٍّ» ثمَّ أكّدها — «محمّدٌ» بمقالٍ منه غير خفي
عاقوك واطرحوا قول النبيِّ ولم — يمنعهمُ قوله: هذا أخي خلفي
هذا وليّكمُ بعدي فمن علقت — به يداه فلن يخشى ولم يخفِ

القصيدة تناهز ٦٤ بيتاً ولها قصّةٌ تأتي في الترجمة إن شاء الله. وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة إبن سكرة[2] المتحامل بها على آل الله وشاعرهم إبن الحجّاج المترجَم، أخذناها من ديوانه المخطوط سنة ٦٢٠ بقلم عمر بن إسماعيل بن أحمد الموصلي أوّلها:

لا أكذب الله إنَّ الصِّدق يُنجيني — يد الأمير بحمد الله تُحييني

إلى أن قال:

فما وجدتَ شفاء تستفيد به — إلّا ابتغاءك تهجو آل ياسين
كافاك ربّك إذ أجرتك قدرته — بسبِّ أهل العلا الغرِّ الميامين
فقرٌ وكفرٌ هميعٌ[3] أنت بينهما — حتّى الممات بلا دنيا ولا دين
فكان قولك في الزّهراء فاطمة — قول امرىءٍ لهج بالنصب مفتون
عيّرتها بالرّحا والزاد تطحنه — لا زال زادك حبّاً غير مطحون
وقلت: إنَّ رسول الله زوّجها — مسكينة بنت مسكين لمسكين

(١) الحجف محركة: التروس من جلود بلا خشب ولا عقب. والصدور. واحدتها: الحجفة.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي من ولد علي بن المهدي العباسي له ديوان شعر يربو على خمسين ألف بيت توفي سنة ٣٨٥.

(٣) أي لا تزال باكياً.

كذبتَ يا بن التي باب إستها سلس الأ غـلاق بالليـل مفكـوك الـزرافينِ[1]
ستُّ النساء غداً في الحشر يخدمها أهــل الجنـان بحــور الخـرَّد العينِ
فقلتَ : إنَّ أمـيـر المـؤمنين بـغى عـلى معــاويــةٍ فـي يــوم صفِّـيـنِ
وإنَّ قتــل الحسين السبط قــام بــه في اللّه عــزم إمـام غيــر مـوهــونِ
فـلا ابنُ مـرجـانـةٍ فيـه بمحتقب[2] إثم المـسيء ولا شـمــرٌ بـملعــونِ
وإنَّ أجــر ابن سعـدٍ في استبـاحـة آل الـنبـوَّة أجــرٌ غـيــر مـمـنــونِ
هــذا وعُـدت إلى عثمــان تنـدبــه بكـلِّ شعـر ضعيف اللفظ ملحــونِ
فصرتَ بالطعن من هذا الـطريق إلى مـا ليس يخفى على البله المجـانينِ
وقلتَ : أفضل من يوم «الغـدير» إذا صحَّت روايتــه يــوم الشعــانيـنِ
ويــوم عيـدك عــاشـوراء تعــدّ لـه مــا يستعــدّ النصــارى للقـرابينِ
تـأتي بيـوتكمُ فيــه العجـوز وهــل ذلك العجوز سوى وحي الشياطينِ؟!
عــانــدتَ ربَّــك مغتــرّاً بنقـمتــه وبــأس ربِّـك بــأسٌ غيـر مــأمـونِ
فقــال : كن أنت قرداً في استه ذَنَبٌ وأمر ربِّــك بـين الـكــاف والـنــونِ
وقــال : كـن لي فـتىً تعلو مراتبــه عنــد الملوك وفي دور الســلاطيـنِ
واللّه قــد مســخ الأدوار قـبلك فـي زمــان مـوسى وفي أيّــامِ هــارونِ
بـدون ذنبـك فــالحق عندهم بهمُ ودع لحــاقـك بي إن كنت تنــويني

[القصيدة ٥٨ بيتاً]

وله من قصيدة قوله :

بــالـمـصـطفـى وبـصـهـره ووصـيِّــه يــوم «الـغـديـر»

(الشــاعر)

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن الحجـاج

---

(١) سلست الخشبة: نخرت وبليت. والسلس: اللين السهل. الغلق ما يغلق به الباب ج إغلاق. الزرفين واحدة الزرافين: الحلق الصغيرة للباب.

(٢) احتقب الإثم : جمعه .

النيلي البغدادي ، أحد العمد والأعيان من علماء الطائفة ، وعبقريٌّ من عباقرة حملة العلم والأدب ، وقد عدَّه صاحب [رياض العلماء] من كبراء العلماء كما عدَّه إبن خلكان وأبو الفدا من كبار الشيعة ، والحموي في [معجم أُدبائه] من كبار شعراء الشيعة ، وآخر من فحول الكتّاب ، فالشعر كان أحد فنونه ، كما أنَّ الكتابة إحدى محسانه الجمَّة ، وله في العلم قننٌ راسية ؛ وقدمٌ راسخة ، غير أنَّ انتشار أدبه الفائق ، ومقاماته البديعة فيه ، وتعريف الأُدباء إيّاه بأدبه الباهر ، وقريضه الخسروانيِّ ، والثناء عليه بأنَّه ثاني معلّميه كما في «نسمة السحر» أخفى صيت علمه الغزير ، وغطّى ذكره العلميّ ، ونحن نقوم بواجب الحقَّين جميعاً .

ينمُّ عن مقامه الرفيع في العلوم الدينيَّة وتضلّعه فيها وشهرته في عصره بها توليه الحسبة[1] مرَّةً بعد أُخرى في عاصمة العالم في ذلك اليوم [بغداد] وهي من المناصب الرفيعة العلميَّة التي كانت تخصُّ توليها في العصور المتقادمة بأئمَّة الدين ، وزعماء الإسلام ، وكبراء الأُمَّة ، وهي كما قال الماوردي في «الأحكام السلطانيَّة» ص ٢٢٤ : من قواعد الأُمور الدينيَّة ، وقد كان أئمَّة الصدر الأوّل يباشرونها اهـ .

(الحسبة) هي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر بين الناس كافَّة وممَّن وليها ببغداد قبل المترجَم الفيلسوف الكبير أحمد بن الطيب السرخسي ، صاحب التآليف القيِّمة في فنون متنوِّعة المقتول سنة ٢٨٣ ، وتولاها بعد عزل المترجَم عنها فقيه الشافعيَّة وإمامها أبو سعيد الحسن بن أحمد الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨ ، على ما يُقال كما في تارخ إبن خلكان ، ومراة الجنا لليافعي وغيرهما ، قال الماوردي في [الأحكام السلطانيَّة] ص ٢٠٩ فمن شروط والي الحسبة ، أن يكون حُرّاً ، عدلاً ، ذا رأي وصرامةٍ ، وخشونةٍ في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة ؛ واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي هل يجوز له أن يحمل الناس فيما يكره من الأُمور التي اختلف الفقهاء فيها على

---

(١) كما في تاريخ ابن خلكان. تاريخ ابن كثير، مرآة الجنان، رياض العلماء. دائرة المعارف الإسلامية، دائرة المعارف لفريد وجدي، الأعلام للزركلي.

رأيه واجتهاده أم لا ؟ على وجهين : أحدهما وهو قول أبي سعيد الإصطخري أنَّ له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده ، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالماً من أهل الإجتهاد في أحكام الدين ليجتهد رأيه فيما اختلس فيه . اهـ .

وقال رشيد الدين الوطواط المتوفّى سنة ٥٧٣ : إنَّ أولى الأُمور بأن تصرف أعنَّة العناية إلى ترتيب نظامه ؛ وتقصر الهمم إتمامه ، أمرٌ يتعلّق به ثبات الدين ، ويتوقّف عليه صلاح المسلمين ، وهو أمر الإحتساب ، فإن فيه تثبيت الزائغين عن الحق ، وتأديب المنهمكين في الفسق ، وتقوية أعضاد أرباب الشرع وسواعدها ، وإجراء معاملات الدين على قوانينها وقواعدها ، وينبغي أن يكون متقلّد هذا الأمر موصوفاً بالديانة ، معروفاً بالصيانة ، معرضاً عن مراصد الريب ، بعيداً عن مواقف التّهم والعيب ، لابساً مدارع السداد ، سالكاً مناهج الرَّشاد [معجم الادباء ج ٩ ص ٣١] .

ففي تولية شاعرنا المترجَم الحسبة مرَّةً بعد أُخرى غنىً وكفاية عن سرد جمل الثناء على علمه وفقهه وإطراء عدله ورأيه ، واجتهاده في جنب الله وصرامته ؛ وخشونته في الدين ، ورشاده وسداده ، وقد تولاها مرَّتين في بغداد مرَّة على عهد الخليفة العبّاسي المقتدر بالله كما سمعته من إبن خلكان واليافعي ، وأُخرى أقامه عليها عزُّ الدَّولة في وزارة ابن بقيَّة الذي استوزره عزُّ الدولة سنة ٣٦٢ وتوفّي سنة ٣٦٧ وقد كتب المترجَم إليه في وزارته قصيدة أوَّلها :

أيّهاذا الوزير إن أنت أنصفت ... وإلاَّ فقم مع الجيران

ويقول فيها :

ليت شعري ألستُ محتسب ... الناس ؟! فلِمَ ليس تعرفون مكاني ؟!

(أمّا أدبه) وهو كما أوعزنا إليه أحد نوابغ شعراء الشيعة ؛ والمقدَّم بين كتّابها ، حتّى قيل : إنَّه كامرىء القيس في الشعر[1] لم يكن بينهما من

---

(١) كما في تاريخ ابن خلكان، ومعجم الادباء، وشذرات الذهب.

يضاهيهما ، ويقع ديوانه في عشر مجلّدات ، والغالب عليه العذوبة والإنسجام ، وتأتي المعاني البديعة في طريقته إلى ألفاظ سهلة ، وأسلوبٍ حسن ، وسبكٍ مرغوب فيه ، وفي «نسمة السحر» ، إنَّه يُعدّ المعلم الثاني ، والمعلّم الأوّل إمّا مهلهل بن وائل ، أو إمرؤ القيس ، اخترع منهجاً لم يسبق إليه ، وتبعه فيه الناس ، ومن أتباعه أبو الرقعمق وصريع الدلاء .

قال الثعلبي : سمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنَّه فرد زمانه في فنضه الذي شهر به وأنَّه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شئوه في نمطه ، ولم يُر كاقتداره على ما يُريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في الملاحة والبلاغة اهـ .

رتَّب ديوانه البديع الأسطر لأبي هبة الله بن حسن المتوفّى سنة ٥٣٤ على واحد وأربعين ومائة باب ، وجعل كلّ باب في فنّ من فنون الشعر وسمّاه : درَّة التاج في شعر ابن الحجّاج[1] وهي محفوظةٌ في باريس رقم ٥٩١٣ وبها مقدِّمةٌ لابن الخشّاب النحوي .

وللشريف الرضي إنتخابُ ما استجوده من شعره سمّاه [الحسن من شعر الحسين][2] ورتَّبه على الحروف ، وكان ذلك في حياة المترجم ، وله في ذلك شعرٌ يوجد في المجلّد الأخير من ديوانه وهو قوله :

أتعرف شعري إلى من ضوى	فأضحى على ملكه يحتوي؟!
إلى البدر حُسناً إلى سيّدي	الشريف أبي الحسن الموسوي
إلى مَن أعوِّذه كلّما	تلقيته بالعزيز القوي
فتىً كنتُ مسخاً بشعري السخيف	وقد ردّني فيه خلقاً سوي
تأمّلته وهو طوراً يصحّ	وطوراً بصحّته يلتوي
فميّز معوجّه والرديّ	فيه من الجيّد المُستوي

(١) راجع معجم الادباء ، تاريخ ابن خلكان ، مرآة الجنان ، كشف الظنون .

(٢) في دائرة المعارف الاسلامية : انه أسماه « التنظيف من السخيف » .

وصحّح أوزانه بالعروض — وقرّر فيه حروف الروي
وأرشده لطريق السّداد — فأصلح شيطان شعري الغوي
وبيّن موقع كفّ الصناع — في نسج ديباجه الخسروي
فاقسم بالله والشيخ في — اليمين على الحنث لا ينطوي
لو أنّ زرادشت أصغى له — لأزرى على المنطق الفهلوي
وصادف زرع كلامي البليغ — فيه شديد الظما قد ذوي
فما زال يسقيه ماء الطرا — وماء البشاشة حتّى روي
فلا زال يحيى وقلب الحسود — بالغيظ من سيّدي مكتوي
له كبدٌ فوق جمر الغضا — على النار مطورحة تشتوي

قال الثعالبي : إنَّ ديوان شعره لا تنحطُّ قيمته عن ستّين ديناراً لتنافسهم في ملحه ووفور رغبتهم فيه وقال : وديوان شعره أسيَر في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيل . وذكر في اليبمة شطراً مهمّاً من فنون شعره من ٦٢ صحيفة في الجزء الثالث .

والغالب على شعره الهزل والمجون ، كأنَّهما لازما غريزته ، ومطبوعا قريحته ، وخمرتا طينته ، وكان إذا استرسل فيهما فلا يجعجع به حضور ملك أو هيبة أمير ؛ ويأتي بما عنده غير مكترث للسامعين ، فلا يستقبل منهم إلاَّ عطفاً وقبولاً ، كما أنص شعره يُعرب عن ولاءه الخالص لأهل البيت والوقيعة في مناوئيهم .

خلفاء عصره وملوكه :

أدرك ابن الحجّاج جمعاً من خلفاء بني العبّاس وهم :

١ ـ المعتمد على الله ابن المتوكّل المتوفّى سنة ٢٧٩ .

٢ ـ المعتضد بالله أبو العبّاس المتوفّى سنة ٢٨٩ .

٣ ـ المتكفي بالله المتوفّى سنة ٢٩٥ .

٤ ـ المقتدر بالله المتوفّى سنة ٣٢٠ .

٥ ـ الراضي الله المتوفّى سنة ٣٢٩ .

٦ ـ المستكفي بالله المتوفّى سنة ٣٣٨ .

٧ ـ القاهر بالله المتوفّى سنة ٣٣٩ .

٨ ـ المتّقي لله المتوفّى سنة ٣٥٨ .

٩ ـ المطيع لله المتوفّى سنة ٣٦٤ .

١٠ ـ الطائع لله المتوفّى سنة ٣٩٣ .

وعاصر من ملوك آل بويه من الذين ملكوا العراق :

١ ـ معزّ الدَّولة فاتح العاق المتوفّى سنة ٣٥٦ .

٢ ـ عزّ الدَّولة أبا منصور بختيار بن معزّ الدَّولة المقتول سنة ٣٦٧ .

٣ ـ عضد الدَّولة فناخسرو بن ركن الدَّولة المتوفّى سنة ٣٧٢ .

٤ ـ شرف الدَّولة ابن عضد الدَّولة المتوفّى سنة ٣٧٩ .

٥ ـ صمصام الدَّولة ابن عضد الدَّولة المقتول سنة ٣٨٨ .

٦ ـ بهاء الدَّولة أبا نصر ابن عضد الدَّولة المتوفّى سنة ٤٠٣ .

وكان كما قال الثعالبي : على طول عمره يتحكَّم على وزارء الوقت ، ورؤساء العصر ، تحكّم الصبيّ على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشةً راضيةً ، ويستثمر نعمة صافيةً ضافية . ويوجد في ديوانه شعرٌ كثيرٌ مدحاً ورثاءً وهجاءً في رجالات عصره من الخلفاء والوزراء والأمراء والكتّاب والمثقّفين تربو عدَّتهم فيما قرأناه من مجلّدات ديوانه على ستّين منهم :

أبو عبد الله هارون بن المنجّم المتوفّى ٢٨٨ .   أبو الطيب المتنبي الشاعر المتوفى ٣٥٤.

أبو الفضل عباس بن الحسن المتوفى ٢٩٦ .   الوزير أبو محمَّد المهلبي المتوفّى ٣٥٢.

الوزير أبو الفضل بن العميد المتوفى ٣٦٠ .
المطيع لله الخليفة العبّاسي المتوفّى ٣٦٤ .
الوزير أبو ريّان خليفة عضد الدَّولة ببغداد
عزُّ الدَّولة بختيار ابن بويه المتوفّى ٣٦٧ .
الأمير أبو تغلب غضنفر المتوفى ٣٦٩ .
أبو الفتح ابن شاهين المتوفى ٣٧٢ .
أبو المعالي ابن محمَّد بن عمران المتوفى ٣٧٣ .
أبو إسحاق إبراهيم الصّابي المتوفى ٣٨٤ .
الوزير الصاحب بن عبّاد المتوفى ٣٨٥ .
أبو علي محمَّد بن الحسن الحالتي المتوفى ٣٨٨ .
الوزير أبو نصر سابور بن أردشير المتوفى ٤١٦ .
الوزير أبو الفرج محمَّد بن العبّاس بن فسابخس .

أبو الفتح ابن العميد المتوفى ٣٦٦ .
الوزير أبو طاهر ابن بقيَّة المتوفى ٣٦٧ .
عمران بن شاهين المتوفى ٣٦٩ .
عضد الدَّولة فناخسرو المتوفى ٣٧٢ .
أبو الفرج بن عمران بن شاهين المتوفى ٣٧٣ .
شرف الدَّولة إبن بويه المتوفى ٣٧٩ .
القاضي أبو علي التنوخي المتوفى ٣٨٤ .
ابن سكرة العبّاسي الشاعر المتوفى ٣٨٥ .
أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف المتوفى ٣٨٨ .
الوزير أبو منصور محمَّد المرزبان المتوفى ٤١٦ .
أبو أحمد بن عارض المترجم في أُمور الحسبة .

قال الثعالبي في «اليتيمة» ج ٣ ص ٧٠ : كان الوزير أبو الفرج والوزير أبو الفضل [ابن العميد] قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي [الوزير أبي محمَّد الحسن] عقب موته ، وأمرا أن تُلوَّث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب وقد كان المهلبي فعل مثل هذا فحضر ابن الحجّاج فعجب وخاف النفط فانصرف فقال :

الصَّفح بالنفط في الثياب	ما لم يكن قطُّ في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي	مقا خيطين من ثيابي
يا ربُّ من كان سنَّ هذا	فزده ضعفاً من العذابِ
في قعر حمراء ليس فيها	غير بني البظر والقحابِ
تفعل في لحمه المهري[1]	ما يفعل الجمر بالكبابِ
فالقرد عندي يجلُّ عمَّن	يسنُّ هذا على الكلابِ

(١) هرى الثوب : صفره أي جعله أصفر.

أكثر «المترجم» من مدائح أهل البيت عليهم السلام والنيل من مناوئيهم نُظراء مروان بن أبي حفصة حتّى أنّه ربما كان ينتقد على تشديده الوطىء والنكير المحتدم على فظائع القوم [أعداء آل الله] بلهجةٍ حادَّةٍ ، وسبابٍ مُقذعٍ ، غير أنَّ ذلك كله كان نفثة مصدور ، وأنَّه متوجع من الظلم الواقع على ساداته أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ، لا ولعاً منه في البذاء أو وقيعةً في الأعراض لمحض الشهوة ومتابعة الهوى ، ولذلك وقع شعره مقبولاً عند مواليه صلوات الله عليهم ، وكانوا إذا مرّوا باللغو منه مرّوا كراماً .

حدَّث[١] سيِّدنا الأجلّ زين الدين عليّ بن عبد الحميد النيلي النجفي[٢] في كتابه [الدرّ النضيد في تغازي الإمام الشهيد] أنَّه كان في زمان ابن الحجّاج رجلان صالحان يزدريان بشعره كثيراً وهما : محمَّد بن قارون السيبي ، وعليّ بن زرزور السورائي ، فرأى الأوَّل منهما ليلة في الواقعة كأنَّه أتى إلى روضة الحسين عليه السلام وكانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها حاضرة هناك مستندة ظهرها إلى ركن الباب الذي هو على يسار الداخل وسائر الأئمَّة إلى مولانا الصَّادق عليه السلام أيضاً جلوسٌ في مقابلها في الزاوية بين ضريحي الحسين عليه السلام وولده عليّ الأكبر الشيء متحدِّثين بما لا يُفهم ومحمَّد بن قارون المقدّم قائمٌ بين أيديهم قال السورائي : وكنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم فرأيت ابن الحجّاج مارّاً في الحضرة المقدَّسة فقلت لمحمَّد بن قارون : ألا تنظر إلى الرَّجل كيف يمرّ في الحضرة ؟ فقال : أنا لا احبّه حتّى أنظر إليه . قال : فسمعت الزَّهراء بذلك ، فقالت ل ثل المغضبة : أما تحبُّ «أبا عبد الله» ؟ احبّوه فإنَّه من لا يحبّه ليس من شيعتنا . ثمّ خرج الكلام من بين الأئمَّة عليهم السلام ، فإنَّ من لا يُحبُّ أبا عبد الله فليس بمؤمن . قال الشيخ

---

(١) نقله عنه بحاثة الطائفة ميرزا عبد الله الأصبهاني في «رياض العلماء» وسيدنا الخونساري في «روضات الجنات» ص ٢٣٩ ، وشيخنا العلامة الحجّة النوري في «دار السّلام» ج ١ ص ١٤٨ ، ونحن نلخص ما في «رياض العلماء» .

(٢) هو الفقيه الأوحد صاحب المقامات والكرامات أحد مشايخ العلم الحجة ابن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١ .

محمَّد بنم قارون : ولم أدر مَن قال منهم ، ثمَّ انتبهت فزعاً مرعوباً مما فرطت في حقِّ عبد الله من قبل ذلك قال : ثمص نسيت المنام ولم أذكره إلى أن اتيح لي بزيارة السبط الشهيد سلام الله عليه فإذا بجماعة في الطريق من أصحابنا يروون شعر ابن الحجّاج فلحقتهم فإذا فيهم عليٌّ بن الزرزور وسلّمت عليه ، وقلت : كنتَ تُنكر رواية شعر ابن الحجّاج وتكرهها ، فما بالك الآن تسمعه وتصغي إلى انشاده ؟ فقال : أُحدِّثك بما رأيت فيما يراه النائم فقصَّ عليٌّ ما رأيته في الطيف حرفيّاً وحكيته بما رأيت ، ثمَّ اتَّفقنا على مدح الرَّجل وإيراد أشعاره وبثِّ مآثره ونشر ناقبه .

وأيضاً : إنَّ السلطان مسعود بن بابوية[1] لمّا بنى سور المشهد الشريف ودخل الحضرة الشريفة وقبّل أعتابها وأحسن الأدب فوقف أبو عبد الله المترجَم بين يديه وأنشد قصيدته الفائيصة التي ذكرناها فلمّا وصل منها إلى الهجاء أغلظ له الشريف سيِّدنا المرتضى ونهاه أن ينشد ذلك في باب حضرة الإمام عليه السلام فقطع عليه فانقطع ، فلمّا جنَّ عليه الليل رأى ابن الحجّاج الإمام عليّاً عليه السلام في المنام وهو يقول : لا ينكسر خاطرك فقد بعثنا المرتضى علم الهدى يعتذر إليك فلا تخرج إليه حتّى يأتيك ، ثمَّ رأس الشريف المرتضى في تلك الليلة النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة صلوات الله عليهم حوله جلوسٌ فوقف بين أيديهم وسلّ عليهم فحسّ منهم عدم إقباله عليه فعظم ذلك عنده وكبر لديه فقال : يا مواليَّ أنا عبدكم وولدكم ومواليكم فبِمَ استحققت هذا منكم ؟ فقالوا : بما كسرتَ خاطر شاعرنا أبي عبد الله ابن الحجّاج فعليك أن تمضي إليه وتدخل عليه وتعتذر إليه وتأخذه وتمضي به إلى سعود بن بابوية وتعرِّفه عنايتنا فيه وشفقتنا عليه ، فقام السيِّد من ساعته ومضى إلى أبي عبد الله فقرع عليه الباب فقال ابن الحجّاج : سيِّدي الذي بعثك إليَّ أمرني أن لا أخرج إليك ؛ وقال : إنَّه سيأتيك ، فقال : نعم سمعاً وطاعةً لهم . ودخل عليه واعتذر إليه ومضى به إلى السلطان وقصّا القصَّة عليه كما رأياه فأكرمه وأنعم عليه وخصّه بالرتب الجليلة وأمر بإنشاد قصيدته .

---

(١) كذا في النسخة واحسبه. عضد الدولة بن بويه.

ولادته ووفاته:

لم يختلف اثنان في تاريخ وفاة المترجَم له وانَّه توفِّي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ بالنيل وهو بلدةٌ على الفرات بين بغداد والكوفة، وحُمل إلى مشهد الإمام الطّاهر [الكاظميَّة] ودُفن فيه وكان أوصى أن يُدفن هناك بحذاء رجلي الإمام عليه السلام ويُكتب على قبره: وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد. ورثاه الشريف الرضي بقصيدة توجد في ديوانه ج ٢ ص ٥٦٢، وذكر إبن الجوزي منها أبياتاً في « المنتظم » ج ٧ ص ٢١٧.

ولم نقف في طيّات الكتب والمعاجم على تاريخ ولادته لكنّ الباحث عنها يقطع بأنَّ الرجل وُلد في المائة الثالثة وعاش عمراً طويلاً حدود المائة والثلاثين، وهناك شواهد قويَّة على هذا منها:

١ ـ ما ذكر إبن شهراشوب في المعالم من قرائته على إبن الروميِّ المتوفّى سنة ٢٨٢.

٢ـ تولِّيه الحسبة قبل الإمام الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨ كما في تاريخ إبن خلكان ومرآة الجنان لليافعي وغيرهما قالوا: إنَّه تولّى حسبة بغداد وأقام مدَّة، ويُقال: إنَّه عزل بأبي سعيد الإصطخري وله في عزله أبياتٌ مشهورةٌ اهـ. والإصطخري قد تولّى الحسبة بأمر المقتدر بالله سنة ٣٢٠ كما في « شذرات الذهب » ج ٢ ص ٣١٢ وغيره.

٣ ـ شعره الموجود في ديوانه في هجاء أبي عبد الله هارون بن علي بن أبي منصور المنجِّم المتوفّى سنة ٢٨٨ وقال في ديوانه: قاله وهو حدَث السنّ.

٤ ـ قصيدته الموجودة في ديوانه في أبي الفضل عبّاس بن الحسين وزير المكتفي بالله المقتول سنة ٢٩٦.

وقد ذكر كثيراً في شعره المنظوم في أواسط القرن الرابع شيخوخته منه أبياتٌ يمدح بها أبا منصور بختيار بن معزِّ الدولة المقتول سنة ٣٦٧ منها:

قلتُ اقبلي رأيي ورأي الشيخ محمودٌ موافق

وله في الوزير أبي طاهر إبن بقيَّة المتوفّى سنة ٣٦٦ يطلب منه تنجّز جرايته ورزقاً لابنه في ديوان « بادويا » أبياتٌ منها قوله:

طلبت ما يطلبه مثلي الشيوخ الفسقه

وأنت لا تجد قطُّ شاعراً يذكر شيخوخته وهرمه في شعره كإبن الحجّاج كقوله في أبي محمّد يحيى بن فهد:

أيّها الشاعر الجديد الذي يعبث بالشاعر النفيس الخليعِ
أنت مثل الثوب الجديد وشعري مثل قبّ الغلالة المرقوعِ [1]
أنا شيخٌ طبيعتي تنشر البعر على كلِّ شاعر مطبوعِ

وقوله فيما كتبه إلى أبي محمَّد إبن فهد المذكور وقد ولد للمترجَم مولود:

قولوا ليحيى بن فهد: يا من جعلتُ مما يخشى فداهُ
أليس قد جاءني غلامٌ؟ يجلب بالحسن من رآهُ
كالشمس والشمس في ضحاها والبدر والبدر في دجاهُ
يفتنني ريّه ويحنو في المهد قلبي على خصاهُ
كأنَّني مع وفور نسلي لم أر من قبله سواهُ

ومن قصيدة ذات ١٢٩ بيتاً في الوزير أبي نصر التي أوَّلها:

يا عاذلي كيف أصنعْ وليس في الصبر مطمعْ

قوله:

خذها إليك عروساً لها من الحسن برقعْ
الأُذن لا العين منها بحسنها تتمتَّعْ
خطيبها فيك شيخٌ مهملج الفكر مصقعْ

ويمدح عضد الدولة فناخسرو المتوفّى سنة ٣٧٢ بقصيدة ذات ٤١ بيتاً ويذكر فيها شيبه وهرمه. والباحث جِدُّ عليم بأنَّه من المعمّرين وليد القرن الثالث مهما وقف على قوله في إحدى مقطوعاته.

---

(١) القب: ما يدخل في جيب القميص من الرقاع. الغلالة شعار يلبس تحت الثوب.

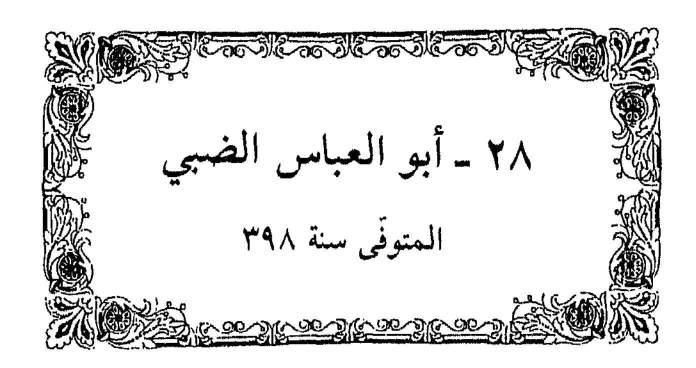
وقـائـلة: تـعـيش مـظلومـاً بـسـيـفٍ(١)
فقلتُ لهـا: أبـاكي ذاك حـزني على مـائـة فجعت بهـا ونيفِ

فبعـد ذلك كلّه لا يبقى وزنٌ في تضعيف إبن كثير في تاريخه ج ١١ ص ٣٢٩ قول إبن خلكان بأنّه عُزل عن حسبة بغداد بأبي سعيد الإصطخري المتوفّى سنة ٣٢٨. كما لا يبعد عندئذ ما في « المعالم » من تلمّذه على إبن الرومي المتوفّى سنة ٢٨٣ إذ تلمّذه عليه إنّما كان في الأدب في الآليات، ومن الممكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغ الحلم ايضاً كتلمّذ الشريف الرضيّ على استاذه السيرافي وله دون العشر من عمره كما يأتي في ترجمته.

مصادر ترجمة ابن الحجاج:

يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٥
معجم الادباء ج ٤ ص ٦
معالم العلماء ص ١٣٦
المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٦
تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٢٤٢
معاهد التنصيص ج ٢ ص ٦٢
شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٦
كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨
أمل الآمل للشيخ الحرّ
روضات الجنّات ص ٢٣٩
سفينة البحار ج ١ ص ٢٢٥
الشيعة وفنون الإسلام ص ١٠٦
دائرة المعارف الإسلاميّة ج ١ ص ١٣٠
دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٤٣٩
دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٦ ص ١٢
تاريخ الخطيب ج ٨ ص ١٤
تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ١٧٠
الكامل لإبن الأثير ج ٩ ص ٦٣
ناريخ إبن كثير ج ١١ ص ٣٢٩
مراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٤
مجالس المؤمنين ص ٤٥٩
ايضاح المقاصد للبهائي مخطوط
رياض العلماء للميرزا عبد الله. مخطوط
رياض الجنّة للسيِّد الزنوزي. مخطوط
نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر. مخطوط
تتميم الأمل لإبن أبي شبانة. مخطوط
تنقيح المقال ج ١ ص ٣١٨
أعلام الزركلي ج ١ ص ٢٤٥

(١) كذا وجدناه في ديوانه وفيه سقط.



٢٨ ـ أبو العباس الضبي

المتوفى سنة ٣٩٨

لعليٍّ الطهر الشهير ... مجدٌ أناف على ثَبيرِ
صنو النبيِّ محمَّد ... ووصيّه يوم الغديرِ
وحليل فاطمة ووا ... لد شبَّر وأبو شبيرِ[1]

(ما يتبع الشعر)

(ثَبير) بفتح المثلّثة ثمَّ الموحّدة المكسورة من أعظم جبال مكّة بينها وبين عرفة؛ سُمِّي باسم رجل من هُذيل مات في ذلك الجبل. أخرج أبو نعيم في [ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين] والنطنزي في [الخصائص العلويَّة] عن شعبة بن الحكم عن إبن عبّاس قال: أخذ النبيُّ ﷺ ونحن بمكّة بيدي وبيد عليٍ فصعد بنا إلى « ثبير » ثمَّ صلّى بنا أربع ركعات ثمَّ رفع رأسه إلى السَّماء فقال: اللهمّ إنَّ موسى بن عمران سألك وأنا محمَّد نبيّك فأسئلك أن تشرح لي صدري وتيسِّر لي أمري وتحلّل عقدة من لساني ليفقه قولي واجعل لي وزيراً من أهلي عليّ بن أبي طالب أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري. قال إبن عبّاس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد اوتيتَ ما سألت.

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٥٠ ط ايران.

(الشاعر)

الكافي الأوحد أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الضبّي - نسبة إلى ضبّة - الوزير الملقّب بالرئيس، أحد من ملك أزمّة السياسة والأدب بعد الصاحب إبن عباد؛ وكان من ندمانه واختصّ بالزلفة منه والتأدُّب بآدابه، والحظوة بقرباه حتّى عاد منار الفضل والأدب ومفزع رُوّادهما، وممن يُشار إليه ويُنصّ عليه، لم يفتء كذلك حتّى قضى الصاحب نحبه سنة ٣٨٥ فخلفه على الوزارة لمااستوزره فخر الدولة البويهي وضمّ إليه أبا علي الملقّب بالجليل وفي ذلك قال بعض ولد المنجِّم:

والله والله لا أفلحتمُ أبداً ... بعد الوزير ابن عبّاد بن عبّاسِ
إن جاء منكم جليلٌ فاقطعوا أجلي ... أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

فالمترجَم كانت تحطُّ بفنائه الرِّحال، وتنال منه الآمال، ونفد إليه القوافي من كلِّ حَدَب، ويسير شعره مع الركبان، وكان نعم الخليفة لسلفه الصاحب، والموئل الفذُّ لما كانت له من مراتب، وله في جامع إصبهان خانكات مرتفعة، وخانات عامرةٌ متّسعةٌ، قد وقفت لأبناء السبيل، وبحذائه دار الكتب وحجرها وخزانتها وقد بناهنّ ونضّد فيها من الكتب عيوناً، وخلّدها من العلوم فنوناً، يشتمل فهرستها على ثلاث مجلّدات كبيرة كما في محاسن إصبهان ص ٨٥، وكتب التراجم[1] تطفح بالثناء عليه، ولشعراء عصره قصائد رنّانة في مدحه ومنهم:

١ - أبو عبد الله محمّد بن حامد الخوارزمي له قصيدة في إطراءه منها:

زمانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدُ ... ووقتٌ حميدٌ فماذا تريدُ؟!
وأحسن من ذاك وجه الرئيـ ... ـس وقد طلعت من سناه السعودُ
وكم حلّة خطّها قد غدت ... على برد آل يزيد تزيدُ

---

(١) راجع يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٦٠، معجم الادباء ج ١ ص ٦٥، كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٧٣، معالم العلماء لابن شهراشوب، ديوان مهيار ج ٤ ص ٢٩، أعيان الشيعة ج ٨ ص ٧٧، دائرة المعارف للبستاني ج ١١ ص ١٢٠.

٢ ـ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الجوهريّ الجرجاني [السابق ذكره] له قصائد في المترجَم له منها: قصيدةٌ في ميلاده وتحويل سنه ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ٤ ص ٣٨ منها:

يـومٌ تـبـرَّجـت الـعـلا ... فـيـه ومـزَّقـت الـحـجـبْ
يـومٌ أتـاه الـمـشـتـري ... بـشـهـاب سـعـد ملتـهـبْ
بـسـلالـة المجـد الفصيـح ... وصـفـوة الـمـجـد الـزربْ
مـلكٌ إذا ادَّرع الـعـلا ... فـالـدهـر مسلوب الـسـلبْ
وإذا تـنـمَّـر فـي الـخـطو ... ب فـيـا لـنـارٍ فـي حـطبْ
وإذا تـبـسَّـم لِـلـنـدى ... مـطرت سـحـائـبـه الـذهـبْ
يـا غـرَّة الـحـسـب الكريـ ... ـم وأيـن مثـلك في الـحسبْ؟!
هـذا صـبـاحُ حُـلّـيـت ... بـسـعـوده عـطل الـحـقـبْ
مـيـلادك الـمـيـمـون فـي ... ه وهـو مـيـلاد الأدبْ
عـرِّج عـلـيـه بـمـجـلـس ... ريّـان مـن مـاء الـعـنـبْ
واضـرب عـلـيـه سرادقاً ... لـلأنس مـمـتـدَّ الـطـنـبْ

٣ ـ مهيار الديلمي [أحد شعراء الغدير الآتي ذكره] مدح المترجَم بقصائد منها ميميَّة ٦٥ بيتاً توجد في ديوانه ج ٣ ص ٣٤٤ أوَّلها:

أجيـراننـا بـالغـور والـرَّكب متهمٌ ... أيعلم خـال كيف بـات المتيَّمُ؟!
رحلتم وعمـر الليـل فينـا وفيكمُ ... سـواءُ ولكن سـاهـرون ونـوَّمُ

ومنها بائيَّةٌ ٤٥ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ١٥ مطلعها:

شفى الله نفسـاً لا تذلُّ لمـطلب ... وصبراً متى يسمع به الدهر يعجب

وداليَّةٌ ٦١ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ٢٣٠ أوّلها:

إذا صاح وفد السحب بالريح أوحدا ... وراح بهـا ملأى ثقـالاً أو اغتدى

وبائيَّةٌ ٣٧ بيتاً في ديوانه ج ١ ص ١٢ مستهلّها:

دواعي الهـوى لـك أن لا تجيبـا ... هجرنـا تقىً مـا وصلنـا ذنـوبـا

وعينيَّةٌ ٤٠ في ديوانه ج ٢ ص ١٧٩ مطلعها:

علـى أيِّ لائمـةٍ أربـعُ؟! وفـي أيِّمـا سلوة أطمـعُ؟!
وقد أخذ العهد يوم الرحيل أمـامي والعهد مستودعُ

ولاميَّةٌ ٥٢ بيتاً في ديوانه ج ٣ ص ١٨ مستهلّها:

اليوم أنجز ماطل الآمالِ فأتتك طائعة من الإقبالِ

وقصيدة ٦٩ بيتاً توجد في ديوانه ج ٤ ص ٣٠ نظمها سنة ٣٩٢، أوّلها:

قـالـوا: عسـاك مـرجِّمٌ فتبيَّنِ هيهات ليس بناظري إن غـرَّني
هي تلك دارهمُ وذلـك مـاؤهم فاحبس ورد وشرقت إن لم تسقني
ولقد أكاد أضـلُّ لـو لا عنبـرٌ في الترب من أرج الحبائب دلّني
فتقـوا بـه أنفـاسَهنَّ لـطائمـاً[1] وظعنَّ وهي مع الثرى لم تـظعنِ
يـا منزلاً لعبت بـه أيـدي الصِّبا لعب الشكوك وقد بدت بتيقّني
إمَّـا تنـاشـدني العهود فـإنَّها حفظت فكانت بئس ذخر المقتني
سكنتك بعدهم الوحوش تشبّهاً بهمُ وليتـك آنفـاً لم تُسكنِ
لعيـونهنَّ عـلامـةٌ سحـريَّـةٌ عندي فما بـال الظباء تغشّني؟!

ويقول فيها:

حـاشـا طلابي أن أعمَّ بـه وقـد خُصَّ السماح بموضعٍ مُتعيَّنِ؟!
يـا حظُّ فـاهتف بنـاحيـة الغنى في الريّ وارحم كدَّ من لم يفـطُنِ
وأعن على إدراكهـا فبمثلهـا فـرّقتُ بين مـوفَّق ومحيَّـن
لمن الخليط مشرِّقٌ وضمـانـه رزقٌ لنـا غيـره لـم يُـؤذَنِ
إشتقتُ يـا سُفنَ الفلاةِ فـأبلغي وطربت يا حادي الركاب فغنّني
وأنهض فرحِّل يـا غلامُ مـذلَّلا[2] تتـوعَّـر البيـداء منـه بمـدمنِ
يرضى بشمّ العُشب إمّا فـاتـه والسير يأكل منه أكل الممعنِ
مـرح الزمـام يكاد يصعب ظهـره فتصيح فاغرة الرّحال بـه: لِنِ
الـرزق والإنصاف قد فُقدا فلُذْ بالريّ واستخرجهما من معدنِ

---

(١) لطائم جمع لطيمة: وهي نافجة المسك.

(٢) المذلل: الجمل يذلل الطريق ويعبدها.

وإلى أبي العبّاس حافظ ملكها سهل الأشد ولان خبثُ الأخشنِ

٤ ـ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري له قصيدة في مدح أبي العبّاس منها:

وإنّي وأقواف القريض أحوكها لأشعر من حاك القريض وأقدرا
كما تضرب الأمثال وهي كثيرٌ بمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا
ولكنّني أمّلت عندك مطلباً انكّبه عمّن ورائي من الورى
ألم تر أنَّ إبن الأمير أجارني ولم يرض من إدرائه لي سوى الذرى؟!

٥ ـ صاعد بن محمّد الجرجاني كتب إلى المترجَم له بقوله:

ولو أنّني حسب إشتياقي ومنيتي منحتك شيئاً لم يكن غير مقلتي
ولكنّني اهدي على قدر طاقتي وأحمل ديواناً بخطِّ إبن مقلةِ

٦ ـ أبو القاسم عبد الواحد بن محمّد بن علي بن الحريش الإصبهاني قال في المترجَم من قصيدةٍ كبيرةٍ:

بنفسي وأهلي شعب واد تحلّه ودهر مضى لم يُجد إلاّ أقلّهُ
وعطفة صدغ يهتدي فوق خدّه ويضربه روح الصبا فيضلّهُ
وطيب عناقي منه بدراً أضمّه إليَّ وأهوى لشمه فأُجلّهُ
وقفنا معاً واللوم يصفق رعده ومنّا سحاب الدمع يسجم وبلهُ
ترقّ على ديباجتيه دموعه كما غازل الورد المضرّج طلّهُ
وينأى رقيبٌ عن مقام وداعنا وتبلغه أنفاسنا فتذلّهُ
يُقلقلني عتب الحبيب وعذره ويقلقني جدُّ الرقيب وهزلهُ
وكيف أقي قلبي مواقع رميه؟! ولست أرى من أين ينثال نبلهُ
يُولّي وبالأحداق تفرش أرضه ويفدى وبالأفواه ترشف رجلهُ

وبعد ردح من تقلّده الوزارة كما وصفناه إتّهمته امُّ مجد الدَّولة بأنّه سمَّ أخاه فطلبت منه مائتي ألف دينار لينفقها في مأتم أخيه فأبى عليها ذلك فهرب عنها سنة

٣٩٢ إلى « بُروجرد » وهي من أعمال بدر بن حسنويه[١] فبذل بعد ذلك مأتي ألف دينار ليعود إلى عمله فلم يقبل منه، ولم يبرح بها حتّى مات سنة ٣٩٨ وقيل: إنّ أبا بكر إبن رافع أحد قُوّاد فخر الدّولة واطأ أحد غلمانه فسقاه سمّاً، وأرسل إبنه تابوته إلى بغداد مع أحد حجّابه وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي يعرِّفه أنّه وصّى بدفنه في مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء المشرَّفة ويسأله القيام بأمره وابتياع تربة بخمس مائة دينار، فقيل للشريف أبي أحمد [والد السيّدين علم الهدى والشريف الرَّضي]: أن يبيعه موضع قبره بخمسمائة دينار. فقال: هذا رجلٌ إلتجأ إلى جوار جدّي فلا آخذ لتربته ثمناً. وكتب نفسه الموضع الذي طلب منه وأخرج التابوت إلى « براثا » وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلّى عليه وأصحبه خمسين رجلاً من رجاله حتّى أوصلوه ودفنوه هناك[٢] ورثاه مهيار الديلمي [الآتي ذكره] بقصيدة ٥٩ بيتاً ويعزّي إبنه سعداً وأنفذها إلى « الدينور » توجد في ديوانه ج ٣ ص ٢٧ أوّلها:

ما للدسوت وللسروج تسائل: ... مَن قائمٌ عنهنَّ أو مَن نازلُ؟!

لِمَ سدّ باب الملك وهو مواكبٌ؟! ... وخلت مجالسه وهنَّ محافلُ؟!

ما للجياد صوافناً[٣] وصوامتا ... نكساً؟! وهنّ سوابقٌ وصواهلُ

من قطر[٤] الشجعان عن صهواتها؟! ... وهمُ بها تحت الرِّماح أجادلُ[٥]

ما لِلسَّماء عليلةٌ أنوارها؟! ... لِمَن السماء من الكواكب ثاكلُ؟!

---

(١) من امراء الجبل لقبه القادر بناصر الدولة وعقد له لواءاً وكان يبر العلماء والزهاد والأيتام، وكان يتصدق كل جمعة بعشرة الاف درهم، ويصرف إلى الاساكفة والحذائين بين همدان وبغداد ليقيموا للمنقطعين من الحاج الأحذية ثلاثة الاف دينار، ويصرف إلى أكفان الموتى كل شهر عشرين ألف درهم، واستحدث في أعماله ثلاثة الاف مسجد وخان للغرباء، وكان ينفل للحرمين كل سنة مصالح الطريق مائة ألف دينار، ثم يرتفع إلى خزائنه بعد المؤن والصدقات عشرون ألف الف درهم (شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧٣).

(٢) معجم الادباء ج ١ ص ٦٥.

(٣) الصوافن من الخيل: الواقفة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

(٤) قطر: ألقى.

(٥) أجادل جمع أجدل وهو الصقر.

مَن لجلج الناعي يحدِّث انّه ... أودي فقيل: أقائلٌ؟! أم قاتلٌ؟!
المجدفي جدث ثوى؟أم كوكب الـ ... ـدنياهوى؟!أم ركن ضبّة مائلٌ؟!
ما كنتُ فيه خائفاً إنَّ الرَّدى ... من عزِّ جانبه إليه واصلُ
أدرى الحمام بمَن ـ وأُقسم ما درى ... - تلتفُّ كُفاتٌ له وحبائلُ[1]
خطبٌ أخلَّ الدَّهر فيه بعقله ... والدَّهر في بعض المواطن جاهلُ
يا غيثُ ارضي الأرض سقياً واحتبي ... بالرَّوض يشكره المحلّ الماحلُ
ينهلُّ منهلّ المزادة[2] موثقاً ... إنَّ الثرى الظمآن منه ناهلُ
يسم الصخور كأنَّ كلَّ مجودة[3] ... لحظ العليقَ بها حصانٌ ناعلُ
تمريه غبراء الإهاب كأنَّما[4] ... قادت خزائمها النعامُ الجافلُ
حلفت لأفواه الرّبى أخلافها ... أيمان صدق انّهنَّ حَوافلُ[5]
وليت سيوف البرق قطعَ عروقها ... فبكلِّ فجٍّ شاريان سائلُ
أبلغ أبا العبّاس انّك فاحصٌ ... حتّى تبلّ جوى ثراه فواغلُ[6]
منّي وأطباق الصعيد حجابه ... عنّي فكيف تخاطب وتراسلُ؟!
سعدت جنادل ألحفتك على البلى ... لا مثل ما شقيت عليك جنادلُ
أبكيك لي ولمرملين بنوهمُ الـ ... ـأيتام بعدك والنساء أراملُ
ولمستجيرٍ والخطوب تنوشه ... مُستطعمٌ والدَّهر فيه آكلُ
مُتلوِّم[7] العزمات لا هو قاطنٌ ... في داره قفراً ولا هو راحلُ
أودى به التطواف يُنشد ناصراً ... فيضلُّ أن يلقاه إلاّ خاذلُ
حتّى إذا الإقبال منك دنا به ... أنساه عندك عام بُؤسٍ قابلُ

---

(١) الكفات جمع كفة بضم الكاف وهي الحبالة .
(٢) المزادة: الراوية. يريد بها السحاب الممطر على التشبيه.
(٣) المجودة: الأرض جادها المطر.
(٤) تمريه: تدر عليه. غبراء الاهاب: السحابة السوداء.
(٥) أخلاف جمع خلف وهو حلمة الضرع. حوافل: ممتلئة.
(٦) الواغل: الداخل المتغلغل في الشيء.
(٧) المتلوم: المنتظر.

ولمعشر طرق العلوم ذنوبهم ... في النّاس وهي لهم إليك وسائلُ
كانوا عن الطلب الذّليل بمعزل ... ثقةً وأنت بما كفاهم كافلُ
قطع الحدا بهمُ وقد قطع الرَّدى ... بك أن يُظنَّ تزاورٌ وتواصلُ
وعصائب هي إن ركبتَ مواكب ... تسع العيون وإن غضبتَ جحافلُ
تفري بأذرعها الكعوب كأنَّما ... تحت الرِّماح على الرِّماح عواملُ[1]
لو كان في « ثعلٍ » بموتك ثأرها ... ما عاش من ثعلٍ[2] عليك مُناضلُ
نكروا حلومك والمنون تسوقها ... حقّاً وأنت مدافعٌ متثاقلُ
قعد البعيد وقام عنك متاركاً ... ما جاء يقنصك القريب الواصلُ
ولج الحمام إليك باباً ما شكا ... غير الزُّحام عليك فيه داخلُ
مستبشراً بالوفد لم يحجبه به ... ردٌّ ولم يُنهر عليه سائلُ
لم يغنك الكرم العتيد ولا حمىً ... عنك السّماح ولا كفاك النائلُ
كنتَ الذي مرُّ الزمان وحلوه ... فيمن يُصابر عيشه ويُعاسلُ
فغدوتَ مالك في عدوِّك حيلةٌ ... تُغني ولا لك من صديقك طائلُ
والموت أجور حاكمٍ وكأنَّه ... في الناس قسماً بالسويَّة عادلُ
لا اغترَّ بعدك بالحياة مجرِّبٌ ... عرف الحقوق فلم يرقه الباطلُ
يا ثاوياً لمّ تقض حقَّ مصابه ... كبدٌ محرِّقةٌ وجفنٌ هاملُ
أفديك لو أنَّ الرَّدى بك قابلٌ ... من مهجتي وذويَّ ها أنا باذلُ
ما بال أوقاتي بفقدك هجِّرت؟! ... ولقد تكون لديك وهي أصائلُ
قد كنتُ ملتحفاً بمدحك حلّةً ... فخراً تجرُّ لها عليَّ ذلاذلُ[3]

ويقول فيها:

لا تحسبنَّ وسعد إبنك طالعٌ ... يحتلُّ برجك إنَّ سعدك آفلُ

---

(١) تفرى من الفرى: الشق. كعوب جمع كعب: العقدة. عوامل جمع عامل وهو صدر الرمح الذي يلي السنان.

(٢) ثعل: قبيلة مشهورة بالرمي

(٣) الذلاذل: أسافل القميص الطويل.

ما أنكر الزوّار بعدك وجهه ... في البدر من شمس النهار مخايلُ
أجمل له يا سعدُ واحمل وزره[١] ... ما طال باعٌ أو أطاعك كاهلُ
وأنا الذي يُرضيك فيه باكياً ... ويسرُّه بك في الذي هو قائلُ

ولشاعرنا أبي العبّاس الضبِّي شعرٌ رقيقٌ ونظمٌ جيِّدٌ ومنه قوله:

ترفَّق أيّها المولى بعبدٍ ... فقد فتنت لواحظك النفوسا
وأسكرت العقول فليس ندري ... أسحراً ما تسقّى أم كؤوسا؟!

وله قوله وهو مما يُتغنّى به:

ألا ياليت شعري ما مرادك؟! ... فقلبي قد أضرَّ به بُعادك
وأيّ محاسنٍ لك قد سباني؟! ... جمالك؟! أم كمالك؟! أم ودادك؟
وأيّ ثلاثةٍ أوفى سواداً؟! ... أخالك؟! أم عذارك؟! أم فؤادك؟!

وله قوله:

قلتُ لمن أحضرني زهرةً ... ومجلسي بالأُنس بسّام
وقرَّة العينين نيل المُنى ... عندي ولا سامٌ ولا حام
: تجنّب النّمام لا تجنه ... فإنَّما النّمام نمّام
أخشى علينا العين من أعين ... يبعثها بالسوء أقوام

وله قوله:

لا تركننَّ إلى الفراقِ ... فإنَّه مُرُّ المذاقِ
الشَّمس عند غروبها ... تصفرُّ من فَرق الفِراقِ

ومما كتب إلى الوزير الصاحب إبن عبّاد قوله:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالدٌ ... وعزُّك موصولٌ فأعظم بها نعمى
نثرت على القرطاس درّاً مبدَّداً ... وآخر نظماً قد فرعت به النجما
جواهر لو كانت جواهر نُظِّمت ... ولكنَّها الأعراض لا تقبل النَّظما

---

(١) الوزر: الحمل الثقيل.

وله في الثريّا:

خلت الثريّا إذ بدت طالعةً في الحندسِ[1]
سنبلةً من لؤلؤٍ أو باقةً من نرجسِ

وقوله فيها:

إذ الثريّا اعترضت عند طلوع الفجرِ
حسبتها لامعةً سنبلةً من درٍّ

وقوله في قصر الليل:

وليلة أقصر من فكريَ في مقدارها
بدت لعيني وانجلت عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل:

ربَّ ليلٍ سهرته مُفكّراً في امتدادهِ
كلّما زدتُ رعيه زادني من سوادهِ
فتبيَّنت انَّه تائهٌ في رُقادهِ
أو تفانت نجومه فبدا في جِدادهِ

وخلف المترجَم له على مجده وفضله ولده أبو القاسم سعد بن أحمد الضبّي، تبع والده لَمّا هرب إلى « بروجرد » وتوفّي بها بعد والده بشهور؛ ولمهيار الديلمي في مدحه عدَّة قصائد منها قصيدةٌ ٤٥ بيتاً أنشدها إيّاه وهو مقيمٌ ببروجرد أوَّلها:

ذكرتُ وما وفاي بحيث أنسى بدجلةَ كم صباحٍ لي وممسى

واخرى ٤٥ بيتاً مُستهلّها:

أشاقك من حسناء وهنا طُروقها؟ نعم كلُّ حاجات النّفوس يشوقُها

ونونيّةٌ ٤٤ بيتاً في ديوانه ج ٤ ص ٥١ مطلعها:

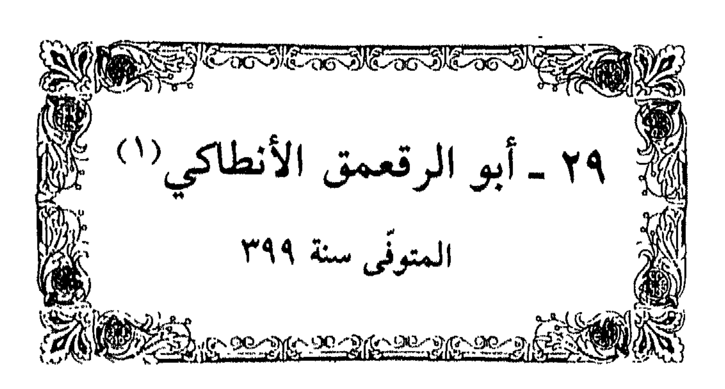
ما أنت بعد البين من أوطاني دارَ الهوى والدارُ بالجيرانِ

---

(١) الحندس: الظلام.

ويقول فيها:

كثر الحديث عن الكرام وكلُّ مَن ... جـرَّبت ألفـاظٌ بغيـر معـاني
إلّا بسعـدٍ مَن تنبَّـه للعـلا ... هيهـات نُـوَّمهم مِن اليقـظانِ
مهلاً بني الحسد الدخيل فإنَّها ... لا تُـدرك العليـاءُ بـالأضغـانِ
سعد بن أحمد أبيضٌ مَن أبيض ... في المجد فانتسبوا بني الألوانِ
بين الجبـال الصُّمِّ بحرٌ ثـامنٌ ... يحوي جلامدها وبـدرٌ ثـاني
من معشر سبقوا إلى حـاجـاتهم ... شوط الرِّيـاح وقد جرتْ لرهـانِ
قـومٌ إذا وزَروا الملوك بـرأيهم ... أمرتْ عمـائمهم على التيجـانِ
ضربوا بمدرجة السبيل قِبابَهم ... يتقـارعون بهـا على الضيفـانِ
ويكـاد موقـدهم يجـود بنفسـه ... ـ حبَّ القِرى ـ حطباً على النيرانِ
أبنـاء ضبَّة واسعـون وفي الـوغى ... يتضـايقـون تضـايق الأسنـانِ
يـا راكبـاً زُهـرُ الكـواكب قصدُه ... : قـرِّب لعلّك عندهـا تلقـاني
قف نادِ: يا سعد الملوك رسالةً ... من عبـدك القـاصي بحبٍّ داني
غالطتُ شـوقي فيك قبـلَ لقائنـا ... والقـربُ ظـنٌّ والمزارُ أمـانـي
حتّى إذا مـا الوصـل أطفـأ غُلّتي ... بك كان أعطشَ لي من الهجرانِ
ولـربَّ وجـدٍ تـواصفٍ نـاهضته ... وضعفتُ لَمّـا صـارَ وجدَ عيـانِ
ولقـد عكستَ علـيَّ ذاك لأنَّني ... كنتُ الحبيب إليك قبلَ تراني
ومن العجـائب والـزَّمـان ملوَّنٌ ... أنَّ الـدنـوَّ هـو الـذي أقصـاني



٢٩ - أبو الرقعمق الأنطاكي(١)

المتوفّى سنة ٣٩٩

كتب الحصيرُ إلى السرير : انَّ الفَصيل إبن البعير
فلمثلها طرب الأمـ ـير إلى طباهجة بقير(٢)
فلأمنعنَّ حمارتي سنتين من علف الشعير
لا هُمَّ إلّا أن تطـ ـير من الهزال مع الطيور
فلأُخبرنّك قِصَّتي فلقد وقعتَ على الخبير
انَّ الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
أسفوا عليَّ لأنَّهمْ حضروا ولم أكُ في الحضور
لو كنتُ ثَمَّ لقيل: هل من آخذٍ بيد الضرير؟!
ولقد دخلتُ على الصديـ ـق البيت في اليوم المطير
متشمِّراً متبختراً للصَّفع بالدَّلو الكبير
فأدرتُ حين تبادروا دلوي فكان على المدير
يا للرِّجال تصافعوا فالصفعُ مفتاح السرور
لا تغفلوهُ فإنَّه يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبخو ر فلا تملّوا من بخور
ولأذكرنَّ إذا ذكرت أحبَّتي وقت السحور
ولأحزننَّ لأنَّهم لمّا دنا نضج القدور

---

(١) نسبة إلى انطاكية مدينة شهيرة بينها وبين حلب يوم وليلة.

(٢) الطباهجة: اللحم المشرح.

رحلوا وقد خبزوا الفطيـ ـر ففاتهم أكل الفطيرِ
لا والذي نطق النبيّ بفضله يوم الغديرِ
ما للإمام أبي عليٍّ في البريَّة مِن نظيرِ[1]

(الشاعر)

أبو حامد أحمد بن محمَّد الأنطاكي نزيل مصر المعروف بأبي الرقعمق، أحد الشعراء المشاهير المتصرِّفين في فنون الشعر، وله شوطه البعيد في أساليب البيان غير أنَّه ربما خلط الجدَّ بالهزل، نشأ بالشام ثمَّ رحل إلى مصر وأخذ فيها شهرةً طائلةً ومكانةً من الأدب عظيمةً، ومدح ملوكها وزعمائها ورؤسائها وممن مدح المعزّ أبو تميم معدّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، وإبنه زفر عزيز مصر، والحاكم إبن العزيز، وجوهر القائد، والوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس ونظرائهم، وصادف فيها جماعة من أهل الهزل والمجون فأوغل فيهما كلّ الايغال حتّى نبز بأبي الرقعمق، وقد يقال: إنَّه هو الذي سمّى نفسه بذلك، وقد أعلن في شعره انَّه حليف الرقاعة بقوله:

أستغفر الله من عقلٍ نطقتُ به ما لي وللعقل ليس العقل من شاني
لا والذي دون هذا الخلق صيّرني احدوثة وبحبِّ الحمق أغراني

والبيتان من قصيدة له سجَّل بها ليل [تِنِّيس[2]] وهي مدينةٌ مصريَّة كان بها في بعض العهود خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث ومطلع القصيدة:

ليلي بتنيس ليل الخائف العاني تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني

وينمُّ عن توغله في المجون قوله من قصيدة:

كفي ملامك يا ذات الملاماتِ فما اريد بديلاً بالرُّقاعاتِ
كأنّني وجنود الصَّقع تتبعني وقد تلوت مزامير الرطاناتِ
قِسّيس دير تلا مزماره سحراً على القسوس بترجيعٍ ورنّاتِ

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٤.
(٢) تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة وسين مهملة

وقد مجنتُ وعلّمتُ المجون فما ... أُدعى بشيء سوى ربِّ المجاناتِ
وذاك انّي رأيت العقل مطّرحاً ... فجئت أهل زماني بالحماقاتِ

وقوله من قصيدة:

ففيَّ ماشئت من حمق ومن هوس ... قليله لكثير الحمق إكسيرُ
كم رامَ إدراكه قومٌ فأعجزهم ... وكيف يدرك ما فيه قناطيرُ؟!
لأشكرنَّ حماقاتي لأنَّ بها ... لواء حمقي في الآفاق منشورُ
ولستُ أبغي بها خلّاً ولا بدلاً ... هيهات غيري بترك الحمق معذورُ
لا عيب فيَّ سوى أنِّي إذا طربوا ... وقد حضرت يُرى في الرأس تفجيرُ

وقوله من قصيدة:

فاسمعن منِّي ودعني ... من كثيرٍ وقليلِ
وصغيرٍ وكبيرٍ ... ودقيقٍ وجليلِ
قد ربحنا بالحما ... قات على أهل العقولِ
فرعى الله ويُبقي ... كلَّ ذي عقل قليلِ
ما له في الحمق والخفَّـ ... ـة مثلي من عديلِ
فمتى أذكر قالوا: ... شيخنا طبل الطبولِ
شيخنا شيخٌ ولكن ... ليس بالشيخ النبيلِ

وأكثر شعره جيِّد على اسلوب صريع الدلاء والقصار البصري كما قاله إبن خلكان، ويُستشهد بشعره في الأدب كما في باب المشاكلة[١] من التلخيص وسائر كتب البيان وقد استشهد عليها بقوله:

قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبّة وقميصا

قال السيِّد العبّاسي في « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٢٢٥: هو قول أبي الرقعمق يروى انَّه قال: كان لي إخوان أربعة وكنت انادمهم أيّام الأستاذ كافور الأخشيدي فجاءني رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصنني من البرد

(١) هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقول أبي الرقعمق: اطبخوا. وارادة خيطوا.

فقال: إخوانك يقرأون عليك السَّلام ويقولون لك: قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاةً سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها. قال: فكتبت إليهم:

إخواننا قصدوا الصّبوح بسحرة فأتى رسولهمُ إليَّ خصوصا
قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت: اطبخوا لي جبَّةً وقميصا

قال: فذهب الرَّسول بالرقعة فما شعرت حتّى عاد ومعه أربع خلع وأربع صُرَر في كلِّ صُرَّة عشرة دنانير فلبست إحدى الخلع وسرت إليهم.

ترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٩٦ وذكر من شعره أربعمائة وأربعة وتسعين بيتاً وقال: نادرة الزمان، وجملة الإحسان، وممن تصرَّف بالشعر الجزل في أنواع الجدّ والهزل، وأحرز قصب الفضل، وهو أحد المُدَّاح المجيدين والفضلاء المحسنين وهو بالشم كابن الحجّاج بالعراق. ولعلّ كونه كابن الحجّاج [السابق ذكره] ينمُّ عن تشيّعه فإنَّ ذلك أظهر أوصاف إبن الحجّاج وأجلّ ما يُؤثر عنه، فقد عرفه من عرفه بولائه الصلب لأهل بيت الوحي عليهم السَّلام والتجهّم أمام أضدادهم والوقيعة فيهم، فقاعدة التشبيه تستدعي أن يكون شاعرنا المترجَم مثله أو قريباً منه، على أنَّ صاحب « نسمة السحر » عدَّه ممَّن تشيَّع وشعر وعقد له ترجمةً ضافية الذيول.

نعم: ويشبه إبن الحجّاج في تغلّب المجون على شعره؛ ولا يبعد جدّاً أن يكون هذا مرمى كلام الثعالبي، ومن شعره قصيدةٌ في ممدوح[1] له علويٍّ منها قوله:

وعجيبٌ والحسين له راحةٌ بالجود تنسكبُ
إنَّ شربي عنده رنقٌ ولديه مربعي جدبُ
وله الورد المعاذ به والجناب الممرع الخصبُ
وهو الغيث الملثُّ إذا أعوزتنا درّها السّحبُ

---

(١) هو نقيب الأشراف بمصر أبو اسماعيل ابراهيم بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ترجمان الدين أبي محمد القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى الرسي المتوفى سنة ٣٦٥، راجع تاج العروس ج ٤ ص ١٦١.

وإلى الرّسيّ ملجأنا ... من صروف الدّهر والهربُ
سيِّدٌ شادت علاه له ... في العلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ تمدُّ له ... فوق مجرى الأنجم الطنبُ
حسبه بالمصطفى شرفاً ... وعليٍّ حين ينتسبُ
رتبةٌ في العزِّ شامخةٌ ... قصرت عن نيلها الرُّتبُ
ذاك فخرٌ ليس تنكره ... لكمُ عجمٌ ولا عربُ
ولأنتم مَن بفضلهمُ ... جاءت الأخبار والكتبُ
وإليكم كلُّ منقبة ... في الورى تُعزى وتُنتسبُ
وبكم في كلِّ معركة ... تفخر الهنديَّة القضبُ
وبكم في كلِّ عارفةٍ ... تُرفع الأستار والحجبُ
وإذا سمر القنا اشتجرت ... فبكم تستكشف الكربُ

وله من قصيدة أوّلها:

باح وجداً بهواهُ ... حين لم يُعط مناهُ
مغرمٌ أغرى به السقـ ... ـم فما يُرجى شفاهُ
كاد يُخفيه نحول الـ ... ـجسم حتّى لا تراهُ
لو ضناً يُخفي عن الـ ... ـعين لأخفاه ضناهُ

ومنها قوله:

حبَّذا الرَّسيّ مولى ... رضي النّاس ولاهُ
جعل الله أعاديـ ... ـه من السّوء فداهُ
فلقد أيقن بالثر ... وة مَن حلَّ ذراهُ
مَن رقى حتّى تناهى ... في المعالي مرتقاهُ
فاق أن يبلغ في الـ ... ـسؤدد والمجد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالـ ... ـسطوة ممنوعٌ حماهُ
بحر جود ليس يُدرى ... أين منه منتهاهُ
لم يُضع مَن كان إبـ ... ـراهيم في النّاس رجاهُ

لا ولا يفرق مِن صرف زمان إن عراهُ
مَن به استكفى أذى الـ ـأيّام والدَّهر كفاهُ
كيف لا أمدح مَن لم يخلُ خلقٌ من نداهُ

ومن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أوَّلها:

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعاني لمن عنيت ولكن بك عرَّضت فاسمعي يا جاره
من مرادٌ به أنه أبد الدهـ ـر تراه محلّلا إزاره
عالمٌ أنَّه عذابٌ من اللَّـ ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتـ ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ـلُّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإ عراض لو آثر الرِّضى والزياره
وعلى أنَّني وإن كان قد عذَّ ب بالهجر مؤثراً ايثاره
لم أزل لاعدمته من حبيبٍ أشتهي قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها:

لم يدع للعزيز في سائر الأر ض عدوّاً إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سوا هُ واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيِّد له الوزارةُ مجداً لا ولا قيل رفَّعت مقداره
بل كساها وقد تخرَّمها الدهـ ـر جلالاً وبهجةً ونضاره
كلّ يوم له على نوب الدَّهـ ـر وكرّ الخطوب بالبذل غاره
ذو يد شأنها الفرار من البخـ ـل وفي حومة الوغى كرّاره
هي فلّت عن العزيز عداه بالعطايا وكثّرت أنصاره
هكذا كلُّ فاضلٍ يده تمـ ـسي وتُضحي نفّاعة ضرّاره
فاستجره فليس يأمن إلاّ من تفيّا بظلّه واستجاره
فإذا ما رأيته مطرقاً يعـ ـمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذّكاء والذهن شيئاً في ضمير الغيوب إلاّ أناره

لا ولا موضعاً من الأرض إلاّ   كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطةً وكفاه   خوفه من زمانه وحذاره

وذكر النويري من شعره في « نهاية الأرب » في الجزء الثالث ص ١٩٠ قوله :

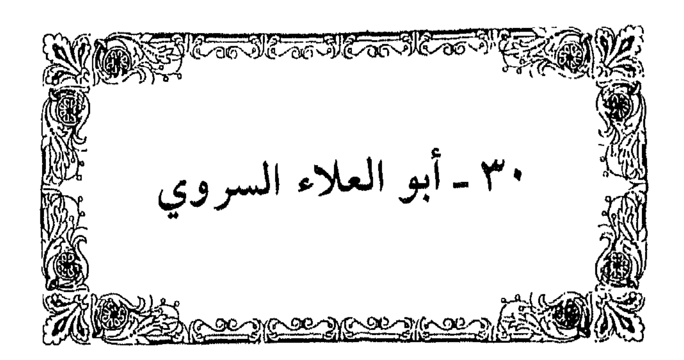
لو نيل بالمجدِ في العلياء منزلة   لنال بالمجد أعناق السَّماواتِ
يرمي الخطوب برأي يُستضاء به   إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
فليس تلقاه إلاّ عند عارفه   أو واقفاً في صدور السمهريّاتِ[1]

ترجمه إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٢ وقال بعد الثناء عليه ونقل كلام الثعالبي المذكور وذكر أبيات من شعره : وذكره الأمير المختار المسيحي في تاريخ مصر وقال : توفّي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وزاد غيره في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان ، وقيل : في شهر ربيع الآخر ، وأظنّه توفي بمصر .

وترجمه اليافعي وأرّخ وفاته كما ذُكر في « مرآة الجنان » ج ٢ ص ٤٥٢ ، وابن العماد الحنبلي في « الشذرات » ج ٣ ص ١٥٥ ، والسيِّد العبّاسي في « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٢٢٦ ، والزركلي في « الأعلام » ج ١ ص ٧٤ ، وصاحب « تاريخ آداب اللغة » ج ٢ ص ٢٦٤ .

---

(١) هذه ابيات من قصيدة ذكرها الثعالبي في « اليتيمة » ج ١ ص ٢٨٤ .



٣٠ - أبو العلاء السروي

عليٌّ إمـاميَ بـعـد الـرَّسـولِ   سيشفـع في عـرصـة الحقّ لي

ولا أدَّعـي لـعـليٍّ سـوى   فضـائل في العقـل لم يشكـل

ولا أدَّعـي انَّـه مـرسـلٌ   ولـكـن إمـامٌ بـنصٍّ جـلي

وقـول الـرَّسـول لـه إذ أتـى   لـه شبه الفـاضـل المفضـلِ

: ألا انَّ مَـن كنـت مـولى لـه   فمـولاه من غير شـكٍّ علي(١)

(الشاعر)

أبـو العـلاء محمَّـد بن إبـراهيم السَّـروي ، هـو شـاعـر طبـرستـان الأوحد، وعلَم الفضيلة المفرد، وله مساجلات ومكاتبات مع أبي الفضل إبن العميد المتوفّى سنة ٣٦٠ ، وله كتبٌ وشعرٌ ذائعٌ وملحٌ كثيرةٌ ذكرت في « اليتيمة » منها جملةٌ صالحةٌ ج ٤ ص ٤٨ ، وفي [محاسن اصبهان] ص ٥٢ و ٥٦ ، وفي [نهـاية الإرب في فنـون الأدب]، ومن شعره في وصف طبـرستان مـا ذكره الحموي في « معجم البلدان » ج ٦ ص ١٨ وهو:

إذا الريح فيها جرّت الريح أعجلت   فـواختهـا في الغصن أن تـترنَّمـا

فكم طيَّرت في الجوِّ ورداً مُدثَّراً   يـقلِّبـه فـيـه وورداً مُـدرهمـا

وأشجـار تفّـاح كـأنَّ ثمـارهـا   عـوارض أبكار يُضاحكن مُغرمـا

فإن عقدتها الشمس فيها حسبتها   خدوداً على القضبان فذّاً وتوأمـا

(١) ذكرها ابن شهراشوب في « المناقب » ج ١ ص ٥٣١ طبع إيران، ويعبر عن المترجم في « المناقب » بأبي العلا بلا قيد زائد كما يظهر عنه عند نقله: بعض أبيات قصيدته الفائية في ج ٢ ص ١٣٩ .

ترى خطباء الطير فوق غصونها تبثُّ على العشّاق وجداً مُعتّما

وله في مدح أهل البيت عليهم السّلام قوله ذكره إبن شهراشوب في « المناقب » ج ٢ ص ٧٣ ط ايران:

ضدّان جالا على خدّيك فاتّفقا من بعدما افترقا في الدّهر واختلفا
هذا بأعلام بيض إغتدا فبَدا وذا بأعلام سودٍ إنطوى فعفا
أعجب بما حكيا في كتب أمرهما عن الشعارين في الدنيا وما وصفا
هذا ملوك بني العبّاس قد شرعوا لبس السواد وأبقوه لهم شرفا
وذي كهول بني السبطين رايتهم بيضاء تخفق امّا حادثٌ أزفا
كم ظلّ بين شبابٍ لا بقاء له وبين شيب عليه بالنهى عطفا
هل المشيب إلى جنب الشباب سوى صبحٍ هنالك وجه الدُّجى كشفا؟!
وهل يُؤدّي شبابٌ قد تعقّبه شيبٌ سوى كدر أعقبت منه صفا؟!
لو لم يكن لبني الزّهراء فاطمة من شاهدٍ غير هذا في الورى لكفى
فرايةٌ لبني العبّاس عابسةٌ سوداء تشهد فيه التيه والشرفا
ورايةٌ لبني الزّهراء زاهرةٌ بيضاء يعرف فيها الحقَّ من عرفا
شهادةٌ كشفت عن وجه أمرهما فُبح بها وانتصف إن كنتَ مُنتصفا
حاز النبيُّ وسبطاه وزوجته مكان ما أفنت الأقلام والصحفا
والفخر لو كان فيهم صورة جسد عادت فضائلهم في اذنه شنفا
وقد تناكرت الأحلام وانقلبت فيهم فأصبح نور الله مُنكسفا
ألا أضاء لهم عنها أبو حسن بعلمه؟ وكفاهم حرّها وشفا؟!
وهل نظيرٌ له في الزّهد بينهمُ ولو أصاح لدنيا أو بها كلفا؟!
وهل أطاع النبيَّ المصطفى بشرٌ من قبله؟ وحذا اثاره وقفا؟!
وهل عرفنا وهل قالوا سواه فتىً بذي الفقار إلى أقرانه زلفا؟!
يدعو النِّزال وعجل القوم محتبسٌ والسامريُّ بكفّ الرعب قد نزفا
مفرِّجٌ عن رسول الله كربته يوم الطِّعان إذا قلب الجبان هفا
تخاله أسداً يحمي العرين إذا يوم الهياج بأبطال الوغى رجفا

يظلّه النصر والرُّعب اللذان هما كانا له عادةً إذ سار أو وقفا
شواهدٌ فرضت في الخلق طاعته برغم كلِّ حسودٍ مالَ وانحرفا
ثمَّ الأئمة من أولاده زُهرٌ مُتوَّجون بتيجان الهدى حنفا
من جالسٍ بكمال العلم مُشتهر وقائمٍ بغرار السيف قد زحفا
مطهَّرونَ كرامٌ كلّهم عَلَمٌ كمثلِ ما قيل كَشّافون لا كُشفا

وله في « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٤٨ :

مررنا على الروض الذي قد تبسَّمت ذراه وأوداج الأبارق تسفكُ
فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً من الرَّوض يجري دمعه وهو يضحكُ

وله في النرجس:

حيِّ الرَّبيع فقد حيّا بباكورِ من نرجس ببهاء الحسن مذكورِ
كأنَّما جفنه بالغنج منفتحاً كأسٌ من التِّبر في منديل كافورِ

وله في النرجس ما ذكر صاحبا« الظرائف واللطائف »ص ١٥٩ ، و« حلية الكميت » ص ٢٠٣ .

انظر إلى نرجس تبدَّت صبحاً لعينيك منه طاقه
واكتب أسامي مُشبِّهيه بالعين في دفتر الحماقه
وأيّ حُسنٍ يرى لطرفٍ مع برقان يحلُّ ماقه
كرّاثةٌ ركّبت عليها صفرة بيض على رقاقه

وكتب إليه شاعرٌ غريبٌ يشكو إليه حجابه أبياتاً منها:

جئتُ إلى الباب مراراً فما إن زرت إلّا قيل لي: قد ركبْ
وكان في الواجب يا سيِّدي أن لا تُرى عن مثلنا تحتجبْ

فأجابه على ظهر رقعته:

ليس احتجابي عنك من جفوةٍ وغفلةٍ عن حرمة المغتربْ
لكن لدهر نكدٍ خائنٍ مقصِّر بالحرِّ عمّا يجبْ
وكنت لا أحجب عن زائر فالآن من ظلّي قد أحتجب

وذكر الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ٣٥٤ له قوله:

أما ترى قضب الأشجار قد لبست أنوارها تنثني ما بين جلّاس
منظومة كسموط الدرّ لابسة حسناً يُبيح دم العنقود للحاسي
وغرَّدت خطباء الطير ساجعةً على منابر من وَرد ومن آسِ

(خطباء الطير) في الشعر هي الفواخت والقماري والرواشن والعنادب وما أشبهها قال الثعالبي : أظنُّ أوّل من اخترع هذه الإستعارة المليحة أبو العلاء السروي في قوله المذكور، وذكر له صاحب « محاسن إصبهان » ص ٥٢ في الوصف قوله :

أوَ ما ترى البستان كيف تجاوبت أطياره وزها لنا ريحانهُ
وتضاحكت أنواره وتسلسلت أنهاره وتعارضت أغصانهُ
وكأنّما يفترُّ غبّ القطر عن حلل نشرن رياضه وجنانهُ

وذكر له ص ٥٦ قوله :

كأنَّ حمام الرَّوض نشوان كلّما ترنّم في أغصانه وترجَّجا
فلاذ نسيم الجوِّ من طول سيره حسيراً بأطراف الغصون مطلّجا

ولصاحب بن عبّاد، أبيات كتبها إلى المترجَم له ذكرها المافرّوخي في « محاسن إصبهان » ص ١٤ وهي :

أبا العلاء ألا أبشر بمقدمنا فقد وردنا على المهريَّة القودِ
هذا وكان بعيداً أن اراجعكم على التعاقب بين البيض والسودِ
من بعدما قربت بغداد تطلبني واستنجزتني بالأهواز موعودي
وراسلتني بأن بادِر لتملكني ويجريَ الماء ماء الجود في العودِ
فقلتُ : لا بدَّ من جَيٍّ وساكنها ولو رددت شبابي خير مردودِ
فإنَّ فيها أودّائي ومُعتمدي وقربها خير مطلوب ومنشودِ
ألستُ أشهد إخواني ورؤيتهم تفي بملك سليمان بن داودِ؟!

كان المترجَم يتعصَّب للعجم على العرب فكتب إليه إبن العميد رسالةً ينكر فيها تعصّبه بقوله : اقبل وصيَّة خليلك، وامتثل شورة نصيحك، ولا تتماد

في ميدان الجهل ينضّك، ولا تتهافت في إلحاحٍ يغرّك، واخش يا سيِّدي أن يُقال: التحمت حرب البسوس من دم ضرع، واشتبكت حرب غطفان من أجل بعير قرع، قُتل ألف فارسٍ برغيف الحولاء، وصبَّ الله على العجم سوط عذاب بمزاح أبي العلاء[1]

« **البيان** »:

(حرب البسوس) البسوس بنت منقذ التميميَّة، زارت اختها امّ جسّاس إبن مرَّة، ومع البسوس جار لها من جرم يقال له: سعد بن شمس ومعه ناقه له؛ فرماها كليب وائل لَمّا رآها في مرعىً قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلمّا رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلاه واغربتاه،وأنشأت تقول أبياتاً تسمِّيها العرب أبيات الفناء وهي:

لعمري لو أصبحت في دار مُنقذٍ — لماضيم سعدٌ وهو جار لأبياتي
ولكنَّني أصبحت في دار غـربـةٍ — متى يعدُ فيها الذئب يعدُ على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل — فإنّك في قومٍ عن الجار أمواتي
ودونك أذوادي فخذها وآتني — بها حلّة لا يغدرون ببنياتي[2]

فسمعهاإبن اختها جسّاس فقال لها: أيَّتها الحرَّة اهدئي فوالله لأقتلنَّ بلقحة[3] جارك كليباً، ثمَّ ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنة أثقلته فمات منها ووقعت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة وجرت خطوبٌ وصار [شؤم البسوس] مثلاً ونُسبت الحرب إليها وهي من أشهر حُروب العرب.

(رغيف الحولاء) من أمثال العرب المشهورة: أشأم من رغيف الحولاء، كانت [الحولاء] خبّازة في بني سعد بن زيد مُناة، فمرَّت وعلى رأسها كارة خبز

---

(١) ذكرها الثعالبي في « ثمار القلوب » ص ٢٤٨.

(٢) البنيات: الطرق الصغار. تريد عجل السفر قبل أن يقطعون الطريق علي.

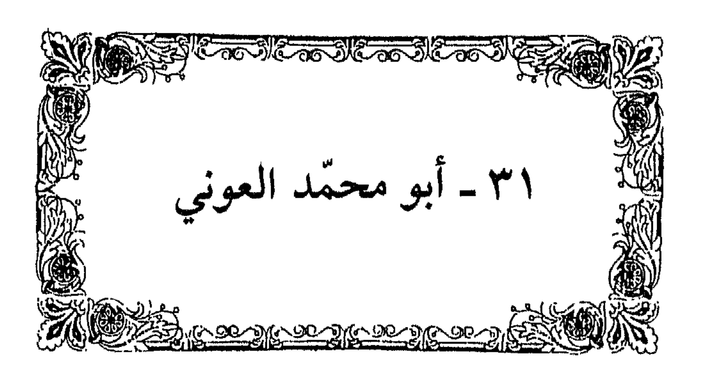
(٣) اللقحة: الناقة الحاملة.

فتناول رجلٌ من رأسها رغيفاً فقالت: والله مالك عليَّ حقّ ولا استطعمتني فلمَ أخذت رغيفي؟ أما انَّك ما أردت بهذا إلّا فلاناً ـ تعني رجلاً كانت في جواره ـ فمرَّت إليه شاكيةً فثار وثار معه قومه إلى الرَّجل الذي أخذ الرغيف وقومه فقُتل بينهم ألف نفس؛ وصار رغيف الحولاء مثلاً في الشيء اليسير يجلب الخطب الكبير.

(سوط عذاب) من إستعارات الكتاب الكريم قال الله تعالى: فصبَّ عليهم ربّك سوط عذاب.

وذكر له النويري في نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٣:

حيِّ شيباً أتى لغير رحيلِ وشباباً مضى لغير إيابِ
أيّ شيءٍ يكون أحسن من عا ج مشيب في آبنوس شباب



٣١ ـ أبو محمّد العوني

إمـامي له يـوم « الغديـر » أقامـه نبيُّ الهدى ما بين من أنكر الأمرا
وقـام خـطيبـاً فيهمُ إذ أقـامـه ومن بعد حمد الله قال لهم جهرا
: ألا إنَّ هذا المرتضى بعلُ فاطمٍ عليٌّ الرضى صهري فأكرم به صهرا
ووارث علمي والخليفـة فيـكمُ إلى الله من أعـدائـه كلّهم أبـرا
سمعتم؟ أطعتم؟ هل وعيتم مقالتي؟ فقالوا جميعاً: ليس نعدو له أمرا
سمعنا أطعنا أيّها المرتضى فكن على ثقةٍ منّا وقد حاولوا غدرا(١)

ومنها قوله مشيراً إلى حديث مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٣٤:

وفي خبـر صحَّت روايتـه لهـم عن المصطفى لا شكَّ فيه فيستبرا
بأن قال: لمّا أن عرجت إلى السّما رأيت بهـا الأملاك نـاظـرة شـزرا
إلى نحو شخصٍ حيل بيني وبينه لعظم الذي عـاينته منـه لي خيرا
فقلت: حبيبي جبرئيل مَن الذي تُلاحظه الأملاك؟ قال: لك البُشرا
فقلت: وما من ذاك؟ قال: عليّ الر ضا وما خصَّه الرّحمن من نِعَم فخرا
تشوَّقت الأملاك إذ ذاك شخصـه فصوَّره الباري على صـورةٍ اخرا
فمـال إلى نحـو ابن عمّ ووارث على جـذل منـه بتحقيقـه خبرا

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص٥٣٢ ط ايران.

ومن شعره في « الغدير » كما في « المناقب » لابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣٧ ط ايران قوله:

أليس قام رسول الله يخطبهم يوم « الغدير » وجمع الناس محتفلُ؟!
وقال: مَن كنت مولاه فذاك له من بعدُ مولى فواخاهُ وما فعلوا
لوسلّموها إلى الهادي أبي حسن كفى البرايا ولم تستوحش السبلُ
هذا يُطالبه بالضعف محتقباً وتلك يحدو بها في سعيها جملُ

وله من قصيدة في « المناقب » ج ١ ص ٥٣٨ ط ايران قوله:

فقال رسول الله: هذا لامّتي هو اليوم مولى ربّ ما قلت فاسمعِ
فقام جحودٌ ذو شقاق منافقٌ يُنادي رسول الله من قلب موجعِ
: أعن ربِّنا هذا؟ أم أنت اخترعته؟ فقال: معاذ الله لست بمُبدعِ
فقال عدوُّ الله: لا همَّ إن يكن كما قال حقّاً بي عذاباً فأوقعِ
فعوجل من افق السَّماء بكفره بجندلةٍ فانكبَّ ثاوٍ بمصرعِ

وله من قصيدة كبيرة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام ويسمّي الأئمّة المعصومين:

إنّ رسول الله مصباح الهدى وحجّة الله على كلِّ البشرْ
جاء بفرقان مبينٍ ناطقٍ بالحقِّ مِن عند مليك مقتدرْ
فكان من أوَّل من صدَّقه وصيّه وهو بسنّ ما ثغرْ[1]
ولم يكن أشرك بالله ولا دنَّس يوماً بسجود لحجرْ
فذاكمُ أوَّل مَن آمن بالله ومَن جاهد فيه ونصرْ
أوَّل مَن صلّى مِن القوم ومَن طاف ومن حجَّ بنسك واعتمرْ
مَن شارك الطاهر في يوم العبا في نفسه؟ من شكَّ في ذاك كفرْ
مَن جاد بالنَّفس ومَن ضنَّ بها في ليلةٍ عند الفراش المشتهرْ؟!؟!
مَن صاحب الدار الذي انقضَّ بها نجمٌ من الجوِّ نهاراً فانكدرْ؟!

---

(١) ثغر الصبي: نبت ثغره، والثغر: مقدم الأسنان.

مَن صاحب الراية لَما ردَّها بالأمس بالذلِّ قبيع وزفرْ؟!
مَن خُصّ بالتبليغ في براءة؟ فتلك للعاقل من إحدى العِبَرْ
مَن كان في المسجد طلقاً بابه حلًّا وأبواب اناس لم تُذرْ؟!
مَن حاز في « خمٍّ » بأمر الله ذاك الفضل واستولى عليهم واقتدرْ؟!
مَن فاز بالدَّعوة يوم الطائر المشويِّ من خصّ بذاك المفتخرْ؟!
مَن ذا الذي اسرى به حتّى رأى القدرة في حندس ليل معتكرْ؟!
مَن خاصف النَّعل؟ ومن خبّركم عنه رسول الله أنواع الخبرْ؟!
سائل به يوم حُنين عارفاً مَن صدق الحرب ومن ولى الدبرْ؟!
كليم شمس الله والرّاجعها من بعدماانجاب ضياها واستترْ
كليم أهل الكهف إذ كلّمهم في ليلة المسح فسل عنها الخبرْ
وقصّة الثعبان إذ كلّمه وهو على المنبر والقوم زُمرْ
والأسد العابس إذ كلّمه معرّفاً بالفضل منه وأقرْ
بأنّه مستخلف الله على الأُمّة والرَّحمن ما شاء قَدَرْ
عيبة علم الله والباب الذي يُؤتى رسول الله منه المشتهرْ

وله من قصيدة:

يا امَّة السوء التي ما تيقَّظت لما قد خلت فيها من المثلاتِ
وقد وترت آل النبيِّ ورهطه على قَدَر الأيّام أيَّ تراتِ
وقد غدرت بالمرتضى علم الهدى إمام البرايا كاشف الكرباتِ
ببدرٍ وأحدٍ والنضير وخيبرٍ ويوم حُنين ساعة الهبواتِ
وصاحب « خُمّ » والفراش وفضله ومن خُصَّ بالتبليغ عند براةِ

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام :

والله ألبسه المهابة والحجى وربا به أن نعبد الأصناما
ما زال يغذوه بدين محمَّد كهلاً وطفلاً ناشئاً وغلاما
أمَّن سواه إذا أتى بقضيَّةٍ طرد الشكوك وأخرس الحكّاما؟!
فإذا رأى رأياً يُخالف رأيه قومٌ وإن كدّوا له الأفهاما

نـزل الكتـاب بـرأيـه فكـأنّمـا عقـد الآلـه بـرأيـه الأحكـامـا
مَن ذا سواه إذا تشاجرت القنـا وأبى الكمـاة الكرّ والإقـدامـا؟!
وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت فرسانهـا التصجاج والإحجاما[1]
ورأيت من تحت العجـاج لنقعها فـوق المغـافـر والـوجـوه قتـامـا
كشف الآلـه بسيفـه وبـرأيـه يظمي الجواد ويرتوي الصمصاما
ووزيـره جبـريـل يقحمـه الـوغى طـوعـاً وميكـال الـوغى إقحـامـا
أم من سـواه يقـول فيـه أحمـد يـوم « الغـديـر » وغيـره أيّـامـا
: هذا أخي مولاكمُ وإمامكم وهو الخليفة إن لقيت حماما؟!

منّي كما هارون من موسى فلا تـألـوا[2] لحقّ إمـامكم إعـظامـا
إن كـان هـارون النبيّ لقـومـه مـا غـاب مـوسى سيّـداً وإمـامـا
فهـو الخليفـة والإمـام وخيـر مَن أمضى القضـاء وخفّف الأقـلامـا
حتّى لقـد قـال ابن خـطّاب لـه لَمّـا تقـوّض مَن هنـاك وقـامـا
: أصبحت مولائي ومولى كلّ مَـ ـن صلّى لـربّ العالمين وصـامـا
غصنٌ رسـول الله أثبت غـرسـه فعـلا الغصـون نضارةً ونـظامـا
حتّى استوى علماً كما قد شـاءه ربُّ السّمـاء وسيّـداً قمقـامـا
مـا سـامـه في أن يكـون مؤمَّـراً لـفتـىً ولا ولّى عـليـه اسـامـا
فهـو الأميـر حيـاتـه ومـمـاتـه أمـراً مـن الله الـعـليِّ لـزامـا
صلّى عليـه ذو الجـلال كـرامـةً ومـلائـكٌ كـانـوا لـديـه كـرامـا

وله من قصيدة:

يـا آل أحمد لـولاكم لمـا طلعت شمس ولا ضحكت أرضٌ من العشب
يـا آل أحمـد لازال الفؤاد بكم صبـا بـوادره تبكي من النـدب

---

(١) صلصل اللجام: صوت. التصجاج من الصج: صوت وقع الحديد على الحديد. أحجم عن الحرب: نكص هيبة.

(٢) الا ألوآ وألى تألية وائتلاء في الأمر: قصر وأبطأ.

يا آل أحمد أنتم خير مَنْ وخَدتْ | به المطايا فأنتم منتهى الإربِ
أبوكمُ خير من يُدع لحادثة | فيستجيب بكشف الخطب والكربِ
عدل القران وصيُّ المصطفى وأبو | السبطين أكرم به من والدٍ وأبِ
بعلُ المطهَّرة الزَّهراء ذو الحسب الـ | ـطّهر الذي ضمَّه شفعاً إلى النسبِ
مَن قال أحمد في يوم « الغدير » له | مَن كنت مولى له في العجم والعربِ
فإنَّ هذا له مولى ومنذره | يا حبّذا هو من مولى ويا بأبي
مَن مثله؟ وهو مولى الخلق أجمعها | بأمر ربِّ الورى في نصِّ خير نبي
يأتي غداً ولواء الحمد في يده | والناس قد صفروا من أوجهٍ قطبِ
حتّى إذا اصطكّت الأقدام زائلةً | عن الصِّراط فُويق النار مضطربِ

(الشاعر)

أبو محمَّد طلحة بن عُبيد الله بن أبي عون الغسّاني[١] العوني. لعلَّ في شهرة العوني وشعره السائر وطرفه المدوَّنة في الكتب، غنىً عن تعريفه وذكر عبقريَّته، وتفوّقه في سرد القريض، ونبوغه في نضد جواهر الكلام، كما أنَّ فيما دُوِّن من تاريخ حياته وما يُؤثر عنه من جُمل الشعر ومفصَّلاته كفايةٌ للباحث عن إدلاء الحجَّة على تشيّعه وتفانيه في ولاء سادته وأئمَّة دينه صلوات الله عليهم.

لقد سرى الركبان بشعر العوني فطارت نبذةٌ إلى مختلف الديار، ولهج بها الناس في أماكن قصيَّة، وكان ينشدها المنشدون في الأندية والمجتمعات التي يُتحرّى فيها تشنيف الأسماع بذكر أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومنهم الشاعر [مُنير] والد الشاعر أحمد بن منير المترجم في شعراء القرن السّادس؛ كان يُنشد شعر العوني في أسواق طرابلس فيقرِّط آذان الناس بتلكم الفضائل، لكن إبن عساكر [أساء سمعاً وأساء جوابه] غاظه ذلك الهتاف بذكر أهل البيت عليهم السَّلام، فأراد أن يسم الرجل بما يشوِّه سمعته فقال: إنَّه كان يُغنّي في أسواق طرابلس بشعر العوني. وجاء إبن خلكان بعد لأيٍ من عمر الدَّهر حتّى

(١) غسان: ماء باليمن تنسب إليه قبائل. وماء بالمشلل قريب من الجحفة.

وقف على تلك الانشودة فسائته أكثر مما سائت إبن عساكر [فزاد ضعثا على ابّاله] فطرح لفظة « شعر العوني » واكتفى بأنَّ مُنيراً كان يُغنّي في الأسواق، وللمحاسبة مع الرَّجلين موقفٌ نؤجّله إلى يوم الحساب فهنالك يستوفي مُنير حقَّه؛ وإنَّ ربّك لبالمرصاد.

وهذه كلّها والنبذ المدوَّنة من شعره في هذا الكتاب وفيها عدُّ الأئمّة الاثني عشر آياتٌ باهرةٌ لبلوغ « العوني » الغاية القصوى من الموالاة والتشيّع، حتّى انّ القاصرين أو الحانقين عليه رموه بالغلوِّ لما ذكره إبن شهراشوب في « المعالم » من أنَّه نظم أكثر المناقب؛ والواقف على شعره جِدُّ عليم بأنّه كان يمشي على الوسط بين الإفراط والتفريط، فلا يثبت لأهل البيت عليهم السّلام إلّا ما حقَّ لهم من المراتب والمناقب أو ما هو دون مقامهم، ولا ينظم إلّا ما ورد في أحاديث أئمَّة الدين من مناقبهم، وأمّا التّهمة بالغلو فكلمة جاهل أو معاند، وعلى أيّ فتشيّع العوني كان مشهوراً في العصور المتقدِّمة على عهده وبعد وفاته، حتّى انَّه لمّا وقعت الفتنة بين الشيعة والسنَّة في بغداد سنة ٤٤٣ واحتدم بينهما القتال فكانت مّما جاءت به يد الجور من الفظائع انَّهم نبشوا قبور جماعة من الشيعة وطرحوا النيران في ترابهم ومنهم العوني « المترجَم » والناشي عليٌّ بن وصيف الأنف ذكره، والشاعر المعروف الجذوعي[١]

كان العوني يتفنّن في الشعر، ويأتي بأساليبه وفنونه وبحوره، مقدرة منه على تحوير القول وصياغة الجمل كيف ما شاء وأحبَّ. قال إبن رشيق في العمدة ج ١ ص ١٥٤: ومن الشعر نوعٌ غريبٌ يُسمّونه « القواديسي » تشبيهاً بالقواديس السانية؛ لارتفاع بعض قوافيه في جهةٍ وانخفاضها في الجهة الاخرى، فأوَّل من رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العوني في قوله وهي من قصيدة له مشهورة طويلة:

كم للدمى الأبكار بالـ ـجنتين من منازِل
بمهجتي للوجد من تذكارها منازلُ

(١) ذكرها ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ١٩٩، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠.

مـعـاهـدُ رعـيـلهـا مـشـعـنـجـر الـهـواطـلِ
لَـمّـا نـأى سـاكـنـهـا فـأدمـعـي هـواطـلُ

وللعوني معاني فخمة في شعره إستحسنها معاصروه ومن بعده فحذوا حذوه في صياغة تلك المعاني لكن الحقيقة تشهد بأنَّ الفضل لمن سبق، قال أبو سعيد محمَّد بن أحمد العبيدي في [الإبانة عن سرقات المتنبّي] ص ٢٢ قال العوني:

مضى الرَّبيع وجاء الصيف يقدمه جيشٌ من الحرِّ يرمي الأرض بالشررِ
كأنَّ بالجوِّ مابي من جوى وهوى ومن شحوب فلا يخلو من الكدرِ

قال المتنبِّي [المقتول سنة ٣٥٤]:

كـأنَّ الجـوَّ قـاسى مـا اقـاسي فصـار سـواده فيـه شحـوبـا[1]

وقال في ص ٦٤ قال العوني:

يـا صـاحبي بعـدتمـا فتـركتمـا قلبي رهين صـبـابـة ونصـابِ
أبكي وفاءكما وعهـدكما كمـا يبكي المحبّ معاهد الأحبابِ

قال المتنبِّي:

وفاءكما كالربـع أشجاه طـاسمه بأن تسعدا والدَّمع أشجاه ساجمه[2]

وقال في ص ٦٦ للعوني في قصيدة له في أهل البيت عليهم السَّلام:

ألا سيـدٌ يبكي بشجـوي فـإنَّني لمستعذب ماء البكـاء ومُستجلي
احب ابن بنت المصطفى وأزوره زيـارة مهجور يحنُّ إلى الـوصلِ
ومـا قدمي في سعيـه نحـو قبـره بـأفضل منـه رتبة مـركب العقلِ

قال المتنبِّي:

---

(١) من قصيدة ٤٢ بيتاً توجد في ديوانه ج ١ ص ٩٨ يمدح بها علي بن محمد التميمي .
(٢) توجد القصيدة ٤٢ بيتاً في ديوانه ج ٢ ص ٢٣٢ وهي أول ما انشدت سنة ٣٣٧ يمدح بها سيف الدولة.

خيــر أعضـائنــا الــرؤوس ولكن فضلتـهــا بقـصــدهــا الأقــدام

قال الأميني : وحذا حذو العوني في المعنى سيِّدنا الشهيد السيِّد نصر الله الحائري في كافيَّةٍ له في تربة كربلاء المشرفة وقال:

أقدام مَن زار مغناكِ الشريف غدت تفاخر الرأس منه طـاب مثواكِ[١]

وشعره في أهل البيت عليهم السَّلام مدحاً ورثاءاً مبثوثٌ في « المناقب » لابن شهراشوب و « روضة الواعظين » لشيخنا الفتّال، و « الصراط المستقيم » لشيخنا البياضي، وقد جمعنا من شعره ما يربو على ثـلاثمائـة وخمسين بيتاً، وجمعه ورتَّبه العلاّمة السماوي في ديوان ومما رتبه قصيدته المعروفة بالمذهَّبة توجد في « مناقب » ابن شهراشوب ناقصة الأطراف.

وســائــلٌ عـن العـليِّ الـشــانِ هــل نصَّ فـيــه الله بــالقــرآنِ
بــأنَّــه الــوصــيُّ دون ثــانِ لأحمـد المـطهَّـر العـدنــاني؟!

فاذكر لنا نصّاً به جليّا

أجبت يكفي « خم » في النصوص من آيـة التبليـغ بـالمخصـوصِ
وجـملة الأخـبــار والنـصــوصِ غيرِ الذي انتاشت يد اللصـوص

وكتَّمته ترتضي أُميّا

أمــا سمعت يـا بعيــد الــذهنِ مــا قــالـه أحمــد كــالمهنّـي
: أنت كهــارون لمــوسى منّي إذ قـال موسى لأخيـه اخلفني؟!

فاسألهمُ لِم خالفوا الوصيّا؟!

أمــا سمعت خبــر المبــاهله؟! أمــا علمت أنَّهــا مفــاضـله؟!
بين الـورى فهل رأى مَن عـادله في الفضـل عنـد ربّـه وقـابله؟!

ولم يكن قرَّبه نجيّا

أمــا ســمـعــت انَّــه أوصــاهُ؟! وكــان ذا فــقــر كــمــا تــراهُ
فخصَّ بـالـدين الـذي يـرعـاهُ فــإن عــداهُ وهــو مــا عــداهُ

غادر ديناً لم يكن مرعيّا

فـقــال: هــل مـن آيــةٍ تــدلُّ على عليِّ الـطّهـر لا تعـلُّ؟!

---

(١) ولهذا البيت قصة أدبية لطيفة تأتي في ترجمة سيدنا بحر العلوم في شعراء القرن الثاني عشر.

بحيث فيهـا الـطّهـر يستقـلُ تـدنيـه للفضـل فيقصي كـلُّ
ويغتدي من دونه مقصيّا؟!
فـقـلتُ: إنَّ الله جـلَّ قـالا إذ شـرَّف الآبـاء والأنـسـالا
وآل إبـراهـيـم فـازوا آلا إنّـا وهـبنـا لـهـمُ إفـضـالا
لسان صدق منهمُ عليّا
فـكـان إبـراهـيـم ربّـانـيّـا ثـمَّ رسـولاً مُـنـذراً رضـيّـا
ثـمَّ خـليـلاً صـفـوةً صفـيّـا ثـمَّ إمـامـاً هـاديـاً مهـديّـا
وكان عند ربّه مرضيّا
فعنـدهـا قـال: ومِن ذريَّتي قـال لـه: لا، لن ينـال رحمتي
وعهـدي الـظالم من بـريَّتي أبـت لمـلكي ذاك وحـدانيَّتي
سجانهُ لا زال وحدانيّا
فـالمصطفى الآمـر فينـا النـاهي وعـادم الأمـثـال والأشـبـاهِ
فـالفعـل منـه والمقـال الـزاهي لـم يـصـدرا إلّا بـأمـر اللهِ
لم يتقوَّل أبداً فريّا
إن كـان غيـر نـاطق عن الهـوى إلّا بـأمر مبرمٍ من ذي القـوى؟
فكيف أقصاهم وأدنى المجتوى؟ إذن لقـد ضـلَّ ضـلالاً وغـوى
ولم يكن حاشا له غَويّا
لكنَّمـا الأقـوام في الـسقيفـه قـد نصبـوا بـرأيـهم خـليفـه
وكـان في شغـلٍ وفي وظيفـه ٠ن غسـل تلك الـدرَّة الـنظيفـه
وحزنه الذي له تهيّا
حتّى إذا قضى الخليفـة إنتخبْ مَن عقـد الأمـر لـه بين العـربْ
ثمَّ قضى واختار منهم مَن أحبْ وإن تكن شورى فللشورى سببْ
إن كان ذا ترتيبه مقضيّا
ثمَّ قضى ثـالثـهم فـانثـالـوا لـه الـرِّجـال تتبـع الـرِّجـالُ
فلم تسـع غيـر القبـول الحالُ فـقـام والـرِّضـا بـه مـحـالُ
إذ كان كلٌّ يتمنّى شيّا
فغـاضبت أوَّلهم ذات الجمَـلْ وقـام معها الـرجلان في العمـلْ
فـردَّهم سيف القضـاءِ وفصـلْ ولم يكن قد سبق السيف العذلْ
فقد تأتّى حربهم مليّا

وغـاضب الشـاني لأمـرٍ سـالفِ فـاجتاحـه بذي الفقـار القاصفِ
وأصبح النـاصـر كـالمخـالفِ إذ شكت الـرِّمـاح بـالمصـاحفِ
وأخذ الإنحدار والرقيّا
وكـان أن يـردَّ لـلتسـليـمِ إذ ردَّ لـلأحـبش في الـهـزيمِ
فـأعمـل الحيلة في التحكيمِ بـأمـر شيـطانهـم الـرجيـمِ
ففي الرُّعاة حكم الرعيّا
فلم يجـد للكفِّ مـن منـاصِ وأخـذ التحكيم بـالنّـواصي
فجاء أهل الشـام بابن العـاصي فـاحتـال فيهـا حيلة القنـاصِ
غرَّ أبا موسى الأشعريّا
قـام أبـو مـوسى فُويق المنبـرِ وقـال: إنّي خـالـعٌ بحيـدرِ
كمـا خلعتُ خاتمي من خنصـرِ ثـمَّ جعـلتهـا لـنجـل عـمـرِ
يا عمرو قم أنت اخلع الشاميا
فقال عمرو: أيّها الناس اشهـدوا أن خلـعِ الـذي لـه يعـتـمـدُ
ثمَّ اسمعـوا قـولي ولا تـردّدوا بـه فـإنّـي لأبـن هـنـدٍ أعـقـدُ
فاتّخذوه مذهباً عمريّا
فمـا تـرى أنت بهـذي الحـالِ من المـقـال ومن الأفـعـالِ؟!
لا تـدخل المفتـاح في الأقفـالِ تفتـح عن الأضغـان والأذحـالِ
وما يكون في الحشا مطويّا
إنَّ عـليّـاً عنـد أهـل الـعلمِ أوّل مـن سُمّي بـهـذا الأسمِ
قـد نالـه من ربِّه في الحكمِ عـلى يـدي أخيـه وابـن العـم
وحياً قديم الفضل عُد مليّا
وهـو الـذي سُمّي في التـوراةِ عنـد الأولى هـادٍ من الهـداةِ
بـالنصِّ والتصـريـح في البـراةِ بـرغـم مَن سـيء من الـعـداةِ
من كل عيبٍ في الورى بريّا
وهـو الذي يُعـرفِ عنـد الكهنـه إذ جمعـوا التوراة في الممتحنـه
فـأخـذوا من كـلّ شيء حسنـه وهم لتـوراة الكليم الخـزنـه
ليوردوا الحقَّ لهم بوريّا
وهـو الذي يُعـرف في الإنجيلِ بـرتبـة الإعـظام والتّبجيـلِ

وميـزة الـغـرَّة والـتحـجيـل وفـوزة الـرَّقيـب لـلمجيـلِ
وكان يُدعى عندهم أليّا
وهـو الـذي يُعـرف بـالـزّبـورِ زبـور داود حـليـف الـنـورِ
وذي العـلا والعـلَم المنشـورِ في اسم الهـزبر الأسـد الهصورِ
ليث الوغا أعني به آريّا
وهو الذي تـدعوه ما بين الورى أكـابـر الهنـد وأشيـاخ القـرى
ذووء الـعلوم مـنـهـمُ بـكـنـكـرا لأنّـه كـان عـظيـمـاً خـطرا
وكنكر كان له سميّا
وهـو الذي يُعـرف عنـد الرّومِ بـبـطرس الـقـوّة والـعـلومِ
وصـاحب الستـر لهـا المكتـومِ ومـالـك المنـطوق والمفهـومِ
ومَن يكن ذا يُدع بطرسيّا
وهـو الذي يُعـرف عند الفرسِ لـدى التعـاليمِ وعنـد الـدَّرسِ
بـغـرسنـا وذاك اسـمٌ قُـدسي مـعـنـاه قـابضٌ بـكـلِّ نـفسِ
كما دعوه عندهم باريّا
وهـو الـذي يُعـرف عنـد التركِ تـيـراً وذاك مشبـهُ الـمَحَـكِّ
وانّـه يـرفـع كـلَّ شـكٍّ عن كـلِّ حاكٍ قـولـه ومحكي
إذا عرفت المنطق التركيّا
وهو الذي يـدعونـه في الجيشِ بتـريـك أي مـدبّرٌ لا يختشي
لقـدرة بـه وبـطشٍ مـدهشٍ ويـنعـتـونـه بـأقـوى قـرشي
فاسئل به مَن يعرف الحبشيّا
وهـو الذي يُعـرف عند الـزّنجِ بـحنبـنـي أي مُـهـلكٌ ومُـنـج
وقـاطـع الـطريق في المحـجِ إلاّ بـاذنٍ في سلوك الـنـهـجِ
فإن أردت فاسأل الزّنجيّا
وهـو فـريـقٌ بـلسـان الأرمنِ فـاروقـه الـحقّ لـكـلِّ مؤمن
تعـرفـه أعـلامهم في الـزّمنِ فـاسـأل بـه إن كنتَ ممَّن يعتني
تحقيقه من كان أرمنيّا
وهو الّذي سمَّته تلك الجوهـره إذ ولـدت في الكعبـة المطهَّـره
وخـرَّجت بـه فقـال الجمهـره: من ذا؟ فقالت: هو شبلي حيدره
ولدته مُطهَّراً قدسيّا

هـذا وقـد لـقَّبـه ظـهيـرا أبـوه إذ شـاهـده صـغـيـرا
يصـرع مِن إخـوانـه الكبيـرا مُشمِّـراً عن سـاعـدٍ تشميـرا
وكان عَبلاً فَتِلاً(١) قويّا
ولـقَّبتـه ظئـره(٢) ميـمـونـا إذ رأت السعـد بـه مقـرونـا
فكـان درّاً عنـدهـا مكنـونـا يحمي أخـا رضـاعـه المنـونـا
ثمَّ يدرُّ ثديها الأبيّا
واسـم أخيـه فـي بني هـلالِ معلّق الـميـمـون بـالحبـالِ
يـذكـره فـي سمـرٍ الـليـالـي رجـالهم فـاسمـع من الـرِّجـالِ
موهبة خصَّ بها صبيّا
والإسم عند الله في العُلى علي وهو الصحيح والصَّريح والجلي
إشتقّـه مـن اسمـه فـي الأزلِ كمثـل مـا اشتقَّ لخيـرِ الـرُّسـلِ
وَمَنَحَ النبيَّ والوصيّا
واتّـفـقـت آراء أهـل الـعـلـمِ على اسمهِ من دون معنى الإسمِ
فـاختلفت في قصـده والفهـمِ لـه وكـلٌّ لـم يـطش بسـهـمِ
إذ قد أصاب الغرض المرقيّا
فقـال قـومٌ: قـد عَـلا بـرازا أقـرانـه وابـتـزَّهـا ابـتـزازا
فـمـا رآه الـقـرن إلّا انحـازا وكـان دونـاً سـافـلاً فـامتـازا
فهو عليٌّ إذ علا العديّا
وقـال قـومٌ: قـد غـلا مكـانـا متـن الـنـبـيِّ ورمـى الأوثـانـا
إذ لم يـطق حمـل نبيّ كـانـا من ثقـل الـوحي حكى ثهـلانـا
فنال منه المنزل العليّا
وقـال فـرقـةٌ: عـليُّ الـدارِ في جنّـة الخلد مـع المختـارِ
عَـلّاه ذو العـرش على الأبـرار في روضـةٍ تـزهـو وفي أنهـارِ
فنال منه المرتضى العلويّا
وقـال فـرقـة: عَـلاهم علمـا فكـان أقضـاهم لـذاك حكمـا
ومَن إلى القضـاء قـد تـسمّى يـكـون أعلى رفـعـةً وأسـمـى
فوال ذاك العالم السميّا

(١) عبل: الضخم الغليظ. فتل من فتله وهي شدة عصب الذراع.
(٢) الظئر: المرضعة.

وذَع تـأويـل الكتـاب والخبـرْ وخُـذ بمـا بـان لـديـك وظهـرْ
قـد خـاطب الله بـه خيـر البشـرْ ليفهموا الأحكام في بـادي النظرْ
ويعرفوا النبيَّ والوصيّا

فاستمسكنْ بالعـروة الوثقى التي لـم تنفصـم عنـه ولـم تنفلتِ
تمش على الصِّـراط لم تلتفتِ فـي قـدمٍ راسٍّ وقـلبٍ مثبتِ
حتّى تجوز سالماً سويّا

إلى جنان الخلد في أعلى الرُّتبْ إذ ينثني كلُّ امرءٍ مع من أحبْ
مـوهبـةً ممّن لـه الشكـر وجبْ فـهـو أبـرُّ خـالق وخيـر ربْ
عزَّ وجلَّ مَلِكاً قويّا

يـا ربّ عبدك الـذي غمـرتـهُ بـالفضـل والأنعـام مـذ صيَّرتـهُ
وقـد عصى جهـلاً وقـد أمـرتـهُ إن تـاب فـالـذنب لـه غفـرتـهُ
قد تبتُ فاغفر ذنبي العديّا

يـا ربّ مالي عمـلٌ سوى الـولا لأحـمـد وآلـه أهـل الـعُـلا
صنـو الرّسـول والوصيِّ المبتلى وفـاطـمٍ والحسنينِ فـي المَـلا
غرّاً تزين العرش والكرسيّا

ثـمَّ عـليٌّ وابـنـه مـحـمّـدِ وجعفر الصِّدق وموسى المهتدي
ثـمَّ عـليٌّ والـجـواد الأجـود مـحـمَّـدٍ ثمَّ عـليٍّ الأمـجـدِ
والحسن الذي جلا المهديّا

فـأعـطني بهم جمـال الـدُّنيـا وراحـة القبـر زمـان الـبقيـا
والأمن والستـر بحشر المحيـا والـريّ من كـوثـر أهـل السقيـا
والحشر معهم في العلى سويّا

يا طلح إن تختم بهذا في العمل لم يـدن منـك فـزعٌ ولا وجـلْ
وأنت طلحُ الخير إنْ جاء الأجل بالأجر من رب الورى عزَّ وجـلْ
كفى بربّي راحماً كفيّا

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام :

أنـا مولىً لمن يقـول رسـول الله فـيـه مـا بـيـن جمٍّ غـفـيـرِ
: سوف تأتي يـوم القيامـة ركبٌ خمسـةٌ مـا لغيـرنـا من ظهـورِ
أنـا منهم على البـراق وبعـدي بضعتي فـاطمٌ تسيـر مسيـري

تحتها يوم ذاك ناقتي العضبا ء تطوي الفجاج طيَّ المغير
وأبي إبراهيم فوق ذلولٍ عزَّ قدراً بنا على الجمهورِ
وأخي صالحٌ على ناقة الله أمامي في العالم المحشورِ
وعليٌّ على أغرّ من الجنّة ما خطبُ نعتهِ باليسيرِ
في يديه من فوق رأسي لواءُ الحمد للواحد الحميد الشّكورِ
وعليه تاجٌ بديعٌ من النّورِ يُزاهي بإكليله المستديرِ
قد أضاءت من نوره عرصة الحشر فيا حسن ذاك من منظورِ
ولتاج الوصيِّ سبعون ركناً كلُّ ركنٍ كالكوكب المستنيرِ
فلربّي الحمد الكثير على ما قد حباني من حبّه بالكثيرِ

وله يرثي الإمام السبط المفدّى صلوات الله عليه:

يا قمراً غاب حين لاحا أورثني فقدك المناحا
يا نُوَب الدَّهر لم يدع لي صرفك من حادث صلاحا
أبَعد يوم الحسين ويحي أستعذب اللّهو والمزاحا؟!
كربت كي تهتدي البرايا به وتلقى به النجاحا
فالدين قد لفَّ بردتيه والشِّرك ألقى لها جناحا
فصار ذاك الصَّباح ليلاً وصار ذاك الدّجى صباحا
فجاء إذ كاتبوه يسعى لكي يُريها الهدى الصراحا
حتّى إذا جاءهم تنحّوا لا بل نحوا قتله اجتياحا
وأنبتوا البيد بالعوالي والقضب واستعجلوا الكفاحا
فدافعتْ عنه أولياهُ وعانقوا البيض والرِّماحا
سبعون في مثلهم أُلوفاً فأثخنوا بينهم جراحا
ثمَّ قضوا جملةً فلاقوا هناك سهم القضا المتّاحا
فشدَّ فيهم أبو عليٍّ وصافحت نفسه الصفاحا
يا غيرة الله لا تغيثي منهم صياحاً ولا ضباحا
ثمَّ انثنى ظامئاً وحيداً كما غدا فيهمُ وراحا

ولـم يـزل يـرتـقـي إلـى أن دعـاه داعـي اللقـا فـصـاحـا
دونـكـمُ مـهـجـتـي فـإنّـي دُعيت أن أرتـقي الـضـراحـا
فـكـلـكـلـوا فـوقـه فـهـذا يـقـطـع رأسـاً وذا جـنـاحـا
يـا بـأبـي أنـفـسـاً ظـمـاءً مـاتت ولم تشـرب المُبـاحـا
يـا بـأبـي أوجـهـاً صِـبـاحـاً بـاكـرهـا حـتـفـهـا صـبـاحـا
يـا بـأبـي أجـسـمـاً تـعـرَّتْ ثمَّ اكتست بـالـدمـاء وُشاحا[1]
يـا سـادتـي يـا بـنـي عـلـيٍّ بكى الهـدى فقـدكم وتـاحـا
أوحشتـم الحِـجـر والمسـاعي آنـسـتـم الـقـفـر والـبِـطـاحـا
أوحـشـتـم الـذِّكـر والمثـانـي والـسّـور الـطـوال الـفـصـاحـا
لا سـامـح الله مَـن قَـلاكـم وزاد أشـيـاعـكـم سـمـاحـا

وله في الإمام الصّادق صلوات الله عليه:

عُـج بالمـطيِّ على بقيع الغـرقدِ واقـرا التحيَّة جعفـر بن محمَّـدِ
وقـل: ابن بنت محمَّـد ووصيّـه يـا نـور كـلِّ هـدايـة لم تجحـدِ
يـا صادقـاً شهـد الإلـه بصـدقـه فكفى شهادة ذي الجلال الأمجدِ
يابن الهُدى وأبا الهدى أنت الهدى يـا نور حـاضر سرٍّ كـل مـوحِّـدِ
يـا بن النبيِّ محمَّـد أنت الـذي أوضحت قصـد ولاء آل محمَّـدِ
يـا سادس الأنـوار يا علم الهـدى ضـلَّ امرؤٌ بـولائكم لم يهتـدي

وله من قصيدة يمدح بها الرسول صلوات الله عليه:

تـخـيَّـره الله مـن خـلـقـه فحمَّله الـذِّكـر وهـو الخبيـرُ
وأنـزل بـالـسّـور المحكمـات عـلـيـه كـتـابٌ مـبـينٌ مـنـيـرُ
وأغـشـاه نـوراً ونـاداه: قـم وأنـذر فـأنت البشيـر النَّـذيـرُ
فـلاح الهـدى واضمحـلَّ العمى وولّى الضَّـلال وعيف الـغـرورُ
فـوصّى عليّـاً فنعـم الـوصيّ ونعم الـوليُّ ونعـم النَّصيـرُ[1]

---

(١) الوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر.

(١) أشار بهذه الأبيات إلى حديث العشيرة المذكور في الجزء الثاني ص ٣٢٣ - ٣٣٣.

وله من قصيدةٍ في الأئمَّة الطاهرين عليهم السَّلام قوله:

نصَّ على ستٍّ وستٍّ بعده ... كلٌّ إمامٌ راشدٌ برهانهُ
صلّى عليه ذو العُلى ولم يزل ... يغشاه منه أبداً رضوانهُ

وله من قصيدةٍ اخرى:

وقلت: « براثا » كان بيتاً لمريمٍ ... وذاك ضعيف في الأسانيد أعوجُ
ولكنّه بيت لعيسى بن مريمٍ ... وللأنبياء الزُّهر مثوى ومدرجُ
وللأوصياء الطاهرين مقامهم ... على غابر الأيّام والحقُّ أبلجُ
بسبعين مرضى بعد سبعين مرسلٍ ... جباههمُ فيها سجودٌ تُشجّجُ
وآخرهم فيها صلاةً إمامنا ... عليٌّ بذا جاء الحديث المنهّجُ

وله من قصيدةٍ كبيرةٍ يمدح بها أهل البيت عليهم السَّلام:

ألستَ ترى جبريل وهو مقرَّبٌ ... له في العُلى من راحة القصد موقفُ؟!
يقول لهم أهل العبا: أنا منكمُ؟! ... فمن مثل اهل البيت إن كنت تنصفُ؟!
نعم آل طاها خير من وطيء الحصى ... وأكرم أبصار على الأرض تطرفُ
هم الكلمات الطيِّبات التي بها ... يُتاب على الخاطي فيُحبا ويُزلفُ
هم البركات النازلات على الورى ... تعمُّ جميع المؤمنين وتكنفُ
هم الباقيات الصالحات بذكرها ... لذاكرها خير الثواب المضعّفُ
هم الصَّلوات الزاكيات عليهمُ ... يدلّ المنادي بالصَّلاة ويعكفُ
هم الحرم المأمون آمن أهله ... وأعداؤه من حوله تتخطّفُ
هم الوجه وجه الله والجنب جنبه ... وهم فُلك نوحٍ خاب عنه المخلّفُ
هم الباب باب الله والحبل حبله ... وعروته الوثقى تواري وتكنفُ
وأسمائه الحسنى التي مَن دعا بها ... اجيب فما للناس عنها تحرُّفُ

ذكر السمعاني في « الأنساب »: أنَّ العوني كان شاعر الشيعة وذكر الصحابة وثلبهم في قصيدة أوّلها:

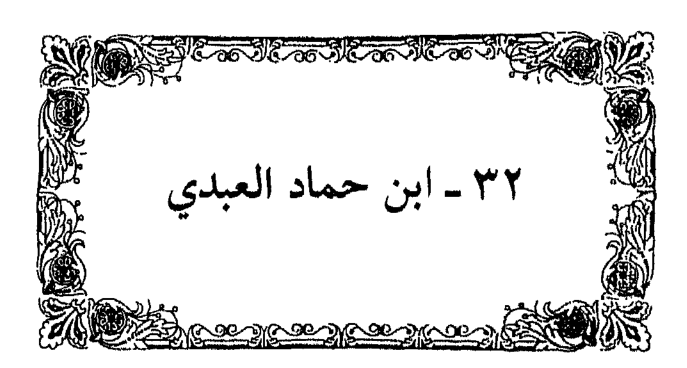
ليس الوقوف على الأطلال من شاني

سمعت أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا بلغه عنه سبُّ الصحابة أمر به فضرب بالعمود بالمدينة فمات فيه.

قال الأميني: خفي على «السمعاني» اسم العوني وعصره ومدفنه، وانَّ القصيدة النونيَّة المذكورة إنَّما هي لأبي محمَّد عبد الله بن عمّار البرقي أحد شعراء أهل البيت وشي به إلى المتوكِّل وقرئت له نونيَّته فأمر بقطع لسانه وإحراق ديوانه ففُعل به ذلك ومات بعد أيام وذلك سنة ٢٤٥ ومن النونيَّة قوله:

فهو الذي امتحن الله القلوب ... عمّا يجمجمن من كفرٍ وايمانِ
وهو الذي قد قضى الله العليُّ له ... أن لا يكون له في فضله ثانِ
وإنَّ قوماً رجوا إبطال حقِّكمُ ... أمسوا من الله في سخط وعصيانِ
لن يدفعوا حقَّكم إلاّ بدفعهمُ ... ما أنزل الله من آيٍ وقرآنِ
فقلّدوها لأهل البيت انَّهمُ ... صنو النبيِّ وأنتم غير صنوانِ





٣٢ ـ ابن حماد العبدي

١

ألا قل لسلطان الهوى: كيف أعملُ ... لقد جار من أهوى وأنت المؤمَّلُ
أُبدي إليك اليوم ما أنا مضمرٌ ... من الوجد في الأحشاء أم أتحمَّلُ؟!
وما أنا إلّا هالكٌ إن كتمته ... ولا شكَّ كتمان الهوى سوف يقتلُ
فخذ بعض ما عندي وبعض أصونه ... فإن رمتُ صون الكلِّ فالحال مشكلُ
لقد كنتُ خلواً من غرام وصبوة ... أبيت ومالي في الهوى قطُّ مدخلُ
إلى أن دعاني للصبابة شادنٌ ... تحيّر فيه الواصفون وتذهلُ
بديع جمال لو يَرى الحسنُ حسنَه ... فلا تعجبوا فالله ما شاء يفعلُ
دعاني فلم ألبث ولبَّيتُ عاجلاً ... وما كنت لولا ذلك الحسن أعجلُ
بذلتُ له روحي وما أنا مالكٌ ... وفي مثله الأرواح والمال تُبذلُ
وصرتُ له خِدناً ثلاثون حجَّة ... اعانق منه الشمس والليل أليلُ
بسمعيَ وقرٌ إن لحا فيه كاشحٌ ... كذاك به عن عذل من راح يعذلُ
إلى أن بدا شيبي ولاح بياضه ... كما لاح قرنٌ من سنا الشمس مسدلُ
وبدَّل وصلي بالجفا متعمِّداً ... وما خلته للهجر والصدِّ يفعلُ
فحاولته وصلاً فقال لي ابتدأ ... وإلّا يميناً إنَّه ليس يقبلُ
وفرَّ كما من «حيدرٍ» فرَّ قرنه ... وقد ثار من نقع السنابك قسطلُ
غداة رأته المشركون وسيفه ... بكفيه منه الموت يجري ويهطلُ
حسامٌ كصل الرّيم في جنباته ... دبيبٌ كما دبَّت على الصخر أنملُ

إذا ما انتضاه واعتزى وسط مازقٍ ... تزلزل خوفاً منه رضوى ويذبلُ
به مرحبٌ عضَّ التراب معفَّراً ... وعمرو بن ودّ راحَ وهو مجدَّلُ
وقام به الإسلام بعد اعوجاجه ... وجاء به الدين الحنيف يُكمَّلُ

إلى أن يقول فيها:

هو الضارب الهامات والبطل الذي ... بضربته قد مات في الحال نوفلُ
وعرَّج جبريل الأمين مصرِّحاً ... يُكبِّرُ في افق السما ويُهلِّلُ
أخو المصطفى يوم « الغدير » وصنوه ... ومضجعه في لحده والمغسِّلُ
له الشمس رُدَّت حين فاتت صلاته ... وقد فاته الوقت الذي هو أفضلُ
فصلّى فعادت وهي تهوي كأنَّها ... إلى الغرب نجمٌ للشياطين مُرسلُ
أما قال فيه أحمد وهو قائمٌ ... على منبر الأكوار والناس نُزَّلُ؟(١)
: عليٌّ أخي دون الصحابة كلّهم ... به جاءني جبريل إن كنت تسألُ
عليٌّ بأمر الله بعدي خليفةٌ ... وصيّي عليكم كيف ما شاء يفعلُ
ألا إنّ عاصيه كعاصي محمَّد ... وعاصيه عاصي الله والحقُّ أجملُ
ألا إنَّه نفسي ونفسيَ نفسه ... به النصُّ أنبا وهو وحيٌ منزَّلُ
ألا إنَّني للعلم فيكم مدينةٌ ... عليٌّ لها بابٌ لمن رام يدخلُ
ألا إنَّه مولاكمُ ووليّكم ... وأقضاكمُ بالحقِّ يقضي ويعدلُ
فقالوا جميعاً: قد رضيناه حاكماً ... ويقطع فينا ما يشاء ويوصلُ
ويكفيكمُ فضلاً غداة مسيره ... إلى « يثرب » والقوم تعلوا وتسفلوا
وقد عطشوا إذ لاح في الدير قائمٌ ... لهم راهبٌ جمُّ العلوم مكمَّلُ
فناداه من بُعدٍ وأعلا بصوته ... فكاد على خوف من الرُّعب ينزلُ
فاشرف مذعوراً فقال: فهل ترى ... بقربك ماءاً أيّها المتبتِّلُ؟!
فقال: وأنّى بالمياه وأرضنا ... جبالٌ وصخرٌ لا ترام وجندلُ؟!
ولكن في الإنجيل إنّ بقربنا ... على فرسخين لا محالة منهلُ
ولم يره إلّا نبيٌّ مطهّرٌ ... وإلّا وصيٌّ للنبيّ مُفضَّلُ

(١) في بعض المصادر: والجمع حفل.

فسار على اسم الله للماء طالباً وراهب ذاك الدير بالعين يأملُ
فأوقف والفرسان حول ركابه ونار الظما في أنفس القوم تشعلُ
فقال لهم: يا قوم هذا مكانكم فمن رام شرب الماء للحفر ينزلُ
فما كان إلّا ساعةً ثمَّ أشرفوا على صخرة صمّاء لا تتقلقلُ
لُجينيَّةً ملساً كأنَّ أديمها اذيب عليها التِّبر أو ريف منخلُ
فقال: اقلبوها فاعتزوا عند أمره على ذاك كُلاًّ وهي لا تتجلجلُ
فقالوا جمعياً: يا عليُّ فهذه صفاتٌ بها تعي الرِّجال وتذهلُ
فمد إليها ما انحنى فوق سرجه يميناً لهاإلّا غدت وهي أسفلُ
وزجَّ بها كالعود في كفِّ لاهبٍ فبان لهم عذبٌ من الماء سَلسلُ
فأوردهم حتّى اكتفوا ثمَّ عادها على الجبِّ لا يعي ولا يتململُ
فلما رآها الراهب انحطَّ مُسرعاً لكفيه ما بين الأنام يُقبِّلُ
وأسلم لما أن رأوا هو قائلٌ : أظنّك آليّاً وما كنت أجهلُ

[القصيدة ١٠٤ أبيات]

٢

من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

لعمرك يا فتى يوم « الغدير » لأنت المرء أولى بالامورِ
وأنت أخٌ لخير الخلق طرّاً ونفسٌ في مباهلة البشيرِ
وأنت الصنووالصهر المزكّى ووالد شبَّر وأبو شبيرِ
وأنت المرء لم تحفل بدنياً وليس له بذلك من نظيرِ
لقد نبعت له عينٌ فظلّت تفور كأنَّها عنق البعيرِ
فوافاه البشير بها مغذّاً فقال عليٌّ: أبشر يا بشيري
لقد صيَّرتُها وقفاً مُباحاً لوجه الله ذي العزِّ القديرِ
وكان يقول: يا دُنياي غرّي سواي فلست من أهل الغرورِ
وصابر مع حليلته الأذايا فنالا خير عاقبة الصَّبورِ
وقال امّ أيمن: جئت يوماً إلى الزهراء في وقت الهجيرِ

فلّما أن دنوت سمعت صوتاً وطحناً في الرّحاء بلا مُديرِ
فجئت الباب أقرعه نغوراً فما من سامع لي في نغوري
فجئت المصطفى وقصصت شأني وما أبصرتُ من أمرٍ زعورِ
فقال المصطفى: شكراً لربٍّ بإتمام الحباء لها جديرِ
رآها الله مُتعبةً فألقى عليها النوم ذو المنِّ الكثيرِ
ووكلَّ بالرّحا ملكاً مُديراً فعدت وقد ملئت من السرورِ
تزوَّج في السماء بأمر ربّي بفاطمة المهذَّبة الطّهورِ
وصير مهرها خمس الأراضي بما تحويه من كرمٍ وخيرِ
فذا خير الرِّجال وتلك خير النساء ومهرها خير المهورِ
وابناها الأولى فضلوا البرايا بتنصيص اللطيف بهاالخبيرِ
وصيَّر ودَّهم أجراً لطاها بتبليغ الرِّسالة في الأجورِ

(بيان) في هذه القصيدة ايعاز إلى جملة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام منها حديث المؤاخاة الذي أسلفناه في ج ٣ ص ١٤٨ - ١٦١. وقصَّة المباهلة وانّه فيها نفس النبيّ الأقدس بنصٍّ من الكتاب[١].

ومنها حديث نبعة العين، أخرجه الحافظ ابن السمان في الموافقة وعنه محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٢٨: انَّ عمر أقطع عليّاً ينبع ثمَّ اشترى أرضاً إلى جنب قطعته فحفر فيها عيناً فبينما هم يعملون فيها إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتي عليٌّ فبشِّر بذلك فقال: بشِّروا الوارث. ثمَّ تصدَّق بها. الحديث[٢].

وقال إبن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٦٠: جاء في الأثر: انَّ أمير المؤمنين عليه السلام جاءه مخبرٌ فأخبره: انَّ مالاً له قد انفجرت فيه عينٌ خرَّارةٌ يبشّره بذلك. فقال: بشّر الوارث. بشر الوارث يكرّرها ثمَّ وقف ذلك المال على

(١) في قوله تعالى: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (آل عمران ٦١)

(٢) وبهذا اللفظ يوجد في (الإمام علي) تأليف الشيخ محمد رضا المصري ص١٧.

الفقراء وكتب به كتاباً في تلك الساعة.

وإلى صدقات أمير المؤمنين في ينبع أشار الحموي في « معجم البلدان » ج ٨ ص ٢٥٦ ، والسمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٣ وغيرهما.

ومنها قوله عليه السلام : يا دنيا غرّي غيري . أخرجه جمعٌ من الحفّاظ كما مرَّ في ج ٢ ص ٣٣٣ .

ومنها حديث طحن الرّحا بلا مدير. أخرجه الحفّاظ بلفظ أبي ذرٍّ الغفاري قال أرسله رسول الله ﷺ ينادي عليّاً فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبيَّ ﷺ بذلك فقال: يا أباذر ! أما علمت انّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض قد وُكّلوا بمعاونة آل محمَّد ﷺ[1].

ومنها حديث زواج الزَّهراء الصّديقة ذكرناه في الجزء الثاني ص ٣٦٥ - ٣٧٠ وج ٣ ص ٣٩ - ومنها: انَّ ودَّ آل محمَّد أجر رسالته ﷺ وقد مرَّ تفصيله في الجزء الثاني ص ٣٥٥ - ٣٦١.

٣

من قصيدة في مدح أمير المؤمنين

أرضِ الآله وأسخطِ الشيطانا	تعط الرِّضا في الحشر والرِّضوانا
وامحض ولاءك لِلّذين ولاؤهم	فرضٌ على مَن يقرأ القرآنا
آل النبيِّ محمَّد خير الورى	وأجلّهم عند الآله مكانا
قومٌ قوام الدين والدنيا بهم	إذ أصبحوا لهما معاً أركانا
قومٌ إذا أصفى هواهم مؤمنٌ	يُعطى غداً ممّا يخاف أمانا
قومٌ يطيع الله طائع أمرهم	وإذا عصاه فقد عصى الرَّحمانا
وهم الصِّراط المستقيم وحبّهم	يوم المعاد يثقِّل الميزانا
والله صيَّرهم لمحنة خلقه	بين الضَّلالة والهُدى فُرقانا

---

(١) سيرة الملا، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٣، الاصابة ص ١٠٥، اسعاف الراغبين ص ١٥٨، اعجب ما رأيت ج ١ ص ٨، الإمام علي للشيخ محمد رضا ص ١٨.

خفظوا الشريعة قائمين بحفظها ... ينفون عنها الزّور والبهتانا
وأتى القرآن بفرض طاعتهم على ... كلِّ البريَّة فاسمع القرآنا
وتوالت الأخبار أنَّ محمَّداً ... بولائهم وبحفظهم أوصانا
مَن سبَّحت في كفِّه بيض الحصا ... ليكون ذاك لصدقه تبيانا
مَن أنزل الله الكتاب عليه في ... كلِّ العلوم ليغتدي برهانا
مَن بلّغ الدنيا بنصب وصيه ... يوم « الغدير » ليكمل الايمانا
مَن ذا له يوم « الغدير » فضيلةٌ ... إذ لا تطيق لفضله جحدانا
مَن آكل الطير الذى لم يستطع ... خلقٌ له جحداً ولا كتمانا
من آكل القطف الجنيِّ على حرى ... وإليه أهدى ربّه رمّانا
مَن فيه أنزل هل أتى ربُّ العُلى ... وجزاه حور العين والولدانا
مَن نصَّ أحمد في مزاياه التي ... لم يُعطها ربُّ العلى إنسانا
مَن لا يُواليه سوى ابن نجيبةٍ ... حفظت أباه وراعت الرَّحمانا

[القصيدة ٢٧ بيتاً]

٤

يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الغدير:

يا عيد يوم الغدير ... عُد بالهنا والسرور
ففيك أضحى عليٌّ ... أمير كلِّ أميرِ
غداة جبريل وافى ... من السَّميع البصيرِ
وقال: يا أحمد انزل ... بجنب هذا الغديرِ
بلِّغ وإلّا فما كنت ... قائماً بالامورِ
فأنزل الجمع كُلاً ... ثمَّ اعتلى فوق كورِ
وقال: قد جاء أمرٌ ... من اللطيف الخبيرِ
بأن اقيم عليّاً ... خليفةً في مسيري
فبايعوه فما في الو ... رى له من نظيرِ
إمامُ كلِّ إمامٍ ... مولى لكلِّ كبيرِ

بـابٌ إلـى كـلّ رُشـدٍ نـورٌ عـلا كـلَّ نـورِ
وحـجَّـة الله بـعـدي عـلى الـجـهـود الـكـفـورِ
وبـعـده الـغـرّ مـنـه فَـهُـمْ كـعـدِّ الـشـهـورِ
أسـمـاؤهـم فـي الـمـثـاني كـثـيـرةٌ لـلـذَّكـورِ
فـي صُحـف مـوسى وعيـسى مـكـتـوبـةٌ والـزَّبـورِ
مـا زال فـي الـلوح سـطراً يـلـوح بـيـن الـسُّـطورِ
تـزور أمـلاك ربّـي مـنـه لـخـيـر مـزورِ
وأشـهـد الله فـيـمـا أبـدى وكـلَّ الـحـضـورِ
فـقـام مَـن حـلَّ خُـمّـاً مِـن بـيـن جـمٍّ غـفـيـرِ
وبـايـعـوه بـأيـدٍ مـخـالـفـات الـضـمـيـرِ
والله يـعـلم مـاذا أخـفـوا بـذات الـصُّـدورِ

٥

وله يمدحه صلوات الله عليه:

مـا لـعـليٍّ سـوى أخـيـه محمَّـد في الـورى نـظيـرُ(١)
فـداهُ إذ أقـبـلت قـريشٌ إلـيـه في الـفـرش تستـطيـرُ
وكـان فـي الـطائـف انـتجـاه فـقـال أصحـابـه الـحضـورُ
: أطـلـت نـجـواك مـن عـليٍّ فـقـال مـا لـيس فـيـه زورُ
: مـا أنـا نـاجيتـه ولـكـن نـاجـاه ذو الـعـزَّة الـخـبـيـرُ
وقـال فـي خـمّ: إنَّ عـليّـاً خـلـيـفـةٌ بـعـده أمـيـرُ
وكـان قـد سـدَّ بـاب كـلٍّ سـواه فـاستغـرت الـصـدورُ
وأكـثـروا الـقـول فـي عـليٍّ بـذا ودبَّـت لـه الـشـرورُ
فـقـال: مـا تبتغـون منـه؟! وهـو سـميـعٌ لهـم بـصيـرُ

---

(١) أشار به إلى ما أخرجه الحافظ محب الدين الطبري في رياضه ج٢ ص١٦٤ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من نبي إلا وله نظير من أمته وعلي نظيري. ورواه غيره من الحفاظ.

ما أنا أوصدتها ولكن أوصدها الآمر القدير
يا قوم إني امتثلت أمراً أوحاه لي الراحم الغفور
فكان هذا له دليلاً بأنّه وحده الظهير

٦

وله من قصيدةٍ كبيرةٍ في مدحه صلوات الله عليه:

وقال لأحمد بلّغ قريشاً أكن لك عاصماً إن تستكينا
فإن لم تُبلغ الأنباء عنّي فما أنت المبلّغ والأمينا
فأنزل بالحجيج «غدير خمّ» وجاء به ونادى المسلمينا
فأبرز كفّه لِلنّاس حتّى تبيّنها جميع الحاضرينا
فأكرم بالذي رفعت يداه وأكرم بالذي رفع اليمينا
فقال لهم وكلُّ القوم مُصغٍ لمنطقه وكلٌّ يسمعونا
: ألا هذا أخي ووصيٌّ حقٍّ وموفي العهد والقاضي الديونا
ألا مَن كنت مولاه فهذا له مولى فكونوا شاهدينا
تولّى الله مَن والى عليّاً وعادى مبغضيه الشانئينا

وجاء عن إبن عبد الله: انّا[1] به كنّا نمين المؤمنينا
فنعرفهم بحبّهمُ عليّاً وإنّ ذوي النفاق ليعرفونا
ببغضهم الوصيَّ ألا فبعداً لهم ماذا عليهم ينقمونا
ومّما قالت الأنصار كانت مقالة عارفين مجرّبينا
ببغضهمُ علي الهادي عرفنا وحقّقنا نفاق منافقينا

٧

من قصيدة له يمدحه سلام الله عليه:

يوم «الغدير» لأشرف الأيّام وأجلّها قدراً على الإسلامِ
يوم أقام الله فيه إمامنا أعني الوصيَّ إمام كلِّ إمامِ

---

(١) ابن عبد الله هو جابر الأنصاري، أخرج الحفاظ حديثه هذا كما مر في الجزء الثالث ص٢٣٠

قال النبيُّ بدوح «خمّ» رافعاً كفَّ الوصيِّ يقول للأقوامِ
: مَن كنت مولاه فذا مولى له بالوحي من ذي العزَّة العلّامِ
هذا وزيري في الحياة عليكمُ فإذا قضيت فذا يقوم مقامي
يا ربِّ والي مَن أقرَّ له الولا وانزل بمن عاداه سوء حمام
فتهافتت أيدي الرِّجال لبيعةٍ فيها كمال الدين والإنعامِ

٨

من قصيدة له يمدحه عليه السلام

تروم فساد دليل النّصوص ونصراً لإجماع ما قد جمعْ
ألم تستمع قوله صادقاً غداة «الغدير» بماذا صدعْ؟!
ألا إنَّ هذا وليٌّ لكم أطيعوا فويلٌ لمن لم يُطعْ
وقال له: أنت منّي أخي كهارون من صنوه فاقتنعْ
وقال له: أنت بابٌ إلى مدينة علمي لمن ينتجعْ
وقال لكم: هو أقضاكمُ وكلٌّ لمن قد مضى متّبعْ
ويوم براءة نصَّ الإلٓه جلَّ عليه فلا تختدعْ
وسماه في الذكر نفس الرسول يوم التباهل لما خشعْ
ويوم المواخاة نادى به : أخوك أنا اليوم بي فارتفعْ
ويوم أتى الطير لمّا دعا النبيُّ الإلٓه وأبدى الضرعْ
أياربِّ ابعث أحبَّ الأنامِ إليك لنأكل كل في مجتمعْ
فلم يستتمَّ النبيُّ الدعاء إلّا وقد جاء ثمَّ ارتجعْ
ثلاث مرارٍ فلمّا انتهى إلى الباب دافعه واقتلعْ
فقال النبيُّ له: ادخل فقد أطلت احتباسك يا ذا الصلعْ
فخبّره: انّه قد أتى ثلاثاًودافعه مَن دفعْ
فقطّب في وجه من ردَّه وأنكر ما بأخيه صنعْ
وورّثه بَرَصاً فاحشاً فظلَّ وفي الوجه منه بقعْ
ففيمَ تخيَّرتُم غير مَن تخيَّره ربّكم واصطنعْ؟!
وكيف تعارض هذي النصوص بإجماع ذي الحقد أو ذي الطمعْ؟!

٩

وله من قصيدة في المديح

يـا سائلي عن « حيـدر » أعيبتني — أنا لست في هذا الجواب خليقا
الله سـمّـاه عـليّـاً بـاسـمـه — فسمـا علوّاً في العـلا وسمـوقـا
واختـاره دون الـورى وأقـامـه — عَلمـاً إلى سُبل الهـدى وطريقـا
أخـذ الإلـه على البـريَّة كلّهـا — عهـداً له يـوم « الغـديـر » وثيقـا
وغداة واخى المصطفى أصحـابه — جعـل الـوصيّ لـه أخـاً وشقيقـا
فرق الضلال عن الهدى فرقى إلى — أن جـاوز الجـوزاء والعيّـوقـا
ودعـاه أمـلاك السَّمـاء بـأمـر من — أوحى إليهم حـيـدر الفـاروقـا
وأجـاب أحمد سـابقـاً ومصـدِّقـاً — مـا جـاء فيـه فسمّي الصـدّيقـا
فـإذا ادَّعى هـذه الأسـامي غيـره — فليـأتنـا في شـاهـدٍ تـوثيقـا

أشار إلى ما مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ والجزء الثالث ص ٢٣٦ من انَّ عليّاً هو صدِّيق هذه الأمَّة وفاروقها بنصٍّ صحيحٍ ثابتٍ من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٠

من قصيدة له يمدحه صلوات الله عليه .

يـا راكباً أُجـداً[1] تخبُّ وتوضـعُ — في سـرعةٍ والشـوق منهـا أسـرعُ
لله مــا أخـطـأك من رجـلٍ لـه — عنـد الغـريِّ لبـانـةٌ لا تمنـعُ
يجلي عليـك من الهدايـة مشرقٌ — ومن الإمـامـة والـولايـة مـطلعُ
جـدثٌ به نـور الهـدى مُستودعٌ — في ضمنـه العلَم البطين الأنـزعُ
جـدثٌ يـدلُّ عليـه طيب نسيمـه — قبـل الـورود وضـوء نـور يلمـعُ
جـدثٌ ربيـع المؤمنين بـربعـه — فـقـلوبـهـم أبـداً لـه تـتـطلّعُ
جدثٌ به الرِّضوان والغفران والا — يمـان والفضـل الـذي تتـوقّـعُ
جـدثٌ تحجُّ إليـه أمـلاك السمـا — إذ في جـوانبه المنـاسك أجمـعُ

---

(١) ناقة أُجد : قوية .

بعضٌ قيامٌ خاضعون لفضله أبداً وبعضٌ ساجدون وركَّعُ
فإذا وصلت إليه فالثم تربه في مدمعٍ يجري وقلب يخشعُ
وقل: السَّلام عليك يا مولىً يرى عملي ويشهد ما أقول ويسمعُ
إنّي قصدتك زائراً ومسلّماً ومواليّاً يا من يضرُّ وينفعُ
لتكون لي يوم القيامة شافعاً وهواك يقدمني إليك ويشفعُ
عجباً لعمي عن ولاك ونورُه كالشمس طالعة تضيء وتسطعُ
فكأنَّهم لم يسمعوا ما قاله فيك المهيمن في الكتاب ولم يَعوا
أوليس مَن يهدي إلى الحقِّ الذي يُنجي أحقُّ بالاتِّباع فيتبعُ؟!
أولم يك السور الذي أضحى له بابٌ وفيه للمحاول مقمعُ؟!
والباب باطنه المغيّب رحمة لكنَّ ظاهره العذاب الأفظعُ
تركوا سبيل الرُّشد بعد نبيِّهم سفهاً وتاهوا في العمى وتسكّعوا
أنّى ينال مُفاخرٌ فخر امرءٍ ساد البريَّة وهو طفلٌ يرضعُ
والله ما قعد الوصيُّ لذلَّةٍ عنهم فإنَّهمُ أذل وأوضعُ
لكن أراد بأن يُقيم عليهمُ الحجج التي أسبابها لا تُدفعُ
غدروا به يوم « الغدير » ولم يفوا ولعهده المسؤول منهم ضيَّعوا
يا قاسم النيران أُقسم صادقاً بهواك حلفة مؤمن يتشيَّعُ
أنت الصِّراط المستقيم على لظى وإليك منها يا عليُّ المفزعُ
والحوض حوضك فيه ماءٌ باردٌ في البعث تسقي مَن تشاء وتمنعُ
ولك المفاتح أنت تُسكن ذا لظى يصلى وهذا في الجنان يُمتَّعُ
إنِّي زرعت هواك في أرض الحشا والمرء يحصد في غدٍ ما يزرعُ

١١

من قصيدة له يمدح أمير المؤمنين عليه السلام

عليٌّ عليُّ القدر عند مليكه وإن أكثرت فيه الغُواة ملامها
وعروته الوثقى التي مَن تمسَّكت يداه بها لم يخش قطُّ انفصامها
فكم ليلة ليلاء لله قامها وكم ضحوةٍ مسجورة الحرِّ صامها

وكم غمرة للموت في الله خاضها وأركان دين للنبيِّ أقامها
فواخاه من دون الأنام فيالها غنيمة فوز ما أجلّ اغتنامها
وولاه في يوم « الغدير » على الورى فأصبح مولاها وكان إمامها
هو المختلي في بدر أرؤس صيدها كما تختلي شهب البزاة حمامها
وصاحب يوم الفتح والراية التي برجعتها أخزى الآله دلامها
فقال: سأعطيها غداً رجلاً بها مُلبّاً يُوَفِّي حقَّها وذمامها
وقال له: خُذ رايتي وامض راشداً فما أنا أخشى من يديك انهزامها
فمرَّ أمير المؤمنين مشمِّراً برايته والنصر يسري أمامها
وزجّ بباب الحصن عن أهل خيبرٍ وسقّى الأعادي حتفها وحمامها
وجدَّل فيها مرحباً وهو كبشها وأوسع آناف اليهود ارتغامها
وسل عنه في سلع وعن عظم فعله بعمرو ونار الحرب تذكي اضطرامها
وأفئدة الأبطال ترجف هيبةً وقد أخفت الرُّعب الشديد كلامها
فقام إليه من أقام بسيفه حلائله ثكلى تطيل التدامها
وقال: على تأويل ما الله منزلٌ تُقاتل بعدي يا عليُّ طغامها
فقاتل جيش الناكثين لعهدهم وأثكل يوم القاسطين شئامها
وأجرى بيوم المارقين دماءهم وأخلى من الأجسام بالسيف هامها

١٢

من قصيدة له يمدحه صلوات الله عليه:

ولاء المرتضى عُددي ليومي في الورى وغَدي
أمير نحل مولى الخلق في « خُمّ » على الأبد
غداة يبايعون المرتضى أمراً بمدِّ يدِ
شبيه المصطفى بالفضل لم ينقص ولم يزد
وجنب الله في كتب وعين الواحد الصَّمد
فلن تلد النسا شبهاً له كلّا ولم تلدِ
مجلّي الكرب يوم الحرب في بدرٍ وفي أُحدِ

وخيبر والنُضير كذا ... وسلع خندق البلدِ
إذ الهيجاء هاج لها ... بقلب غير مُرتعدِ
ترى الأبطال باطلةً ... لخوف الفارس الأسدِ
فأنفسهم مودعةٌ ... لهمُ بتنفّس الصعدِ
وقد خفتوا لهيبته ... فلست تحسُّ من أحدِ
فلم تسمع لغير البيض ... فوق البيض والزّردِ[١]

ولشاعرنا العبدي غديريّات اخرى يأتي بعضها ونصفح عن بعضها.

(الشاعر)

أبو الحسن عليّ بن حمّاد بن عُبيد الله بن حمّاد العدويُّ العبدي[٢] البصري.

كان حمّاد والد المترجم أحد شعراء أهل البيت عليهم السَّلام كما ذكره ولده شاعرنا في شعره بقوله من قصيدة:

وإنَّ العبد عبدكُم عليّاً ... كذا حمّاد عبدكمُ الأديبُ
رثاكم والدي بالشعر قبلي ... وأوصاني به أن لا أغيبُ

والمترجَم له عَلَمٌ من أعلام الشيعة، وفذٌّ من علمائها، ومن صدور شعرائها، ومن حفظة الحديث المعاصرين للشيخ الصَّدوق ونظرائه، وقد أدركه النجاشي وقال في رجاله: قد رأيته. غير أنَّه يروي عنه كتب أبي أحمد الجلودي البصري المتوفّى سنة ٣٣٢ بواسطة الشيخ أبي عبد الله بن الحسين بن عبيد الله الغضائري المتوفّى سنة ٤١١، فهو من مشايخ هذا الشيخ المعظَّم الواقعين في سلسلة الإجازات، والمعدودين من مشايخ الرُّواة، وأساتذة حملة الحديث، وحسبه ذلك دلالةً على ثقته وجلالته وتضلّعه في العلم والحديث.

---

(١) الزرْد والزرَد: حلق المغفر والدرع.

(٢) نسبة إلى عبد القيس كما يأتي في شعر المترجم.

وأمّا الشعر فلا يشكّ أحدٌ أنّه من ناشري ألويته، وعاقدي بنوده، ومنظّمي صفوفه، وقائدي كتائبه، وسائقي مقانبه، وجامعي شوارده، وقد اطّرد ذكره في المعاجم[١] كما تداول شعره في الكتب والمجاميع وهو من المكثرين في أهل البيت عليهم السّلام مدحاً ورثاءاً ولقد أكثر وأطاب، وجاهر بمديحهم وأذاع حتّى عدّه إبن شهراشوب في المجاهرين من شعرائهم، وجمع شعره فيهم صلوات الله عليهم مدحاً ورثاءاً العلاّمة السماوي في ديوان يربو على ٢٢٠٠ بيتاً، وجُلّ شعره يشفُّ عن تقدّمه الظاهر في الأدب، وأشواطه البعيدة في فنون الشعر، وخطواته الواسعة في صياغة القريض، كما أنَّه ينمُّ عن علمه المتدفّق، وتضلّعه في الحديث، وبذل كلِّهِ في بثّ فضائل آل الله، وجمع شوارد الحقائق الراهنة في المذهب الحقّ، ونشر ما ورد منها في الكتاب والسنّة، وإقامة الدعوة إلى سنن الهدى، فشعره بعيدٌ عن الصّور الخياليّة بل هو لسان حِجاج وبرهنة، ونظم بيِّنات ودلائل، وبيانٌ قيِّم لمذهبه العلوي.

قال نجم الدين العمري في [المجدي] في ذكر ولد زيد بن عليّ: أنشدني أبو علي بن دانيال وكان من ذي رحمي رحمة الله من قصيدة أنشدها إيّاه الشيخ أبو الحسن عليُّ بن حمّاد بن عُبيد العبدي الشاعر البصري رحمه الله لنفسه:

قال إبن حمّاد وقال له فتى	قد جاء يسأله: جهلتك فاعذرِ
قد كنت أصبو أن أراك فأقتدي	بصحيح رأيك في الطريق الأنورِ
وأُريد أسأل مُستفيداً قلت: سلْ	واسمع جواباً قاهراً لم يقهرِ
قال: الإمامة كيف صحّت عندكم	من دون زيدٍ والأنام لجعفرِ؟!
قلت: النصوص على الأئمّة جائنا	حتماً من الله العليِّ الأكبرِ
إنَّ الأئمّة تسعةٌ وثلاثةٌ	نقلاً عن الهادي البشير المنذرِ

(١) كرجال النجاشي ص ١٧١، الأنساب للمجدي، معالم العلماء، ايضاح الاشتباه للعلامة الحلي، مجالس المؤمنين ص ٤٦٤، رياض العلماء، رياض الجنة في الروضة الخامسة. تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٦

لا زائـدٌ فيهـم وليس بنـاقصٍ   منهم كما قد قيل عدّ الأشهـرِ
مثـل النبـوَّة صُيّـرت في معشرٍ   فكذا الإمامة صُيّرت في معشرِ

(قال نجم الدين): هذا كلامٌ حسنٌ، وحجَّةٌ قويَّةٌ، لأنَّ حاجة الناس إلى الإمام أعني الخليفة كحاجتهم إلى النبيّ ﷺ لأنّه القائم بإعلاء سنّته السنيَّة في كلِّ زمان. رجع إلى كلام أبي الحسن إبن حمّاد رحمه الله:

قـال: الإمـامـة لا تتمُّ لقـائمٍ   مـا لم يجـرّ بسيفـه ويشهَّـرِ
فلذاك زيـدٌ حـازهـا بقيـامـه   من دون جعفـر فادَّكر وتدبَّـرِ

(قال نجم الدين): هكذا أنشدني بفتح الراء من « جعفرَ » وهو رأي الكوفيين أعني منعه من الصرف.

قلت: الوصيّ على قياسك لم ينل   حظَّ الخلافة بل غدت في حبترِ
إذ كـان لم يـدع الأنـام بسيفه   قـطعاً فيا لك فـرية من مفتري
وكـذلك الحسن الشهيـد بتـركـه   بـطلت إمامته بقولـك فـانـظري
والعـابـد السجّـاد لم يُـر داعيـاً   ومشهّـراً للسيـف إذ لم يُـنصـرِ
أفكـان جعفـر يستثير عـداتـه؟!   ويُـذيـع دعـوتـه ولمّـا يُؤمرِ؟!

(قال نجم الدين): يريد أنّ المأمور كان زيداً لا جعفراً

ودليـل ذلك قـول جعفر عنـدما   عُـزّي بـزيـد قـال كـالمستعبـرِ
: لو كان عمّي ظافراً لـوفى بما   قد كان عـاهد غيـر أن لم يظفـرِ

أشار إبن حمّاد بهذين البيتين إلى ما مرَّ عن الحافظ المرزباني والكشّي في الجزء الثاني ص ٢٥٩ وفي الثالث ص ٩٨.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخ ولادة إبن حمّاد ووفاته غير أنَّ النجاشي الذي أدركه وراه ولم يرو عنه وُلد في صفر سنة ٣٧٢، وشيخه الذي يروي عنه وهو الجلودي البصري توفّي ١٧ ذي الحجَّة سنة ٣٣٢ فيستدعي التاريخان انَّ المترجم وُلد في أوائل القرن الرابع وتوفّي في أواخره.

وقفنا لابن حمّاد على قصيدةٍ في مجموعةٍ عتيقة مخطوطةٍ في العصور المتقادمة، وقد ذكر إبن شهراشوب بعض أبياتها ونسبه إلى العبدي [سفيان بن مصعب] المترجَم له في الجزء الثاني ص٣٤١، وتبعه البياضي في « الصِّراط المستقيم » وغيره والقصيدة للمترجَم له وهي:

أسائلتي عمّا الاقي من الأسا ... سلي الليل عنّي هل اجنُّ إذا جنا؟!
ليخبركِ انّي في فنونٍ من الجوى ... إذا ما انقضا فنٌّ يوكّل بي فنّا
وإن قلت: إنَّ الليل ليس بناطقٍ ... قفي وانظري واستخبري الجسد المضنى
وإن كنت في شكٍّ فديتك فاسئلي ... دموعي التي سالت وأقرحت الجفنا
أحبَّتنا لو تعلمون بحالنا ... لمَا كانت اللّذات تُشغلكم عنّا
تشاغلتموا عنّا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ما هكذا كنّا
وآليتموا أن لا تخونوا عهودنا ... فقد وحياة الحبِّ خُنتم وما خُنّا
غدرتم ولم نغدر وخُنتم ولم نخن ... وحُلتم عن العهد القديم وما حُلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم ... ونحن على صدق الحديث الذي قلنا
أيهنا لكم طيب الكرى وجفوننا ... على الجمر؟! لا تهناولا بعدكم نمنا
أنخنا بمغناكم لتحيى نفوسنا ... فما زادنا إلّا جوىً ذلك المغنا
سنرحل عنكم إن كرهتم مقامنا ... ونصبر عنكم مثل ما صبركم عنّا
ونأخذ مَن نهوى بديلاً سواكمُ ... ونجعل قطع الوصل منكم ولا منّا
تعالوا إلى الإنصاف فيما ادَّعيتموا ... ولاتفرطوا بل صحّحوا اللفظ والمعنى
أليتكمُ ناصفتمونا فريضة ... بانَّ لكم نصفاً وأنَّ لنا ثُمنا
إذا طلعت شمس النهار ذكرتكم ... وإن غربت جدَّدت ذكركمُ حُزنا
وإنّي لأرثي للغريب وإنّني ... غريب الهوى والقلب والدار والمغنى
لقد كان عيشي بالأحبَّة صافياً ... وما كنت أدري أنَّ صحبتنا تفنى
زمانٌ نعمنا فيه حتّى إذا مضى ... بكينا على أيّامه بدم أقنا
فوالله ما زال اشتياقي إليكمُ ... ولا برح التسهيد لي بعدكم جفنا
ولا ذقت طعم الماء عذباً ولا صفت ... موارده حتّى نعود كما كنّا
ولا بارحتني لوعة الفكر والجوى ... ولا زلت طول الدَّهر مقترعاً سنّا

وما رحلوا حتّى استحلّوا نفوسنا كـأنّهمُ كـانـوا أحقّ بهـا منّـا
ترى منجدي في أرض بغداد واهناً لـزهـدكمُ فينـا وبُعـدكمُ عنّـا
أيزعم أن أسلوا!؟ ويشغل خاطري بغيـركمُ مُستبدلاً؟! بئس مـاظنّنا
أيـا ساكني نجـدٍ سـلامي عليكمُ ظنّنا بكم ظنّاً فأخلفتموا الظنّا
امثّـل مـولاي الحسين وصحبـه كـأنجم ليل بينهـا البدر أو أسنا
فـلمـا رأتـه اختـه وبنـاتـه وشمـرٌ عليه بـالمهنّد قـد أحنى
تعلّقنَ بـالشمر اللعين وقلنَ: دَعْ حسيناً فلا تقتله يا شمرُ واذبحنا
فـحـزَّ وريـديـه وركّب رأسـه على الرُّمح مثل الشمس فارقت الدجنا
فنادت بطول الـويل زينب اختـه وقد صبغت من نحره الجيب والرّدنا
: ألا يا رسول الله يا جدّنا اقتضت أُميَّة منّـا بعـدك الحقـد والضغنـا
سُبينـا كمـا تُسبى الإمـاء بـذلّـةٍ وطيف بنـا عـرض البـرد وشُتّنـا
ستفنى حيـاتي بـالبكـاء عليهمُ وحزني لهم باقٍ مدى الدّهر لا يفنى
ألا لعن الله الّـذي سنَّ ظلمـهم وأخزى الّذي أمـلا له وبـه استنّا
سـأمدحكم يـا آل أحمد جـاهداً وأمنح مَن عاداكم السبَّ واللعنـا
ومَن منكمُ بـالمدح أولى لأنّكمُ لأكـرم من لبّى ومن نحر البُـدنـا
بجـدّكمُ أسرى البـراق فكان مِن إلـه البرايـا قابَ قـوسين أو أدنا
وشخص أبيكم في السّماء تزوره ملائك لا تنفكُّ صبحاً ولا وهنـا
أبـوكم هـو الصـدّيق آمَن واتّقى وأعطى وما أكدى وصدّق بالحُسنى
وسمّاه في القرآن ذو العرش جنبه وعـروته والعين والـوجـه والاذنـا
وشـدَّ بـه أزر الـنبيِّ محـمّـدٍ وكـان له في كـلِّ نائبـةٍ رُكنـا[١]
وأفـرده بـالعلم والبـأس والنّـدى فمن قدره يسمو ومن فعله يُكنى
هو البحر يعلو العنبر المحض فوقه كما الدّر والمرجان من قعره يُجنى
إذا عُـدّ أقران الكـريهة لم نجـد لحيدرة في القوم كفـواً ولا قرنـا
يخوض المنايا في الحروب شجاعة وقد ملأت منه ليوث الشّرى جبنا
يرى الموت من يلقاه في حومة الوغا يُنـاديه من هنّـا ويدعـوه من هنّـا

---

(١) في بعض النسخ: حصنا.

إذا استعرت نار الوغى وتغشمرت فوارسها واستخلفوا الضرب والطعنا
وأهدت إلى الأحداق كحلاً معصفراً وألقت على الأشداق أردية دكنا
وخلت بها زرق الأسنَّة أنجماً ومن فوقها ليلاً من النقع قد جنَّا
فحين رأت وجه الوصيِّ تمزقت كثلّة ظأنٍ أبصرت أسداً شنّا
فتىً كفّه اليسرى حمامٌ بحربه كذاك حياة السِّلم في كفّه اليُمنى
فكم بطلٍ أردى وكم مرهبٍ أودى وكم مُعدمٍ أغنى وكم سائلٍ أقنى
يجود على العافين عفواً بما له ولا يتبع المعروف من مَنّه مَنّا
ولو فضّ بين الناس معشار جوده لما عرفوا في النّاس بخلاً ولا ضَنّا
وكلُّ جوادٍ جاد بالمال إنَّما قصاراه أن يستنَّ في الجود ما سنّا
وكلُّ مديح قلتُ أو قال قائلٌ فإنَّ أمير المؤمنين به يُعنى
سيخسر مَن لم يعتصم بولائه ويَقرع يوم البعث من ندم سنّا
لذلك قد واليته مخلص الولا وكنت على الأحوال عبداً له قِنّا
عليكم سلام الله يا آل أحمد متى سجعت قمريَّةٌ وعلت غصنا
مودَّتكم أجر النبيِّ محمَّدٍ علينا فآمنّا بذاك وصدَّقنا
وعهدكم المأخوذ في الذرِّ لم نقل : لأخذه كلاّ ولا كيف أو أنّا
قبلنا وأوفينا به ثمَّ خانكم اناسٌ وما خُنّا وحالوا وما حُلنا
طهرتم فطُهِّرنا بفاضل طهركم وطبتم فمن آثار طيبكمُ طبنا
فما شئتمُ شئنا ومهما كرهتموا كرهنا وما قلتم رضينا وصدَّقنا
فنحن مواليكم تحنُّ قلوبنا إليكم إذا إلفٌ إلى إلفه حنّا
نزوركمُ سعياً وقلَّ لحقِّكم لو أنا على أحداقنا لكمُ زُرنا
ولو بضِّعت أجسادنا في هواكمُ إذن لم نحل عنه بحالٍ ولا زلنا
وآبائنا منهم ورثنا ولاءكم ونحن إذا متنا نورِّثه الإبنا
وأنتم لنا نعم التجارة لم نكن لنحذر خسراناً عليها ولا غبنا
ومالي لا اثني عليكم وربُّكم عليكم بحسن الذكر في كتبه أثنى
وإنَّ أباكم يقسم الخلق في غدٍ فيُسكن ذا ناراً ويُسكن ذا عدنا

وأنتم لنـا غـوثٌ وأمنٌ ورحمـةٌ ... فمـا منكمُ بُـدٌّ ولا عنكمُ مغنى
ونعلم أن لـو لم نـدن بـولائكم ... لمـا قُبلت أعمـالنـا أبـداً منّـا
وأنَّ إليكم في المعـاد إيـابنـا ... إذا نحن من أجداثنا سُرَّعـاً قمنا
وأنَّ عليكم بعـد ذاك حسابنـا ... إذا مـا وفدنـا يوم ذاك وحـوسبنا
وأنَّ مـوازين الخـلائق حبّكم(١) ... فـأسعدهم مَن كـان أثقلهم وزنـا
ومـوردنا يـوم القيامـة حـوضكم ... فيظماالذي يقصي ويروى الذي يدنى
أمـر صـراط الله ثـمَّ إلـيـكـم ... فطوبا لنا إذ نحن عن أمركم جزنا
ومـا ذنبنا عنـد النّـواصب ويلهم ... سـوى أنّنـا قـومٌ بمـا دِنتمُ دِنّـا
فـإن كـان هـذا ذنبنـا فتيقّنـوا ... بـأنّـا عليـه لا انثنينـا ولا نثنى
ولمّـا رفضنا رافضيكم ورهـطكم ... رفضنـا وعودينـا وبالـرَّفض نُبِّزنـا
وإنّا اعتقدنا العدل في الله مذهباً ... ولله نـزَّهـنـا وإيّـاه وحَّـدنـا
وهم شبَّهـوا الله العليَّ بخـلقـه ... فقالوا: خُلقنا للمعاصي وأُجبرنا
فلو شاء لم نكفر ولو شاء أكفـرنا ... ولـو شاء لـو نُؤمن ولو شـاء آمنّا
وقالوا: رسول الله ما اختار بعده ... إمـاماً لنـا لكن لأنفسنـا اختـرنـا
فقلنـا: إذن أنتم إمـام إمامكم ... بفضل من الرَّحمن تهتم وما تِهنا
ولكنّنـا اخترنا الذي اختـار ربّنا ... لنا يوم «خُمّ» لا ابتدعنا ولا جرنا
سيجمعنـا يـوم القيـامـة ربّنـا ... فتجزون ما قلتم ونجزى ما قلنـا
هـدمتم بأيـديكم قـواعـد دينكم ... ودينٌ على غيـر القواعـد لا يُبنى
ونحن على نـور من الله واضحٍ ... فيـا ربّ زدنـا منـك نـوراً وثبّتنـا
وظنُّ ابن حمّـاد جميـلٌ بـربـه ... وأحرى به أن لا يخيب لـه ظنّا
بنى المجد لي شنَّ بن أقصى فحزته ... تُراثاً جزى الرَّحمن خيراً أبي شنّا
وحسبي بعد القيس في المجد والدي ... ولي حسب عبد القيس مرتبةً تبنى
وخـالي تميمٌ ثمَّ مجـدي بفخـره ... فنلت بـذا مجداً ونلت بـذا أمنـا
ودونـك لا مـا للقـلائـد هـذّبت ... مديحاً فلم تترك لذي مطعن طعنا
ولا ظلَّ أو أضحى ولا راحَ واغتدى ... تـأمّـل لا عينٌ تـراه ولا لحنـا

---

(١) وان موازين القصاص ولاؤكم. كذا في بعض النسخ.

فصاحة شعري مذ بدت لذوي الحجى تمثّلت الأشعار عندهمُ لكنا
وخير فنون الشعر ما رقّ لفظه وجلّت معانيه فزادت بها حسنا
وللشعر علمٌ إن خلا منه حرفه فذاك هذاءٌ في الرؤس بلا معنى
إذا ما أديبٌ أنشد الغثَّ خلته من الكرب والتنغيص قد ادخل السجنا
إذا ما رأوها أحسن الناس منطقاً وأثبتهم حدثاً وأطيبهم لحنا
تلذّ بها الأسماع حتّى كأنَّها ألذُّ من أيّام الشبيبة أو أهنى
وفي كلِّ بيت لذّةٌ مستجدَّةٌ إذا ما انتشاه قيل: يا ليته ثنّى
تقبَّلها ربّي ووفّى ثوابها وثقَّل ميزاني بخيراتها وزنا
وصلّى على الأطهار من آل أحمد إله السما ما عسعس الليل أو جنّا

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام :

حدّثنا الشيخ الثقه محمَّدٌ عن صدقه
روايةً متّسقه عن أنس عن النبي
رأيته على جرى مع عليٍّ ذي النُهى
يقطف قطفاً في الهوى شيئاً كمثل العنَب
فأكلا منه معا حتّى إذا ما شبعا
رأيته مرتفعا فطال منه عجبي
كان طعام الجنَّة أنزله ذو العزَّة
هديَّةً للصفوة من الهدايا النّخب

أشار بهذه الأبيات إلى ما أخرجه محمَّد بن جرير الطبري باسناده عن أنس قال: إنَّ رسول الله ﷺ ركب يوماً إلى جبل كداء فقال: يا أنس خذ البغلة وانطلق إلى موضع كذا تجد عليّاً جالساً يسبِّح بالحصى فاقرأه منّي السّلام واحمله على البغلة وائت به إليَّ فقال: فلمّا ذهبت وجدت عليّاً كذلك فقلت: إنّ رسول الله يدعوك فلمَّا أتى رسول الله قال له: اجلس فإنَّ هذا موضعٌ جلس فيه سبعون نبيّاً مرسلاً ما جلس فيه من الأنبياء أحدٌ إلاّ وأنا خيرٌ منه وقد جلس مع كلِّ نبيٍّ أخٌ له ما جلس من الاخوة أحدٌ إلاّ وأنت خيرٌ منه. قال: فرأيت غمامة

بيضاء وقد أظلّتهما فجعلا يأكلان منه عنقود عنب وقال: كل يا أخي فهذه هديَّةٌ من الله إليَّ ثمَّ إليك. ثمَّ شربا ثمَّ ارتفعت الغمامة ثمَّ قال: يا أنس والذي خلق ما يشاء لقد أكل من الغمامة ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيّاً وثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً ما فيهم نبيٌّ أكرم على الله منّي ولا وصيٌّ أكرم على الله من عليٍّ.

ولابن حمّاد العبدي يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله على رويَّة نونيَّة العوني المذكور:

ما لابن حمادٍ سوى من حمدت ... آثاره وأبهجت غرّانه[1]
ذاك عليٌّ المرتضى الطّهر الذي ... بفخره قد فخرت عدنانه
صنو النبيِّ هديه كهديه ... إذ كلُّ شيءٍ شكله عنوانه
وصيّه حقّاً وقاضي دينه ... إذ اقتضى ديونه ديّانه
ناصحه الناصر حقّاً إذ غدا ... سواه ضدٌّ سرّه اعلانه
وارثه علم الهدى أمينه ... في أهله وزيره خلصانه
ذاك الفتى النجد الذي إذا ابدا ... بمعرك ألقت له فتيانه
ليثٌ لو الليث الجريء خاله ... لطار من هيبته جنانه
صقرٌ ولكن صيده صيد الوغا ... ليثٌ ولكن فرسه فرسانه
ذاك الشجاع إن بدا بمعرك ... تفرّقت من خوفه شجعانه
تبكي الطلى إن ضحكت أسيافه ... وترتوي إن عطشت سنانه
ترى سباع البيد تقفو إثره ... لأنّها يوم الوغا ضيفانه
يقرن أرواح الكماة بالرّدى ... لذاك حاصت دونه أقرانه
وكم كميٍّ قد قراه في الوغا ... فليس تخبو أبداً نيرانه
يشهد في ذا بدره وأُحده ... وطيبة ومكّة أوطانه
وخيبر والبصرة التي بها ... النكث وصفين ونهروانه
كذا الذي قد ضمن المدح له ... من ربّه ربُّ العلى قرآنه
فقوله: وليّكم فإنّما ... يخصُّ فيها هو لا فلانه

---

(١) غران جمع الغرير: الخلق الحسن ومنه المثل. أدبر غريره وأقبل هريره. أي أدبر حسنه وجاء سيئه.

ثـلاثـةٌ: الله والـرسـول والـذ ي تـزكّـى راكـعـاً بـرهـانـه
وقـولـه: الاذن فـذاك « حيـدر » واعـيـةٌ لقوله آذانـه
وقـد دعـا لـه الـنـبـيُّ انَّـه يحفظ مـا يُملي لـه لـسـانـه
وقـولـه: الميـزان بـالقسط ومـا غـيـر عليّ فـي غـدٍ ميـزانـه
فـويـل من خفَّ لـديـه وزنـه وفـوز من أسعـده رجـحـانـه
ذاك أميـر الـمـؤمـنـيـن رتبـة من الآلـه الفرد جـلَّ شـانـه
ذادوه عـن سـلطانـه وحـقّـه من بعـد مـا بـان لهم سلطانـه
فـكـفَّ مـولاي الإمـام كـفّـه إذ قـلَّ في حقـوقـه أعـوانـه
ولـم يقـم معـه سـوى أربعـة وهـم لـعـمـر ربّـهـم أركـانـه
يتبعـه المقـداد وإبن يـاسـر عـمّـاره وسِلمـه سـلمـانـه
والصـادق اللهجـة أعني جندبـاً فـلـم يُخـالـف أمـره ايـمـانـه
ولـو يـشـأ أهـلكـهـم لـكـنَّـه أبقى ليبقى نـاسـلاً إنـسـانـه

وله يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه:

لله مـا صنعت فينـا يدُ البينِ كم من حشا أقرحت منّا ومن عينِ؟!
مـالي وللبين؟! لا أهلاً بـطلعتـه كم فرَّق البين قِدماً بين إلفينِ؟!
كانا كغصنين في أصل غذاؤهمـا مـاء النعيم وفي التشبيـه شكلين
كـأنَّ روحيهما من حسن إلفهما روحٌ وقد قُسّمت ما بين جسمين
لا عذل بينهما في حفظ عهدهما ولا يُـزيلهمـا لـوم العـذولين
لا يطمع الدهر في تغيير ودِّهما ولا يميـلان من عهـدٍ إلى مينِ
حتّى إذا أبصرت عين النوى بهما خلّين في العيش من همّ خليَّين
رمـاهمـا حسـدا منه بـداهيـةٍ فأصبحا بعد جمع الشمل ضدَّين
في الشَّرق هذا وذا في الغرب منتئياً مـشـرَّدين عـلى بُعـد شـجيَّين
والـدهـر أحسـد شيءٍ للقـريبين يـرمي وصـالهمـا بـالبعـد والبين
لا تأمن الدَّهر إنَّ الدهـر ذو غيرٍ وذو لسـانين في الـدُّنيـا ووجهين
أخنى على عترة الهادي فشتّتهم فما ترى جـامعاً منهم بشخصين

كـأنّمـا الـدَّهـر آلا أن يُبـدِّدهـم ... كعـاتب ذي عنـاد أو كذي دينِ
بعضٌ بـطيبة مـدفـونٌ وبعضهمُ ... بكـربـلاء وبعضٌ بـالغـريَّيـنِ
وأرض طوسٍ وسامرّا وقد ضمنت ... بغـداد بدرين حـلّا وسط قبـرينِ
يا سادتي ألمنْ أبكي أسى؟! ولمن ... أبكي بجفنين من عيني قريحين؟!
أبكي على الحسن المسموم مضطلماً ... أم الحسين لقىً بين الخميسين؟!
أبكي عليه خضيب الشيب من دمه ... معفّـر الخـدِّ محزوز الـوريـدينِ
وزينب في بنـات الطّهـر لاطمـةٌ ... والدمع في خدِّها قد خدَّ خـدَّينِ
تدعوه: يـا واحداً قـد كنتُ آمله ... حتّى استبدَّت به دوني يـد البينِ
لا عشت بعدك ما إن عشت لا نعمت ... روحي ولا طعمت طعم الكراعيني
أُنـظر إليَّ أخي قبل الفـراق لقد ... أذكـا فـراقـك في قلبي حـريقينِ
أُنظر إلى فاطم الصغرا أخي ترها ... لِليُتم والسبي قـد خصّت بـذلّينِ
إذا دنت منك ظلَّ الرِّجس يضربها ... فتلتقي الضـرب منها بـالـذِّراعينِ
وتستغيث وتـدعـو: عمَّتـا تلفت ... روحي لـرزئين في قلبي عظيمينِ
ضربٌ على الجسد البالي وفي كبدي ... لِلثكل ضربٌ فما أقوى لضـربينِ
أُنظر عليّـاً أسيـراً لا نصيـر لـه ... قـد قيَّـدوه على رغم بقيـدينِ
وارحمتا يا أخي من بعد فقدك بل ... وارحمتـا لـلأسيـرين اليتيمـينِ
والسبط في غمرات الموت مُشتغلٌ ... ببسط كـفَّيـن أو تقـبيض رجـلينِ
لا يستـطيع جـواباً لِلنِّـداء سـوى ... يومي بلحظين من تكسيـر جفنينِ
لا زلت أبكي دماً ينهلُّ منسجماً ... للسيِّـدين القتيلين الـشهيـدينِ
السيِّـدين الشـريفين اللذان همـا ... خير الورى من أب مجدٍ وجدَّينِ
الضـارعيـن إلى الله الـمنيبيـن ... المســرعين إلى الحقّ الشفيعينِ
العالمين بذي العرش الحكيمين ... العـادلين الحليمين الـرَّشيـدينِ
الصابرين على البلوى الشكورين ... المعـرضين عن الـدنيـا المنيبينِ
الشـاهـدين على الخلق الإمـامين ... الـصـادقيـن عن الله الـوفـيَّيـنِ
العـابـدين الـتقـيَّيـن الـزكيَّين ... المؤمنين الشجـاعين الجـريَّـينِ

الحجّتين على الخلق الأميرين الطّيبين الطهورين الزكيّين
نورين كانا قديماً في الظّلال كما قال النبيُّ لعرش الله قرطينِ
تفّاحتي أحمد الهادي وقد جعلا لفاطم وعليٍّ الطّهر نسلينِ
صلّى الإله على روحيهما وسقا قبريهما أبداً نوء السماكينِ

إلى أن يقول فيها:

ما لابن حمّادٍ العبدي من عملٍ إلّا تمسّكه بالميم والعينِ
فالميم غاية آمالي محمّدها والعين أعني عليّاً قرّة العينِ
صلّى الإله عليهم كلما طلعت شمس وما غربت عند العشائينِ

[القصيدة وهي ٥٧ بيتاً]

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله يذكر فيها حديث الغدير:

حيِّ قبراً بكربلا مُستنيرا ضمَّ كنز التّقى وعلماً خطيرا
وأقم مأتم الشهيد وأذرف منك دمعاً في الوجنتين غزيرا
والتثم تربة الحسين بشجوٍ وأطل بعد لثمك التعفيرا
ثمَّ قل: يا ضريح مولاي سُقِّيـ ـت من الغيث هامياً جمهريرا
تـهْ على سائر القبور فقد أصـ ـبحت بالتّيه والفخار جديرا
فيك ريحانة النبيِّ ومن حلَّ من المصطفى محلاً أثيرا
فيك يا قبرُ كلّ حلمٍ وعلمٍ وحقيقٌ بأن تكون فخورا
فيك من هدَّ قتله عمد الدين وقد كان بالهدى معمورا
فيك من كان جبرئيل يُناغيه وميكال بالحباء صغيرا
فيك من لاذ فطرسٌ فترقّى بجناحي رضى وكان حسيرا
يوم سارت إليه جيش ابن هند لذحولٍ أمست تحلّ الصدورا
آه واحسرتي له وهو بالسيف نحيرٌ أفديت ذاك النَّحيرا
آه إذ ظلَّ طرفه يرمق الفسطاط خوفاً على النساء غيورا
آه إذ أقبل الجواد على النسوان ينعاه بالصهيل عفيرا

فتبادرن بالعويل وهتكن الأقراط بارزات الشعورا
وتبادرن مسرعات من الخدر ومن قبلُ مُسبلات الستورا
ولطمن الخدود من ألم الثكل وغادرن بالنِّياح الخدورا
وبدا صوتهنَّ بين عداهنَّ وعفن الحجاب والتخفيرا
بارزات الوجوه من بعد ما غودرن صون الوجوه والتخفيرا
ثمَّ لمّا رأين رأس حسين فوق رمح حكى الهلال المنيرا
صحن بالذل أيّها الناس لِم نُسبى ولم نأت في الأنام نكيرا؟!
ما لنا لا نرى لآل رسول الله فيكم يا هؤلاء نصيرا؟!
فعلى ظالميهمُ سخط الله ولعن يبقى ويفنى الدهورا
قل لمن لام في ودادي بني أحمد: لا زلت في لظى مدحورا
أعلى حبِّ معشر أنت قد كنت عذولاً ولا تكون عذيرا
وأبوهم أقامه الله في «خُمّ» إماماً وهادياً وأميرا
حين قد بايعوه أمراً عن الله فسائل دوحاته والغديرا
وأبوهم أفضى النبيُّ إليه علم ما كان أوّلاً وأخيرا
وأبوهم علا على العرش لمّا قد رقى كاهل النبيِّ ظهيرا
وأماط الأصنام كلاًّ عن الكعبة لمّا هوى بها تكسيرا
قال: لو شئت ألمس النجم بالكف إذن كنت عند ذاك قديرا
وأبوهم قد ردّ للشمس بيضاً وهي كادت لوقتها أن تغورا
وقضى فرضه أداءً وعادت لغروب وكوّرت تكويرا
وأبوهم يروي على الحوض من وا لاهم ويردُّ عنه الكفورا
وأبوهم يقاسم النار والجنّة في الحشر عادلاً لن يجورا
وأبوهم برا الإله له شبهاً لأملاكه سميعاً بصيرا
فإذا اشتاقت الملائك زارته فناهيك زائراً ومزورا
وأبوهم أحيا لميت بصرصر بعدما كان في الثرى مقبورا
وأبوهم قال النبيُّ له قولاً بليغاً مكرَّراً تكريرا

: أنت خدني وصاحبي ووزيري بعد موتي أكرم بذاك وزيرا
أنت مني كمثل هرون من موسى ولم أبتغي سواه ظهيرا
وأبوهم أودى بعمرو بن ودّ حين لاقاه في العجاج أسيرا
وأبوهم لباب خيبر أضحى قالعاً ليس عاجزاً بل جسورا
حامل الراية التي ردَّها بالأمس من لم يزل جباناً فرورا
خصَّه ذو العلا بفاطمة عرساً ثمَّ أعطاه شبّراً وشبيرا
وهمُ باب ذي الجلال على آدم فارتدَّ ذنبه مغفورا
وبهم قامت السَّماء ولولاهمُ لكادت بأهلها أن تمورا
وبهم باهَلَ النبيُّ فقل لي ألهم في الورى عرفت نظيرا؟!

فيهمُ أنزل المهيمن قرآناً عظيماً وذاك جمّاً خطيرا
في الطواسين والحواميم والرَّحمن آياً ما كان في الذِّكر زورا
وخلقناه نطفةً نبتليه فجعلناه سامعاً وبصيرا
لبيان إذا تأمّله العارف يُبدي له المقام الكبيرا
ثمَّ تفسير هل أتى فيه يا صاح قل له إن كنت تفهم التفسيرا
إنَّ الأبرار يشربون بكأس كان عندي مزاجها كافورا
فلهم أنشأ المهيمن عيناً فجّروها لديهمُ تفجيرا
وهداهم وقال: يوفون بالنَّذرِ فمن مثلهم يوفي النذورا؟!
ويخافون بعد ذلك يوماً شرُّه كان في الورى مُستطيرا
فوقاهم إلههم ذلك اليوم ويلقون نضرةً وسرورا

وجزاهم بأنَّهم صبروا في السرِّ والجهر جنَّةً وحريرا
فاتَّكوا من على الأرائك لا يلقون فيها شمساً ولا زمهريرا
وأوان وقد أُطيفَت عليهم سلسبيل مقدَّرٌ تقديرا
وبأكواب فضَّة وقوارير. قدَّروها عليهمُ تقديرا
وبكأسٍ قد مُلزجت زنجبيلاً لذَّة الشاربين تشفي الصدورا
وإذا ما رأيت ثمَّ نعيماً دائماً عندهم وملكاً كبيرا

وعليهم فيها ثيابٌ من السندس خضرٌ في الحشر تلمع نورا
ويُحلّون بالأساور فيها وسقاهم ربّي شراباً طهورا
وروى لي عبد العزيز الجلودي[١] وقد كان صادقاً مبرورا
عن ثقاة الحديث أعني العلائي هو أكرم بذا وذا مذكورا
يسندوه عن ابن عبّاس يوماً قال: كنّا عند النبيِّ حضورا
إذ أتته البتول فاطم تبكي[٢] وتوالي شهيقها والزّفيرا
قال: مالي أراكِ تبكين يا فاطم؟! قالت وأخفت التعبيرا
: إجتمعن النساء نحوي وأقبلنَ يطلن التقريع والتعييرا
قلن: إنَّ النبيَّ زوَّجك اليوم عليّاً بعلاً عديماً فقيرا
قال: يا فاطم اسمعي واشكري الله فقد نلتِ منه فضلاً كبيرا
لم ازوِّجك دون إذن من الله وما زال يحسن التّدبيرا
أمر الله جبرئيل فنادى رافعاً في السّماء صوتاً جهيرا
وأتاه الأملاك حتّى إذا ما وردوا بيت ربِّنا المعمورا
قام جبريل قائماً يكثرالتحميد لله جلَّ والتكبيرا
ثمَّ نادى: زوّجت فاطم يا ربّ عليَّ الطّهر الفتى المذكورا
قال ربُّ العلا: جعلت لها المهر لها خالصاً يفوق المهورا
خُمس أرضي لها ونهري وأو جبت على الخلق ودّها المحصورا
فأنثرت عند ذلك طوبا على الحور عنبراً وعبيرا[٣]
ورُوينا عن النبيِّ حديثاً في البرايا مُصحّحاً مأثورا
انَّه قال: بينماالناس في الجنّة إذ عاينوا ضياءً ونورا
كاد أن يخطف العيون فنادوا: أيّ شيءٍ هذا؟ وأبدوا نكورا

---

(١) أبو أحمد ابن يحيى البصري أحد مؤلفي الإمامية الثقات الأثبات له في الفقه والحديث والتأريخ تآليف قيمة توفى ١٧ ذي الحجة سنة ٣٣٢.

(٢) هذه الأبيات ذكرها ابن شهراشوب في « المناقب » للعبدي فحسبناه سفيان بن مصعب العبدي فذكرناها في ترجمته ج ٢ ص٣٦٨ ثم وقفنا على تمام القصيدة فعرفنا أنها للمترجم.

(٣) راجع في الأحاديث المذكورة في هذه الأبيات الجزء الثاني في كتابنا ص٣٦٨.

أوَ ليس الآلـه قال لنـا: لا ... شمس فيها ترى ولا زمهريرا؟!
وإذا بالنداء: يا ساكن الجنَّة ... مهلاً أمنتم التغييرا
ذا عليُّ الوليُّ قد داعب الزَّ ... هراء مولاتكم فأبدت سرورا
فبذا إذ تبسَّمت ذلك النور ... فزيدوا إكرامه وحبورا
يا بني أحمد عليكم عمادي ... واتّكالي إذا أردت النشورا
وبكم يسعد الموالي ويشقى ... من يُعاديكمُ ويصلى سعيرا
أنتمُ لي غداً وللشيعة الأبرار ... ذخرٌ أكرم به مذخورا
فاستمعها كالدرِّ ليس ترى فيها ... ملاهي كَلّاً ولا تعييرا
صاغ أبياتها عليُّ بن حمّاد ... فزانت وحُبّرت تحبيرا

وقفنا للمترجم في طيّات المجاميع العتيقة في النجف الأشرف والكاظميَّة على قصائد جمَّة وإليك فهرستها:

عدد القصائد	مطلع القصيدة		عدد الأبيات
١	يا يوم عاشورا أطلت بكائي	وتركتني وقفاً على البرحاء	٤٦
٢	هَنِّ بالعيد إن أردت سوائي	أيّ عيدٍ لمستباح العزاء؟	٣٧
	إنَّ في مأتمي عن العيد شغلا	فاله عنيّ وخلِّني بشجائي	
	فإذا عيَّد الورى بسرور	كان عيدي بزفرة وبكاءِ	
	وإذا جدَّدوا ثيابهم جدَّدت	ثوبي من لوعتي وضنائي	
	وإذا أدمنوا الشراب فشربي	من دموع ممزوجةٍ بدماءِ	
	وإذا استشعروا الفناء فنوحي	وعويلي على الحسين غنائي	
	وقليلٌ لو متُّ همّاً ووجداً	لمصاب الغريب في كربلاءِ	
	أيهمني بعيده من مواليه	أبادتهمُ يد الأعداءِ؟!	
	آه يا كربلاء كم فيك من	كرب لنفس شجيَّةٍ وبلاءِ؟!	
	أألذّ الحياة بعد قتيل الطفّ	ظلماً؟! إذن لقلّ حيائي	
	كيف ألتذُّ شرب ماء وقد جرّ	ع كاس الرَّدى بكرب الظماءِ؟!	
	كيف لا أسلب العزاء إذا	مثّلته عارياً سليب الرِّداءِ؟	

كيف لا تسكب الدموع عيوني ... بعد تضريج شيبه بالدِّماءِ؟!
تطأ الخيل جسمه في ثرى الطف ... وجسمي يلتذُّ لين الوطاءِ؟!
بأبي زينب وقد سُبيت بالذ ... لِّ من خدرها كسبي الإماءِ
فإذا عاينته مُلقى على التر ... ب مُعرّى مجدَّلاً بالعراءِ
أقبلت نحوه فيسمعها الشِّمر ... فتدعو في خيفةٍ وخفاءِ
: أيّها الشِّمر خلّني أتزوّد ... نظرةً منه فهي أقصى منائي
أفما لِلرَّسول حقٌّ فلِم تنظر ... ني جاهراً بسوء المراءِ؟!
ثم تدعو الحسين: لِم يا شقيقي ... وابن امّي خلّفتني بشقائي؟
يا أخي يومك العظيم برى عظمي ... وأضنى جسمي وأوهى قوائي
يا أخي كنتُ أرتجيك لموتي ... وحياتي فخاب منّي رجائي
يا أخي لو فدى من الموت شخص ... كنت أفديك بي وقلَّ فدائي
يا أخي لا حبيب بعدك بل لا ... عشت إلّا بمقلةٍ عمياءِ
آه واحسرتي لفاطمة الصغرى ... وقد أبرزت بذلّ السباءِ
كفها فوق رأسها من جوى الثكل ... وكفٌّ اخرى على الأحشاءِ
فإذا أبصرت أباها صريعاً ... فاحصاً باليدين في الرَّمضاءِ
لم تطق نهضةً إليه من الضعف ... فنادته في خفيٍّ النداءِ
: يا أبي من ترى ليتمي وضعفي ... أو تراه لمحنتي وابتلائي؟!؟!
فإذا لم تجد جواباً لها إلّا ... بكسر الجفون والإيماءِ
أقبلت نحو عمَّتيها وقالت ... : ما أرى والدي من الأحياءِ
فإذا كان لِمْ جفاني وما كان ... له قطُّ عادة بالجفاءِ
يا بني أحمد السّلام عليكم ... ما أنارت كواكب الجوزاءِ
أنتمُ صفوة الآله من الخلق ... ومن بعد خاتم الأنبياءِ
ونجوم الهدى بنوركم تهدي ... البرايا في حندس الظلماءِ
أنا مولاكم ابن حمّاد أعدد ... تكم في غدٍ ليوم جزائي
ورجائي أن لا أخيب لديكم ... واعتقادي بكم بلوغ الرجاءِ

٣ شجاك نوى الأحبة كيف ساءا ... بداءٍ لا تصيب له دواءا ٧٥
٤ أيفرح من له كبدٌ يذوب ... وقلبٌ من صبابته كئيبٌ؟! ٢٨
٥ ويك يا عين سحي دمعاً سكوبا ... ويك يا قلبُ كن حزيناً كئيبا ٦٨
٦ أتلعاباً وقد لاح المشيبُ؟ ... وشيب الرأس منقصة وعيبُ ٧٤
٧ دعوت الدمع فانسكب انسكابا ... وناديت السلوَّ فما أجابا ٦٧

ويقول فيها:

وإن يك حبُّ أهل البيت ذنبي ... فلستُ بمبتغٍ عنه منابا
أُحبُّهمُ وأمنحهم مديحاً ... وأمنحُ مَن يسبُّهمُ سبابا
ولم أمدحهمُ قطُّ اكتساباً ... ولكنّي مدحتهمُ ارتغابا
ولن يرجو ابن حمّاد عليٌّ ... بحسن مديحهم إلّا الثوابا
٨ هل لجسمي من السقام طبيب؟ ... أم لعيني من الرُّقاد نصيب؟ ٢٦
٩ يا أهل بيت رسول الله إنّكمُ ... لأشرف الخلق جدّاً غاب أو أبا ٣٠
١٠ الدهر فيه طرائقٌ وعجائبُ ... تترى وفيه فوائدٌ ومصائبُ ٦٠
١١ أيا مَن لقلب دائم الحسراتِ؟ ... ومن لجفون تسكب العبرات؟ ٣٤

هي على رويِّ تائيَّة دعبل يقول في آخرها:

إليك أمين الله نظم قصيدةٍ ... إماميَّةٍ تزهو بحسن صفاتِ
عليّ بن حمّاد دعاها فأقبلت ... وهمَّته من أعظم الهمّاتِ
شبيهٌ لما قال الخزاعيُّ دعبل ... [تضمَّنه الرَّحمن بالغرفات]
[مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومهبط وحي مقفر العرصات]
١٢ بقاعٌ في البقيع مقدّساتٌ ... وأكناف بطيبة طيِّباتٌ ٩٥
١٣ دعني أنوح وأسعد النّواحا ... مثلي بكى يوم الحسين وناحا ٢٨
١٤ أرى الصبر يفنى والهموم تزيد ... وجسمي يبلى والسقام جديدُ ٤٣
١٥ ما ضرَّ عهد الصبى لو أنّه عادا ... يوماً يزوِّدني من طيبةٍ زادا ٨٦

جارى بها السيّد إسماعيل الحميري في قصيدة له أوَّلها:

طاف الخيال علينا منك عبّادا

فقال العبديُّ في آخر قصيدته:

وازنت ما قال إسماعيل مبتدءاً: [طاف الخيال علينا منك عبّادا]

١٦ أبك ما عشت بالدموع الغزارِ لذراري محمّد المختارِ ٣٧

١٧ أآمرتي بالصبر أسرفت في أمري أيُؤمر مثلي لا أباً لك بالصبر؟ ٢٩

١٨ سلامي على قبرٍ تضمَّن حيدرا سلام مشوقٍ ما يطيق التصبّرا ٦٠

ويقول في آخرها:

ولا أغل في ديني كمن كان قد غلا وما كنت في حبِّ الوصيِّ مُقصِّرا

بذلك يلقى الله في يوم بعثه عليُّ بن حمّاد إذا هو أنشرا

١٩ يا لائمي دع ملامي في الهوى وذرِ فإنَّ حبَّ عليٍّ قام في عذري ٢٨

٢٠ دعى قلبه داعي الوعيد فاسمعا وداع لبادي شيبه فتورَّعا ٦٢

٢١ فرَّقت يا بين شملاً كان مجتمعا أبعدت عنّي حبيبي والسرور معا ٧٧

٢٢ خليلي عُج بنا نطل الوقوفا على مَن نوره شمل الطفوفا ٢٥

٢٣ خواطر فكري في الحشاء تجولُ وحزني على آل النبيِّ يطولُ ٥٢

٢٤ أهجرتِ يا ذات الجمال دلالا؟ وجعلتِ جسمي للصدود خيالا؟ ٥٨

٢٥ ألا إنَّ زين المرء في عمره العقلُ ونهج هدى ما فيه زُحلوقة زلُّ ٢٧

٢٦ يا عليَّ بن أبي طالب يا بن المفضلِ يا حجاب الله والباب القديم الأزلي ٢١

٢٧ ناجتك أعلام الهداية فاعلمِ وأقمت فيها بالطريق الأقومِ ٥١

فانظر بعين العقل في عقبى الهوى واسأل عن الدارين إن لم تعلمِ

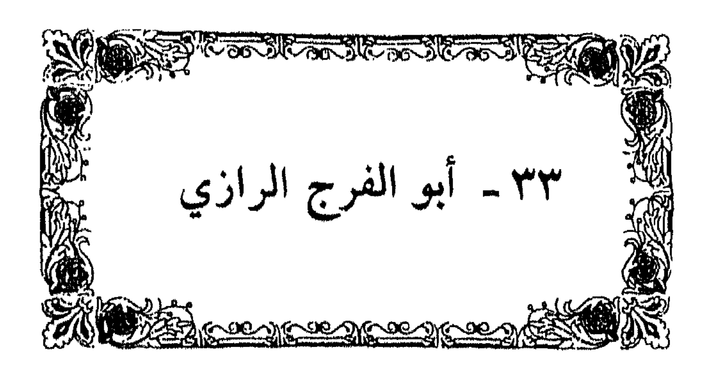
٣٨ النَّوم بعدكمُ عليَّ حرامُ مَن فارق الأحباب كيف ينامُ؟ ٥٥

وهناك قصائد تُعزى إلى شاعرنا إبن حمّاد العبدي في بعض المجاميع وهي لإبن حمّاد محمَّد المتأخر عن المترجَم له بقرون منها قصيدةٌ مطلعها:

لغير مصاب السبط دمعك ضائعُ ولا أنت ذا سلوٍ عن الحزن جازعُ

وقفنا على تمام هذه القصيدة وفي آخرها:

لعلّ ابن حمّاد محمَّد عبدكم له في غدٍ خير البريّة شافعُ



٣٣ - أبو الفرج الرازي

تجلّى الهدى يوم « الغدير » على الشّبه ... وبرّز إبريز البيان عن الشّبه
وأكمل ربُّ العرشِ للناس دينهم ... كما نزل القرآن فيه فأعربه
وقام رسول الله في الجمع رافعاً ... بضبع عليٍّ ذي التعالي من الشّبه
وقال: ألا مَن كنت مولى لنفسه ... فهذا له مولى فيا لكِ منقبه[1]

(الشاعر)

أبو الفرج محمَّد بن هندو الرازي.

(آل هندو) من اسر الإماميَّة الناهضين بنشر العلم والأدب، وفيهم جمعٌ ممن تحلّوا بفنون الفضائل، ولهم في الكتابة والقريضِ قِدم وقَدم، طفحت بذكرهم المعاجم منهم: أبو الفرج محمَّد بن هندو مؤسِّس شرف بيتهم، عدَّه إبن شهراشوب في « معالم العلماء » من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام المتّقين.

ومنهم: أبو الفرج الحسين بن محمَّد بن هندو، ترجمه الثعالبي في « اليتيمة » ج ٣ ص ٣٦٢ وعدّه من أصحاب الوزير الصاحب بن عبّاد وذكر شطراً من شعره وقال: ملحه كثيرةٌ ولا يسع هذا الباب إلّا هذا الانموذج منها. ومما ذكر له قوله:

لا يوحشنّك من مجدٍ تباعده ... فإنَّ لِلمجد تدريجاً وتدريبا

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٣١، ط ايران، والصراط المستقيم للبياضي.

إنَّ القناة التي شاهدت رفعتها   تنمي فتصعد أُنبوباً فأُنبوبا

وقوله:

يقولون لي ما بال عينك مذ رأت   محاسن هذا الظبي أدمعها هطلُ؟!

فقلت: زنت عيني بطلعة وجهه   فكان لها من صوب أدمعها غسلُ

ومنهم: أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمَّد بن هندو، توجد ترجمته في جملة من كتب التراجم[1] و في كلِّها ثناءٌ عليه بتضلّعه في الحكمة والفلسفة والطبِّ والكتابة والشعر والأدب وتبرُّزه في ذلك كلِّه. له كتاب مفتاح الطبِّ. المقالة المشوِّقة في المدخل إلى علم الفلك. الكلم الروحانيَّة من الحكم اليونانيَّة. الوساطة بين الزُّناة واللاطة. هزليَّة. ديوان شعره. توفّي بجرجان سنة ٤٢٠.

ومن شعر أبي الفرج عليّ في معاني بديعة قوله:

حللت وقاري في شادنٍ   عيون الأنام به تعقدُ

غدا وجهه كعبةً لِلجمال   وفي قلبه الحَجَر الأسودُ

وله قوله:

قولوا لهذا القمر البادي   : ما لك إصلاحي وإفسادي

زوِّد فؤاداً راحلاً قبله   لا بدَّ لِلرّاحلِ من زادِ

وله قوله:

قالوا: اشتغل عنهمُ يوماً بغيرهمُ   وخادع النفس إنَّ النفس تنخدعُ

قد صيغ قلبي على مقدار حبّهمُ   فما لحبٍّ سواه فيه مُتّسعُ

وله قوله:

وحقِّك ما أخَّرتُ كُتبي عنكمُ   لقالة واشٍ أو كلام محرِّشِ

ولكنَّ دمعي إن كتبت مشوِّشٌ   كتابي وما نفعُ الكتابِ المشوَّشِ؟!

---

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢٣، دمية القصر ص ١١٣، فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥، معجم الادباء ج ١٣ ص ١٣٦، محبوب القلوب للأشكوري، نسمة السحر.

وله قوله:

ما للمعيل وللمعالي؟! إنّما يسمو إليهنَّ الوحيدُ الفاردُ
فالشمس تجتاب السماء فريدةً وأبو بنات النقش فيها راكدُ

وله قوله:

قوِّض خيامك من أرض تضام بها وجانبِ الذلَّ إنَّ الذل يُجتنبُ
وارحل إذا كانت الأوطان منقصة فصندل الهند في أوطانه حطبُ

لا يذهب على القارىء أنَّ ترجمة أبي الفرج عليٍّ بن هندو تُعزى في عيون الأنباء، وفوات الوفيات، ومحبوب القلوب إلى « يتيمة الدَّهر » وكتاب اليتيمة خلوٌ منها؛ والمترجم فيه هو والده المذكور الحسين.
نعم: ترجمه الثعالبي في « تتمَّة اليتيمة » ص ١٣٤ - ١٤٣ وأثنى عليه بقوله: هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة، وملكه رقّ البراعة في البلاغة، فرد الدهر في الشعر، وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد، ونظم القلائد والفرائد، مع تهذيب الألفاظ البليغة، وتقريب الأغراض البعيدة، وتذكير الذين يسمعون ويروون، أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون، وكنت ضمنت كتاب « اليتيمة » نبذاً من شعره[1] لم أظفر بغيره وهذا مكان ما وقع إليَّ بعد ذلك من وسائط عقوده، وفوارد أبياته بل معجزاته.

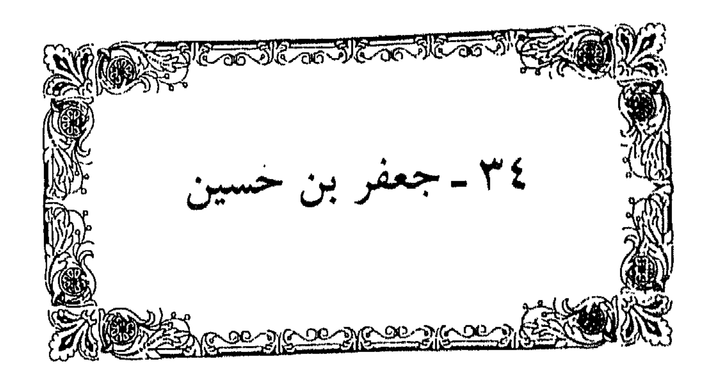
ثم ذكر صحائف من شعره وفصلاً من رسالته الهزليَّة « الوساطة »

ومنهم: أبو الشرف بن أبي الفرج عليّ بن حسين بن محمَّد بن هندو ذكره صاحب « دمية القصر » ص ١١٣ في ذيل ترجمة أبيه.

قد تُعزى الأبيات الغديريَّة المذكورة إلى أبي الفرج سلامة بن يحيى الموصلي[2] وهو لا يتمُّ لأنَّ الواقف « على مناقب » إبن شهراشوب ومعالمه جِدُّ عليم بانه يذكر أبا الفرج الموصلي في كتابيه باسمه والمترجم بكنيته والله أعلم.

---

(١) ج ٣ ص ٢١٢.
(٢) راجع يتيمة الدهر ج ١ ص ٨٢.



٣٤ - جعفر بن خسين

قل للّذي بفجوره ... في شعره ظهرت علامه
ويبيع جهلاً دينه ... لمضلّل يرجو حطامه
: من أين أنت لعنت؟ أو ... من أين أسرار الإمامه؟!
أظننتها إرث النّـ ... ـبيِّ؟ فما أصبت ولا كرامه
إنّ الإمامة بالنّصو ... ص لمن يقوم بها مقامه
كمقاله في يوم «خمّ» ... لحيدر لمّا أقامه
: من كنت مولاه فذا ... مولاه يسمعهم كلامه
سل عنه ذا خبرٍ به ... فلتذهبنّ إذا ندامه
فهو الذي بحسامه ... للنقع قد جلّى قتامه
في يوم بدرٍ إذ شكا ... سادات مالككم صدامه
وأنين والدهم وقد ... منع النبيّ به منامه
إنّ الإمام لديننا ... مَن شاده وبنى دعامه
في كلّ معترك إذا ... شبّ الوغى أطفى ضرامه
فتّاح خيبر بعدما ... فرّ الذي طلب السّلامه
تالله لو وُزن الجميـ ... ـع لما وفوا منه القلامه

حكى القاضي أبو المكارم محمّد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المتوفّى سنة ٥٦٥ في شرح قصيدة أبي فراس الميميّة المعروفة بالشافية عن مروان بن أبي حفصة انّه قال: أنشدت المتوكّل شعراً

ذكرتُ فيه الرافضة فعقد لي على البحرين واليمامة وخلع عليَّ أربع خلع في دار العامَّة والشعر هو هذا:

لكمُ تراث محمَّدٍ ... وبعدلكم تنفى الظلامة
يرجو التراث بنو البنا ... ت وما لهم فيه قلامه
والصهر ليس بوارثٍ ... والبنت لا ترث الإمامه
ما للَّذين تنحَّلوا ... ميراثكم إلّا الندامه
أخذ الوراثة أهلها ... فعلام لومكُم علامه؟!
لو كان حقّكمُ لها ... قامت على الناس القيامه
ليس التراث لغيركم ... لا والإِلٓه ولا كرامه
أصبحت بين محبُّكم ... والمبغضين لكم علامه

فردَّ عليه رجلٌ يقال له جعفر بن حسين بقوله: قل للَّذي بفجوره. إلخ[١]

قال الأميني: زعماً بأنَّ الشاعر من أولاد أبي عبد الله حسين بن الحجّاج البغدادي أو ممن عاصروه ذكرناه في هذا القرن ولم نقف على شيءٍ من ترجمته.

وقد وقفنا على عدَّة قصائد غديريَّة لغير واحد من شعراء القرن الرابع غير أنّا لم نعرف شيئاً من أحوالهم وتاريخ حياتهم فضربنا عنها صفحاً.

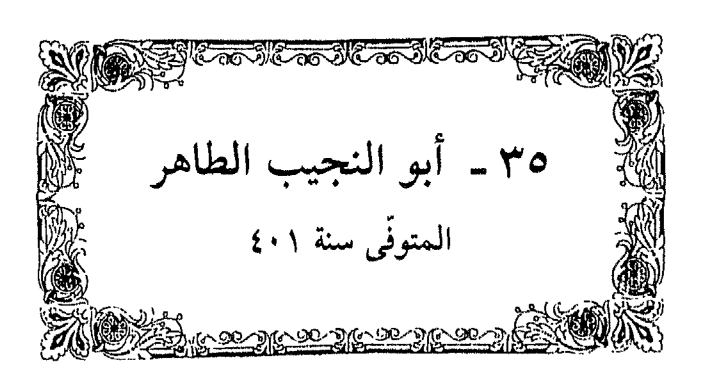
---

(١) رجع أعيان الشيعة ج ١٨ ص ٤٤٦.

شعـــراء الغدير

في القرن الخامس الهجري





٣٥ ـ أبو النجيب الطاهر

المتوفّى سنة ٤٠١

عيَّد في يوم «الغدير» المسلمُ   وأنكر العيد عليه المجرمُ
يا جاحدي الموضع واليوم وما   فاهَ به المختار تبّاً لكمُ
فأنزل الله تعالى جَدُّه   : اليوم أكملت لكم دينكمُ
واليوم أتممت عليكم نعمتي   وإنّ من نصب الإمام النعمُ[1]

(الشاعر)

أبو النجيب شدّاد بن إبراهيم بن حسن الملقَّب بالطاهر الجزري، من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام نظم في فنون الشعر، وغرَّد على أفانينه، بنظم رقيق الحاشية، متَّسق الألفاظ، جزل المعاني له ديوان شعر عدَّه ابن شهراشوب في «معالم العلماء» عداد المجاهرين من شعراء أهل عليهم السلام، وفي «معجم الأدباء» ج ٤ ص ٢٦١ : شاعرٌ من شعراء عضد الدولة ابن بُويه ومدح المهلبي، كان دقيق الشعر. لطيف الأسلوب مات سنة ٤٠١ ومن شعره :

إذا المرء لم يرض ما أمكنه   ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره   سيضحك يوماً ويبكي سنه

ومنه :

أيا جيل التصوُّف شرَّ جيلٍ   لقد جئتم بأمر مستحيلٍ

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٢٨.

أفـي القــرآن قــال لـكم إلـهي : كلوا مثل البهائم وارقصوا لي؟!

وقال:

قلت للقلب: ما دهاك؟ أبن لي قـال لي: بايـع الفـراني فـراني
نـاظـراه فيمـا جنت نـاظـراه أو دعـاني أمت بمـا أودعـاني

وقال:

بـلاد الله واسـعـةٌ فـضـاهـا ورزق الله في الـدنيـا فـسيـحُ
فقـل للقـاعـدين على هـوان: إذا ضـاقت بكم أرض فسيحـوا

وقال:

أفسـدتُم نـظري عليَّ فمـا أرى مـذ غبتُم حَسناً إلى أن تقـدمـوا
فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى عين الرضى والسخط أحسن منكُم

وقال في ج ٣ ص ١٩٤: حدّث أبـو النجيب قال: كنت كثيـر الملازمـة للوزير: أبي محمَّد المهلبي [المتوفّى سنة ٣٥٢] فاتَّفق أن غسلت ثيابي وأنفـذ إليَّ من يدعوني فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألحّ في استدعائه فكتبت إليه:

عبـدك تحت الحبـل عـريـانْ كـأنَّـه لا كـان شـيـطانْ
يـغسـل أثـوابـاً كـأنَّ البـلا فـيـهـا خـليطٌ وهـي أوطـانْ
أرقّ مـن ديـنـي إن كـان لـي ديـنٌ كـمـا لـلنـاس أديـانْ
كـأنّـهـا حـالي مـن قبـل أن يصبـح عنـدي لـك إحسـانْ
يقـول من يبصـرني معـرضـاً فـيـهـا ولـلأقـوال بـرهـانْ
: هـذا الذي قـد نسجت فوقـه عـنـاكـب الـحيـطان إنـسـانْ

فأنفذ لي جبَّة وعمامـةَ وسراويـل وكيساً فيـه خمسمائـة درهم. وترجمـة الكتبي في [فـوات الوفيـات] ص ١٦٧ وقال: شـاعرٌ مـدح المهلبي وزير معـزّ الدولة ومدح عضد الدولة وكانت وفاتـه في حدود الأربعمـائة. وذكـر أبياتـاً من

شعره . ونقل في ص ١٣٢ في ترجمة الوزير المهلبي ما حكيناه عن «معجم الأدباء» من حديث غسل الثياب . وتوجد ترجمته في «دائرة المعارف» للبستاني ج ٢ ص ٣٦٠ .

وقد أصفقت المصادر الثلاثة الأخيرة على أنَّ أبا النجيب كنية شدّاد بن إبراهيم المترجَم الملقَّب بالطاهر فهو رجلٌ واحدٌ لا كما حسبه سيِّدنا الأمين في [أعيان الشيعة] من التعدّد فذكر في ج ١ ص ٣٨٩ ـ المترجَم باسمه شّداد وقال : إنَّه توفّى في حدود ٤٠٠ . وذكر في ج ١ ص ٤١١ أبا النَّجيب الطاهر الجزري وعدَّه ممَّن لم يحدِّد عصره من الشعراء .

وذكر صاحب [دمية القصر] للمترجَم في ص ٥٠ قوله :

أنظر إلى حظّ ابن شبل في الهوى ... إذ لا يزال لكلِّ قلب شائقا
شغل النساء عن الرِّجال وطالما ... شغل الرِّجال عن النساء مراهقا
عشقوه أمرد والتحى فعشقته ... الله أكبر ليس يعدم عاشقا

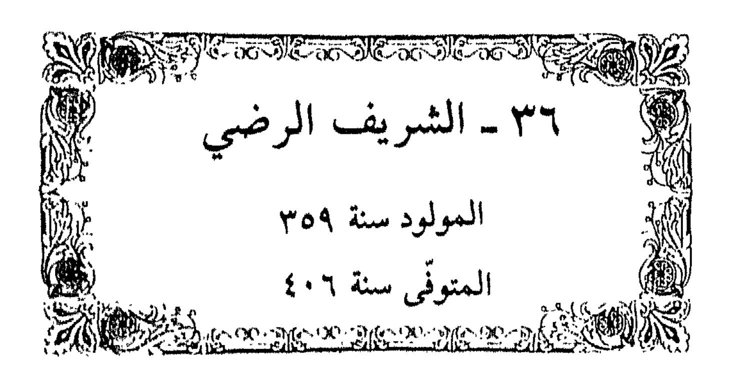
وذكره الثعالبي في تتميم يتيمته ج ١ ص ٤٦ وذكر له من قصيدة في سيف الدولة علي بن عبد الله المتوفى سنة ٣٥٦ :

وحاجةٌ قيل لي : نبِّه لها عمرا ... ونُم . فقلت: عليٌّ قد تنبَّه لي
حسبي عليّان إن ناب الزمان وإن ... جاء المعاد بما في القول والعملِ
فلي عليٌّ بن عبد الله منتجعٌ ... ولي عليٌّ أمير المؤمنين ولي

وله :

أليس ترى الجوَّ مستعبراً ... يُضاحكه برقه الخلّبُ؟!
وقد لاح من قزح قوسه ... بعيداً وتحسبه يقربُ
كطاقي عقيق وفيروزج ... وبينهما آخر مذهبُ

وذكر ابن خلكان شطراً من شعره في تاريخه ج ٢ ص ٢٣٦ نقلاً عن «دمية القصر» وأثنى عليه .



٣٦ - الشريف الرضي

المولود سنة ٣٥٩

المتوفّى سنة ٤٠٦

نطق اللسان عن الضمير ... والبشر عنوان البشير

الآن أُعفيت القلوب ... من التقلقل والنفور

وانجابت الظلماء عن ... وضح الصَّباح المستنير

إلى أن قال

غدر السرور بنا وكان ... وفاؤه يوم الغدير

يومٌ أطاف به الوصيُّ ... وقد تلقّب بالأمير

فتسلّ فيه وردّ عار ... ية الغرام إلى المعير

وابتزّ أعمار الهموم ... بطول أعمار السرور

فلغير قلبك من يعلّل ... همّه نطف الخمور

لا تقنعن عند المطالب ... بالقليل من الكثير

فتبرَّض الأطماع مثل ... تبرّض[1] الثمد الجرور

هذا أوان تطاول الحا ... جات والأمل القصير

فانفح لنا من راحتيك ... بلا القليل ولا النزور

لا تحوجنّ إلى العصاب ... وأنت في الضرع الدرور

آثار شكرك في فمي ... وسمات ودّك في ضميري

وقصيدةٌ عذراء مثل ... تألّق الرّوض النضير

---

(١) التبرض من تبرض: إذا تبلغ بالقليل من العيش.

فــرحــت بــمــالــك رقّــهــا   فــرح الخَـمـيلة[١] بــالـغــديــرِ

القصيـدة [٢]

(الشاعر)

الشريف الرَّضي ذو الحسبين أبـوالحسن محمَّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمَّد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام .

امّـه السيِّدة فـاطمة بنت الحسين بن أبي محمَّـد الحسن الأطروش بن عليٍّ بن الحسن بن عليٍّ بن عمر بن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام

والده أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العبّاسيَّة والبويهيَّة لقَّبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحد، وولي نقابة الطالبيِّين خمس مرّات، ومات وهو النقيب وذهب بصره، ولولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه وحمله إلى قلعة بفارس، فلم يزل بها حتّى مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة ابن العضد واستصحبه حين قدم بغداد، وله في خدمة الملّة والمذهب خطواتٌ بعيدةٌ، ومساعي مشكورةٌ، وقَدمٌ وقِدمٌ، ولـد سنة ٣٠٤ وتوفّي ليلة السبت ٢٥ جمادى الاولى سنة ٤٠٠[٣] ورثته الشعراء بمراث كثيرة، وممن رثاه ولداه المرتضى والرَّضي ومهيار الدَّيلمي ورثاه أبو العلاء المعرّي بقصيدة توجد في كتابه سقط الزند.

وسيِّدنا الشريف الرَّضي هو مفخرةٌ من مفاخر العترة الطاهرة، وإمامٌ من أئمَّة العلم والحديث والأدب، وبطلٌ من أبطال الدين والعلم والمذهب؛ هو أوَّلٌ في كلِّ ما ورثه سلفه الطاهر من علمٍ متـدفّق، ونفسيَّات زاكية، وأنظار ثاقبه. وإباءٍ وشممٍ ؛ وأدبٍ بارعٍ ، وحسبٍ نقيٍّ ، ونسبٍ نبويٍّ ، وشرفٍ علويٍّ ، ومجدٍ فاطميٍّ ، وسؤددٍ كاظميٍّ ، إلى فضائل قد تدفَّق سيلها الأتّي ، ومئاثر قد التطمت أواذيّها الجارفة، ومهما تشدَّق الكاتب فإنَّ في البيان قصوراً عن بلوغ مداه،

(١) الخميلة: الشجر الكثير الملتف الموضع الكثير الشجر المنهبط من الأرض.

(٢) توجد في ديوانه ج ١ ص ٣٢٧ يمدح بها أباه في « يوم الغدير » ويذكر رد أملاكه عليه في سنة ٣٩٦.

(٣) صحاح الأخبار ص ٦٠ ، والدرجات الرفيعة، وعدة اخرى من الكتب والمعاجم.

وللتنقيب تقاعساً عن تحديد غايته، وللوصف انحساراً عن استكناه حقيقته، وإنَّ دون ما تحلّى به من مناقبه الجمَّة، وضرائبه الكريمة، كلّ ما سردوه في المعاجم من ثناءٍ وإطراء مثل فهرست النجاشي ص ٢٨٣، يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١٦، الأنساب للمجدي، تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٤٦، كامل إبن الأثير ج ٩ ص ٨٩، معالم العلماء ص ١٣٨، دمية القصر ص ٧٣، تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٦، المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٧٩، خلاصة العلاّمة ص ٨١، صحاح الأخبار ص ٦١، الأنساب لأبي نصر البخاري؛ عمدة الطالب ص ١٨٣، تحفة الأزهار لابن شدقم، تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٣، مرآة الجنان ج ٣ ص ١٨، الشذرات ج ٣ ص ١٨٢، شرح إبن أبي الحديد ج ١ ص ١٠، غاية الإختصار، الدرجات الرفيعة للسيِّد، مجالس المؤمنين ص ٢١٠ ، جامع الأقوال نسمة السحر لليمني، لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣، رياض الجنّة للزنوزي الروضة البهيَّة للسيِّد، ملخَّص المقال، رجال إبن أبي جامع، الإجازة للسّماهيجي، الإتقان ص ١٢١، منهج المقال ٢٩٣ تأسيس الشيعة ١٠٧ سمير الحاضر للشيخ علي، تنقيح المقال ص ١٠٧ اليتيمة للعاملي ص ١٨، تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٧(١) أعلام الزركلي ج ٣ص ٨٨٩ دائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٨، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٤ ص ٢٥١، مجلّة الهدى العراقيَّة في الجزء الثالث من السنة الاولى ص ١٠٦. معجم المطبوعات.

وتجد تحليل نفسيَّة « الشريف الرَّضي » الكريمة في ما ألّفه العلاّمة الشيخ عبد الحسين الحلّي النجفي كمقدّمة للجزء الخامس المطبوع من تفسيره فطبع معه في ١١٢ صحيفة [١].

وما نضد عقد جمانه الكاتب الشهير زكي مبارك في مجلّدين ضخمين مطبوعين أسماه [عبقريَّة الرَّضي ٢]

---

(١) اشتبه في تاليف المترجم وبيئة نشأته وتاريخ وفاته.

وقبلهما ما كتبه العلاّمة الشيخ محمَّد رضا ابن شيخنا الحجَّة الشيخ هادي كاشف الغطاء [٣] .

وأفرد زميلنا السيِّد علي أكبر البرقعي القمي كتاباً في ترجمته أسماه [كاخ دلاويز ٢]

قال الأميني: كان البرقعي محمود السيرة، ميمون النقيبة، من روّاد الفضيلة والأدب، غير أنَّه تحزّب في الآونة الأخيرة بفئة ضالَّة ساقطة، وأُصيب، ـ العياذ بالله ـ بمتعسة أزالته عن مكانته، وأسفَّته إلى هوَّة البوار، عصمنا الله من الزَّلل، وآمننا من الخطل، وحفظنا من خاتمة سوء .

وكتب الدكتور محفوظ ترجمته في ٢٥٠ صحيفة سمّاها ب[الشريف الرضي] طبعت في بيروت بمطبعة الريحاني [٥] ولولدنا محمَّد هادي الأميني كتابٌ في ترجمته [٦] .

وهناك مَن كتب(١) في عبقريَّته من المتطفِّلين على موائد الكتابة من الشباب الزائف في مصر، غير أنَّه كشف عن سوئة نفسه وخلّد لها شية العار على مرِّ الدهور، فطفق ينحو فيما حسبه خدمةً للرَّضي ونشراً لعبقريَّته النيل من سلفه الطاهر، وأخذ ينشر ما في علبة عداؤه على أهل البيت النبويِّ المقدَّس بالوقيعة في سيِّدهم سيِّد الوصيِّين وأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وهنالك أبدى ضؤلة رأيه، وسخف أنظاره، وخبث عنصره، فجاء كالباحث عن حتفه بظلفه، وهب أنَّه من قوم حناق على آل الرسول صلوات الله عليهم لكنَّه لم يسلم من نعراته حتّى أئمَّة مذهبه، فقد جاثاهم وسلقهم بلسانٍ حديد، أنا لا احاول نقد كلماته حرفيّاً فإنَّها أسقط من ذلك، وإنَّ صاحبها أقلّ من أن ينوَّه به في الكتب، ولكن أسفي على مصر أن يشوِّه سمعتها الذّنابي؛ أسفي على

(١) هو محمد سيد الكيلاني افرد في المترجم كتاباً في ١٥٩ صفحة وسماه ب(الشريف الرضي)

جامعتها أن لا تنفي عنها ما يُدنِّس مطارف فضلها القشيبة، أسفي على مطابعها أن تنشر السفاسف المخزية، أسفي أسفي أسفي..

أساتذته ومشايخه:

١ - أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوي المعروف بالسيرافي المتوفّى سنة ٣٦٨ تلمّذ عليه في النحو وهو طفلٌ لم يبلغ عمره عشر سنين، ذكره إبن خلكان، واليافعي، وصاحب « الدَّرجات الرفيعة » نقلاً عن أبي الفتح إبن جنّي شيخ المترجَم.

٢ - أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي المتوفّى سنة ٣٧٧ وله منه إجازة، يروي عنه في كتابه « المجازات النبويَّة ».

٣ - أبو عبد الله محمَّد بن عمران المرزباني المتوفّى ٣٨٤ وقيل ٧٨.

٤ - أبو محمَّد الشيخ الأقدم هارون بن موسى التلعكبري المتوفّى ٣٨٥.

٥ - أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي المتوفّى ٣٩٢ وقد أكثر النقل عنه في « المجازات النبويَّة ».

٦ - أبو يحيى عبد الرحيم بن محمَّد المعروف بابن نباته صاحب الخطب المتوفّى ٣٩٤.

٧ - الشيخ الأكبر شيخنا المفيد أبو عبد الله إبن المعلّم محمَّد بن نعمان المتوفّى ٤١٣، قرأ عليه هو وأخوه علم الهدى المرتضى قال صاحب « الدَّرجات الرفيعة »: كان المفيد رأى في منامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها: الحسن والحسين عليهما السّلام صغيرين فسلّمتهما إليه وقالت له: علّمهما الفقه. فانتبه متعجّباً من ذلك فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها إبناها: عليّ المرتضى ومحمَّد الرّضي. صغيرين فقام إليها وسلّم عليها فقالت له: أيُّها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلّمهما الفقه. فبكى الشيخ وقصّ عليها المنام وتولّى

تعليمهما وأنعم الله تعالى عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باقٍ ما بقي الدَّهر. وذكرها إبن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٣.

٨ ـ أبو الحسن عليُّ بن عيسى الربعي النحوي البغدادي المتوفّى ٤٢٠ كما في « المجازات النبويَّة » ص ٢٥٠، وقال المترجَم في تفسيره قوله تعالى: ربِّ إني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت: قال لي شيخنا أبو الحسن عليُّ بن عيسى النحوي صاحب أبي علي الفارسي، وهذا الشيخ كنتُ بدأتُ بقراءة النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جنّي؛ فقرأتُ عليه مختصر الجرمي، وقطعة من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ومقدّمة أملاها عليَّ كالمدخل إلى النحو، وقرأت عليه العروض لأبي إسحاق الزجّاج والقوافي لأبي الحسن الأخفش.

٩ ـ القاضي عبد الجبّار أبو الحسن بن أحمد الشافعيّ المعتزلي، قرأ عليه كما في « المجازات النبويَّة ».

١٠ ـ أبو بكر محمَّد بن موسى الخوارزمي، قرأ عليه في الفقه كما في « المجازات » ص ٩٢.

١١ ـ أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أحمد الكناني، يروي عنه الحديث كما في « المجازات » ص ١٥٥.

١٢ ـ أبو القاسم عيسى بن عليِّ بن عيسى بن داود بن الجراح، شيخه في الحديث كما في « المجازات » ص ١٥٣.

١٣ ـ أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد الأسدي الأكفاني.

١٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمَّد الطبري الفقيه المالكي، تلمّذ عليه في عنفوان شبابه كما في « المنتظم » لابن الجوزي وغيره.

تلامذته والرواة عنه

ويروي عنه جمعٌ من أعيان الطائفة وأعلام العامَّة منهم:

١ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠.

٢ - الشيخ جعفر بن محمَّد الدوريستي.

٣ - الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن علي الحلواني كما في الإجازات.

٤ - القاضي أبو المعالي أحمد بن عليٍّ بن قدامة المتوفّى ٤٨٦، كما في كثير من إجازات أعلام الدين.

٥ - أبو زيد السيِّد عبد الله بن علي كيابكي ابن عبد الله الحسيني الجرجاني، كما في إجازة الشهيد الثاني لوالد شيخنا البهائي العاملي، وإجازة مولانا المجلسي الأوَّل لولده العلاّمة المجلسي.

٦ - أبو بكر احمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، وهو من أجلاّء تلمذة المترجَم وأخيه الشريف المرتضى كما في « المقاييس » للعلاّمة الحجَّة التستري.

٧ - أبو منصور محمَّد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبري المعدّل كما في « قصص الأنبياء » للراوندي.

٨ - القاضي السيِّد أبو الحسن عليّ بن بندار بن محمَّد الهاشمي يروي عن المترجَم وأخيه علم الهدى المرتضى كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة للشيخ ياسين وإجازته للشيخ ناصر الجارودي سنة ١١٢٨.

٩ - الشيخ المفيد عبد الرَّحمن بن أحمد بن يحيى النيسابوري يروي عن المترجَم وأخيه علم الهدى جميع مصنَّفاتهما بلا واسطة كما في إجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة المذكورة.

تآليفه وكتبه:

(نهج البلاغة) كان يهتمّ بحفظه حملة العلم والحديث في العصور المتقادمة حتّى اليوم ويتبرّكون بذلك كحفظ القرآن الشريف، وعُدَّ من حَفظته في قرب عهد المؤلِّف القاضي جمال الدين محمَّد بن الحسين بن محمَّد القاساني، فإنّه كان يكتب « نهج البلاغة » من حفظه كما ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته. ومن حفّاظه في القرون المتقادمة الخطيب أبو عبد الله محمَّد الفارقي المتوفّى ٥٦٤ كما ذكره إبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٦٠، وابن الجوزي في « المنتظم » ج ١٠ ص ٢٢٩ .

ومن حفظة المتأخِّرين له العلّامة الورع السيِّد محمَّد اليماني المكّي الحائري المتوفّى في الحائر المقدَّس سنة ١٢٨٠ في ٢٨ ربيع الأوَّل.

ومنهم العالم المؤرِّخ الشاعر الشيخ محمَّد حسين مروَّة الحافظ العاملي، حكى سيدنا صدر الدين الكاظمي عن العلّامة الشيخ موسى شرارة: انَّه كان يحفظ تمام قاموس اللغة، وشرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد، وأربعين ألف قصيدة انتهى . ونقل بعض الأعلام : أنّه كان حافظاً لكامل ابن الأثير من أوَّله إلى آخره . ذلك فضل الله يُؤتيه مَن يشاء .

وقد توالت عليه الشروح منذ عهد قريب من عصر المترجَم له بما يربو على السبعين شرحاً وممن شرحه:

١ ـ السيد عليّ بن الناصر المعاصر لسيِّدنا الشريف الرَّضي شرحه وأسما شرحه ب « أعلام نهج البلاغة » وهو أوَّل الشروح وأقدمها.

٢ ـ أحمد بن محمَّد الوبري من أعلام القرن الخامس.

٣ ـ ضياء الدين أبو الرضا فضل الله الراوندي علّق عليه سنة ٥١١ .

٤ ـ أبو الحسن عليٌّ بن أبي القاسم زيد بن أميرك محمَّد بن أبي علي الحسين بن أبي سليمان فندق بن أيّوب بن الحسن بن أحمد بن

عبد الرَّحمن بن عُبيد الله بن عمر بن الحسن بن عثمان بن أيّوب بن خُزيمة بن عمر بن خُزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيهقي النيسابوري من مشايخ ابن شهراشوب قرأ نهج البلاغة على الشيخ الحسن بن يعقوب القارىء سنة ٥١٦ وشرحه وأسماه بـ« معارج نهج البلاغة » ولد يوم السبت سابع وعشرين شعبان في سبزوار ومات سنة ٥٦٥[١].

٥ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي المتوفّى ٥٧٣ أسما شرحه بـ« منهاج البلاغة ».

٦ - الشيخ أبو الحسين محمَّد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الشهير بقطب الدين الكيدري، له شرحه الموسوم بـ« حدائق الحقائق » فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦.

٧ - أفضل الدين الحسن بن عليّ بن أحمد الماهابادي، أحد مشايخ صاحب الفهرست الشيخ منتجب الدين المتوفّى بعد سنة ٥٨٥[٢].

٨ - القاضي عبد الجبّار المردَّد بين جمعٍ[٣] مقارنين بعصر شيخ الطائفة ذكره العلاّمة النوري في « المستدرك ».

٩ - الفخر الرازي محمَّد بن عمر الطبري الشافعيّ المتوفّى ٦٠٦ كما صرَّح به القفطي في « تاريخ الحكماء ».

١٠ - أبو حامد عزُّ الدين عبد الحميد الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي المدائني المتوفّى سنة ٦٥٥، له شرحه الدائر الذي إختصره المولى سلطان محمود الطبسي الآتي ذكره.

---

(١) ترجمة الحموي في « معجم الادباء » ج ٥ ص ٢٠٨ نقلاً عن كتابه « مشارب التجارب » وعد شرح النهج من تأليفه، فما في « كاخ دلاويز » ص ١١٦ من نفي صحة نسبة الشرح إليه رداً على ابن يوسف الشيرازي في غير محله، كما إشتبه عليه في قوله: ان البيهقي أول شارح للكتاب.

(٢) اسم الشارح أفضل الدين الحسن لا أبو الحسن كما في بعض المعاجم.

(٣) ألا وهم الفقهاء الأفذاذ: القاضي ركن الدين عبد الجبار بن علي الطوسي، والقاضي عبد الجبار بن فضل الله، وعبد الجبار بن منصور، والشيخ عبد الجبار بن أحمد، والشيخ عبد الجبار بن عبد الله المقري الرازي، وعبد الجبار بن محمد الطوسي، وأبو علي عبد الجبار بن الحسين.

١١ ـ السيِّد رضي الدين أبو القاسم عليٌّ بن موسى بن طاوس الحسيني المتوفّى سنة ٦٦٤.

١٢ ـ أبو طالب تاج الدين المعروف بابن الساعي عليّ بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي المتوفّى ٦٧٤ صاحب التآليف الكثيرة منها شرح نهج البلاغة كما في « منتخب المختار » ص ١٣٨.

١٣ ـ كمال الدين الشيخ ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩، له شرحه الكبير والمتوسط والصغير.

١٤ ـ الشيخ أحمد بن الحسن الناوندي، من أعلام القرن السابع تلميذ الشيخ جمال الدين الورامِيني، له حواش كثيرة على « نهج البلاغة » من تقريرات استاذه المذكور.

١٥ ـ العلاّمة الحلّي جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر المتوفّى ٧٢٦.

١٦ ـ الشيخ كمال الدين إبن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إبراهيم العتائقي الحلّي أحد أعلام القرن الثامن له شرحه الكبير في أربع مجلّدات.

١٧ ـ يحيى بن حمزة العلوي اليمني من أئمَّة الزيديَّة المتوفّى ٧٤٩، إقتصر في شرحه على حلِّ عويصاته اللغويَّة.

١٨ ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعيّ المتوفّى ٧٩١/٢/٣.

١٩ ـ السيِّد أفصح الدين محمّد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني، فرغ من شرحه شهر صفر سنة ٨٨١[١].

---

(١) ذكر البحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمته (ما هو نهج البلاغة) شرحين أحدهما ص ١٧ للسيد أفصح الدين المذكور والآخر في ص ٢٦ للسيد أفصح الدين الآخر ولم يعرف مؤلفه، وهو اشتباه واضح وليس هناك إلا شرح واحد لرجل واحد.

٢٠ - المولى قوام الدين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد المتوفّى حدود سنة ٩٢٧.

٢١ - أبو الحسن عليُّ بن الحسن الزواري، من تلمذة المحقِّق الكركي شرحه بالفارسيَّة وأسماه ب « روضة الأبرار » فرغ منه سنة ٩٤٧.

٢٢ - المولى جلال الدين الحسين بن خواجة شرف الدين عبد الحقّ الأردبيلي المعروف بالآلهي المتوفّى ٩٥٠، شرحه بالفارسيّة ويسمّى ب (منهج الفصاحة).

٢٣ - المولى فتح الله ابن المولى شكر الله القاشاني المتوفّى ٩٨٨، له شرحه الفارسي المطبوع المرسوم بـ [تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين]

٢٤ - عزُّ الدين عليُّ بن جعفر شمس الدين الآملي من تلمذة الشيخ عليّ بن هلال الجزائري له شرحه بالفارسيَّة.

٢٥ - المولى عماد الدين علي القاري الاسترابادي أحد أعلام القرن العاشر له تعليق على الكتاب.

٢٦ - المولى شمس بن محمَّد بن مراد ترجم شرح إبن أبي الحديد المعتزلي سنة ١٠١٣.

٢٧ - شيخنا البهائي العاملي المتوفّى ١٠٣١، له شرح نهج البلاغة ولم يتم، ذكره البرقعي فيما كتبه إلينا.

٢٨ - الشيخ الرئيس أبو الحسن ميرزا القاجاري، له شرحه لم يتمّ، كتبه إلينا السيِّد البرقعي.

٢٩ - الشيخ نور محمَّد ابن القاضي عبد العزيز ابن القاضي طاهر محمَّد المحلّي شرحه فارسيّاً سنة ١٠٢٨.

٣٠ - المولى عبد الباقي الخطّاط الصوفي التبريزي المتوفّى ١٠٣٩ شرحه بالفارسيَّة وسمّاه ب [منهاج الولاية][1]

---

(١) ذكر البحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمة « ما هو نهج البلاغة » ص ١٩ شرحاً للمولى عبد الباقي ولم يسمه. وذكر في ص ٢٥ الشرح « منهاج الولاية » ولم يعرف مؤلفه.

٣١ ـ المولى نظام الدين عليّ بن الحسن الجيلاني يسمّى شرحه ب [أنوار الفصاحة] فرغ من أوَّل مجلّداته الثلاث ٤ ربيع الأوَّل سنة ١٠٥٣ .

٣٢ ـ الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين العاملي الكركي المتوفّى ١٠٧٦ عن ٦٨ سنة .

٣٣ ـ فخر الدين عبد الله بن المؤيّد بالله لخّص شرح إبن أبي الحديد وأسماه [العقد النضيد المستخرج من شرح إبن أبي الحديد] توجد منه نسخةٌ مورَّخةٌ بسنة ١٠٨٠ .

٣٤ ـ السيِّد ماجد بن محمَّد البحراني المتوفّى ١٠٩٧ لم يتمّ شرحه .

٣٥ ـ الشيخ محمّد مهدي بن أبي تراب السهندي شرحه باللغة الفارسيَّة وفرغ منه شهر رمضان سنة ١٠٩٧ .

٣٦ ـ ميرزا علاء الدين محمَّد گلستانه المتوفّى ١١٠٠ يُسمّى شرحه بـ [حدائق الحقائق] وشرحه الآخر الصغير بـ (بهجة الحدائق) .

٣٧ ـ السيِّد حسن بن مطهر بن محمَّد اليمني الجرموزي الحسني المولود ١٠٤٤ والمتوفّى ١١١٠، له شرحه ذكره له الشوكاني في « البدر الطالع » ج ١ ص ٣١١ .

٣٨ ـ المولى تاج الدين حسن المعروف بملّاتاجا والد شيخنا الفاضل الهندي المتوفّى ١١٣٧ له شرحٌ فارسيٌّ يوجد في إصبهان .

٣٩ ـ المولى محمَّد صالح بن محمَّد باقر الروغني القزويني من أعلام القرن الحادي عشر شرحه فارسيّاً طبع بايران[1] .

٤٠ ـ السيِّد نعمة الله بن عبد الله الجزائري التستري المتوفّى ١١١٢ له شرحه في ثلاث مجلّدات .

---

(١) خفي مؤلف هذا الشرح على صاحب « وقائع الأيام » وذكره للحاج المولى صالح البرغاني القزويني، وتبعه البرقعي في « كاخ دلاويز » والبحاثة ابن يوسف الشيرازي في ترجمة « ما هو نهج البلاغة » .

٤١ ـ المولى سلطان محمود بن غلامعلي الطبسي القاضي من تلمذة العلاّمة المجلسي.

٤٢ ـ المولى محمَّد رفيع بن فرج الجيلاني المتوفّى بالمشهد الرضوي حدود ١١٦٠.

٤٣ ـ الشيخ محمَّد علي ابن الشيخ أبي طالب الزاهدي الجيلاني الإصبهاني المتوفّى في الهند ١١٨١ له شرح بعض خطبه.

٤٤ ـ السيِّد عبد الله بن محمَّد رضا الشبَّر الحسيني الكاظمي المتوفّى ١٢٤٢، له شرحان.

٤٥ ـ الأمير محمَّد مهدي الخاتون آبادي الإصبهاني المتوفّى ١٢٦٣، له شرحه بالفارسيَّة،

٤٦ ـ الحاج السيِّد محمَّد تقي ابن الأمير محمَّد مؤمن الحسيني القزويني المتوفّى ١٢٧٠، له شرحه بالفارسيَّة.

٤٧ ـ ميرزا باقر النوّاب بن محمَّد بن محمَّد اللاهجي الإصبهاني، كتب له شرحاً بالفارسيَّة بأمر السلطان فتحعلي شاه القاجار وطبع بايران.

٤٨ ـ الحاج نصر الله بن فتح الله الدزفولي، ترجم شرح ابن أبي الحديد بالفارسيَّة وزاد عليه تحقيقاته بأمر السلطان ناصر الدين شاه القاجار وفرغ منه سنة ١٢٩٢.

٤٩ ـ السيِّد صدر الدين بن محمَّد باقر الموسوي الدزفولي، من تلمذة اقا محمّد البيد آبادي.

٥٠ ـ السيِّد مفتي عبّاس المتوفّى ١٣٠٦ (أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر) عده البرقعي فيما كتبه إلينا من شرّاحه.

٥١ ـ المولى أحمد بن علي أكبر المراغي نزيل تبريز والمتوفّى ٥ محرَّم سنة ١٣١٠ علّق على مشكلاته.

٥٢ ـ الشيخ بهاء الدين محمّد (أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر) له شرحه ذكره البرقعي فيما كتبه إلينا.

٥٣ ـ الاستاذ محمّد حسن نائل المرصفي، شرح مشكلات لغاته طبع بمصر تعليقاً عليه سنة ١٣٢٨.

٥٤ ـ الشيخ محمّد عبده المتوفّى سنة ١٣٢٣.

٥٥ ـ الحاج ميرزا حبيب الله الموسوي الخوئي المتوفّى حدود ١٣٢٦، له شرحه الكبير الموسوم ب (منهاج البراعة).

٥٦ ـ الشيخ جواد الطارمي بن الحاج المولى محرَّم علي الزنجاني المتوفّى سنة ١٣٢٥، له شرحه الموسوم ب (شرح الإحتشام على نهج بلاغة الإمام).

٥٧ ـ الحاج ميرزا إبراهيم الخوئي الشهيد سنة ١٣٢٥، له شرحه المسمّى ب (الدرَّة النجفيَّة) طبع في تبريز سنة ١٢٩٣.

٥٨ ـ جهانگير خان القشقائي المتوفّى بإصبهان سنة ١٣٢٨.

٥٩ ـ السيِّد أولاد حسن بن محمّد حسن الهندي المتوفّى سنة ١٣٣٨، يُسمّى شرحه ب [الإشاعة].

٦٠ ـ الشيخ محمّد حسين بن محمّد خليل الشيرازي المتوفّى ١٣٤٠.

٦١ ـ السيِّد علي أطهر الكهجوي الهندي المتوفّى في شعبان سنة ١٣٥٢.

٦٢ ـ الاستاذ محيي الدين الخيّاط نزيل بيروت طبع شرحه في ثلاث مجلّدات.

٦٣ ـ السيِّد ذاكر حسين أختر الدهلوي المعاصر شرحه بلغة اردو.

٦٤ ـ الاستاذ محمّد بن عبد الحميد المصري زاد على شرح الشيخ محمّد عبده بعض إفاداته وطبع.

٦٥ ـ السيِّد ظفر مهدي اللكهنوي له شرحه بلغة اردو.

٦٦ ـ السيِّد هبة الدين محمّد علي الشهرستاني، له شرحه الموسوم ب [بلاغ المنهج]

٦٧ ـ الشيخ محمّد علي بن بشارة الخيقاني، له شرحه ذكره لـه الشيخ أحمد النحوي في قصيدة يمدحه بها فقال:

ولقـد كسى نهج البـلاغـة فكـره شرحاً فـأظهر كـلّ خافٍ مضمـرِ

وكتب إلينا البرقعي من شُرّاحه.

٦٨ ـ ميـرزا محمّد تقي الألمـاسي حفيد العـلاّمة المجلسي قـال: لـه شرحه بالفارسيَّة لم يتمّ.

٦٩ ـ الشيخ عبد الله البحراني صاحب العوالم.

٧٠ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان البحراني السماهيجي.

٧١ ـ الحاج المولى علي العلياري التبريزي.

٧٢ ـ الشيخ ملاّ حبيب الله الكاشاني صاحب التآليف القيِّمة.

٧٣ ـ السيِّد عبد الحسين الحسيني آل كمّونة البروجردي.

٧٤ ـ ميرزا محمّد علي بن محمّد نصير چهاردهي الگيلاني، له شرحه في ثلاث مجلّدات.

٧٥ ـ ميرزا محمّد علي قراجه داغي التبريزي.

٧٦ ـ الاستاذ محمّد محيي الدين عبد الحميـد المدرِّس في كليّـة اللغة العربيَّة بالأزهر، زاد على شرح الشيخ محمّد عبده زيـادات هامّـة طبعت مع الأصل والشرح بمصر في مطبعة الإستقامة.

ووقفنا على آثار قيِّمة أو مآثر خالدة حول « نهج البلاغـة » لجمع ممن عاصرناهم ألا وهم:

٧٧ ـ الحاج ميرزا خليل الصيمري الكموئي الطهراني، شرح النهج وأطنب في أربع وعشرين مجلّداً، طبع بعض تلكم الأجزاء الضخمة الفخمة القيّمة بطهران.

٧٨ ـ السيِّد محمود الطالقاني، شرحه في عدَّة مجلّدات طبع غير واحد منها.

٧٩ ـ الحاج السيِّد علي النقيّ فيض الإسلام الإصبهاني، ترجمه في ست مجلّدات، طبعت في طهران بأجود خطّ وأحسن ورق.

٨٠ ـ الحاج ميرزا محمّد علي الأنصاري القميّ ترجمه نظماً ونثراً بالفارسيّة في عدَّة مجلّدات وقفت على ثلاث منها مطبوعة بأجمل هيئة وأبهى صورة.

٨١ ـ جواد فاضل ترجم جملة من خطبه بالفارسية باسلوب بديع وبيان مليح .

مؤلف نهج البلاغة:

كلُّ هؤلاء الأعلام لا يشكّون في أنَّ الكتاب من تآليف الشريف الرَّضي، وتصافقهم على ذلك معاجم الشيعة جمعاء، فلن تجد من ترجمة من أربابها إلاّ ناصّا على صحَّة النسبة وجازماً باستقامة النسب منذ عصر المؤلِّف وإلى اليوم الحاضر، أُنظر فهرست أبي العبّاس النجاشي المتوفّى ٤٥٠، وفهرست الشيخ منتجب الدين المتوفّى ٥٨٥ ووو.

وتُنبىء القارىء عن صحّة النسبة إجازات حملة العلم والحديث لأصحابهم منها:

١ ـ إجازة الشيخ محمّد بن علي بن أحمد بن بندار للشيخ الفقيه أبي عبد الله الحسين برواية الكتاب [نهج البلاغة] في جمادى الاخرى سنة ٤٩٩.

٢ ـ إجازة الشيخ عليّ بن فضل الله الحسيني لعليٍّ بن محمّد بن الحسين المتطبِّب برواية الكتاب في رجب سنة ٥٨٩.

٣ - إجازة الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى الحلّي للسيِّد عزّ الدين الحسن بن عليّ المعروف بابن الأبرز برواية الكتاب في شعبان سنة ٦٥٥.

٤ - إجازة العلاّمة الحلّي لبني زهرة في سنة ٧٢٣.

٥ - إجازة السيِّد محمّد بن الحسن بن أبي الرِّضا العلوي لجمال الدين إبن أبي المعالي سنة ٧٣٠.

٦ - إجازة فخر الدين محمّد ابن العلاّمة الحلّي لابن مظاهر في سنة ٧٤١.

٧ - إجازة شيخنا الشهيد الأوَّل للشيخ إبن نجدة سنة ٧٧٠.

٨ - إجازة الشيخ عليِّ بن محمّد بن يونس البياضي صاحب [الصِّراط المستقيم] للشيخ ناصر بن إبراهيم البُويهي الحساوي سنة ٨٥٢.

٩ - إجازة الشيخ عليِّ المحقِّق الكركي للمولى حسين الأسترابادي في سنة ٩٠٧.

١٠ - إجازة الشيخ المحقِّق الكركي للشيخ إبراهيم سنة ٩٣٤.

١١ - إجازة المحقِّق الكركي للقاضي صفيِّ الدين عيسى سنة ٩٣٧.

١٢ - إجازة الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي في سنة ٩٤١.

١٣ - إجازة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني الكبيرة.

١٤ - إجازة الشيخ أحمد بن نعمة الله بن خاتون للمولى عبد الله التستري في سنة ٩٨٨.

١٥ - إجازة الشيخ محمَّد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون للسيِّد ظهير الدين الهمداني في سنة ١٠٠٨.

١٦ ـ إجازة العلاّمة المجلسي الأوّل لتلميذه آقا حسين الخونساري سنة ١٠٦٢.

١٧ ـ إجازة العلاّمة المجلسي الأوّل الكبيرة لولده العلاّمة المجلسي المؤرّخة بسنة ١٠٦٨.

١٨ ـ إجازة الشيخ صالح بن عبد الكريم للمولى محمّد هادي بن محمّد تقي الشولستاني سنة ١٠٨٠.

١٩ ـ إجازة المجلسي الثاني للسيِّد ميرزا إبراهيم النيسابوري سنة ١٠٨٨.

٢٠ ـ إجازة العلاّمة المجلسي للسيِّد نعمة الله الجزائري سنة ١٠٩٦.

وغيرها من الإجازات.

وقبل هذه كلّها نصوص الشريف الرَّضي نفسه في كتبه بذلك فقال في الجزء الخامس من تفسيره ص ١٦٧: ومن أراد أن يعلم زمان ما أشرنا إليه من ذلك فليمعن النظر في كتابنا الذي ألّفناه وسمناه [بنهج البلاغة] وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم وبوّبناه أبواباً ثلاثة. إلخ.

وقال في كتابه [المجازات النبويّة][1] ص ٢٢٣: وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة] الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه.

وقال في ص ٤١ من المجازات: وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة]

وقال في ص ١٦١: قد ذكرنا الكلام في كتابنا الموسوم ب[نهج البلاغة]

وقال في ص ٢٥٢: قد ذكرناه في جملة كلامه عليه السّلام لكميل بن زياد النخعي في كتاب « نهج البلاغة ».

---

(١) كون المجازات النبوية للشريف الرضي من المتسالم عليه لم يختلف فيه اثنان.

وقال في أواخر « نهج البلاغة » في شرح قوله عليه السّلام العين وكاء السنة : قال الرّضي وقد تكلّمنا في هذه الإستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبويّة .

وقال في ديباجة « نهج البلاغة » : فإنّي كنت في عنفوان السنّ ، وغضاضة الغصن إبتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمّة عليهم السّلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم . إلخ . وكتاب الخصائص المذكور موجودٌ بين أيدينا ولم يختلف فيه إثنان انّه للشريف الرّضي .

فما تورّط به بعض الكتبة من نسبة الكتاب إلى أخيه علم الهدى وإتّهامه بوضعه[1] أو وضع بعض ما فيه على لسان أمير المؤمنين عليه السلام والدّعوى المجرّدة ببطلان أكثر ما فيه وعزو ذلك إلى سيدنا الشريف الرّضي[2] الذي عرفت موقفه العظيم من الثقة والعلم والجلالة ، أو الترديد فيمن وضعه وجمعه بينهما[3] مما لا يُقام له في سوق الحقائق وزن ، وليس له مناخٌ إلّا حيث تربض فيه العصبيّة العمياء ، ويكشف عن جهل اولئك المؤلّفين برجال الشيعة وتآليفهم ، وأعجب ما رأيت كلمة الذهبي في طبقاته ج ٣ ص ٢٨٩ : وفيها [يعني سنة ٤٣٦] تُوفّي شيخ الحنفيّة العلاّمة المحدّث أبو عبد الله الحسين بن موسى الحسيني الشريف الرّضي واضع كتاب [نهج البلاغة] .

قال إبن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٤٦ بعد ذكر خطبة إبن أبي الشحماء العسقلاني الكاتب : هذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب وهي كما تراها ظاهرة التكلّف بيّنة التوليد ، تخطب على نفسها ، وإنّما ذكرت هذا لأنّ كثيراً من ارباب الهوى يقولون : إنّ كثيراً من « نهج البلاغة » كلامٌ محدثٌ صنعه قومٌ من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه إلى الرّضي أبي الحسن وغيره ، وهؤلاء قومٌ

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢٣ ، ودائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٩ ، وتاريخ اداب اللغة ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) كما في ميزان الاعتدال ، ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣ .

(٣) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٥ ، مراة الجنان لليافعي ج ٣ ص ٥٥ .

أعمت العصبيَّة أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح؛ وركبوا بيِّنات الطريق ضلالاً، وقلّة معرفة بأساليب الكلام، وأنا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلو إمّا أن يكون كلّ «نهج البلاغة» مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأوَّل باطلٌ بالضَّرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحَّة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وقد نقل المحدِّثون كلّهم أو جلّهم والمؤرِّخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرضٍ في ذلك، والثاني يدل على ما قلناه لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوقٌ في هذا الباب لا بدَّ أن يفرِّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الأصيل والمولّد، وإذا وقف على كرّاسٍ واحدٍ يتضمَّن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لإثنين منهم فقط فلا بدَّ أن يفرِّق بين الكلامين، ويميِّز بين الطريقين، ألا ترى؟ إنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفّحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونَفَسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى؟ أنَّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنّه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلاّ على الذوق خاصّة، وأنت إذا تأمّلت «نهج البلاغة» وجدته كلّه ماءً واحداً ونفساً واحداً واسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعضٌ من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيَّة، وكالقرآن العزيز أوّله كأوسطه وأوسطه كآخره وكلّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسّور، ولو كان بعض «نهج البلاغة» منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن الكتاب أو بعضه منحولٌ إلى أمير المؤمنين عليه السّلام.

واعلم أنَّ قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قِبَل له به لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحَّة كلام منقول عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبداً وساغ لطاعنٍ أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحولٌ، وهذا

الكلام مصنوعٌ، وكذلك ما نُقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسّلين والخطباء، فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعدّ إلى مثله فيما يروونه عنه من « نهج البلاغة » وغيره وهذا واضحٌ اهـ.

وقال في ج ١ ص ٦٩ في آخر الخطبة الشقشقيّة: حدَّثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال: قرأت على الشيخ أبي محمَّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب (المتوفّى ٥٦٨) هذه الخطبة (يعني الشقشقية) فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع « يعني قول إبن عبّاس: فوالله ما أسفت. إلخ » قال لي: لو سمعت إبن عبّاس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس إبن عمّك أمرٌ لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسّف أن لا يكون بلّغ من كلامه ما أراد؟! والله ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين ولا بقي في نفسه أحدٌ لم يذكره إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مصدق: وكان إبن الخشّاب صاحب دعابة وهزل قال: فقلت له: أتقول إنّها منحولةٌ؟! فقال: لا والله وانّي لأعلم أنَّها كلامه كما أعلم انّك مصدق: قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرَّضي رحمه الله تعالى. فقال: أنّى للرّضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الاسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرّضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور وما يقع من هذا الكلام في خلّ ولا خمر. قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يُخلق الرّضي بمائتي سنة ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرَّضي. قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديِّين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرّضي بمدّة طويلة، ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلّمي الإماميّة وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب « الإنصاف » وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم

البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرَّضي رحمه الله تعالى موجوداً اهـ.

وقد أفرد العلاّمة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء كتاباً في ٦٦ صحيفة حول الكتاب ودفع الشبهات عنه بعد نقلها، وقد جمع فأوعى وتبسَّط فأجاد[1] وألقى الشيخ محمّد عبده حول الكتاب كلمات ضافية في شرحه، وأطال البحث عنه وعن إعتباره الاستاذ حسين بستانه استاذ الأدب العربي في الثانويَّة المركزيَّة [سابقاً] تحت عنوان « أدب الإمام عليّ ونهج البلاغة » وتعرّض الأوهام الحائمة حول النهج، نشر في العدد الرابع من أعداد السنة الخامسة من مجلّة « الاعتدال » النجفيَّة الغرّاء، وللعلاّمة السيِّد هبة الدين الشهر ستاني تأليفٌ حول إعتبار ما في النهج ومحلّه من الرفعة والبذخ عند العالمين تحت عنوان (ما هو نهج البلاغة) طبع في صيدا، وترجمه إلى الفارسيَّة أحد فضلاء ايران في عاصمتها (طهران) وزاد عليه بعض الفوائد.

ومن تآليف سيّدنا الرضي

٢ ـ خصائص الأئمَّة ذكره مؤلِّفه في صدر « نهج البلاغة » وأطراه، وعندنا منه نسخة وقدشرح فيه بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وذكر اسمه في غير موضع واحد والعجب عن العلاّمة الحلّي وكلامه حوله قال: توجد في العراق نسخٌ باسمه تشبهه في المنهج لكن لم تصحّ نسبتها.

٣ ـ مجازات الآثار النبويَّة طبع ببغداد سنة ١٣٢٨.

٤ ـ تلخيص البيان عن مجاز القرآن. ذكره في مواضع من كتابه المجازات النبويَّة ص ٢، ٣، ٩، ١٤٥.

٥ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل، وهو تفسيره ذكره في كتابه « المجازات النبويَّة » يعبِّر عنه تارةً بحقايق التأويل. وأخرى بالكتاب الكبير في متشابه القرآن، وعبَّر عنه النجاشي بحقائق التنزيل، وصاحب عمدة الطالب بكتاب المتشابه في القرآن.

٦ ـ معاني القرآن، وهو كتابه الثالث في القرآن ذكره له إبن شهراشوب في

---

(١) طبع مع كتابه « مستدرك نهج البلاغة » في النجف الأشرف.

« المعالم » ص ٤٤ وقال يتعذَّر وجود مثله، وقال النسّابة العمري في « المجدي »: شاهدت له جزؤا مجلّداً من تفسير منسوب إليه في القرآن مليح حسن، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وقال إبن خلكان: يتعذَّر وجود مثله دلّ على توسّعه في علم النحو واللغة . ولعلَّ الممدوح هو تفسيره السابق.

٧ ـ تعليق خلاف الفقهاء.

٨ تعليقه على ايضاح أبي علي الفارسي.

٩ ـ الحسن من شعر الحسين إنتخب فيه شعر إبن الحجّاج المترجَم له في شعراء القرن الرابع.

١٠ ـ الزيادات في شعر إبن الحجّاج المذكور

١١ الزيادات في شعر أبي تمام المترجَم له في شعراء القرن الثالث.

١٢ ـ مختار شعر أبي إسحاق الصّابي.

١٣ ـ ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرَّسائل شعراً[١].

(وذكر له في عمدة الطالب)

١٤ ـ كتاب رسائله في ثلاث مجلّدات، ولأبي اسحاق الصّابي المتوفّى قبل سنة ٣٨٠ كتاب مراسلات الشريف الرَّضي كما ذكره إبن النديم في الفهرست ص ١٩٤.

١٥ ـ أخبار قُضاة بغداد.

١٦ ـ سيرة والده الطاهر ألَّفه سنة ٣٧٩ وذلك قبل وفاة والده بإحدى وعشرين سنة.

(وذكر له في تاريخ آداب اللغة)

---

(١) ذكرت هذه الكتب له في فهرست النجاشي.

١٧ ـ كتاب إنشراح الصدر في مختارات من الشعر. أقول: هو لبعض الادباء إختاره من ديوان المترجَم له كما في « كشف الظنون » ج ١ ص ٥١٣.

١٨ ـ طيف الخيال: مجموعةٌ تنسب إليه. أقول: هو من تآليف أخيه الشَّريف المرتضى لا له.

١٩ ـ وله ديوان شعره السائر المطبوع، قال إبن خلكان: وقد عني بجمع ديوان الرَّضي جماعةٌ وآخر ما جُمع الذي جمعه أبو حكيم الخَبري[1]. وأنفذ الصاحب إبن عباد (المترجَم له في شعراء القرن الرابع من كتابنا) إلى بغداد من ينسخ له ديوانه وكتب إليه بذلك سنة ٣٨٥ (وهي سنة وفاته) وعندما سمع المترجَم له به وأنفذه مدحه بقصيدة منها قوله:

بيني وبينك حرمتان تلاقتا ... نثري الذي بك يقتدي وقصيدي
ووصائل الأدب التي تصل الفتى ... لا باتِّصال قبائل وجدودِ
إن أهدِ أشعاري إليك فإنَّها ... كالسَّرد أعرضه على داوُدِ

وأنفذَت (تقيَّة) بنت سيف الدولة التي توفيت سنة ٣٩٩ من مصر مَن ينسخ ديوان الشريف الرَّضي لها وهي لا ترى هديَّةً أنفس منه يوم حُمل إليها، ويُعرب ذلك عن عناية الشريف بشعره وجمعه في حياته ولعلَّ جمعه كجمع أخيه

---

(١) قال الأميني: قال العلامة الشيخ عبد الحسين الحلي في ترجمة الشريف الرضي في مقدمة الجزء الخامس من (حقائق التأويل) المطبوع: لا نعرف من هو أبو الحكيم ومتى كان وما اسمه. اه وهذا مما يقضى منه العجب، فإن أبا حكيم أعرف من أن يخفى على أي مترجم، فهو أبو الحكيم المعلم عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبري (بفتح الخاء وسكون الموحدة) أحد أساتذة العلوم العربية كان معلماً ببغداد حسن الخط تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض والحساب، وصنف فيهما، وشرح الحماسة وديوان البحتري وعدة دواوين، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وجماعة، توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين ذي الحجة سنة ٤٧٦. وكانت له بنتان محدثتان: الكبرى (رابعة) سمعت أبا محمد الجوهري شيخ والدها، والصغرى (أم الخير فاطمة) سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد المعدل وجمع آخر وقرأ عليها السمعاني صاحب « الأنساب » ببغداد أكثر كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ماتت في رجب سنة ٥٣٤، وسبط أبي الحكيم من كريمته الكبرى أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي السلامي الحافظ يروي عن أبي محمد الجوهري. راجع انساب السمعاني، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة.

الشريف المرتضى لديوانه كان على ترتيب سني نظمه المتمادية.

شعره وشاعريته:

من الواضح انَّ الواقف على نفسيَّات سيِّدنا الشريف (المترجم) ومواقفه العظيمة من العلم والسؤدد والمكانة الرفيعة يرى الشعر دون قدر الشريف، ويجد نفسه أعلا من أنفس الشعراء وأرفع، ويرى الشعر لا يمهِّد للشريف كياناً على كيانه، ولا يأثِّر في ترفّعه وشممه، ولا يولِّد له العظمة، ولا يأخذ بضبعه إلى التطوُّل، وقد نظم وشعر في صباه وهو لم يبلغ عمره عشر سنين، ومن شعره في صباه وله عشر سنين قوله من قصيدة:

المجد يعلم أنّ المجد من أربي ... ولو تماديت في غيٍّ وفي لعبِ
إنّي لمن معشر إن جمَّعوا لعُلى ... تفرَّقوا عن نبيٍّ أو وصيِّ نبي
إذا هممت ففتِّش عن شبا هممي ... تجده في مهجات الأنجم الشهبِ
وإن عزمتُ فعزمي يستحيل قذى ... تدمي مسالكه في أعين النّوبِ
ومعركٍ صافحت أيدي الحمام به ... طلى الرِّجال على الخرصان من كثبِ
حلَّت حباها المنايا في كتائبه ... بالضرب فاجتثَّت الأجساد بالقضبِ
تلاقت البيض في الأحشاء فاعتنقت ... والسمهريّ في الماذيِّ واليلب[1]
بكت على الأرض دمعاً من دمائهمُ ... فاستعربت من ثغور النور والعشب

ويحدّثنا شعره أنَّه ما كان يَعدُّ الشعر لنفسه فضيلةً ومأثرة بل كان يتّخذه وسيلة إلى غرضه فيقول:

وما الشعر فخري ولكنَّما ... أطول به همّة الفاخرِ
انزِّهه عن لقاء الرِّجال ... وأجعله تحفة الزائر
فما يتهدّى إليه الملو ... ك إلاّ من المثل السائر
وإنّي وإن كنت من اهله ... لتنكر في حرفة الشاعر

---

(١) الماذي: الدرع اللينة السهلة والسلاح كله. واليلب: الدروع من الجلود.

ويقول:

وما قوليَ الأشعار إلاّ ذريعة ... إلى أمل قد آن قود جنيبهِ
وإنّي إذا ما بلّغ الله غاية ... ضمنت له هجر القريض وحوبهِ

ويقول:

ما لك ترضى أن يقال: شاعرٌ؟ ... بُعداً لها من عدد الفضائلِ
كفاك ما أورق من أغصانه ... وطال من أعلامه الأطاولِ
فكم تكون ناظماً وقائلاً ... وأنت غبّ القول غير فاعلِ؟!

وهو في شعره يرى نفسه أشعر الأمم تارة؛ ويرى شعره فوق شعر البحتري ومسلم بن الوليد اخرى، ويتواضع طوراً ويجعل نفسه زميل الفرزدق أو جرير، ويرى نفسه ضريباً لزهير، ومرّة يتفوّه بالحقّ وينظر إلى شعره بعين الرِّضا ويرى كلامه فوق كلام الرِّجال، وقد أجمع الأكثرون انّه أشعر قريش قال الخطيب البغدادي في تاريخه ج٢ ص٢٤٦: سمعت أبا عبد الله محمّد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعةً من أهل العلم بالأدب يقولون: الرَّضي أشعر قريش. فقال إبن محفوظ: هذا صحيحٌ وقد كان في قريش من يجيد القول إلاّ أنَّ شعره قليل، فأمّا مجيدٌ مكثرٌ فليس إلاّ الرَّضي.

وجمل الثناء على أدبه وشعره كبقيَّة مآثره وفضائله وملكاته الفاضلة متواترة في المعاجم يضيق عن جمعها المجال، فنضرب عنها صفحاً روماً للإختصار، ونقتصر بذكر نبذةٍ يسيرةٍ، منها:

١ ـ قال النسّابة العمري في « المجدي »: إنَّه نقيب نقباء الطالبيين ببغداد وكانت له هيبةٌ وجلالةٌ وفيه ورعٌ وعفّةٌ وتقشّفٌ ومراعاةٌ للأهل وغيرةٌ عليهم وعسفٌ بالجاني منهم، وكان أحد علماء الزَّمان قد قرأ على أجلّاء الرِّجال وشاهدت له جزءاً مجلّداً من تفسيره منسوب إليه في القرآن مليح حسن يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكبر، وشعره أشهر من أن يُدلَّ عليه، وهو أشعر

قريش إلى وقتنا، وحسبك أن يكون قريش في أوّلها الحرث بن هشام والعبلي وعمر بن أبي ربيعة، وفي آخرها بالنسبة إلى زمانه محمّد بن صالح الموسوي الحسني، وعليّ بن محمّد الحمّاني[١] وإبن طباطبا الإصبهاني[٢]

٢ ـ قال الثعالبي في « اليتيمة »: هو اليوم أبدع أبناء الزّمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر، وفضل باهرٍ وحظّ من جميع المحاسن وافر، ثمَّ هو أشعر الطالبيِّين مَن مضى منهم ومن غَبَر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحِمّاني وإبن طباطبا وإبن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنَّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أُجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح، الممنَّع عن القَدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معان يقرب جناها، ويبعد مداها، وكان أبوه يتولّى نقابة نقباء الطالبيِّين ويحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحجّ بالناس ثمّ ردّت هذه الأعمال كلّها إلى ولده الرَّضي سنة ٣٨٨ وأبوه حيٌّ.

٣ ـ قال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ٢٧٩ كان الرَّضي نقيب الطالبيِّين ببغداد حفظ القرآن في مدَّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قويّاً وكان عالماً فاضلا وشاعراً مترسِّلا، عفيفاً عالي الهمَّة متديِّناً، اشترى في بعض الأيّام جزازا من إمرأة بخمسة دراهم فوجد جزءاً بخط أبي علي بن مقلة فقال للدّلال: احضر المرأة فأحضرها فقال: قد وجدت في الجزاز جزءاً بخطِّ ابن مقلة فإن أردتِ الجزء فخذيه وإن اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم. فأخذتها ودعت له وانصرفت، وكان سخيّاً جواداً.

٤ ـ قال إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: حفظ الرَّضي القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدَّة يسيرة وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قويّاً، وكان

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الثالث مرت ترجمته ج ٣ ص٨٣ ـ ٩٨.

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع مرت ترجمته ج ٣ ص ٤٠٩ ـ ٤١٦

عالماً أديباً، وشاعراً مفلقاً، فصيح النظم ضخم الألفاظ قادراً على القريض، متصرِّفاً في فنونه إن قصد الرِّقّة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشقّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطع أنفاسها على اثره، وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابةٍ، وكان عفيفاً شريف النفس عالي الهمَّة مستلزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلةً ولا جائزةً حتّى انَّه ردَّ صِلات أبيه.

٥ ـ قال الباخرزي في «دمية القصر» ص ٦٩: له صدر الوسادة بين الأئمّة والسادة وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذكاءٍ: ما أنورك، ولحضارةٍ ما أغررك، وله شعرٌ إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقّة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقِدح المعلّى في نصيبه، حتّى إذا انشد الراوي غزليّاته بين يدي الفرهاة، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكأنَّه في الأوصاف أحسن من الوصائف والوصاف، وإن مدح تحيَّرت فيه الأوهام بين مادحٍ وممدوحٍ، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفضّ، وقطرات من المزن ترفضّ، ولعمري انَّ بغداد قد أنجبت به فبوّأته ظلالها، وأرضعته زلالها، وأنشقته شمالها، وورد شعره دجلتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال: غرق، فكلّما انشدت محاسنه تنزّهت بغداد في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها.

٦ ـ قال الرفاعي في «صحاح الأخبار» ص ٦١: كان أشعر قريش وذلك لأنَّ الشاعر المجيد من قريش ليس بمكثر والمكثر ليس بمجيد والرَّضي جمع بين فضلي الإكثار والإجادة، وكان صاحب ورع وعفّة وعدل في الأقضية وهيبة في النفوس.

ألقابه ومناصبه:

لقبه بهاء الدولة سنة ٣٨٨ بالشريف الأجلّ، وفي سنة ٣٩٢ بذي

المنقبتين، وفي سنة ٣٩٨[1] بالرَّضي ذي الحسبين، وفي سنة ٤٠١ أمر أن تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان « الشريف الأجلّ » وهو أوّل من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية.

إنَّ المناصب والولايات كانت متكثِّرة على عهد سيِّدنا الشريف من الوزارة التنفيذيَّة والتفويضيَّة، والإمارة على البلاد بقسميها العامّة والخاصَّة، والعامَّة بضربيها: استكفاءً بعقد عن إختيار، واستيلاء بعقد عن إضطرار، والإمارة على جهاد المشركين بقسميها: المقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، والمفوَّض معها إلى الأمير جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح، والإمارة على قتال أهل الردّة، وقتال أهل البغي، وقتال المحاربين، وولاية القضاء، وولاية المظالم، وولاية النقابة بقسميها: العامَّة والخاصَّة وولاية إمامة الصَّلوات، وإمارة الحجِّ، وولاية الدواوين باقسامها، وولاية الحسبة، وغيرها من الولايات.

فمنها ما كان يخصُّ بالكتّاب والادباء، وأخر بالثقات ورجال العدل والنصفة، وثالث بالأماجد والأشراف والمترفين، ورابع بأباة الضيم وأصحاب البسالة والفروسيَّة، وخامس بذوي الآراء والفكرة القويَّة والدُّهاة، وسادس بأعاظم العلويِّين وأعيان العترة النبويَّة، وسابع بالفقهاء وأئمّة العلم والدين.

وهناك ما يخصُّ بجامع تلكم الفضائل، ومجتمع هاتيك الماثر كسيِّدنا الشريف ذلك المثل الأعلى في الفضائل كلّها فعلى الباحث عن مواقفه ومقاماته ونفسيّاته الكريمة أن يقرأ ولو بصورة مصغَّرة دروس المناصب التي كان يتولّاها الشريف فعندئذ يجد صورة مكبَّرة تجاه عينيه ممثّلة من العلم والفقه والحكمة والثقة والسداد والأنفة والفتوَّة والهيبة والعظمة والجلال والروعة والوفاء وعزّة النفس والرأي والحزم والعزم والبسالة والعفّة والسؤدد والكرم والإباء والغنى عن أيِّ أحد قد حليت بالأدب والشعر ولا يراها إلّا مثال الشريف الرّضي.

---

(١) في البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣٥ سنة ٣٩٦

تولّى الشريف بنقابة الطالبيِّين، وإمارة الحاجّ والنظر في المظالم سنة ٣٨٠ وهو ابن ٢١ عاماً على عهد الطائع؛ وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة سنة ٣٩٧، ثمَّ عهد إليه في ١٦ محرَّم سنة ٤٠٣ بولاية امور الطالبيِّين في جميع البلاد فدُعي «نقيب النقباء» ويقال: إنَّ تلك المرتبة لم يبلغها أحدٌ من أهل البيت إلّا الإمام عليّ بن موسى الرِّضا سلام الله عليه الذي كانت له ولاية عهد المأمون، وأُتيحت للشريف الخلافة على الحرمين على عهد القادر كما في المجلّد الأوّل من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وكان هو والولايات كما قيل:

لم تُشيِّد له الولايات مجداً ... لا ولا قيل: رفَّعت مقداره
بل كساها وقد تحزَّمها الدهـ ... ـر جلالاً وبهجةً ونضاره

وذكر تحليل المناصب التي تولاها سيِّدنا الشريف وشروطها في تآليف علماء السلف وأفردوا فيها كتباً ونحن نأخذ مختصر ما في [الأحكام السلطانيّة] للماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠.

النقابة:

النقابة موضوعةٌ على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى، وهي على ضربين: خاصَّة وعامَّة،وأمّا الخاصَّة فهو أن يقتصر بنظره على مجرَّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حدّ فلا يكون العلم معتبراً في شروطها ويلزمه في النِّقابة على أهله من حقوق النظر إثنا عشر حقّاً:

١ ـ حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس هو منها، أو خارج عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظاً على صحَّته معزوّاً إلى جهته.

٢ ـ تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم حتّى لا يخفى عليه منهم بنوأب، ولا يتداخل نسب في نسب، ويثبتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم.

٣ ـ معرفة من وُلد منهم من ذكر أو انثى فيثبته، ومعرفة من مات منهم فيذكره، حتّى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبته، ولا يدَّعي نسب الميت غيره إن لم يذكره.

٤ ـ أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم في النفس موقورة وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم محفوظة.

٥ ـ أن ينزّههم عن المكاسب الدنيئة. ويمنعهم من المطالب الخبيثة؛ حتّى لا يستقل منهم مُبتذل، ولا يستضام منهم مُتذلِّل.

٦ ـ أن يكفَّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصره أغير، وللمنكر الذي أزالوه أنكر؛ حتّى لا ينطق بذمّهم لسان؛ ولا يشنأهم إنسان.

٧ ـ أن يمنعهم من التسلّط على العامّة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض، ويبعثهم على المناكرة والبعد، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتألّف النفوس، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى.

٨ ـ أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق حتّى لا يضعفوا عنها، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتّى لا يمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين.

٩ ـ أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامّة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي يخصّ به أحدهم حتّى يقسّم بينهم بحسب ما أوجبه الله لهم.

١٠ ـ أن يمنع أياماهم أن يتزوّجن إلاّ من الأكفاء لشرفهنّ على سائر النساء صيانةً لأنسابهنّ، وتعظيماً لحرمتهنّ، أن يزوّجهنّ غير الولاة، أو ينكحهنّ غير الكفاة.

١١ ـ أن يقوم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حدّاً، ولا ينهر به دماً، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته، ويغفر بعد الوعظ زلّته.

١٢ ـ مراعاة وقوفهم بحفظ اصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يرد إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها إذا قسّموه وميّز المستحقّين لها إذا خصّت، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت؛ حتّى لا يخرج منهم مستحق، ولا يدخل فيها غير محقّ.

النقابة العامة

فعمومها أن يردَّ إلى النقيب في النقابة عليهم مع ما قدّمناه من حقوق النظر خمسة أشياء:

١ ـ الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

٢ ـ الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

٣ ـ إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

٤ ـ تزويج الأيامى اللاّتي لا يتعيَّن أوليائهنَّ أو قد تعيَّنوا فعضلوهنَّ.

٥ ـ ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة عامَّ النقابة فيعتبر حينئذ في صحّة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالماً من أهل الإجتهاد ليصحَّ حكمه، وينفذ قضاؤه. إلى آخر ما في «الأحكام السلطانيَّة» ص ٨٢ ـ ٨٦. وهذه النقابة هي التي كانت ولايتها لسيِّدنا المترجَم.

ولاية المظالم

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاهر بالهيبة، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفَّة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنَّه يحتاج في

نـظره إلى سطوة الحمـاة، وثبت القضاة، فيحتـاج إلى الجمع بين صفـات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين، فإن كان ممن يملك الامور العامّة كالوزراء والامراء لم يحتج النظر فيها إلى تقليد وكان له بعمـوم ولايته النظر فيها، وإن كان ممن لم يفوّض إليه عموم النظر إحتاج إلى تقليد وتولية إذا اجتمعت فيه الشروط المتقدّمة، وهذا إنّما يصحّ فيمن يجوز أن يُختار لولاية العهد، أو لوزارة التفويض، او لإمارة الأقاليم، إذا كان نظره في المظالم عامّاً فإن اقتصر به على تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه ، وإمضاء ما قصرت يدهم عن امضائه جاز أن يكون دون هذه الرُّتبة في القدر والخطر بعـد أن لا تأخذه في الحقِّ لومة لائم، ولا يستشفّه الطمـع إلى رشوة، إلى آخـر ما في « الأحكام السلطانيّة » ص ٦٤ ـ ٨٢.

الولاية على الحج

الولاية على الحجِّ ضربـان: أحدهمـا أن تكون على تسييـر الحجيج، والثاني على إقامة الحجّ؛ فأمّا تسيير الحجيج فهو ولاية سياسة وزعامة وتدبير. والشروط المعتبرة في المولى أن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعةٍ وهيبةٍ وهدايةٍ، والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة أشياء:

١ ـ جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرّقوا فيخاف عليهم التّوى والتغرير.

٢ ـ ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كلّ طائفة منهم مقاداً حتّى يعرف كلُّ فريق منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانـه إذا نزل، فـلا يتنازعـون فيه ولا يضلّون عنه.

٣ ـ يـرفق بهم في السير حتّى لا يعجـز عنه ضعيفهم، ولا يضـلُّ عنه منقطعهم، وروي عن النبي ﷺ انّه قال: الضعيف أمير الرفقة. يُـريد أنّ من ضعف دوابّه كان على القوم أن يسيروا بسيره.

٤ ـ أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنّب أجدبها وأوعرها.

٥ ـ أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلّت.

٦ ـ أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتّى لا يتخطّفهم داعرٌ ولا يطمع فيهم متلصّص.

٧ ـ أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحجّ بقتال إن قدر عليه، أو ببذل مال إن أجاب الحجيج اليه، ولا يسعه أن يجبر أحداً على بذل الخفارة إن امتنع منها، حتّى يكون باذلاً لها عفواً ومجيباً إليها طوعاً، فإنّ بذل المال على التمكين من الحجّ لا يجب.

٨ ـ ان يُصلح بين المتشاجرين ويتوسّط بين المتنازعين، ولا يتعرّض للحكم بينهم إجباراً إلاّ أن يفوّض الحكم إليه، فيُعتبر فيه أن يكون من أهله فيجوز له حينئذ الحكم بينهم، فإن دخلوا بلداً فيه حاكمٌ جازله ولحاكم البلد أن يحكم بينهم فأيّهما حكم نفذ حكمه.

٩ ـ أن يقوّم زائغهم ويؤدّب خائنهم ولا يتجاوز التعزير إلى الحدّ إلاّ أن يُؤذن له فيستوفيه إن كان من أهل الإجتهاد فيه.

١٠ ـ أن يراعي اتّساع الوقت حتّى يؤمن الفوات ولا يلجئهم ضيقه إلى الحثّ في السير، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه.

وأمّا الولاية على إقامة الحجّ فالوالي فيه بمنزلة الإمام في إقامة الصّلوات، فمن شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة في أئمّة الصّلوات أن يكون عالماً بمناسك الحجّ وأحكامه، عارفاً بمواقيته وأيّامه، وتكون مدّة ولايته مقدّرة بسبعة أيّام أوّلها من صلاة الظهر في اليوم السابع من ذي الحجّة وآخرها يوم الثالث عشر من ذي الحجّة، وعلى الذي يختصّ بولايته خمسة أحكام متّفقٌ عليها وسادس مختلفٌ فيه ألا وهي:

١ ـ إشعار الناس بوقت إحرامهم والخروج إلى مشاعرهم ليكونوا له متّبعين وبأفعاله مقتدين.

٢ - ترتيبهم للمناسك على ما استقرَّ الشرع عليه لأنَّه متبوعٌ فيها فلا يقدّم مؤخَّراً ولا يؤخر مقدَّماً سواء كان الترتيب مستحقّاً أو مستحبّاً.

٣ - تقدير المواقف بمقامه فيها ومسيره عنها كما تقدَّر صلاة المأمومين بصلاة الإمام.

٤ - إتِّباعه في الأركان المشروعة فيها، والتأمين على أدعيته بها ليتّبعوه في القول كما اتَّبعوه في العمل.

٥ - إمامتهم في الصَّلوات. وأمَّا السادس المختلف فيه: حكمه بين الحجيج فيما لا يتعلّق بالحجِّ، وإقامة التعزير والحدّ في مثله اهـ.

تولّى الشريف الرَّضي هذه الإمارة منذ صباه في أكثر أيّام حياته ووزيراً لأبيه ونائباً عنه، ومستقلاً بها من سنة ٣٨٠، وله فيها مواقف عظيمة سجّلها التاريخ وأبقى له ذكرى خالدة، قال أبو القاسم بن فهد الهاشمي في « إتحاف الورى بأخبار القرى » في حوادث سنة ٣٨٩: حجَّ فيها الشريفان المرتضى والرَّضي فاعتقلهما في الطريق إبن الجراح الطائي فأعطياه تسعة الاف دينار من أموالهما.

ولادته ووفاته :

وُلد الشريف الرَّضي ببغداد سنة ٣٥٩ بإطباق من المؤرّخين ونشأ بها[١] وتوفي بها يوم الأحد ٦ محرّم[٢] سنة ٤٠٦ كما في معجم النجاشي. وتاريخ بغداد للخطيب. وعمدة الطالب. والخلاصة. وغيرها.

فما في شذرات الذهب: انّه توفّي بكرة الخميس. فهو من خطأ النسّاخ فإنَّه نقله عن تاريخ ابن خلكان وفي التاريخ: بكرة يوم الأحد. لا الخميس. وأمّا ما في « دائرة المعارف » لفريد وجدي ج ٤ ص ٢٥٣ من انّه توفّي سنة ٤٠٤

---

(١) قال جرجي زيدان في تاريخ اداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٧: وكان يقيم في سر من رأى (سامراء) وتم له لدة هذا في تاريخه مما يميط الستر عن جهله بتاريخ الشيعة ورجالهم.

(٢) في تاريخ ابن خلكان: وقيل: في صفر. وفي تاريخ ابن كثير: خامس المحرم.

فأحسبه مأخوذاً من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أو انَّه خطأ من الناسخ، وقد أرَّخه فريد وجدي صحيحاً في دائرة المعارف ج ٩ ص ٤٨٧ ب ٦ محرم سنة ٤٠٦، وقد رثى الشريف الرَّضي معاصره أبا الحسن أحمد بن علي البتي المتوفّى سنة ٤٠٥ في شعبان بقصيدة توجد في ديوانه ج ١ ص ١٣٨، وقال جامع الديوان: وبعده بشهور توفّي الرَّضي (رض).

وعند وفاته حضر إلى داره الوزير أبو غالب فخر الملك وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاةً ومشاةً وصلّى عليه فخر الملك ودُفن في داره الكائنة في محلّة الكرخ بخطِّ مسجد الأنباريِّين[1] ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصلِّ عليه ومضى من جزعه إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السَّلام لأنَّه لم يستطع ان ينظر إلى تابوته؛ ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره.

ذكر كثيرٌ من المؤلِّفين نقل جثمانه إلى كربلاء المشرَّفة بعد دفنه في داره بالكرخ فدُفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى، ويظهر من التاريخ انَّ قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في الحائر المقدَّس قال صاحب «عمدة الطالب»: وقبره في كربلاء ظاهرٌ معروفٌ. وقال في ترجمة أخيه المرتضى: دُفن عند أبيه وأخيه وقبورهم ظاهرةٌ مشهورةٌ. وقال الرفاعي المتوفّى ٨٨٥ في «صحاح الأخبار» ص ٦٢: نُقل المرتضى إلى مشهد الحسين بكربلا كأبيه وأخيه ودُفن هناك وقبره ظاهرٌ ومعروفٌ.

وهذا قريبٌ إلى الإعتبار لأنَّ بني إبراهيم المجاب قطنوا الحائر المقدَّس وجاوروا الإمام السبط سلام الله عليه فدفن فيه إبراهيم المذكور بمقربة مما يلي رأس قبر الإمام عليه السلام فاتَّخذ بنوه تربته مدفناً لهم، وكان من قطن منهم بغداد أو البصرة كبني موسى الأبرش ينقل بعد موته إلى تربة جدِّه، وقد ثبت انَّ والد الشريف المترجَم نُقل إلى الحائر المقدَّس قبل دفنه ودُفن بها، أو دُفن في داره

---

(١) ينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم.

أوّلاً ثمَّ نُقل إلى مشهد الحسين كما في « المنتظم » لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٤٧] وصحَّ ايضاً نقل جثمان الشريف علم الهدى المرتضى إلى الحائر بعد دفنه في داره، وكانت تولية تلك التربة المقدَّسة بيدهم، وما كان يُدفن هناك أيّ أحد إلّا بإجازةٍ منهم كما مرَّ في ترجمة الوزير أبي العبّاس الضبيّ في هذا الجزء ص ١٣٠ .

وقد رثى الشريف الرضي غير واحد ممن عاصروه وفي مقدَّمهم أخوه علم الهدى بقوله:

يا للرجال لفجعةٍ جذمتْ يدي	ووددتُ لو ذهبتْ عليَّ براسي
ما زلت أحذر وقعها حتّى أتت	فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً فلمّا صمّمت	لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرةً	فالدمع غير مساعد ومُواسي
لله عمرك من قصير طاهر	ولربَّ عمر طال بالأدناس

وممن رثاه تلميذه في الأدب مهيار الديلمي المترجم في شعراء القرن الخامس، رثاه بقصيدتين إحديهما ذات ٧٠ بيتاً توجد في ديوانه ج ٣ ص ٣٦٦ مستهلّها :

من جبَّ غارب هاشمٍ وسنامها؟!	ولوى لويّاً فاستزلَّ مقامها؟!
وغزا قريشاً بالبطاح فلفَّها	بيد؟! وقوَّض عزَّها وخيامها؟!
وأناخ في مضر بكلكل خسفه	يستام واحتملت له ما سامها؟!
من حلَّ مكّة فاستباح حريمها	والبيت يشهد واستحلَّ حرامها؟!
ومضى بيثرب مُذعجاً ما شاء من	تلك القبور الطاهرات عظامها؟!
يبكي النبيّ ويستنيح لفاطم	بالطفّ في أبنائها أيّامها
الدين ممنوع الحمى، من راعه؟!	والدار عالية البنا، من رامها؟!
أتناكرت أيدي الرجال سيوفها	فاستسلمت أم أنكرت اسلامها؟!؟
أم غال ذا الحسبين حامي ذودها	قدرٌ أراح على الغدوّ سوامها؟!

وقصيدته الاخرى ٤٠ بيتاً توجد في ديوانه ج ١ ص ٢٤٩ مطلعها:

أقــريش لا الفمٍ أراك ولا يــدٍ فتواكلي غاض الندى وخلي الندى[١]

ولشهرة القصيدتين ووجودهما في غير واحد من الكتب والمعاجم فضلاً عن ديوان مهيار ضربنا عنهما صفحاً.

ومن نماذج شعر الشريف الرَّضي في المذهب قوله يفتخر بـأهل البيت ويذكر قبورهم ويتشوَّق إليها:

ألا لله بــادرة الــطلابِ وعــزم لا يــروّع بــالــعتــابِ
وكــلّ مشمّــر البــردين يهــوي هــويّ المصلتات إلى الــرقـابِ
أعــاتبــه على بُعــد التنــائي ويعــذلني على قــرب الأيــابِ
رأيت العجــز يخضــع لليـالـي ويـرضي عن نـوائبهــا الغضـابِ
ولــولا صــولــة الأيّــام دونــي هجمت على العلى من كلّ بابِ
ومن شيم الفتى العــربيّ فينــا وصـال البيض والخيـل العرابِ
لـه كـذب الـوعيـد من الأعـادي ومن عــاداتـه صــدق الضرابِ
ســأدّرع الـصــوارم والعــوالي ومــا عرّيت من خلع الشبــابِ
وأشتمل الدجى والـركب يمضي مضـاء السيف شذَّ عن القـرابِ
وكم ليلٍ عبأت لــه المطايــا ونــار الحيّ جــائـرة الشهــابِ
لقيت الأرض شــاحبـة المحيّــا تـلاعب بـالضــراغم والـذئــابِ
فزعت إلى الشحوبِ وكنت طلقاً كما فزع المشيب إلى الخضابِ
ولم نــر مثــل مُبيضٍّ النــواحي تــعــذّبــه بمُــســودِّ الإهــابِ
أبـيت مـضــاجعــاً أملي وإنّـي أرى الآمــال أشقـى لـلركــابِ
إذا مــا اليأس خيّبنــا رجــونــا فشجّعنـا الـرجـاء على الـطلابِ
أقـول إذا استـطار من السـواري زفـون القطر رقّاص الحبابِ[٢]
كــأنّ الجــوّ غصَّ بــه فـأومى ليقــذفـه على قمـم الشعــابِ

(١) يُقال: تواكل القوم: اتكل بعضهم على بعض.

(٢) زفون القطر: دفاع المطر. الحباب: فقاقيع الماء.

جديرٌ أن تصافحه الفيافي ... ويسحب فوقها عذب الربابِ[1]

إذا همَّ التلاع رأيت منه ... رضاباً في ثنيّات الهضابِ[2]

سقى الله المدينة من محلّ ... لباب الماء والنطف العذابِ

وجاد على البقيع وساكنيه ... رخيّ الذيل ملآن الوطابِ

وأعلام الغريّ وما استباحتْ ... معالمها من الحسب اللبابِ

وقبر بالطفوف يضمُّ شلواً ... قضى ظمأً إلى بَرد الشرابِ

وبغدادٍ وسامرّا وطوسٍ ... هطول الودق منخرق العبابِ

قبورٌ تنطف العبرات فيها ... كما نطف الصبير[3] على الروابي

فلو بخل السّحاب على ثراها ... لذابت فوقها قطع السَّرابِ

سقاك فكم ظمئت إليك شوقاً ... على عُدواء داري واقترابي

تجافي يا جنوب الريح عنّي ... وصوني فضل بردك عن جنابي

ولا تسري إليّ مع الليالي ... وما استحقبت[4] من ذاك الترابِ

قليلٌ أن تُقاد له الغوادي[5] ... وتنحر فيه أعناق السّحابِ

أما شرق التراب بساكنيه ... فيلفظهم إلى النّعم الرغابِ

فكم غدت الضغائن وهي سكرى ... تدير عليهمُ كأس المصابِ

صلاة الله تخفق كلّ يوم ... على تلك المعالم والقبابِ

وانّي لا أزال أكرّ عزمي ... وإن قلّت مساعدة الصحابِ

وأخترق الرِّياح إلى نسيم ... تطلّع من تراب أبي ترابِ

بودّي أن تطاوعني الليالي ... وينشب في المنى ظفري ونابي

فأرمي العيس نحوكم سهاماً ... تغلغل بين أحشاء الروابي

---

(١) الرباب: السحاب الأبيض.

(٢) التلاع ج التلعة: ما علا الأرض. ما سفل منها. الهضاب: أعالي الجبال.

(٣) نطف: سال. الصبير: السحاب الذي يصير بعضه فوق بعض.

(٤) استحقبت: أدخرت.

(٥) الغوادي جمع الغادية وهي: السحابة.

تـرامى بـاللغـام على طـلاهـا كما انحدر الغثاء عن العقابِ[١]
وأجنب بينهـا خـرق المـذاكي فأُملي بـاللغـام على اللغـابِ[٢]
لـعلّي أن ابـلّ بكـم غـليـلاً تغلغـل بين قلبي والحـجـابِ
فـمـا لـقـيـاكـمُ إلّا دلـيـلٌ على كنـز الغنيمـة والثـوابِ
ولـي قبـران بـالـزوراء أشفي بقـربهـمـا نـزاعي واكـتئـابي
أقـود إليهـمـا نفسي وأهدي سلامـاً لا يحيـد عن الجوابِ
لقـائهمـا يـطهّـر من جنـاني ويـدرأ عـن ردائي كـلَّ عـابِ
قسيم النـار جدّي يوم يلقى[٣] بـه بـاب النجـاة من العـذابِ
وساقي الخلق والمهجات حرّى وفـاتحـة الصِّـراط إلى الحسـابِ
ومن سمحت بخـاتمـه يمين[٤] تضنّ بكـلِّ عـاليـة الكعـابِ
أمـا في بـاب خيبـر معجـزات تُصـدِّق؟! أو مناجـاة الحبـابِ؟!
أرادت كـيـده والله يـأبـى فجـاء النصر من قبـل الغرابِ[٥]
أهـذا البدر يكسف بـالدّيـاجي؟ وهذي الشمس تُطمس بالضبابِ؟
وكـان إذا استـطال عليـه جـانٌ يـرى تـرك العقـاب من العقـاب
أرى شعبـان يـذكـرني اشتيـاقي فمَن لي أن يـذكّـركم ثـوابي
بكم في الشعـر فخرٌ لا بشعـري وعنكم طـال باعي في الخـطابِ
أجـلّ عن القبـائـح غيـر أنّي لـكم أرمي وارمى بـالـسبـابِ
فـأجـهـر بـالـولاء ولا أورّي وانـطق بـالـبـراء ولا حـابي
ومـن أولـى بـكـم مـنّـي ولـيّـاً وفي أيـديكمُ طـرف انتسـابي؟!
مـحبّـكمُ ولو بـغضت حيـاتـي وزائـركم ولـو عقـرت ركـابي
تبـاعـد بيننـا غيـر الليـالي ومـرجعنـا إلى النسب القـرابِ

---

(١) اللغام: لعاب الإبل. والطلى: العنق. الغثاء: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل العقاب جمع عقبة: مرقى صعب من الجبال.
(٢) اجنب: اقود. اللغاب: السهم لم يحسن بريه.
(٣) اشار إلى حديث مربيانه في ج ٣ ص٣٦٢.
(٤) اشار إلى تصدقه بخاتمه وقد مر حديثه ج ٢ ص٦٥ وج ٣ ص١٩٨ - ٢٠٥.
(٥) اشار إلى حديث الحباب الذي اسلفناه ج ٢ ص٢٨٢، ٢٨٣.

وقال يرثي الإمام السبط المفدّى الحسين بن عليّ عليهما السّلام في يوم عاشوراء سنة ٣٩١.

هـذي المنـازل بـالغميم فنـادهـا ... واسكب سخيَّ العين بعد جمادها
إن كـان دينٌ للمعـالم فـاقضـه ... أو مهجـةٌ عنـد الـطلول ففـادهـا
يـا هـل تبـلّ من الغليـل إليهمُ ... اشـرافة للركب فـوق نجادهـا؟!
نـوىء كمنعـطف الحنيـة دونـه ... سحم الخـدود لهنَّ إرث رمادهـا
ومنـاط أطنـابٍ ومقعـد فـتيـةٍ ... تخبـو زنـاد الحيّ غيـر زنـادهـا
ومجـرّ ارسـان الجيـاد لغلمـة ... سجفوا البيوت بشقـرها وورادهـا
ولقد حبست على الديار عصابة ... مضمـومـة الأيـدي إلى أكبـادهـا
حسـرى تجاوب بالبكاء عيـونها ... وتعطّ بـالـزفـرات في ابـرادهـا
وقفـوا بهـا حتّى كـأنّ مـطيّهم ... كـانت قـوائمهنَّ من أوتـادهـا
ثمَّ انثنت والـدمع مـاء مـزادهـا ... ولـواعـج الأشجـان من أزوادهـا
من كـلّ مُشتمـلٍ حمـائل رنّـة ... قـطر المدامع من حليّ نجـادهـا
حيَّتـك بل حيَّت طلوعـك ديمة ... يشفي سقيم الربع نفث عهـادها
وغدت عليك من الخمائل يمنة ... تستام نافقة على روّادها[1]
هل تطلبـون من النواظـر بعدكم ... شيئـاً سوى عبـراتها وسهـادها؟!
لم يبق ذخـرٌ للمـدامـع عنكمُ ... كـلّا ولا عينٌ جـرى لـرقـادهـا
شغل الدموع عن الديـار بكاؤنـا ... لبكـاء فـاطمـة على أولادهـا
لم يخلفوها في الشهيـد وقد رأى ... دفـع الفـرات يـذاد؟ عن أورادهـا
أتـرى درت انّ الحسين طـريـدةً ... لقنـا بني الطرداء عنـد ولادها؟!
كـانت مـآتم بـالعـراق تعـدّهـا ... أمـويـةً بـالشام من أعيـادهـا
ما راقبت غضب النبيّ وقد غـدا ... زرع النبيّ مـظنّـة لحصـادهـا
بـاعت بصـائـر دينهـا بضـلالهـا ... وشـرت معاطب غيّهـا برشـادهـا
جعلت رسول الله من خصمائهـا ... فلبئس مـا ذخرت ليـوم معـادهـا

---

(١) الخمائل ج خميلة : القطيفة . اليمنة : برد يمني . تستام : تسأل السوم .

نسل النبيِّ على صعاب مطيِّها ... ودم النبيِّ على رؤوس صعادها
وا لهفتاه لعصبةٍ علويَّةٍ ... تبعت اميَّة بعد عزٍّ قيادها
جعلت عران الذلِّ في آنافها ... وعلاط وسم الضيم في أجيادها[1]
زعمت بأنَّ الدين سوَّغ قتلها ... أوليس هذا الدين عن أجدادها؟!
طلبت تراث الجاهليَّة عندها ... وشفت قديم الغلِّ من أحقادها
واستأثرت بالأمر عن غيّابها ... وقضت بما شاءت على شُهّادها
الله سابقكم إلى أرواحها ... وكسبتم الآثام في أجسادها
إن قوَّضت تلك القباب فإنَّما ... خرَّت عماد الدين قبل عمادها
إنَّ الخلافة أصبحت مزويَّة ... عن شعبها ببياضها وسوادها
طمست منابرها علوج اميَّة ... تنزو ذئابهمُ على أعوادها
هي صفوة الله التي أوحى لها ... وقضى أوامره إلى أمجادها
أخذت بأطراف الفخار فعاذرٌ ... أن يصبح الثقلان من حُسّادها
الزهد والأحلام في فتّاكها ... والفتك لولا الله في زُهّادها
عصبٌ يقمّط بالنجاد وليدها ... ومهود صبيتها ظهور جيادها
تروي مناقب فضلها أعداؤها ... أبداً وتسنده إلى أضدادها
يا غيرة الله اغضبي لنبيِّه ... وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
من عصبة ضاعت دماء محمّد ... وبنيه بين يزيدها وزيادها
صفدات مال الله ملء أكفِّها ... وأكفُّ آل الله في أصفادها[2]
ضربوا بسيف محمّد أبناءه ... ضرب الغرائب عدن بعد ذيادها
قد قلت للركب الطلاح كأنَّهم ... ربد النسور على ذرى أطوادها[3]
يحدوبعوج كالحني أطاعه ... مُعتاصها فطغى على مُنقادها
حتّى تخيّل من هباب رقابها ... أعناقها في السير من أعدادها

---

(١) العران: عود يجعل في انف البعير. العلاط: حبل يجعل في عنق البعير.

(٢) الصفدات من الصفد: العطاء. والأصفاد: الأغلال.

(٣) الطلح: المهزول والمعي ج أطلاح. الربدة: الغبرة. يقال: اربد لونه: تغير. وتربد الرجل: تعبس.

قف بي ولو لوث الأزار فإنَّما ... هي مهجة علق الجوى بفؤادها
بالطفّ حيث غدا مراق دمائها ... ومناخ اينقها ليوم جلادها
القفر من أرواقها والطير من طرّا ... قها والوحش من عوّادها
تجري لها حبب الدموع وإنَّما ... حبّ القلوب يكنَّ من أمدادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعة ... تترقَّص الأحشاء من ايقادها
ما عدتَ إلّا عاد قلبي غلّة ... حرّى ولو بالغت في إبرادها
مثل السليم مضيضة آناؤه ... خزر العيون تعوده بعدادها
يا جدّ لا زالت كتائب حسرة ... تغشى الضمير بكرِّها وطرادها
أبدا عليك وأدمعٌ مسفوحةٌ ... إن لم يراوحها البكاء يغادها
هذا الثناء وما بلغت وإنَّما ... هي حلبة خلعوا عذار جوادها
أأقول: جادكم الربيع؟ وأنتمُ ... في كلِّ منزلة ربيع بلادها
أم أستزيد لكم علاً بمدائحي؟! ... أين الجبال من الربى ووهادها؟!
كيف الثناء على النجوم إذا سمت ... فوق العيون إلى مدى أبعادها؟!
أغنى طلوع الشمس عن أوصافها ... بجلالها وضيائها وبعادها

وقال يرثي جدّه الإمام السبط الشهيد في عاشوراء سنة ٣٧٧:

صاحت بذودي بغداد فآنسني ... تقلّبي في ظهور الخيل والعير
وكلّما هجهجت بي عن منازلها ... عارضتها بجنانٍ غير مذعور
أطغى على قاطنيها غير مكترثٍ ... وأفعل الفعل فيها غير مأمور
خطبٌ يهدِّدني بالبعد عن وطني ... وما خُلقت لغير السرج والكور
إنّي وإن سامني مالا اقاومه ... فقد نجوت وقدحي غير مقمور
عجلان ألبس وجهي كلَّ داجية ... والبرّ عريان من ظبي ويعفور
وربِّ قائلة والهمِّ يتحفني ... بناظر من نطاف الدمع ممطور
: خفّض عليك فللأحزان آونة ... وما المقيم على حُزن بمعذور
فقلت: هيهات فات السمع لائمه ... لا يفهم الحزن إلّا يوم عاشور
يومٌ حدى الظعن فيه بابن فاطمة ... سنان مطَّرد الكعبين مطرور

وخـرَّ لـلمـوت لا كفٌّ تـقلّبـه إلّا بوطىء من الجُرد المحاضيرِ
ظمـأن سلّى نجيع الطعن غلّته عن باردٍ من عباب الماء مقرورِ[1]
كـأنَّ بيض المواضي وهي تنهبه نـارٌ تحكّم في جسمٍ من النورِ
لله مُلقى على الرَّمضاء عضَّ به فم الـرَّدى بين إقـدام وتشميـرِ
تحنـو عليه الـرُّبى ظـلّاً وتستره عن النـواظر أذيـال الأعاصيرِ[2]
تهابه الوحش أن تدنو لمصرعه وقـد أقام ثـلاثـاً غيـر مقبورِ
ومـوردٌ غمـرات الضـرب غُـرَّتـه جـرَّت إليه المنـايا بـالمصـاديـرِ
ومُستـطيلٌ على الأزمـان يقدرهـا جنى الـزمـان عليهـا بـالمقـاديـرِ
أغـرى بـه ابن زيـادٍ لؤم عنصـره وسعيـه ليـزيـد غيـر مشكـورِ
وودّ أن يتـلافى مـا جنت يـده وكـان ذلـك كسـراً غيـر مجبـورِ
تُسبى بنـات رسـول الله بينهمُ والدين غضُّ المبادي غير مستورِ
إن يظفر المـوت منّا بـابن منجبة فـطالمـا عـاد ريّان الأظـافيـرِ
يلقى القنـا بجبين شانَ صفحته وقـع القنـابين تضميـخٍ وتعفيـرِ
من بعد ما ردَّ أطراف الرِّمـاح به قلبٌ فسيح وراءٍ غير محصـورِ
والنقـع يسحب من أذيـالـه ولـه على الغـزالـة جيبٌ غيـر مـزرورِ
في فيلقٍ شـرقٍ بـالبيض تحسبه برقاً تدلّى على الآكام والقـورِ[3]
بني اميَّة مـا الأسيـاف نـائمـةٌ عن شاهر في أقاصي الأرض موتورِ
والبـارقـات تلوّى في مغـامـدهـا والسابقات تمطّى في المضاميـرِ
إنّي لأرقب يـومـاً لا خفـاء لـه عـريـان يقلق مـه كـلّ مغـرورِ
وللصَّـوارم ما شـاءت مضـاربهـا من الـرِّقاب شرابٌ غيـر منـزورِ
أكـلَّ يـوم لآل المصـطفى قمـرٌ يهوى بوقـع العوالي والمبـاتيرِ؟!
وكـل يـوم لهم بيضـاء صـافيـة يشـوبها الـدهر من رنق وتكـدير
مغوار قوم يروع الموت من يـده أمسى وأصبـح نهبـاً للمغـاويـرِ

---

(١) مقرور من القر. البرد
(٢) الأعاصير ج الإعصار . ريح ترتفع بالتراب .
(٣) القور جمع القارة: الجبل الصغير المنقطع عن الجبال.

وأبيض الوجه مشهور تغطرفه مضى بيوم من الأيّام مشهورِ
مالي تعجّبت من همّي ونفرته والحزن جرحٌ بقلبي غير مسبورِ
بأيِّ طرف أرى العلياء إنْ نضبت عيني؟ ولجلجت عنها بالمعاذيرِ
ألقى الزمان بكلم غير مندمل عمر الزمان وقلب غير مسرورِ
يا جدّ لا زال لي همٌّ يحرِّضني على الدموع ووجدٌ غير مقهورِ
والدمع يخفره عينٌ مؤرّقة خفر الحنيّة عن نزع وتوتيرِ
إنَّ السلوّ لمحظورٌ على كبدى وما السلوُّ على قلب بمحظورِ

وقال يرثي سيِّدنا الإمام الشهيد في يوم عاشوراء سنة ٣٨٧:

راحلٌ أنت والليالي تزول ومضرٌّ بك البقاء الطويلُ
لا شجاعٌ يبقى فيعتنق البـ ـيض ولا آملٌ ولا مأمولُ
غاية الناس في الزَّمان فناءٌ وكذا غاية الغصون الذبولُ
إنَّما المرء للمنيَّة مخبوءٌ وللـ ـطعن تستجمُّ الخيولُ
من مقيل بين الضلوع إلى طـ ـول عناءٍ وفي التراب مقيلُ[1]
فهو كالغيم ألَّفته جنوبٌ يوم دجن ومزَّقته قبولُ
عادةٌ للزَّمان في كلِّ يوم يتنائى خلٌّ وتبكي طلولُ
فاللّيالي عونٌ عليك مع البـ ـين كما ساعد الذوابل طولُ
ربما وافق الفتى من زمان فرح غيره به متبولُ[2]
هي دنيا إن واصلت ذا جفت هذا ملالاً كأنّها عطبولُ[3]
كلّ باكٍ يُبكى عليه وإن طال بقاءٌ والثاكل المثكولُ
والأمانيُّ حسرةٌ وعناء للذي ظنَّ انّها تعليلُ
ما يُبالي الحمام أين ترقّى بعدما غالت ابن فاطم غولُ
أيَّ يوم أدمى المدامع فيه حادثٌ رائعٌ وخطبٌ جليلُ
يوم عاشور الذي لا أعـ ـان الصحبُ فيه ولا أجار القبيلُ

---

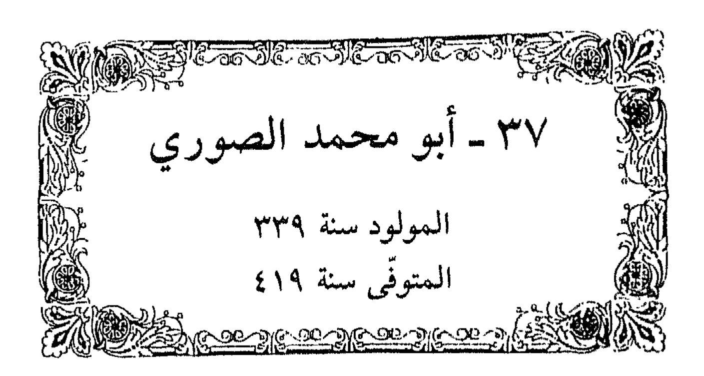
(١) من قال قيلا وقيلولة ومقيلا . نام نصف النهار.
(٢) يقال: تبلهم الدهر أي أفناهم.
(٣) العطبول: المرأة الفتية الجميلة.

يا ابن بنت الرَّسول ضيَّعت العهـ ـدرجالٌ والحافظون قليلُ
ما أطاعوا النبيَّ فيك وقد ما لت أرواحهم إليك الذحولُ
وأحالوا على المقادير في حربـ ـك لو أنَّ عذرهم مقبولُ
واستقالوا من بعد ما أجلبوا فيها أألآن أيّها المُستقيلُ؟!
إنَّ امرأً قنّعت من دونه السّيـ ـف لمن حازه لمرعى وبيلُ
يا حساماً فلّت مضاربه الهـ ـام وقد فلّه الحسام الصقيلُ
يا جواداً أدمى الجواد من الطـ ـعن وولّى ونحره مبلولُ
حجل الخيل من دماء الأعادي يوم يبدو طعن وتخفى حجولُ
يوم طاحت أيدي السوابق في النقع وفاض الونى وغاض الصهيلُ
أتراني أعير وجهيَ صوناً وعلى وجهه تجول الخيولُ؟!
أتراني ألذّ ماءً ولمّا يرو مِن مهجة الإمام الغليلُ؟!
قبّلته الرِّماح وانتضلت فيه المنا يا وعانقته النّصولُ
والسَّبايا على النجائب تُستاق وقد نالت الجيوب الذيولُ
من قلوب يدمي بها ناظر الوجد ومن أدمع مراها الهمولُ
قد سلبن القناع عن كلّ وجهٍ فيه للصون من قناع بديلُ
وتنقَّبن بالأنامل والدَّمـ ـع على كلّ ذي نقابٍ دليلُ
وتشاكين والشكاة بكاءٌ وتنادين والنداء عويلُ
لا يغبّ الحدي العنيف ولا يفتر عن رنَّة العديل العديلُ
يا غريب الديار صبري غريبٌ وقتيل الأعداء نومي قتيلُ
بي نزاعٌ يطغى إليك وشوقٌ وغرامٌ وزفرةٌ وعويلُ
ليت انّي ضجيع قبرك أو أن ثراه بمدمعي مطلولُ
لا أغبَّ الطفوف في كلّ يومٍ من طراق الأنواء غيثٌ هطولُ
مطرٌ ناعمٌ وريحٌ شمالٌ ونسيمٌ غضٌّ وظلٌّ ظليلُ
يا بني أحمد إلى كم سناني غائبٌ عن طعانه ممطولُ
وجيادي مربوطةٌ والمطايا؟! ومقامي يروع عنه الدخيلُ؟!

كم إلى كم تعلو الطغاة؟! | وكم يحكم في كلٍّ فاضل مفضولُ؟
قد أذاع الغليل قلبي ولكن | غير بدعٍ إن استطبَّ العليلُ
ليت إنّي أبقى فأمترق النّاس | وفي الكفِّ صارمٌ مسلولُ
وأجرُّ القنا لثارات يوم الطفِّ | يستلحق الرَّعيل الرَّعيلُ
صبغ القلب حبّكم صبغة الشيب | وشيبي لولا الرَّدى لا يحولُ
أنا مولاكمُ وإن كنت منكم | والدي « حيدر »وامي « البتولُ »
وإذا الناس أدركوا غاية الفخر | شأهم مَن قال جدّي الرَّسولُ
يفرح الناس بي لأنّي فضل | والأنام الذي أراه فضولُ
فهمُ بين مُنشدٍ ما أُقفّيه سرو | رآ وسامع ما أقولُ
ليت شعري مَن لائمي في مقا | لٍ ترتضيه خواطرٌ وعقولُ؟!
أترك الشيء عاذري فيه كل الناس | من أجل أن لحاني عذولُ
هو سؤلي إن أسعد الله جَدّى | ومعالي الامور للذمر سولُ[1]

---

(١) الذمر: الشجاع ج أذمار، والذمارة الشجاعة



٣٧ ـ أبو محمد الصوري

المولود سنة ٣٣٩
المتوفّى سنة ٤١٩

ولائك خير ما تحت الضميرِ ... وأنفس ما تمكّن في الصدورِ
وها أنا بتُّ أحسس منه ناراً ... أمتُّ بحرِّها نار السعيرِ
أبا حسن تبيَّن غدر قوم ... لعهد الله من عهد « الغديرِ »
وقد قام النبيُّ بهم خطيباً ... فدلَّ المؤمنين على الأميرِ
أشار إليه فيه بكلِّ معنى ... بنوه على مخالفة المشيرِ
فكم من حاضر فيهم بقلبٍ ... يخالفه على ذاك الحضورِ
طوى يوم « الغدير » لهم حقوداً ... أنال بنشرها يوم « الغدير »
فيا لك منه يوما جرَّ قوماً ... إلى يوم عبوسٍ قمطريرِ
لأمرٍ سوَّلته لهم نفوس ... وغرَّتهم به دار الغرورِ
ولست من الكثير فيطمئنّوا ... بأنَّ الله يعفو عن كثيرِ

وله في أهل البيت عليهم السَّلام:

عيونٌ منعن الرقاد العيونا ... جعلن لكلِّ فُؤاد فُنونا
فكُنَّ المنى لجميع الورى ... وكنَّ لمن رامهنَّ المنونا
وقلبٌ تُقلِّبه الحادثات ... على ما تشاء شمالاً يمينا
يصون هواه عن العالمين ... ومدمعه يستذلُّ المصونا
فمالي وكتمان داء الهوى؟! ... وقد كان ما خفته أن يكونا
وكان ابتداء الهوى بي مجو ... ناً فلمّا تمكّن أمسى جُنونا

وكنت أظنُّ الهوى هيِّناً ... فلاقيت منه عذاباً مهينا
فلو كنت شاهد يوم الوداع ... رأيت جفوناً تناجي جفونا
فهل ترك البين مَن أرتجيه ... من الأوَّلين والآخرينا؟!
سوى حبّ آل نبيٍّ الهدى ... فحبّهمُ أمل الآملينا
همُ عُدَّتي لوفاتي همُ ... نجاتي هم الفوز للفائزينا
همُ مورد الحوض للواردين ... وهم عروة الله للواثقينا
همُ عون من طلب الصالحات ... فكن بمحبَّتهم مُستعينا
همُ حجَّة الله في أرضه ... وإن جحد الحجَّة الجاحدونا
هم الناطقون هم الصّادقون ... وأنتم بتكذيبهم كاذبونا
هم الوارثون علوم النبيِّ ... فما بالكم لهمُ وارثونا؟!
حقدتم عليهم حقوداً مضت ... وأنتم بأسيافهم مسلمونا
جحدتم موالاة مولاكمُ ... ويوم « الغدير » لها مؤمنونا
وأنتم بما قاله المصطفى ... وما نصَّ من فضله عارفونا
وقلتم: رضينا بما قلته ... وقالت نفوسكمُ: ما رضينا
فأيّكمُ كان أولى بها؟! ... وأثبت أمراً من الطيّبينا؟!
وأيّكمُ كان بعد النبيِّ وصيّاً؟! ... ومَن كان فيكم أميناً؟!
وأيّكمُ نام في فرشه ... وأنتم لمهجته طالبونا؟!
ومَن شارك الطهر في طائر ... وأنتم بذاك له شاهدونا؟!
لحا الله قوماً رأوا رشدكم ... مبيناً فضلّوا ضلالاً مبينا

وله في أهل البيت عليهم السلام:

ما طوّل الليل القصيرا ... ونهى الكواكب أن تغورا
إلّا وفي يده عزيمـا ... ت يحلّ بها الامورا
ذو مقلة لا تستقلّ ... ضنى وإن أضنت كثيرا
ليست تفتّر عن دمي ... وترى بها أبداً فتورا
وترى بها ضعفاً يُـ ... ـريك المستجار المستجيرا

فيما يُنازعني عذولاً ... أو يُسامحني عذيرا
أترى بوادر فتنتي ... فيما ترى إلّا بدورا؟!
لو شاء لاختصر الغرام ... بها من اختصر الحصورا
ولقد لبست ثياب انفسـ ... ـك مالكاً أو مُستعيرا
وتمثَّل الشيطان لي ... ليغرَّني رشؤاً غريرا
فخلعتها ولبست ثوب ... الفتك سحّاباً جرورا
ما شئت فاقلع عنه ... واستغفر تجد ربّاً غفورا
مالم يكن من معشر ... غدروا وقد شهدوا الغديرا
وتوامروا ما بينهم ... أن ينصبوا فيها أميرا
من كلِّ صدرٍ موغرٍ ... ملأت ضغائنه الصدورا
مترشّح للملك قد ... نصبت سريرته السريرا
وتوارثوها ليس تخر ... ج عنهمُ شبراً قصيرا
هذا إلى أن قام قائم آ ... ل أحمد مُستشيرا
وتسلّم الإسلام أقتم ... مظلماً فكساه نورا

[القصيدة]

وله في أهل البيت عليهم السَّلام:

نكرت معرفتي لَمّا حكمْ ... حاكم الحبِّ عليها لي بدمْ
فبدت من ناظريها نظرةٌ ... أدخلتها في دمي تحت التّهمْ
وتمكّنت فأضنيت ضنىً ... كان بي منها واسقمت سقمْ
وصبت بعد اجتناب صفوةٍ ... بدِّلت من قولها: لا. بنعمْ
وفقدت الوجد فيها والأسى ... فتألّمت لفقدان الألمْ
ما لعيني وفؤادي كلّما ... كتمت باحَ؟! وإن باحت كتمْ؟!
طال بي خُلفهما فاتّفقت ... لي همومٌ في الرزايا وهممْ
ورزايا المصطفى في أهله ... فاتحاتٌ للرَّزايا وختمْ
يا بني الزَّهراء ماذا إكتست ... فيكم الأيّام من عتب وذمْ؟!

يا طوافاً طاف طوفان به ... وحطيما بقنا الخطّ حطمْ
أيّ عهدٍ يُرتجى الحفظ له ... بعد عهد الله فيكم والذممْ؟!
لا تسلّيت وأنوارٌ لكم ... غشيتها من بني حرب ظُلمْ
ركبوا بحر ضلال سلموا ... فيه والإسلام فيهم ما سلمْ
ثمَّ صارت سنَّةً جاريةً ... كلُّ من أمكنه الظلم ظلمْ
وعجيبٌ انَّ حقّاً بكمُ ... قام في الناس وفيكم لم يقمْ
والولا فهو لمن كان على ... قول عبد المحسن الصوري قسمْ
وأبيكم والذي وصّى به ... لأبيكم جدُّكم في يوم خُمْ
لقد احتجَّ على أُمّتِّه ... بالذي ينالكمُ باقي الأُممْ

(الشاعر)

أبو محمّد عبد المحسن بن محمّد بن أحمد بن غالب[1] بن غلبون الصوري من حسنات القرن الرّابع ونوابغ رجالاته، وقد مدَّ له البقاء إلى اوليات القرن الخامس، جمع شعره بين جزالة اللفظ وفخامة المعنى، كما انّه لا تعدوه رقّة الغزل وشدَّة الجَدل، فهو عند الحجاج يُدلي بحجّته القويمة، وعند الوصف لا يأتي إلاّ بصورةٍ كريمة، وديوان شعره المحتوي على خمسة آلاف بيت تقريباً الحافل بالرّقائق والحقائق يتكفّل البرهنة على هذه الدّعاوي، وهو نصٌّ في تشيّعه كما عدَّه إبن شهراشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين، وما ذكرناه من شعره يُمثِّل روحه المذهبيَّة، ونزعته الطائفيَّة الحميدة، وتعصّبه لآل البيت النبويّ، واعترافه بحقهم الثابت، ونبذه ما وراء ذلك نبذا لا مرتجع إليه، وفي ديوانه غير ما ذكرناه شواهد وتلويحات لطيفة نحو قوله في صبيٍّ اسمه عمر:

نادمني من وجهه روضة ... مشرقة يمرح فيه النظرْ
فانظر معي تنظر إلى معجز ... سيف عليٍّ بين جفني عمرْ

وقد ترجمه إبن أبي شبانة في تكملة أمل الأمل وهو لا يترجم إلاّ المتمسِّك بحجزة أهل البيت الطاهر، وترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » ج ١

---

(١) في تتميم يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥: طالب. وهو تصحيف.

ص ٢٥٧ وذكر من شعره ٢٢٥ بيتاً، وأثنى عليه وانتخب من ديوانه أبياتاً في « تتميم يتيمته » ج ١ ص ٣٥ وعقد إبن خلكان له ترجمةً ضافيةً أطراه ووصف شعره في ج ١ ص ٣٣٤، وقال: توفّي يوم الأحد تاسع شوال سنة تسع عشرة وأربعمائة وعمره ثمانون أو أكثر، وذكره إبن كثير في تاريخه ج١٢ص ٢٥ ، ومن شعره في أهل البيت صلوات الله عليهم:

تـوقَّ إذا ما حـرمة العـدل جلَّتِ ... ملامي لتقضي صبوتي مـا تمنَّتِ

أغـرّك إن لم تستفـزّك لـوعـة ... بقلبي ولا استبكـاك بينٌ بمقلتي

لك الخير هذا حين شئت تلومني ... لجاجـاً فـإلّا لمت أيّام شـرَّتي

غداة أُجيب العيس إذ هي حنَّت ... وأحـدو إذا ورق الحمـايم غنَّتِ

وأنـتهـب الأيّـام حتّـى كـأنّني ... ادافـع من بعـد الحلول منيَّتي

واستصغر البلوى لمن عرف الهوى ... واستكثـر الشكوى وإن هي قلَّتِ

اطيـل وقوفي في الـطلول كأنّني ... احـاول منهـا أن تَـردَّ تـحيَّتي

ليالي ألقى كلّ مهضـومة الحشى ... إذا عـدلت فيمـا جنـاه تجنَّتِ

أصدُّ فيدعوني إلى الوصل طرفها ... وإن أنا سارعت الإجابة صـدَّتِ

وإن قلت سقمي وكلت سقم طرفها ... بإبطال قولي أو بإدحاض حجَّتي

وإن سمعتْ وانـار قلبي شنـاعـة ... عليهـا أجـابتني بـوانـار وجنتي

وأصرف همّي عن هواهـا بهمّتي ... عـزوفـاً فتثنيني إذا مـا تـثنَّتِ

وأنشد بين البين والهجر مهجتي ... ولم أدر في أيّ السبيليـن ضلّتِ

ومـا أحسب الأيّـام أيّام هجـرهـا ... تـطاولـني إلّا لـتقـصـر مـدَّتي

دعوا الأُمَّة اللاّتي استحلّت تكن ... مع الأُمَّة الـلاّتي بغت فاستحلّتِ

فما يقتدى إلّا بها في اغتصابهـا ... ولا أقـتـدي إلّا بصبـر أئمَّـتي

أليس بنـو الـزَّهـراء أدهى رزيَّـةً ... عليكـم إذا فكّـرتـمُ في رزيَّتي

حمـاني إذا لانت قناتي وعـدَّتي ... إذا لمن تكن لي عدَّة عند شدَّتي

أقـامت لحـرب الله حـزب أئمَّـة ... إذا هي ضلّت عن سبيـل أضلّتِ

قلوبٌ على الـدين العتيق تألّفت ... لهم ومن الحقِّ القـديم استملّتِ

بمـاذا تـرى تحتـجُّ يـا آل أحمـد ... على أحمد فيكم إذا ما استعدَّتِ؟!

وأشهر ما يروونه عنه قوله: تركت كتاب الله فيكم وعترتي
ولكنَّ دنياهم سعت فسعوا لها فتلك التي فلّت ضميراً عن التي

وله في أهل البيت سلام الله عليهم:

أصبحوا يفرقون من افراقي فاستغاثوا في نكستي بالفراق
ما صبرتم لقد بخلتم على المدنف حقّاً حتّى بطول السياق
راحة ما اعتمدتموها بقتلي ربَّ خير أتى بغير اتفاق
سوف أمضي وتلحقون ولا علم لكم ما يكون بعد اللّحاق
حيث لا يجمع القضيَّة من يجمع بين الخصمين ماضٍ وباق
ما لهم لا خلقت فيهم فما أغفل قومي عن الدم المهراق؟!
ربَّ ظهر قلّبته مثل ما يُقلب ظهر المجنّ للإرشاق
بعدما قادني فلم أدر حتّى صرت ما بين ملتقى الأحداق
وأراني أسير عينيك منهنَّ فماذا تراه في إطلاقي؟!
مسَّةٌ من هواك بي لا من الجنِّ فهل من مُغرم أو راق؟!
غير أن يبرد احتراقي بوصلٍ أو بوعدٍ أو أن يبلَّ اشتياقي
أو يعيد الكرى عليَّ كما كان لا موحشي من خيالك الطرّاق
ما لنومي كأنّه كان في أوّل دمعي جرى من الاماق؟!
غير مسترجع فيرجى وهل يرجع للعين أدمع في سباق؟!
بأبي شادن توثّقت بالإيمان منه من قبل شدّ وثاقي
فهو إلّا يكن لحرب فحربٌ علّمته خيانة الميثاق
نفرٌ من اميّة نفر الإسلام من بينهم نفور إباق
أنفقوا في النِّفاق ما غصبوه فاستقام النّفاق بالإنفاق
وهي دار الغرور قصّر باللوم فيها تطاول العشّاق
وأراها لا تستقيم لذي الزهد إذ المال مال بالأعناق
فلهذا أبناء أحمد أبناء عليٍّ طرائد الافاق
فقراء الحجاز بعد الغنى الأكبر أسرى الشام قتلى العراق
جانبتهم جوانب الأرض حتّى خلت أنَّ السماء ذات انطباق

إن أُقصّر يا آل أحمد أو أغر ... ق كان التقصير كالإغراقِ
لستُ في وصفكم بهذا وهذا ... لاحقاً غير أن تروا إلحاقي
إنَّ أهل السماء فيكم وأهل الأ ... رض ما دامتا لأهل افتراقِ
عرفت فضلكم ملائكة الله ... فدانت وقومكم في شقاقِ
يستحقّون حقّكم زعموا ذلك ... ـ سحقاً ـ لهم من استحقاقِ
وأرى بعضهم يبايع بعضاً ... بانتظام من ظلمكم واتّساقِ
واستثاروا السيوف فيكم فقمنا ... نستثير الأقلام في الأوراقِ
أيّ عين؟ لولا القيامة والمر ... جوّ فيها من قدرة الخلّاقِ
فكأنّي بهم يودّون لو أنَّ الخـ ... ـوالي من الليالي البواقي
ليتوبوا إذا يُذادون عن أكر ... م حوض عليه أكرم ساقِ
وإذا ما التقوا تقاسمت النار ... عليّاً بالعدل يوم التّلاقِ
قيل: هذا بما كفرتم فذوقوا ... ما كسبتم يا بؤس ذاك المذاقِ

وقال في يوم عاشورا يمدح الإمام الحاكم بأمر الله:

خلا طرفه بالسقم دوني يلازمه ... إلى أن رمى سهماً فصرت أُساهمه
فأصبح بي ما لست أدري أمثله ... بجفنيه؟! أم لا يعدل السقم قاسمه
لئن كان أخفى الصدر صدا من الجوى ... ففي العين عنواناته وتراجمه
ولم تخفه انَّ الهوى خفَّ حمله ... ولكن لأنَّ النوم ليس يلائمه
ويا رُبَّ ليل قصّر الذكر طوله ... فما طلعت حتّى تجلّت غمائمه
وما نمت فيه غير أن لو سألتني ... عن الشغل عنه قلت ما قال نائمه
ولكنّه ألقى على الصبح لونه ... فوالاه يوم شاحب الوجه ساهمه
كما جاء يوم في المحرَّم واحدٌ ... خبا نوره لَمّا استحلّت محارمه
طغت عبد شمس فاستقلّ محلّقاً ... إلى الشمس من طغيانها مُتراكمه
فمن مبلغٌ عنّي اميّة انّني ... هتفت بما قد كنت عنها أُكاتمه؟!
مضت أعصرٌ معوجّةٌ باعوجاجكم ... فلا تنكروا إن قوَّم الدّهر قائمه
وجدّد عهد المصطفى بعض أهله ... وحكّم في الدين الحنيفيِّ حاكمه
فيا أيّها الباكون مصرع جدّه ... دعوا جدّه تبكي عليه صوارمه

ألا أيّها الثكلى التي من دموعها إذا هي حيَّت من قتيل جماجمه
لقد خسر الدارين من صدَّ وجهه فلا أنت مُبقيه ولا الله راحمه
حريصاً على نار الجحيم كأنَّه يخاف على أبوابها من يُزاحمه
إلى من تراه فوَّض الأمر غيركم إذا أنتمُ أركانه ودعائمه
فيا لك منها دولة علويَّة تبدَّت بسعد حاكم الدَّهر خاتمه

وله قوله:

بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا والذي ألبس خدَّيك من الورد نقابا
والدي أودع فيك من الشهد شرابا والذي صيَّر حظّي منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عيناك لقلبي فأ- فأصابا والذي قالته للدمع فواراها انصبابا؟
يا غزالاً صاد باللحظ لقلبي فأصبابا عمرك الله بصبٍّ لا يُرى إلّا مصابا

هذه الأبيات توجد في ديوان المترجَم فنسبتها إلى « الصنوبري » كما في كشكول البهائي ج ١ ص ٢٣ في غير محلّه، وأخذ البهائي منها قوله:

يا بدر دجاً فراقه القلب أذابْ مذ ودَّعني فغاب صبري إذ غابْ
بالله عليك أيّ شيء قالت عيناك لقلبي المعنّا فأجابْ؟!

وللمترجم الصوري:

سفرنَ بدوراً وانتقبنَ أهلّة ومسن غصوناً والتفتن جوادرا
وأبدين أطراف الشعور تستّراً فأغدرت الدنيا علينا غدائرا
وربّما أطلعن والليل مقبلٌ شموس وجوهٍ توقف الليل حائرا
فهنَّ إذا ما شئن أمسين أو إذا تعرَّضن أن يسبحن كنَّ قوادرا

وقال يرثي شيخ الاُمة إبن المعلّم أبا عبد الله محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد المتوفّى ٤١٣:

تبارك مَن عمَّ الأنام بفضله وبالموت بين الخلق ساوى بعدله
مضى مستقلّاً بالعلوم محمد وهيهات يأتينا الزَّمان بمثله

جاء في « بدائع البداية »[1] باسناده عن بكّار بن علي الرياحي انَّه قال:

---

(١) وذكره ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٢٨١.

لَمّا وصل عبد المحسن الصوري إلى دمشق جاءني المجدي الشاعر فعرَّفني به وقال: هل لك أن نمضي إليه ونسلّم عليه؟ فأجبت وقمت معه حتّى أتينا إلى منزله وكان ينزل دائماً إذا قدم في سوق القمح وكان بين يديه دكّان قطّان وفيها رجلٌ أعمى فوقفت به عجوزٌ كبيرةٌ فكلّمها بشيءٍ وهي منصتة له فقال المجدي في الحال: مُنصتةٌ تسمع ما يقولُ.

فقال عبد المحسن في الحال: كالخلد[1] لمّا قابلته الغولُ.

فقال له المجدي: أحسنت والله يا أبا محمَّد أتيت بتشبيهين في نصف بيت أُعيذك بالله اهـ.

ومن لطيف قول الصّوري ما قاله وقد استعير منه كتابٌ وحبس عليه كما يوجد في ديوانه:

ماذا جناه كتابي فاستحقَّ به ... سجناً طويلاً وتغييباً عن الناسِ
فاطلقه نسأله عمّا كان حلَّ به ... في طول سجنك من ضرٍّ ومن باسِ

كتب الشاعر المفلق أحمد بي سلمان الفجري إلى عبد المحسن الصّوري:

أعبد المحسن الصوريَّ لِم قد ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرِ؟!
فإن قلتَ: العبالة[2] أقعدتني ... على مضض وعافت عن مسيري
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركن من ثبيرِ
وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقل ظهر البعيرِ
إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجود النظيرِ
تحرَّك علَّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدورِ
فما كلُّ البريَّة مَن تراهُ ... ولا كلُّ البلادِ بلاد صور

فأجابه عبد المحسن:

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكن جاء في الزّمن الأخيرِ

(١) في تاريخ ابن عساكر: كالحلد. وهو كما ترى.
(٢) العبالة: الضخامة.

وقد حدّتْ لي السبعون حدّاً نهى عمّا أمرتَ من المسيرِ
ومذ صارت نفوس الناس حولي قصاراً عذتُ بالأمل القصيرِ[١]

وقال في صبيٍّ اسمه مقاتل وله فيه شعرٌ كثيرٌ:

تعلّمت وجنته رقيةً لعقرب الصّدع فما تلسعُ
صمّتْ عن العاذل في حبّه اذني فمالي مسمعٌ يسمعُ
ودّعته والدّمع في مقلتي في عبرتي مستعجلٌ مسرعُ
فظنَّ إذ أبصرتها أنّها سائر أعضائي بها تدمعُ
وقال: هذا قبل يوم النّوى فما ترى بعد النّوى تصنعُ؟!
في غير وقت الدمع ضيّعته قلت: فقلبي عندكم أضيعُ

وقال في مقاتل ايضاً:

احفظ فؤادي فأنت تملكهُ واستر ضميري فأنت تهتكهُ
هجرك سهلٌ عليك أصعبه وهو شديدٌ عليَّ مسلكهُ
بسيف عينيك يا مقاتل كم قتلت قبليَ ممن كنت تملكهُ؟!
أمّا عزائي فلست أمله فيك وصبري ما لستُ أدركهُ

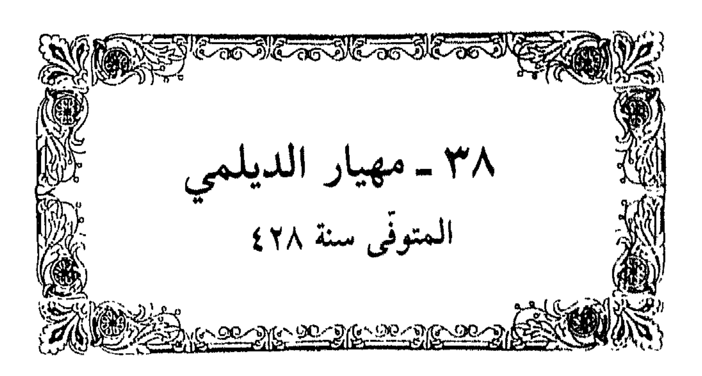
وقال فيه وهو معذر:

وقف الليل والنهار وقد كا ن إذا ما أتى النهار يقرُّ
لا يرى رجعه فيكسب عاراً لا ولا ثمَّ قوّة فيفرُّ
أين سلطان مقلتيك علينا؟! قل له ما يجوز في الحبّ سمرُ
أنت فرّقت نار خدّيك حتّى كلّ قلب صبّ لها فيه جمرُ
فبماذا يلقى عذاريك؟ قل لي سيما أن تدارك الشعر شعرُ
وعزيزٌ عليَّ انّك بالحرب وَ بالسّلم طول عمرك غرُّ

وخلف المترجم على أدبه الجمّ وقريضه البديع ولده عبد المنعم ذكره الثعالبي.

---

(١) راجع ديوانه، وذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦٩.



٣٨ ـ مهيار الديلمي

المتوفّى سنة ٤٢٨

هل بعد مفترق الأظعان مجتمعُ؟! ... أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتجعُ؟!

تحمّلوا تسع البيداء ركبهمُ ... ويحمل القلب فيهم فوق ما يسعُ

مغرِّبين همُ والشمس قد ألفوا ... ألا تغيب مغيباً حيثما طلعوا؟!

شاكين لِلبين أجفاناً وأفئدةً ... مفجَّعين به أمثال ما فجعوا

تخطو بهم فاتراتٌ في أزمَّتها ... أعناقها تحت إكراه النَّوى خُضعُ

تشتاق نعمان لا ترضى بروضته ... داراً ولو طاب مصطافٌ ومرتبعُ

فداء وافين تمشي الوافياتُ بهم ... دمعٌ دمٌ وَحَشاً في إثرهم قِطعُ

الليل بعدهمُ كالفجر متَّصلٌ ... ما شاء والنوم مثل الوصل منقطعُ

ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهم ... داعي النوى ثوّروا صمّوا كما سمعوا

أوليت ما أخذ التوديع من جسدي ... قضى عليَّ فللتعذيب ما يدعُ

وعاذل لجَّ أعصيه ويأمرني ... فيهم وأهرب منه وهو يتَّبعُ

يقول: نفسك فاحفظها فإنَّ لها ... حقّاً وإنَّ علاقات الهوى خدعُ

روِّح حشاك ببرد اليأس تسلُ به ... ما قيل في الحبِّ إلاّ أنَّه طمعُ

والدهر لونان والدنيا مقلّبة ... الآن يعلم قلبٌ كيف يرتدعُ

هذي قضايا رسول الله مهملةٌ ... غدراً وشمل رسول الله مُنصدعُ

والناس للعهد ما لاقوا وما قربوا ... وللخيانة ما غابوا وما شَسَعوا

وآلـه وهـمُ آل الإلـه وهـم | رُعاة ذا الدين ضيموا بعده ورُعوا
ميثـاقـه فيهـمُ ملقىً وامّتـه | مع مَن بغاهم وعـاداهم له شِيَع
تضاع بيعته يـوم « الغديـر » لهم | بعد الرِّضـا وتُحاط الـروم والبيَع
مقسَّمين بـأيمـان همُ جـذبـوا | بيـوعهـا وبـأسيـاف همُ طبعـوا
مـا بين ناشـر حبلٍ أمس أبـرمـه | تُعدُّ مسنونـةً من بعـده البـدَعُ
وبين مُقتنص بـالمكـر يخـدعـه | عن آجـل عـاجـلٌ حلوٌ فينخـدعُ
وقـائـل لي: عليٌّ كـان وارثـه | بالنصِّ منه فهل أعطوه؟! أم منعوا؟!
فقلت: كانت هناتٌ لستُ أذكرها | بجزي بها الله أقواماً بمـا صنعوا
أبلغ رجـالاً إذا سميتهم عُـرفـوا | لهم وجـوهٌ من الشحنـاء تُمتقـعُ
تـوافقـوا وقنـاةُ الـدين مـائلةٌ | فحين قامت تلاحوا فيه واقتـرعوا
أطـاع أوَّلهم في الغـدر ثـانيهم | وجـاء ثـالثهم يقـفـو ويتَّبـعُ
قفوا على نظر في الحقِّ ننـرضه | والعقل يفصلُ والمحجوجُ ينقطعُ
بـأيِّ حكمٍ بنـوه يتبعـونكـمُ | وفخركم أنَّكم صحبٌ له تَبَعُ؟!
وكيف ضاقت على الأهلين تربته | وللأجانب من جنبيه مضطجعُ؟!
وفيم صيَّـرتم الإجمـاع حجَّتكم | والناس ما اتَّفقو طوعاً ولا اجتمعوا
أمـرٌ « عليٌّ » بعيـدٌ من مشـورتـه | مستكـرَهٌ فيه و« العبّـاس » يَمتنـعُ
وتـدَّعيـه قـريشٌ بـالقـرابـة والأ | نصـار لا رُفـعٌ فيـه ولا وُضـعُ
فـأيّ خُلف كخلف كـان بينكمُ | لـولا تُلفَّق أخبـارٌ وتصـطنـعُ؟!
واسألهمُ يوم « خُمّ » بعدما عقدوا | له الولاية لِمْ خانوا ولمْ خلعوا؟!
قـولٌ صحيـحٌ ونيّـاتٌ بهـا نَغَـلٌ | لا ينفع السيفَ صَقلٌ تحته طبعُ[1]
إنكـارهم يـا أميـر المؤمنين لهـا | بعـد اعتـرافهمُ عـارٌ بـه ادَّرعـوا
ونكثهم بـك ميلاً عن وصيَّتهم | شـرعٌ لعمرك ثـان بعده شـرعـوا
تـركتَ أمراً ولـو طـالبتـه لـدرت | معـاطسٌ راغمتـه كيف تُجتـدعُ
صبرت تحفظ أمر الله ما اطَّرحوا | ذبّاً عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا

---

(١) النغل: الضغن وسوء النية. الطبع: الصدأ.

ليشـرقنَّ بحلو اليـوم مُـرّ غـدٍ إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا
جاهدت فيك بقولي يوم تختصم الأ بطال إذ فات سيفي يوم تمتصع[١]
إنَّ اللسـان لـوصّـالٌ إلى طُـرقٍ في القلب لا تهتديها الذُبَّل الشرعُ
آبـاي في فـارسَ والـدين دينكمُ حقّـاً لقد طـاب لي اسٌّ ومرتبـعُ
مازلت مذ يفعتْ سنّي ألـوذ بكم ـ حتّى محا حقّكم شكّي ـ وأنتجعُ
وقد مضتْ فُرُطات إن كفلتُ بكم فرَّقت عن صُحفي البأس الذي جمعوا
« سلمان » فيها شفيعي وهو منك إذا الآ باء عِنـدك في أبنـائهم شفعـوا
فكن بها منقذاً من هـول مُطّلعي غـداً وأنت من الأعـراف مـطّلعُ
سوَّلتُ نفسي غروراً إن ضمنتُ لها أنّي بـذخرٍ سـوى حبّـك أنتفـعُ

(ما يتبع الشعر)

قال الاستاذ أحمد نسيم المصري في التعليق على قول مهيار:

تضاع بيعته يـوم « الغديـر » لهم بعد الرِّضـا وتحاط الـروم والبيع

: الغدير: هو غدير خمّ بين مكّة والمدينة، قيل: إنَّ النبيَّ ﷺ خطب الناس عنده فقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه.[٢]

قال الأميني: ليت شعري هل خفي على الاستاذ تـواتر ذلـك الحديث المرويّ عن مائة صحابيّ أو أكثر؟! ام حبذته نزعاته الطائفيَّة أن يسـدل عليه أغشية الزور والدجل؟! ويموِّهه على القارىء، ويستر الحقيقـة الراهنـة بذيـل أمانته؟! ويوعز إلى ضعفه بكلمة: قيل؟! قل هو نبأٌ عظيمٌ أنتم عنه مُعرضون، والَّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وله في ديوانه في ج ٣ ص ١٥ يرثي بها أهل البيت عليهم السَّلام، ويذكر البركة بولائهم فيما صار إليه:

في الـظباء الغـادين أمسِ غـزالُ قـال عنـه مـا لايقـول الخيـالُ

---

(١) تمتصع: تقاتل بالسيف.
(٢) ديوان مهيار ج ٢ ص ١٨٢.

طـارقٌ يـزعم الفـراقَ عتـابـا ... ويـريـنـا أنَّ الـمـلال دلالُ
لم يـزل يخدع البصيـرة حتّى ... سـرّنـا مـا يقـول وهـو محـالُ
لا عـدمتُ الأعـلام كم نـوّلتني ... من منيـع صعب عليـه النّـوالُ
لم تنغّص وعدا بمطلٍ، ولم يو ... جب لـه منّـةً عليّ الـوصـالُ
فلليلي الطويل شكري، ودين ال ... عشق أن تُكره الليالي الـطوالُ
لمن الظعن غـاصبتنا جَمـالا؟! ... حبّـذا مـا مشت بـه الأجمـالُ!
كـاتفـات بيضـاءَ دلَّ عليهـا ... أنّهـا الشمس أنّهـا لا تُنـالُ
جمحَ الشوق بـالخليع فأهلاً ... بـحليـم لـه السـلوّ عِقـالُ
كنتُ منـه أيّـام مـرتـعُ لـذّا ... تي خصيبٌ ومـاءُ عيشي زلالُ
حيث ضِلعي مع الشباب وسمعي ... غـرضٌ لا تـصيبـه العُـذّالُ
يـا نـديميّ كنتمـا فـافترقنـا ... فـاسلواني؛ لـكـلّ شيءٍ زوالُ
لي في الشيب صارفٌ ومن الحز ... ن عـلى آل أحـمـدٍ إشـغـالُ
معشر الرُّشد والهدى حَكم البغـ ... ـيُ عليهم سفـاهـة والـضّـلالُ
ودعـاة الله استجـابـت رجـالٌ ... لهمُ ثمّ بُـدّلـوا فـاستحـالـوا
حملوهـا يـوم «السّقيفـة» أوزا ... راً تخفُّ الجبـال وهي ثقـالُ
ثمّ جـاءوا من بعـدهـا يستقيلو ... نَ وهيـهـات عـثـرةٌ لا تُـقـالُ
يـا لهـا سـوءة إذا أحمـد قـا ... م غـدا بينهم فقـال وقـالـوا!
ربـعُ همّي عليهمُ طللٌ بـا ... قٍ وتبلى الـهـمـومُ والأطـلالُ
يـا لـقـوم إذ يـقـتلون عـليّـاً ... وهـو للمحـل[1] فيهمُ قتّـالُ
ويُسـرّون بغضـه وهـو لا تقـ ... ـبلُ إلّا بـحـبّـه الأعـمـالُ
وتحـال الأخبـار والله يـدري ... كيف كانت يوم «الغدير» الحالُ[2]
ولسبطين تـابعيـه فمسمـو ... مٌ عليـه ثـرى البقيـع يُهـالُ
درسـوا قبـره ليخفى عن الـزوّ ... ار هيهات! كيف يخفى الهلالُ؟!

---

(١) المحل: الخادع.

(٢) كذا في ديوانه المخطوط وفي المطبوع: تحال.

وشهيدٍ بالطفِّ أبكَى السّماوا ت وكادت له تزول الجبالُ
يا غليلي له وقد حُرِّم الما ء عليه وهو الشّراب الحلالُ
قُطعت وصلةُ النبيِّ بأن تقـ ـطع من آل بيته الأوصالُ
لم تنجِّ الكهول سنٌّ ولا الشّبـ ـان زهدٌ ولا نجا الأطفالُ
لهفَ نفسي يا آل طه عليكم لهفةً كسبها جوىً وخبالُ
وقليلٌ لكم ضلوعِيَ تهتـ ـزُّ مع الوجد أو دموعي تُذالُ
كان هذا كذا وودّي لكم حسـ ـب ومالي في الدين بعدُ اتِّصالُ
وطروسي سودٌ فكيف بيَ الآ نَ ومنكم بياضها والصِّقالُ
حبّكم كان فكّ أسري من الشِّر ك وفي منكبي له أغلالُ
كم تزمَّلتُ بالمذلَّة حتى قمتُ في ثوب عزِّكم أختالُ
بركاتٌ لكم محت من فؤادي ما أملَّ الضَّلال عَمٌّ وخالُ
ولقد كنتُ عالماً أنَّ إقبا لي بمدحي عليكُمُ إقبالُ

وله من قصيدة يرثي بها أهل البيت عليهم السَّلام وهي ٦٣ بيتاً توجد في ديوانه ج ٤ ص ١٩٨ مطلعها:

لو كنتُ دانيتُ المودَّة قاصياً ردَّ الحبائبُ يوم بِنّ فؤاديا

إلى أن قال:

وبحيِّ آل محمَّد إطراؤه مدحاً وميِّتهم رضاه مراثيا
هذا لهم والقوم لا قومي همُ جنساً وعقر ديارهم لا داريا
إلاّ المحبّة فالكريم بطبعه يجد الكرامَ الأبعدين أدانيا
يا طالبِّين اشتفى من دائه الـ ـمجد الذي عدم الدواء الشافيا
بالضاربين قبابَهم عَرض الفلا عقل الركائب ذاهباً أو جائيا
شرعوا المحجَّة للرشاد وأرخصوا ما كان من ثمنِ البصائر غاليا
وأما وسيِّدهم عليٍّ قولةٌ تشجي العدوَّ وتُبهج المتواليا
لقد ابتنى شرفاً لهم لورامه زُحلٌ بباعٍ كان عنه عاليا
وأفادهم رقّ الأنام بوقفةٍ في الرَّوع بات بها عليهم واليا

ما استدرك الانكار منهم ساخطٌ ... إلّا وكان بها هنالك راضيا
أضحوا أصادقه. فلمّا سادهم ... حسدوا فأمسوا نادمين أعاديا
فارحم عدوّك ما أفادك ظاهراً ... نصحاً وعالجَ فيك خلاًّ خافياً
وهبِ « الغدير » أبوا عليه قوله ... بغياًفقل:عدّوا سواه مساعيا [١]
بدراً وأحداً اختها من بعدها ... وحنين وقّاراً بهنَّ فصاليا[٢]
والصخرة الصمّاء أخفى تحتها ... ماءاً وغير يديه لم يك ساقيا
وتدبّروا خبرَ اليهود بخيبرٍ ... وارضوا بمرحب وهو خصم قاضيا
هل كان ذاك الحصن يرهب هادماً؟! ... أو كان ذاك الباب يفرق داحيا؟!
وتفكّروا في أمر عمرٍو[٣] أوّلاً ... وتفكّروا في أمر عمرو[٤] ثانيا
أسدان كانا من فرائس سيفه ... ولقلّما هابا سواه مدانيا
ورجال ضبّة عاقدي حُجُزاتهم ... يوم البُصيرة من مَعين[٥] تفانيا
ضغموا[٦]بناب واحدٍ ولطالما از ... دردوا أراقم قبلها وأفاعيا
ولخطبُ صفّين أجلّ وعندك الـ ... ـخبر اليقين إذا سألت مُعاويا

(ما يتبع الشعر)

قال الاستاذ أحمد نسيم المصري في شرح قوله:

وهب الغدير أبوا عليه قبوله ... نهياً فقل: عُدّوا سواه مساعيا

: النهي: الغدير أو شبهه. وللامام عليٍّ وقعةٌ تُسمّى بوقعة « غدير خمّ » والشاعر يُشير إليها. قال الأميني: ليت الاستاذ بعد شرحه [النهي] وجعله بدلاً

---

(١) كذا في ديوانه المخطوط وفي المطبوع منه: نهيا.

(٢) وقاراً: شاداً بلجام الدابة لتسكن. يشير إلى أن أمير المؤمنين كان اخذاً بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه واله خوفاً من اجفالها.

(٣) يعني عمرو بن ود الذي قتله أمير المؤمنين يوم الخندق.

(٤) يعني عمرو بن العاص المترجم في كتابنا ج ٢ ص ١٤٢ - ٢٠٧.

(٥) معين اسم مدينة باليمن أو هو حصن بها.

(٦) ضغم الشيء: عضه بملأ فمه. يقال: ضغمه ضغمة الأسد.

عن [البغي] الموجود في مخطوط ديوانه يُعرب عن معناه الحالي أو المفعولي، ويَعرف أنَّ مثله لا يصلح من مثل مهيار المتضلّع الفحل، وكأنَّه يرى رأي شاكلته إبراهيم ملحم أسود في قوله: يوم الغدير واقعة حرب معروفة[1] فليته دلَّنا على تلك الوقعة المسمّاة بوقعة « الغدير » وذكر شطراً من تاريخها، يُريدون أن يبدِّلوا كلام الله، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردَّدون.

(الشاعر)

أبو الحسن[2] مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادي نزيل درب رياح بالكرخ هو أرفع راية للأدب العربيِّ منشورة بين المشرق والمغرب، وأنفس كنز من كنوز الفضيلة، وفي الرَّعيل الأوَّل من ناشري لغة الضّاد، وموطِّدي اسسها، ورافعي علاليها، ويده الواجبة على اللغة الكريمة ومن يمتّ بها وينتمي إليها لا تزال مذكورةً مشكورةً يشكرها الشعر والأدب، تشكرها الفضيلة والحسب، تشكرها العروبة والعرب، وأكبر برهنةٍ على هذه كلّها ديوانه الضخم الفخم في أجزائه الأربعة الطافح بأفانين الشعر وفنونه وضروب التصوير وأنواعه، فهو يكاد في قريضه يلمسك حقيقة راهنة مما يُنضِّده، ويذر المعنى المنظوم كأنَّه تجاه حاسَّتك الباصرة، ولا يأتي إلاّ بكلِّ اسلوب رصينٍ، أو رأيٍ صحيفٍ، أو وصفٍ بديعٍ، أو قصدٍ مبتكرٍ فكان مقدَّماً على أهل عصره مع كثرة فحولة الأدب فيه، وكان يحضر جامع المنصور في أيّام الجمعات ويقرأ على الناس ديوان شعره[3] ولم أرَ الباخرزي قد بالغ في الثناء عليه بقوله في « دمية القصر » ص ٧٦: هو شاعرٌ له في مناسك الفضل مشاعر، وكاتبٌ تحت كلِّ كلمة من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت يتحكّم عليه بلوّ وليت، وهي مصبوبةٌ في قوالب، وبمثلها يعتذر الدهر المذنب عن الذنوب.

---

(١) قد أسلفنا الكلام فيه في الجزء الثاني ص ٣٨٧.

(٢) وفي بعض المصادر القديمة: أبو الحسين.

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٧٦.

أمّا شعره في المذهب فبرهنةٌ وحِجاجٌ فلا تجد فيه إلّا حجّةً دامغةً، أو ثناءً صادقاً، أو تظلّماً مفجعاً، ولعلّ هذه هي التي حدت أصحاب الإحن إلى إخفاء فضله الظاهر والتنويه بحياته الثمينة كما يحقّ له، فبخست حقّه المعاجم، فلم تأت عند ذكره إلّا بطفائف هي دون بعض ما يجب له، غير أنّ حقيقة فضله أبرزت نفسها، ونشرت ذكره مع مهبّ الصَّبا، فأين ما حللت لا تجد للمهيار إلّا ذكراً وشكراً وتعظيماً وتبجيلاً، وعلى ضوء أدبه وكماله يسير السائرون.

ولعمر الحقّ انّ من المعاجز أنّ فارسياً في العنصر يحاول قرض الشعر العربيّ فيفوق أقرانه ولا يتأتّى لهم قرانه، ويقتدى به عند الورد والصّدر ولا بدع أن يكون من تخرّج على أئمّة العربيّة من بيت النبوّة وعاصرهم واثر ولائهم واقتصّ أثرهم كالعَلمين الشريفين: المرتضى والرضي وشيخهما شيخ الامّة جمعاء [المفيد] ونظرائهم أن يكون هكذا، ألا تاهت الظنون، وأكدت المخائل في الحطّ من كرامة الرَّجل بتقصير ترجمته، أو التقصير في الإبانة عنه، أو التحامل عليه بمخرقة، والوقيعة فيه برميه بما يدنّس ذيل أمانته كما فعل إبن الجوزي في « المنتظم » فجدع أرنبته باختلاق قضيّة مكذوبة عليه، ورماه بالغلوّ، وحاشاه عن كلّ ذلك، إن يقولون إلّا كذبا.

فهذا مهيار بأدبه الباذخ، وفضله الشامخ، وعرفه الفائح، ونوره الواضح، ومذهبه العلويّ، وقريضه الخسروانيّ، قد طبق العالم ثناء وإطراء ومكرمة وجلالةً، وما يضرُّه أمسه إن كان مجوسيّاً فارسيّاً فيه، وها هو في يومه مسلمٌ في دينه، علويٌّ في مذهبه، عربيٌّ في أدبه، وها هو يحدّث شعره عن ملكاته الفاضلة، ويتضمّن ديوانه اثار نفسيّاته الكريمة، وخلّد له ذكرى مع الأبد، فهل أبقى [أبو الحسن مهيار] ذروة من الشرف لم يتسنّمها؟! أو صهوة من النبوغ لم يمتطها؟! ولو كان يؤاخذ بشيء من ماضيه لكان من الواجب مؤاخذة الصحابة الأوّلين كلّهم على ماضيهم التعيس غير أنّ الإسلام يجبُّ ما قبله، فتراه يتبهّج بسؤدد عائلته المالكة التي هي أشرف عائلات فارس، ويفتخر بشرف إسلامه

وحسن أدبه بقوله:

أعجبتْ بي بين نادي قومها ... امُّ سعدٍ فمضت تسأل بي
سرّها ما علمت من خلقي ... فأرادت علمها ما حسبي
لا تخالي نسباً يخفضني ... أنا من يُرضيك عند النسبِ
قومي استولوا على الدَّهر فتى ... ومشوا فوق الرؤوس الحقبِ
عمَّموا بالشمس هاماتهمُ ... وبنوا أبياتهم بالشهبِ
وأبي كسرى[١] على ايوانه ... أين في الناس أبٌ مثل أبي؟!
سورة الملك القدامى وعلى ... شرف الإسلام لي والأدبِ
قد قبستُ المجد من خير أبٍ ... وقبستُ الدين من خير نبي
وضممت الفخر من أطرافه ... سؤدد الفرس ودين العربِ

أسلم المترجم على يد سيِّدنا الشريف الرَّضي سنة ٣٩٤[٢] وتخرّج عليه في الأدب والشعر وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الثانية سنة ٤٢٨، ولم أقف على خلاف في تاريخ وفاته في الكتب والمعاجم التي توجد فيها ترجمته منها: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧٦، المنتظم ج٨ ص ٩٤، تاريخ إبن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧، مرآة اليافعي ج ٣ ص ٤٧، دمية القصر ص ٧٦، تاريخ إبن كثير ج ١٢ ص ٤١، كامل إبن الأثير ج ٩ ص ١٥٩، تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٦٨، أمل الأملْ لشيخنا الحرّ، روض المناظر لابن شحنة، أعلام الزركلي ج ٣ ص ١٠٧٩، شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٤٧، تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٥٩، نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعَر، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٩ ص ٤٨٤، سفينة البحار ج ٢ ص ٥٦٣، مجلّة المرشد ج ٢ ص ٨٥.

ومن نماذج شعر مهيار في المذهب قوله يمدح أهل البيت عليهم السَّلام:

بكى النار ستراً على الموقد ... وغار يغالط في المنجدِ

---

(١) ولد في أيام ملكه نبي العظمة صلى الله عليه واله ويعزى إليه (ع): ولدت في زمن الملك العادل.

(٢) كامل ابن الأثير ج ٩ ص ١٧٠، المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٩٤.

أحــبَّ وصــان فــوّرَى هوىً ... أضــلَّ وخــاف فلم ينشــد؟!

بعيــد الإصــاخــة عـن عــاذلٍ ... غنــيُّ الـتفـرّد عـن مُـســعـدِ

حمولٌ على القلب وهو الضعيف ... صبورٌ على الماء وهـو الصَّدي

وقــورٌ ومـا الخُــرق من حـازمٍ ... متى مــا يَــرُح شبيـه يغتـدي

ويــا قلبُ إن قـادك الغــانيـات ... فـكم رسَنٍ فيــك لـم ينـقـدِ

أفـقْ فـكـأنّي بـهــا قــد أُمــرّ ... بـأفـواههـا العـذْب من مـوردي

وســوَّدَ مــا ابــيضَّ مـن ودِّهــا ... بمــا بيَّض الـدهــر من أسودي

ومــا الشيب أوَّل غـدر الــزَّمان ... بــلى مــن عــوائـده الـعـوّدِ

لحَــا الله حـظّي كمــا لا يجود ... بـمــا أستـحقُّ وكـم أجـتـدي

وكـم أتـعـلّل عـيش الـسقـيـم ... اذمّــمُ يــومــي وأرجــو غــدي

لئـن نــام دهــريَ دون المُـنى ... وأصبــح عن نيلهــا مُقعـدي

ولـــم أك أحــمــدُ أفـعــالــه ... فــلي اسـوةٌ بـبــنــي أحــمــد

بخيــر الــورى وبـني خـيـرهم ... إذا وَلــدُ الـخـيـر لـم يــولــد

وأكــرم حـيٍّ على الأرض قــام ... ومــيـتٍ تــوسّـد فــي مـلـحـد

وبيت تقــاصــر عنـه الـبيــوت ... وطــال علـيّــاً عـلى الـفـرقـد

تحــوم المـلائـكُ من حـــولــه ... ويُـصبـح لـلوحـي دار الـنـدي

ألا سَــلْ قــريـشــاً ولُـمْ منـهـمُ ... مـن استـوجـب الـلوم أو فـنّـد

وقل: ما لكم بعـد طول الضَّلا ... ل لم تشكـروا نعمة المرشـد؟!

أتــاكم على فـتــرةٍ فــاستـقــام ... بكم جــائـرين عن الـمقـصـد

وولَّــى حــمــيــداً إلــى ربِّــه ... ومن سنَّ مــا سنّــه يُـحـمـد

وقــد جعــل الأمـر من بعـده ... لـحيـدر بـالـخبـر الـمسنـد

وسـمّــاه مــولـىً بـإقـرار مَـن ... لــو اتَّبــع الحقّ لم يجـحـد

فملتم بهـا ـ حسدَ الفضـل ـ عنه ... ومن يــك خيـر الــورى يُحسـد

وقلتم: بــذاك قضى الإجتمــاع ... ألا إنَّــمــا الـحــقُّ لـلمـفــرد

يـعــزُّ عـلى هــاشــمٍ والـنـبـي ... تــلاعــب تَيــم بـهــا أوعـدي

وإرث عــليٍّ لأولاده ... إذا أيــة الإرث لــم تُـفـسـد

فمن قاعد منهمُ خائف ... ومن ثائر قام لم يُسعدِ
تسلّط بغياً أكفّ النفا ... ق منهم على سيِّدٍ سيِّدِ
وما صُرفوا عن مقام الصَّلاة ... ولا عُنِّفوا في بُنى[1] المسجدِ
أبوهم وامّهمُ مَن علمـ ... ـت فأنقص مفاخرهم أو زدِ
أرى الدينِ من بعد يوم الحسين ... عليلاً له الموت بالمرصدِ
وما الشرك لله من قبله ... إذا أنت قستَ بمستبعدِ
وما آل حرب جنوا إنّما ... أعادوا الضَّلال على من بُدي
سيعلم مَن فاطمٌ خصمه ... بأيِّ نكالٍ غداً يرتدي
ومَن ساء أحمدَ أو سِبطه ... فباءَ بقتلك ماذا يدي؟!
فداؤك نفسي ومَن لي بذا ... ك لو انّ مولىً بعبدٍ فُدي
وليت دمي ما سقى الأرض منك ... يقوت الرَّدى وأكون الرَّدي
وليت سبقتُ فكنتُ الشهيد ... أمامك يا صاحب المشهدِ
عسى الدهرُ يشفي غداً من عدا ... ك قلبَ مُغيظٍ بهم مُكمدِ
عسى سطوةُ الحق تعلو المُحال ... عسى يُغلب النقص بالسؤدد
وقد فعل الله لكنّني ... أرى كبدي بعدُ لم تبردِ
بسمعي لقائمكم دعوةٌ ... يُلبّي لها كلُّ مستنجدِ
أنا العبد والاكمُ عقدُه ... إذا القولُ بالقلب لم يُعقدِ
وفيكم ودادي وديني معاً ... وإن كان في فارسٍ مولدي
خصمتُ ضلالي بكم فاهتديتُ ... ولولاكمُ لم أكن أهتدي
وجرَّدتموني وقد كنتُ في ... يد الشرك كالصّارم المغمدِ
ولا زال شعريَ من نائح ... ينقَّل فيكم إلى مُنشدِ
وما فاتني نصركم باللسان ... إذا فاتني نصركم باليدِ

وقال يرثي أمير المؤمنين عليّاً وولده الحسين ويذكر مناقبهما وكان ذلك من نذائر ما منّ الله تعالى به من نعمة الإسلام في المحرَّم سنة ٣٩٢[2] .

(١) بنى جمع بنيه.
(٢) كذا في ديوانه وقد مر عن معاجم أنه أسلم سنة ٣٩٤.

يزوِّر عن حسناء زورة خائفِ تعرُّض طيفٍ آخر الليل طائفِ
فأشبهها لم تغدُ مسكاً لناشقٍ كما عوَّدت ولا رحيقاً لراشف
قصيَّة دارٍ قرَّب النومُ شخصها ومانعة أهدى سلام مساعف
ألين وتغري بالإباء كأنَّما تبرّ بهجراني أليَّة حالف
وبالغور للناسين عهديَ منزلٌ حنانيك من شات لديه وصائف
اغالط فيه سائلاً لا جهالةً فأسأل عنه وهو بادي المعارف
ويعذلني في الدار صحبي كأنَّني على عرصات الحبّ أوّل واقف
خليليَّ إن حالت ـ ولم أرض ـ بيننا طِوالُ الفيافي أو عراض التنائف
فلا زُرَّ ذاك السجفُ إلّا لكاشفٍ ولا تمَّ ذاك البدر إلّا لكاسف
فإن خفتما شوقي فقد تأمنانه بخاتلةٍ بين القنا والمخاوف
بصفراء لو حلَّت قديماً لشارب لضنَّت فما حلَّتْ فتاة لقاطف
يطوف بها من آل كسرى مقرطقٌ[1] يحدِّث عنها من ملوك الطوائف
سقى الحسن حمراء السلافة خدَّه فانبع نبتاً أخضراً في السوائف[2]
وأحلف أنّي شعشعت لي بكفِّه سلوت سوى همٍّ لقلبي مُحالف
عصيت على الأيّام أن ينتزعنه بنهي عذول أو خداع ملاطف
جوىً كلَّما استخفي ليخمد هاجه سنابارقٍ من أرض كوفان خاطف
يذكِّرني مثوى عليٍّ كأنَّني سمعت بذاك الرزء صيحة هاتف
ركبت القوافي ردف شوقي مطيةً تخبُّ بجاري دمعي المترادف
إلى غايةٍ من مدحه إن بلغتها هزأتُ بأذيال الرّياح العواصف
وما أنا من تلك المفازة مدركٌ بنفسي ولو عرَّضتها للمتالف
ولكن تؤدّي الشهد إصبع ذائقٍ وتعلق ريح المسك راحةُ دائف[3]
بنفسيَ من كانت مع الله نفسه إذا قلّ يوم الحقّ من لم يجازف

---

(١) مقرطق: لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد.

(٢) يريد بالنبت، العذار. السوائف جمع سائفة: هي القطعة من اللحم.

(٣) الدائف: الخالط الذي يخلط المسك بغيره من الطيب.

إذا ما عزوا ديناً فآخر عابدٍ وإن قسموا دنياً فأوَّل عائفِ
كفى يوم بدر شاهداً وهوازن لمستأخرين عنهما ومزاحفِ
وخيبر ذات الباب وهي ثقيلة الـ ـمرام على أيدي الخطوب الخفائفِ
أبا حسن إن أنكروا الحق [واضحاً] على أنَّه والله إنكارُ عارفِ
فإلّا سعى للبين أخمص بازلٍ وإلّا سمت للنعل إصبع خاصفِ
وإلّا كما كنت ابن عمٍّ وواليـاً وصهراً وصنواً كان من لا يقارفِ
أخصَّك بالتفضيل إلّا لعلمه بعجزهمُ عن بعض تلك المواقفِ
نوى الغدرَ أقوامٌ فخانوك بعده ومـاآنفٌ في الغدر إلّا كسالفِ
وهبهم سفاهاً صحَّحوا فيك قوله فهل دفعوا ما عنده في المصاحفِ
سلامٌ على الإسلام بعدك إنَّهم يسومونه بالجور خطَّة خاسفِ
وجدَّدها بالطفِّ بابنك عصبةٌ أباحوا لذاك القرف[1] حكة قارفِ
يعزُّ على محمَّد بابن بنته صبيبُ دم من بين جنبيك واكفِ
أجازوك حقّاً في الخلافة غادروا جوامع[2] منه في رقاب الخلائفِ
أيا عاطشاً في مصرع لو شهدتُه سقيتك فيه من دموعي الذوارفِ
سقى غُلّتي بحرٌ بقبرك إنَّني على غير إلمام به غير آسفِ
وأهدى إليه الزائرون تحيَّتي لأشرف إن عيني له لم تشارفِ
وعادوا فذرّوا بين جنبيَّ تربة شفائي ممّا استحقبوا في المخاوفِ[3]
اسرُّ لمن والاك حبَّ مواقفٍ وابدي لمن عاداك سبَّ مخالفِ
دعيٌّ سعى سعي الأسود وقد مشى سواه إليها أمش مشي الخوالفِ[4]
وأغرى بك الحسّاد أنّك لم تكن على صنم فيما رووه بعاكفِ
وكنت حصانَ الجيب من يد غامرٍ كذاك حصانَ العرض من فم قاذفِ

---

(١) القرف: البغي.
(٢) الجوامع: الأغلال.
(٣) استحقبوا: ادخروا.
(٤) الخوالف: النساء.

ومـا نسبٌ ما بين جنبيَّ تـالدٌ بغـالب ودٌّ بين جنبيَّ طـارف
وكم حاسدٍ لي ودَّلو لم يعش ولم أنابله في تـأبينكم واسـايف[١]
تصرَّفتُ في مـدحيكمُ فتـركته يعضُّ عليَّ الكدَّ عضَّ الصوارف[٢]
هـواكم هـو الـدنيا وأعلم أنَّـه يُبيِّضُ يوم الحشر سود الصحائف

وانشِد قصيدة في مراثي أهل البيت عليهم السَّلام من مرذول الشعر على هذا الرويِّ الذي يجيء ، وسُئل أن يعمل أبياتاً في وزنها على قافيتها فقال هذه في الوقت :

مشيـن لنـا بيـن ميـل وهيفٍ فقـل في قناة وقـل في نزيف[٣]
على كـلِّ غصن ثمـارُ الـشبـا ب من مُجتني دواني القـطوف
ومن عجب الحسن أنَّ الثقيـ ـل منـه يُـدلّ بحمـل الخفيـف
خليليَّ مـا خُبـرُ مـا تُبصـرا ن بين خلاخيلها والشّنوف[٤]
سلاني بـه فـالجمـال اسمـه ومعنـاه مفسـدةٌ للعفيـف
أمن عـربيَّـة تحـت الـظلام تـولّجُ ذاك الخيـال المطيف؟!
سـرى عينهـا أو شبيهـاً فكـا د يفضـح نـومي بين الضيـوف
نعم ودعـا ذكـرَ عهـد الصِّبـا سيلقـاه قلبي بـعهـدٍ ضعيف
بـآل عـليٍّ صـروف الـزمـان بسـطن لساني لـذمِّ الصروف
مصـابي على بُعـد داري بـهم مصـابُ الأليف بفقـد الأليف
وليس صـديقيَ غيـر الحـزين ليوم « الحسين » وغير الأسوف[٥]
هـو الغصن[٦] كـان كميناً فهبَّ لدى « كربـلاء » بريـح عصوف
قتيـلٌ بـه ثـار غِـلّ النفـوس كما نَغر الجرح حكُّ القُروف[٧]

---

(١) انابله: أرميه بالنبل. اسايف: اجالده بالسيف.

(٢) الصوارف جمع صارف وهو: الناب.

(٣) النزيف: السكران.

(٤) الشنوف جمع شنف وهو: القرط يعلق بأعلى الاذن.

(٥) الأسوف: السريع الحزن الرقيق القلب.

(٦) كذا في مطبوع ديوانه والصحيح: هو الضغن.

(٧) نغر: أسال. القروف جمع قرف وهي القشرة تعلو الجرح.

بكلِّ يدٍ أمسِ قد بايعته ... وساقت له اليوم أيدي الحتوفِ
نسوا جدَّه عند عهدٍ قريب ... وتالده مع حقٍّ طريفِ
فطاروا له حاملين النِّفاق ... بأجنحة غِشّها في الحفيفِ[1]
يعزُّ عليَّ ارتقاء المنون ... إلى جبلٍ منك عالٍ منيفِ
ووجهك ذاك الأغرُّ التريب ... يشهَّر وهو على الشمس موفي
على ألعن أمره قد سعى ... بذاك الذميلِ وذاك الوجيفِ
وويلُ امّ مأمورهم لو أطاع ... لقد باع جنَّته بالطفيفِ
وأنت ـ وإن دافعوك ـ الإمام ... وكان أبوك برغم الانوفِ
لِمَن آية الباب يوم اليهود؟! ... ومَن صاحبُ الجنِّ يوم الخسيف؟
ومن جمعَ الدين في يوم بدرٍ ... وأُحدٍ بتفريق تلك الصفوفِ؟!
وهدَّم في الله أصنامهم ... بمرأى عيون عليها عكوفِ؟!
أغير أبيك إمام الهدى؟! ... ضياء النديِّ هزبر العزيفِ[2]
تفلّل سيفٌ به ضرَّجوك ... لسوَّد خِزياً وجوهَ السيوفِ
أمرَّ بفيَّ عليك الزّلال ... وآلم جِلدي وقعُ الشّفوفِ[3]
أتحمل ـ فقدَك ذاك العظيمَ ... جوارحُ جسميَ هذا الضعيفِ؟!
ولهفي عليك مقالُ الخبيـ ... ـر إنَّك تُبرد حرَّ اللهيفِ
أنشرُك ما حملَ الزائرو ... ن أم المسك خالط ترب الطفوفِ؟
كأنَّ ضريحك زهر الربيـ ... ـع هبَّت عليه نسيم الخريفِ
احبّكمُ ما سعى طائفٌ ... وحنَّت مطوَّقةٌ في الهُتوفِ
وإن كنتُ من فارس فالشريـ ... ـفُ معتلِقٌ ودُّه بالشريفِ
ركبتُ ـ على مَن يعاديكم ... ويفسد تفضيلكم بالوقوفِ ـ

---

(١) الحفيف: أجنحة الطائر.

(٢) العزيف: صوت الرمال إذا هبت عليها الرياح، ولعل الصحيح: الغريف. معجمة العين مهملة الراء: وهو الأجمة.

(٣) الشفوف جمع شِف وهو: الثوب الرقيق.

سوابقَ من مدحكم لم أهبْ صعوبةَ ريِّضها والقطوفِ[١]

تُقطِّرُغيريَ أصلابها وتزلقُ أكفالها بالرَّديفِ[٢]

وقال يمدح أهل البيت عليهم السَّلام وهي من أوَّل قوله:

سلا من سلا: مَن بنا استبدلا؟! وكيف محا الآخرالأوَّلا؟!

وأيّ هوىً حادث العهدأمـ ـس أنساه ذاك الهوى المُحولا[٣]

وأين المواثيق، والعاذلات يضيق عليهنَّ أن تعذلا؟!

أكانت أضاليلَ وعدِ الزما ن أم حُلم الليل ثمَّ انجلى؟!؟!

ومما جرى الدَّمع فيه سؤا ل مَن تاه بالحسن أن يُسألا

أقول برامةَ: يا صاحبيَّ مَعاجاً - وإن فعلا - : أجملا

قفا لعليل فإنَّ الوقوف وإن هو لم يشفه عَلّلا

بغربيٍّ وجرةَ ينشدنه - وإن زادنا صلة - منزلا[٤]

وحسناء لو أنصفتْ حسنها لكان من القبح أن تبخلا

رأت هجرها مرخِصاً من دمي على النأي عِلقاً قديماً غلا[٥]

ورُبَّتَ واشٍ بها منبض[٦] اسابقه الردَّ أن يُنبلا

رأى ودَّها طللاً ممحِلاً فلفَّق ما شاء أن يَمحلا

وألسنة كأعالي الرِّماح رددتُ وقد شرعتْ ذُبَّلا[٧]

ويأبى لحسناء إن أقبلتْ تعرُّضها قمراً مُقبلا

سقى الله ليلاتنا بالغويـ ـر فيما أعلَّ وما أنهلا[٨]

---

(١) الريض: الدابة أول ما تراض وهي صعبة. القطوف: الدابة التي تسيء المسير وتبطيء.

(٢) تقطر: تلقي الإنسان على قطره أي على أعلى ظهره الرديف: الراكب خلف الراكب.

(٣) المحول: الذي أتت عليه حول بعد حول أي سنون.

(٤) كذا في ديوانه والصحيح كما ينشده أدباء النجف الأشرف:

بغربي وجرة ينشد بهـ ـوان زادنا ضلة منزلا

(٥) العلق: الشيء النفيس.

(٦) النبض: الذي يشدّ وتر القوس لتصوت.

(٧) الذبل جمع ذابل وهو الدقيق من الرماح

(٨) العل: الشرب الثاني. النهل: أول الشرب.

حنيناً كلّما أسبلت مقلةٌ ـ حنيناً لـه ـ عبرةً أسبلا
وخصَّ وإن لم تعد ليلةً خلت فالكرى بعدها ما حَلا
وفى الطيفُ فيها بميعاده وكان تعوَّد أن يمطلا
فما كان أقصر ليلي به وما كان لو لم يُزر أطولا
مساحبُ قصَّر عنّي المشيـ ـبُ ما كان منها الصِّبا ذيَّلا
ستصرفني نزوات الهمو م بالإرَب الجِدِّ أن أهزلا
وتنحتُ من طرفي زفرةٌ مباردها تأكل المنصلا[1]
وأغرى بتأمين آل النبيِّ إن نسَّب الشعر أو غزَّلا
بنفسي نجومهم المخمَدات ويأبى الهدى غير أن تُشعَلا
وأجسام نورٍ لهم في الصعيد تملؤه فيُضيء الملا
ببطن الثرى حملُ ما لم تُطق على ظهرها الأرض أن تحملا
تفيض فكانت ندىً أبحرا وتهوي فكانت عُلاً أجبُلا
سل المتحدّي بهم في الفخا ر أين سمت شرفات العلا؟!
بمَن باهل الله أعداءه فكان الرَّسول بهم أبهلا؟!
وهذا الكتاب وإعجازه على مَن؟ وفي بيت مَن نُزِّلا؟!
وبدرٌ، وبدرٌ به الدين تـ ـمَّ من كان فيه جميلَ البلا؟!
ومن نام قومٌ سواه وقام؟ ومَن كان أفقه أو أعدلا؟!
بمن فُصل الحكم يوم الجنين فطبَّق في ذلك المَفصلا؟![2]
مساعٍ اطيل بتفصيلها كفى معجزاً ذكرُها مجملا
يميناً لقد سُلّط الملحدون على الحقِّ أو كاد أن يبطلا
فلولا ضمانٌ لنا في الطهور قضى جدَلُ القول أن نخجلا
أ لله يا قومُ يقضي النبيُّ مطاعاً فيُعصى وما غُسِّلا؟!
ويوصي فنخرص دعوى عليـ ـه في تركه دينه مهملا؟!

---

(١) المنصل: السيف.

(٢) يقال للرجل إذا أصاب مهجة الصواب: طبق المفصل. وقصة الجنين إحدى قضايا الإمام عليه السلام.

ويجتمعون على زعمهم ... ويُنبيك سعد(١) بما أشكلا
فيُعقب إجماعُهم أن يبيـ ... ـت مفضولهم يقدمُ الأفضلا
وأن يُنزع الأمر من أهله ... لأنَّ «عليّاً» له اهِّلا
وساروا يحطّون في آله ... بظلمهمُ كلكلاً كلكلا(٢)
تدبّ عقارب من كيدهم ... فتفنيهمُ أوّلاً أوّلا
أضاليل ساقت مصابَ الحسين ... وما قبلَ ذاك وما قد تلا
اميَّةُ لابسةٌ عارها ... وإن خفي الثار أو حُصِّلا
فيوم «السقيفة» يا بن النبيِّ ... طرَّق يومك في «كربلا»
وغصبُ أبيك على حقِّه ... وامِّك حسَّن أن تُقتلا
أيا راكباً ظهرَ مجدولةٍ ... تخال إذا انبسطت أجدلا(٣)
شأت أربَعَ الريح في أربعٍ ... إذا ما انتشرن طوين الفلا
إذا وكّلت طرفها بالسما ... ء خيل بإدراكها وُكِّلا
فعزَّت غزالتها غُرَّةً ... وطالت غزال الفلا أيطلا(٤)
كطيِّك في منتهىً واحد(٥) ... لتُدرك يثربَ - أو مرقلا(٦)
فصل ناجياً وعليَّ الأمان ... لمن كان في حاجةٍ موصَلا
تحمَّلْ رسالة صبٍّ حملت ... فناد بها أحمد المرسلا
وحيِّ وقل: يا نبيَّ الهدى ... تأشّب(٧) نهجُك واستوغلا
قضيت فأرمضنا ما قضيت ... وشرعك قد تمّ واستكملا

---

(١) يشير إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد أبى بيعة أبي بكر وبقي على ذلك حتى مات وقصته مودعة في التاريخ.
(٢) الكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين.
(٣) المجدولة: من جدل الولد إذا قوي وصلب عظمه. الأجدل. الصقر.
(٤) عزت: غلبت. الغزاله: الشمس عند ارتفاعها. الأيطل: الخاصرة.
(٥) كذا في مطبوع ديوانه والمحفوظ عند ادباء النجف الأشرف: أطئك في منتها واحداً والوحد ضرب من سير الإبل سريع.
(٦) المرقل: المسرع في سيره.
(٧) تأشب: اختلط.

فـرامَ ابنُ عمِّـك فيمـا سنـ … ـتَ أن يـتقـبَّـل أو يَـمـثُـلا
فـخـانـك فيـه مـن الغـادريـ … ـن من غـيَّـر الـحقَّ أو بـدَّلا
إلـى أن تحلّت بهـا تيـمهـا … وأضحت بنـو هـاشم عُـطَّلا
ولـمّـا سـرى أمـرُ تيمٍ أطـا … ل بيتَ عـديٍّ لهـا الأحبـلا[1]
ومـدَّت اميَّـة أعـنـاقـهـا … وقـد هـوّن الخـطب واستسهـلا
فنـال ابن عُفّـان مـا لم يكن … يُـظنُّ ومـا نـال بـل نُـوِّلا
فـقـرَّ وأنـعـم عـيش يـكـو … ن مـن قبله خشنـاً قُـلقـلا[2]
وقـلَّبـهـا أردشـيـريَّـةً … فـحـرَّق فيـهـا بمـا أشعـلا
وسـاروا فـسـاقـوه أو أوردوه … حيـاضَ الـرَّدى منهـلاً منهـلا
ولـمّـا امتطاهـا «عليٌّ» اخـو … ك ردَّ إلـى الحقِّ فـاستثقـلا
وجـاؤا يسـومـونـه القـاتلين … وهم قـد ولـوا ذلـك المقتَـلا
وكـانت هنـاةٌ وأنـت الخـصيم … غـداً والمعـاجَـل مـن أُمهـلا
لكم آل يـاسين مـدحي صفـا … وودِّي خَـلا وفـؤادي خـلا
وعـنـدي لأعـدائكـم نـافـذا … ت قولي [ما] صاحب المقولا[3]
إذا ضـاق بـالسيـر ذرعُ الـرفيق … مـلأتُ بـهـنَّ فـروجَ الـمـلا
فـواقـرُ من كـلِّ سهمٍ تكـون … لـه كـلُّ جـارحـةٍ مـقـتَـلا
وهـلاً ونهـج طـريق النجـاة … بكم لاحٍ لي بعـدما أشكـلا؟!
ركبتُ لكم لَقَمي فـاستننت[4] … وكـنـتُ اخـابـطه مـجـهـلا
وفُـكَّ من الشِّـرك أسـري وكـا … ن غُـلاّ عـلى منكبي مُقفـلا
أُواليـكـمُ مـا جـرت مـزنـةٌ … وما اصطخب الـرعد أو جلجلا

---

(١) كذا في ديوانه المطبوع والمحفوظ عند خطبائنا:
ولـمّـا سرى أمـرُ تـيـمٍ وطـا … لَ مـدَّت عـديٌّ لهـا الأرجـلا
(٢) القلقل : غير القار .
(٣) المقول: اللسان.
(٤) اللقم : معظم الطريق وواضحه . استننت: ذهبت في واضح الطريق.

وأبــرأ مــمــن يُـعــاديــكــمُ فــإنَّ الـبـرائـة أصـلُ الـولا
ومـولاكمُ لا يخـاف العقـاب فكـونـوا لـه في غـدٍ مـوئـلا

وقال يذكر مناقب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما مُني به من أعدائه :

إن كنت ممن يلج الـوادي فسلْ بين البيوت عن فؤادي : ما فعلْ
وهل رأيتَ ـ والغريب مـا ترى ـ واجـدَ جسمٍ قبله منـه يضِـلّ ؟!
وقل لغزلان النقـا : مات الهـوى وطُلّقتْ بـعـدكمُ بنت الـغـزلْ
وعــادَ عـنكـنَّ يخيبُ قــانصٌ مـدَّ الحبـالات لكنَّ فـاحتبـلْ[١]
يـامن يرى قتلى السيوف حُظرتْ دمـائهم، الله في قتلى المقَـلْ
مـا عنـد سكّـان مِنىً في رجـلٍ سباه ظبيٌ وهـو في ألف رَجُـلْ
دافـع عن صفحته شــوكُ القنـا وجـرحته أعين السِّـرب النجـلْ
دمٌ حــرامٌ لــلأخ الـمسـلم فـي أرضٍ حرامٍ يا لَنُعم كيف حلْ ؟!
قـلتِ : شـكــا، فـأذلَّ جَـلَـدي والحبُّ مـا رقَّ له الجَلد وذلْ[٢]
من دلَّ مسراك عليَّ في الدُّجى ؟ هيهـات في وجهك بـدرٌ لا يَدلْ
رمتِ الجمــال فـملكتِ عـنـوةً أعنـاقَ ما دقَّ من الحسن وجـلّ
لـواحـظاً علّمت الضّـرب الـظبـا على قوامٍ علّم الطعن الأسلْ[٣]
يــا من رأى بحـاجـر مجــاليـا من حيث مـا استقبلها فهي قِبَـلْ
إذا مــررتَ بــالقبــاب من قُبـا مرفوعة وقد هوت شمس الاصُلْ[٤]
فقـل لأقمـار السمـاء : اختمـري فحليـةُ الحسـن لأقمـار الـكللْ
أين ليـالينا على الخيف؟! وهـلْ يردُّ عيشاً بالحمى قولك : هلْ ؟!
مــا كنَّ إلاّ حُلماً روَّعــه الصُّـ ـبحُ وظـلاًّ كـالشباب فـانتقـلْ
مــا جمعتْ قطُّ الشبـابَ والغنى يـد امرىءٍ ولا المشيب والجـذلْ

(١) فاحتبل : فصد بالحبالة.
(٢) الجلد : الصبر. الجلد : القوي الشديد.
(٣) الظبا جمع الظبة : حد السيف. الأسل : الرمح.
(٤) قبا اسم موضع بالمدينة فيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم. الاصل ج أصل وهو : وقت ما بعد العصر إلى المغرب.

يـا ليت مـا سـوَّد أيّام الصِّبـا ... أعدى بياضاً في العذارين نـزلْ
مـا خلتُ سـوداء بياضي نصَلت ... حتّى ذوى أسود رأسي فنصَلْ[١]
طـارقـةٌ من الـزَّمـان أخـذتْ ... أواخـرَ العيش بفـرطـات الأُوَلْ
قـد أنـذرتْ مبيضَّـة أن حـذَّرتْ ... ونـطق الشيبُ بنصحٍ لـو قُبلْ
ودلَّ مـا حطَّ عليـك من سني ... عمـرك أنَّ الحظَّ فيما قـد رحلْ
كم عِبـرةٍ وأنت من عـظاتـهـا ... ملتفتٌ تتبـع شيـطانَ الأمـلْ
مـا بين يُمنـاك وبين اختهـا ... إلّا كـمـا بيـن منـاك والأجـلْ
فاعمل من اليوم لما تلقى غـداً ... أو لا فقـل خيـراً تُـوفَّق للعمـلْ
ورد خفيف الظهر حوض اسرةٍ ... إن ثقَّلوا الميـزانَ في الخير ثقـلْ
اشـددْ يـداً بـحبِّ آل أحـمـد ... فـإنَّـه عـقـدةُ فـوزٍ لا تُحَـلْ
وابعث لهم مـراثيـاً ومِـدَحـاً ... صفـوةَ ما راض الضميـرُ ونخلْ
عقـائـلاً تصـان بـابتـذالهـا ... وشـارداتٍ وهي للسـاري عُقُـلْ
تحمـلُ من فضلهم مـا نهضت ... بحمله أقوى المصاعيب الذُّللْ[٢]
مـوسومـةً في جبهـات الخيـل أو ... معلّقـاتٍ فـوق أعجـاز الابـلْ
تنشـو[٣] العـلاء سيِّـداً فسيـداً ... عنهم وتنعى بـطلاً بعـدَ بـطلْ
الـطيِّبـون ازُراً تحـت الـدُّجى ... الكـائنـون وَزَراً يـوم الـوجـلْ[٤]
والمنـعمـون والـثـرى مُقـطّبٌ ... من جدبه والعـام غضبان أزلْ[٥]
خيـر مُصـلٍّ مَـلكـاً وبـشـراً ... وحـافيـاً داس الثـرى ومنتعِـلْ
هـمْ وأبـوهـم شـرفـاً وامّـهـم ... أكـرم من تحوي السمـاءُ وتـظلْ
لا طـلقـاء منـعـمٌ عـليـهـمُ ... ولا يحـارون إذا النـاصـر قَـلْ
يستشعرون: الله أعلى في الورى ... وغيـرهم شعـاره: اعـلُ هبـلْ[٦]

---

(١) نصل، خرج من خضابه.
(٢) المصاعيب الذلل: الفحول المذللة.
(٣) تنشو من نث نثا الخبر: أفشاه.
(٤) ازر جمع ازار. الوزر: الملجأ والكنف.
(٥) الأزل: الشديد الضيق. يقال: ازْل، ازل. للمبالغة.
(٦) اشار إلى قول ابي سفيان يوم أحد. أعل هبل: هبل بالضم اسم صنم لهم معروف

لم يتزخرف وثن لعابد ... منهم يزيغ قلبه ولا يضل
ولا سرى عرق الإماء فهم ... خبائث ليست مريئات الاكل
يا راكباً تحمله عيديةٌ[1] ... مهويةُ الظهر بعضات الرحل
ليس لها من الوجا منتصر ... إذا شكا غاربها حيف الإطل[2]
تشرب خمساً وتجرُّ رعيها[3] ... والماءُ عِدٌّ والنبات مكتهلْ[4]
إذا اقتضتْ راكبها تعريسةً ... سوَّفها الفجر ومنّاها الطَّفلْ[5]
عرِّج بروضات الغريِّ سائفاً ... أزكى ثرىً وواطئاً أعلى محل
وأدِّ عنّي مبلغاً تحيَّتي ... خير الوصيِّين أخا خير الرُّسل
سمعاً أمير المؤمنين إنَّها ... كناية لم تك فيها منتحل
ما لقريشٍ ماذقتك عهدها ... ودامجتك ودَّها على دَخلْ[6]
وطالبتك عن قديم غلِّها ... بعد أخيك بالتراث والذَّحلْ
وكيف ضمّوا أمرهم واجتمعوا ... فاستوزروا الرأي وأنت منعزلْ؟!
وليس فيهم قادحٌ بريبةٍ ... فيك ولا قاضٍ عليك بوهَلْ[7]
ولا تُعدُّ بينهم منقبةٌ ... إلّا لك التفصيل منها والجُمل
وما لقوم نافقوا محمَّداً ... عمر الحياة وبغوا فيه الغيلْ؟!
وتابعوه بقلوبٍ نزل الـ ... ـفرقان فيها ناطقاً بما نزلْ
مات فلم تنعَقْ على صاحبه ... ناعقةٌ منهم ولم يُسرغ جمل
ولا شكا القائم في مكانه ... منهم ولا عنَّفهم ولا عذلْ

(١) عيدية: نسبة إلى فحل تنسب إليه كرام النجائب، أو نسبة إلى حي يقال له: بنو العيد تنسب إليه النوق العيدية.
(٢) الوجا: الحفا. الغارب: الكاهل. الاطل: الخاصرة.
(٣) الخمس: ورد الإبل على الماء في اليوم الخامس. تجر: تعيد ما في جوفها لتأكله ثانية. الرعي: الكلا.
(٤) العد: الغزير الذي لا ينقطع. المكتهل من النبات: ما تم طوله ونوره.
(٥) التعريسة: نزول المسافر آخر الليل للإستراحة. الطفل: قبيل غروب الشمس.
(٦) ما ذقتك: شابت ودها ولم تخلص. دامجتك: جمعت لك ودها. الدخل: الخداع.
(٧) الوهل: الخوف والضعف.

فهل تُرى مات النفاق معهُ؟! أم خلصت أديانهم لَمّا نُقلْ؟!
لا والذي أيّده بوحيه وشدَّه منك بركنٍ لم يَزُلْ
ما ذاك إلّا أنَّ نيّاتهمُ في الكفر كانت تلتوي وتعتدلْ
وإنَّ وُدّاً بينهم دلَّ على صفائه رضاهمُ بما فعلْ
وهبهمُ تخرُّصاً قد ادَّعوا انَّ النِّفاق كان فيهم وبطلْ
فما لهم عادوا وقد وليتهم فذكروا تلك الحزازات الاوَلْ
وبايعوك عن خداعٍ كلّهم باسطُ كفٍّ تحتها قلبٌ نغِلْ
ضرورة ذاك كما عاهد مَن عاهد منهم أحمداً ثمَّ نكلْ
وصاحب الشورى لما ذاك ترى عنك وقد ضايقه الموت عدلْ
والأمويُّ ما له أخَّركم وخصَّ قوماً بالعطاء والنفَلْ؟!
وردّها عجماءَ كسرويَّةً يضاع فيها الدين حفظاً للدولْ
كذاك حتّى أنكروا مكانه وهم عليك قدَّموه فقبِلْ
ثمَّ قسمت بالسَّواء بينهم فعظم الخطب عليهم وثقُلْ
فشُحذتْ تلك الظّبا وحُفرتْ تلك الزُّبى وأُضرمت تلك الشّعلْ
مواقفُ في الغدر يكفي سُبَّةً منها وعاراً لهمُ يوم الجملْ
يا ليت شعري عن أكفٍّ أرهفتْ لك المواضي وانتحتك بالذُّبُلْ[1]
واحتطبت تبغيك بالشرِّ على أيِّ اعتذارٍ في المعاد تتَّكلْ؟!
أنسيَتْ صفقتها أمس على يديك ألّا غِيَرٌ ولا بدلْ؟!
وعن حصانٍ أبرزت يُكشف باسـ ـتخراجها سترُ النبيِّ المنسدلْ؟!
تطلب أمراً لم يكن ينصره بمثلها في الحرب إلّا مَن خذَلْ؟!
يا للرِّجال ولتيمٍ تدَّعي ثأرَ بني اميّة وتنتحلْ
وللقتيل يُلزمون دمَه ـ وفيهمُ القاتل ـ غير من قتلْ
حتّى إذا دارت رحى بغيهمُ عليهمُ وسبق السيف العذَلْ
وأنجز النَّكثُ العذاب فيهمُ بعد اعتزالٍ منهمُ بما مُطلْ

---

(١) المواضي: السيوف الماضية. الذبل: الرماح الدقيقة الطويلة.

عاذوا بعفو ماجدٍ معوّدٍ للصبر حمّالٍ لهم على العللْ
أطت بهم أرحامهم فلم تطع ثائرة الغيظ ولم تشف الغللْ
فنجّت البقا عليهم مَن نجا وأكلَ الحديدُ منهم من أكلْ
واحتجّ قومٌ بعد ذاك لهمُ بفاضحات ربّها يوم الجدلْ
فقلَّ منهم من لوى ندامةً عنانه عن المصاع[1] فاعتزلْ
وانتزع العامل[2] من قناته فردّ بالكره فشدَّ فحملْ
والحال تُنبي أنّ ذاك لم يكن عن توبةٍ وأنّما كان فشلْ
ومنهمُ من تاب بعد موته وليس بعد الموت للمرء عملْ
وإن تكن ذات الغبيط أقلعت برغم مَن أسند ذاك ونقلْ
فما لها تمنع من دفن ابنه لولا هناتٌ جرحها لم يندملْ؟!
وما الخبيثان ابن هند وابنه وإن طغى خطبهما بعدُ وجلْ
بمبدعَين في الذي جاءا به وإنّما تقفّيا تلك السبلْ
إن يحسدوك فلفرط عجزهم في المشكلات ولما فيك كملْ
الصنو أنت والوصيُّ دينهم ووارثُ العلم وصاحب الرسُلْ
وآكلُ الطائر والطاردُ للضّلّ ومن كلّمه قبلك صلْ؟![3]
وخاصفُ النعل وذو الخاتم والـ ـمُنهل في يوم القليب والمعلْ
وفاصل القضيّة العسراء في يوم الجنين وهو حُكمٌ ما فصلْ
ورجعةُ الشّمس عليك نبأٌ تشعّب الألباب فيه وتضلّ
فما ألوم حاسداً عنك انزوى غيظاً ولا ذاقدم فيك تزلّ
يا صاحب الحوض غداً لا حُلّئت[4] نفسٌ تواليك عن العذب النهلْ
ولا تسلّط قبضة النار على عُنق إليك بالوداد ينفتلْ

---

(١) المصاع . التجمح .
(٢) العامل : صدر الرمح وهو ما يلي السنان .
(٣) الصل : الثعبان .
(٤) حلئت : منعت من الورد .

عاديتُ فيك النّاس لم أحفل بهم — حتّى رموني عن يدٍ إلاّ الأقلْ
تفرَّغوا يعترقون غيبةً — لحمي وفي مدحك عنهم لي شُغلْ
عدلتُ أن ترضى بأن يسخط مَن — تُقلّه الأرض عليَّ فاعتدلْ
ولو يُشقُّ البحر ثمَّ يلتقى — فلقاه [1] فوقي في هواك لم أُبَلْ
علاقةٌ بي بكمُ سابقةٌ — لمَجد سلمان إليكم تتَّصلْ
ضاربةٌ في حبّكم عروقها — ضرب فحول الشَّوْل[2] في النوق البزلْ
تضمّني من طرفي في حبلكم — مودّةٌ شاخت ودينٌ مقتبلْ
فضّلتْ آبائي الملوكَ بكمُ — فضيلة الإسلام أسلاف المللْ
لذاكمُ ارسلها نوافذاً — لامّ مَن لا يتّقيهنَّ الهَبَلْ [3]
يمرقن زُرقاً من يدي حدائداً — تُنحى أعاديكم بها وتنتبلْ [4]
صوائباً إمّا رميتُ عنكمُ — وربما أخطأ رامٍ من ثُعلْ [5]

وله يرثي شيخ الأمَّة ابن المعلّم محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ :

ما بعد يومك سلوةٌ لمعلّلِ — منّي ولا ظفرتْ بسمعٍ معذَّلِ
سوَّى المصاب بك القلوب على الجوى فيدُ الجليدعلى حشا المتململِ [6]
وتشابه الباكون فيك فلم يبن — دمع المحقِّ لنا من المتعمِّلِ
كنّا نُعيِّر بالحلوم إذا هفتْ — جزعاً وتهزأ بالعيونِ الهمَّلِ
فاليوم صار العذر للفاني أسىً — واللوم للمتماسك المتجمِّلِ
رحل الحِمام بها غنيمة فائزٍ — ما ثار قطُّ بمثلها عن منزلِ

---

(١) الفلق : نصف الشيء إذا شق .

(٢) الشول ج شائلة وهي الناقة ترفع ذنبها . البزل ج بازل : المسن من الابل .

(٣) الهبل : الثكل .

(٤) تنتبل : ترمى بالنبل .

(٥) ثعل : اسم قبيلة مشهورة بالرمي . في هذه القصيدة أبيات حرفها يد الطبع المصرية عن ديوانه رمزناها ب خ

(٦) الجليد : القوي الشديد . المتململ : المتقلب على فراشه مرضاً أو جزعاً .

كانت يد الدين الحنيف وسيفه ... فلأبكينّ على الأشلّ الأعـزل[١]

مـالي رقدتُ وطـالبي مستيقظٌ؟! ... وغفلت والأقـدار لمّـا تغفــل ؟!

ولويت وجهي عن مصارع اسرتي ... حــذر المنيّة والشفــار تُحذِّلي

قــد نمّت الـدنيــا إليّ بسرِّهــا ... ودُللتُ بالماضي على المستقبل

ورأيتُ كيف يطير في لهـواتها[٢] ... لحمي وإن أنـا بعـدُ لمّـا اوكـل

وعلمتُ مع طيب المحلّ وخصبه ... بتحــوّل الجيـران كيف تحــوّلي

لم أركب الأمـل الغَـرور مــطيَّةً ... بلهــاء لم تبلغ مــدى بمؤمّــل

ألــوى ليمهلنـي إليّ زمــامـهــا ... ووراءها الأهوب[٣] سـوق مُعجل

حُلمٌ تزخرفه الحنادس في الكرى ... ويقينــه عنـد الصّبــاح المنجلي

أحصي السنين يسرُّ نفسي طولها ... وقصيـرٌ ما يُغنيـك مثلُ الأطـول

وإذا مضى يـومٌ طربتُ إلى غــد ... وببضعــةٍ منّي مضى أو مفصــل

أخشن إذا لاقيتَ يـومـك أو فلِنْ ... واشــدد فـإنّــك ميّتٌ أو فـاحلل

سيّـان عنـد يـد لقبض نفـوسنــا ... ممــدودة فمُ نــاهش ومقبّــل

سوّى الرّدى بين الخصاصة والغنى ... فإذا الحريص هو الذي لم يعقل

والثـائـر العــادي على أعـدائــه ... ينقـاد قـود العــاجز المتـزمّـل

لو فُلَّ غربُ الموت عن متـدرّع ... بعفــافــه أو نــاسـك مُتعــزّل

أو واحـد الحسنـات غيــر مشبّـه ... بـأخ وفـرد الفضـل غيـر ممثـل

أو قـائـل في الـدين فعّـال إذا ... قـال السفقّه فيـه مـا لم نفعــل

وَقت ابن نعمـان النزاهـةُ أو نجا ... سلمـا فكان من الخطوب بمعزل

ولجــاءه حبُّ السّلامــة مؤذنــا ... بســلامـه من كــلّ داء معضــل

أو دافعت صـدر الـرّدى عُصب الهـدى ... عـن نحـرهـا او ردّهـا المنهـلّل

---

(١) الأشل: الذي شلت يده. الأعزل: من لم يكن معه سلاح.

(٢) لهوات ج لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٣) الأهوب: السوط. الأصل فيه: الجري الشديد الذي يثير اللهب واللهب: الغبار الساطع.

لحمتــهُ أيــدٍ لا تني في نصــره ... صدقَ الجهاد وأنفسٌ لا تأتلي[١]

وغـدت تـطارد عن قنـاة لسـانـه ... أبنــاءُ فهـرٍ بــالقُنيِّ[٢] الـذبَّـلِ

وتبــادرتْ سبقــاً إلى عليــائهــا ... في نصر مولاها الكرام بنـو علي

من كـلِّ مفتـول القنـاة بسـاعــدٍ ... شـطب كصدر السمهـريَّة أفتـلِ

غيــر انَّ يسبق عـزمــه أخبــاره ... حتّى يغـامـر في الـرَّعيـل الأوَّل

وافي الحجـا ويُخـال أنَّ بـرأسـه ... في الحرب عارض جنَّةٍ أو أخبلِ

مـا قنَّعتْ افقـاً عجـاجـةُ غـارةٍ ... إلاَّ تخـرَّق عنـه ثـوب القسـطلِ

تعـدو بـه خيفـانـةٌ لـو أشعـرتْ ... أنَّ الصهيل يُجمّها لم تصهلِ[٣]

صبّـارةٌ إن مسَّهـا جَهـد الـطوى ... قنعتْ مكان عقيلها بالمسحلِ[٤]

فسَـروا فنـاداهم سـراةُ رجـالهم ... لمجسَّـد من هامهم ومُـرجَّـلِ[٥]

بعداءُ عن وهن التواكـل في فتىً ... لهمُ على أعــدائهـم مُتـوكّــلِ

سمـح ببـذل النفس فيهم قـائمٍ ... لله في نصــر الـهــدى مُتبتّــلِ

نــزّاع أرشيــة التنــازع فيـهـمُ ... حتّى يسوق إليهم الـنصَّ الجـلي

ويبين عنـدهم الإمـامـة نـازعــاً ... فيها الحجاج من الكتاب المنزلِ

بـطريقة وضحتْ كـأنْ لم تشتبـه ... وأمـانـةٍ عُـرفتْ كـأنْ لم تُجهـلِ

يصبـو لهـا قلبُ العــدوِّ وسمعـه ... حتّى يُنيب فكيف حالك بالولي؟!

يــا مـرســلاً إن كنت مبلغ ميِّت ... تحت الصفائح[٦] قول حيٍّ مرسلِ

فلج الثرى الراوي فقل «لمحمَّدٍ» ... عن ذي فؤاد بـالفجيعـة مشعـلِ

مَن للخصـوم اللدِّ بعـدك غصَّـةٌ ... في الصدر لا تهوي ولا هي تعتلي؟

مَن للجـدال إذا الشفـاهُ تقلّصتْ ... وإذا اللسـان برقيـه لم يبللِ؟!

مَن بعـد فقدك ربُّ كـلِّ غـريبـةٍ ... بكربك افترعت وقولـةٍ فيصلِ؟!

---

(١) لا تني من ونى يني: لا تكل ولا تضعف.

(٢) القنيّ: جمع قناة وهو الرمح.

(٣) الخيفانة: الفرس الخفيفة. يجمها: يريحها.

(٤) المسحل: اللجام.

(٥) المسجد: المدهون بالجساد وهو الزعفران. المرجل: الشعر المسرح.

(٦) الصفائح جمع الصفيحة: الحجر العريض.

ولغـامضٍ خـافٍ رفعتَ قِـوامـه   وفتحتَ منهُ في الجواب المقفل ؟!

مَن للطروس يصوغ في صفحاتها   حلياً يقعقع كلّما خرس الحلي؟!

يبقين لِـلذّكـر المـخلّد رحـمـةً   لك من فم الراوي وعين المجتلي

أين الفؤاد النّدب غير مُضعّف؟!   أين اللسان الصعب غير مفلّل؟!‏[1]

تفـري بـه وتحـزُّ كـلَّ ضـريبـةٍ   ما كلُّ حزَّةِ مفصل للمنصـل[2]

كم قد ضممت لدين آل «محمّد»   مِن شاردٍ وهـديت قلب مضلّل

وعـقلتَ مـن ودٍّ عليـهم نـاشطٍ   لـو لم تُرضـه ملاطفـاً لم يُعقل

لا تـطّبيـك[3] مـلالـةٌ عن قـولـةٍ   تروي عن المفضول حقّ الأفضل

فليجـزينّـك عنهمُ مـا لم يـزل   يبلو الـقلوب لـيجـتبـي وليبـتـلي

ولتنـظرنَّ إلـى «عليٍّ» رافـعـاً   ضبعيك يوم البعث ينظر من عل[4]

يـا ثاويـاً - وسُدتُ منه في الثرى   عَلَماً يطول بـه البقاءُ وإن بلي -

جَـدثاً لـدى الزوراء بين قصـورها   أجللتـه عن بطن قـاعٍ مُمحل[5]

ما كنتُ - قبل أراك تُقبـر - خائفـاً   من أن تُوارى هضبةٌ بالجندل[6]

من ثلَّ عرشك واستقادك خاطماً[7]   فانقدتَ يا قطّاع تلك الأحبـل؟!

من فـلَّ غرب حسـام فيك فردَّه   زُبرا تساقط من يمين الصيقـل؟!‏[8]

قد كنتَ من قمص الدجى في جنّةٍ   لا تُنتحى ومن الحجا في معقل

متمنّعـاً بـالفضـل لا تـرنـو إلى   مغنـاك مقلةُ راصـد مُتـأمّـل

---

(١) الندب: الخفيف في الحاجة اذا ندب اليها خف لقضائها. المفلل: المثلم.

(٢) المنصل: السيف والسنان.

(٣) لا تطبيك: لا تزدهيك.

(٤) من عل: من فوق.

(٥) الممحل: المقفر.

(٦) الهضبة: الجبل المنبسط أو الطويل الممتنع المنفرد. الجندل: الصخرة.

(٧) الخاطم: واضع الخطام بالانف.

(٨) زبر جمع زبرة: القطعة من الحديد.

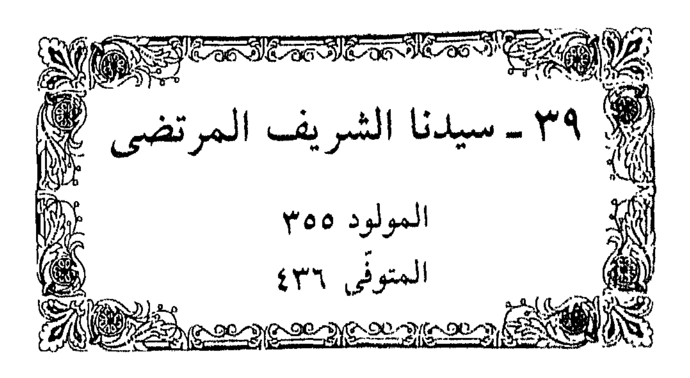
فمن أيّ خرم أو ثنيّة غِرَّةٍ طلعت عليك يد الرَّدى المتوغلِ
ما خلتُ قبلك انّ خدعة قانص تلجُ العرين وراءَ ليث مُشبلِ
أو أنَّ كفَّ الدَّهر يقوى بطشها حتّى تظفَّر في ذؤابة يذبُلِ [1]
كانوا يرون الفضل للمتقدِّم السبّاق والنقصان في المتقبِّلِ
قول الهوى وشريعةٌ منسوخةٌ وقضيَّةٌ من عادة لم تعدلِ
حتّى نجمت فأجمعوا وتبيَّنوا أنَّ الأخير مقصِّرٌ بالأوّلِ
بكر النعيُّ فسكَّ فيك مسامعي وأعاد صبحي جنح ليلٍ أليلِ
ونزت بنيّاتُ الفؤاد لصوته نزو الفصائل في زفير المرجلِ [2]
ما كنت أحسب ـ والزمان مقاتلي يرمي ويخطىء ـ أن يومك مقتلي
يومٌ أطلَّ بغُلّةٍ لا يشتفي منها الهدى وبغمَّةٍ لا تنجلي
فكأنّه يوم «الوصيِّ» مدافعاً عن حتفه بعد النبيِّ المرسَلِ
ما إن رأت عيناي أكثر باكياً منه وأوجع رنَّة من مُعولِ
حُشدوا على جنبات نعشك وُقّعاً حشدَ العطاش على شفير المنهلِ
وتنازفوا الدمع الغريب كأنّما الإ سلام قبلك امّه لم تثكلِ
يمشون خلفك والثرى بك روضةٌ كحل العيونَ بها تراب الأرجلِ
إن كان حظّي من وصالك قبلها حظَّ المغبِّ ونهزةَ المتقلّلِ
فلأعطينّك من ودادي ميّتاً جهدَ المنيب ورجعةَ المتنصّلِ
لو أنفدت عيني عليك دموعها فليبكينَّك بالقوافي مِقولي
ومتى تلفَّت للنصيحة موجعٌ يبغي السلوَّ ومالَ ميلَ العُذَّلِ
فسلوّك الماءُ الذي لا أستقي عطشانَ والنارُ التي لا أصطلي
رقّاصة القطرات تختم في الحصا وسماً وتفحص في الثرى المتهيِّلِ
نسجت لها كفُّ الجنوب مُلاءةً رتقاء لا تُفصى بكفِّ الشمألِ

---

(١) الذؤابة: الناصية. يذبل بالفتح ثم السكون. جبل بنجد في طريقها.
(٢) الفصائل ج فصيلة: القطعة من لحم الافخاذ. المرجل: القدر.

صبّابة الجنبات تسمع حولها للرعد شقشقة القُروم البزّل[1]
تُرضي ثراك بواكفٍ متدفّقٍ يُروي صداك وقاطر مُتسلسل
حتّى يرى زوّار قبرك أنّهم حطّوا رحالهمُ بوادٍ مبقل
ومتى ونتْ أو قصّرت أهدابها أمددتها منّي بدمع مسبل

(١) القروم جمع قرم: الفحل من الابل. البزل جمع بازل: الفحل المسن.



٣٩ ـ سيدنا الشريف المرتضى

المولود ٣٥٥

المتوفّى ٤٣٦

لـو لم يُعاجله النَّـوى لتحيَّـرا ... وقصاره وقد انتأاوا أن يقصرا

أفكلّمـا راع الخليط تصوّبت ... عبـرات عين لم تقـلّ فتكثـرا

قـد أوقدتْ حـرّى الفراق صبابةً ... لم تستعر ومرين دمعاً ما جرى

شغفٌ يكتّمـه الحياء ولـوعـةٌ ... خفيت وحقَّ لمثلها أن تظهـرا

أين الركائب؟! لم يكن ما عُلنه ... صبـراً ولكن كـان ذاك تصبّـرا

لبَّين داعيـة النَّـوى فـأريننـا ... بين القباب البيض موتاً أحمـرا

وبعـدن بـالبين المشتّت سـاعـة ... فكـأنَّهـنَّ بعـدنَ عنّـا أشهـرا

عـاجوا على ثمـد البطاح وحبّهم ... أجـرى العيون غـداة بانـوا أبحرا

وتنكّبـوا وعـر الـطريق وخلّفـوا ... ما في الجوانح من هواهم أوعرا

أمّـا الـسلوُّ فـإنَّـه لا يـهتـدي ... قصـد القلوب وقد حشن تـذكّرا

قد رمتُ ذاك فلم أجده وحقٍّ مَن ... فقد السبيل إلى الهدى أن يُعذرا

أهـلاً بـطيف خيـال مـانعـةٍ لنـا ... يقـظى ومفضلة علينا في الكـرى

مـا كـان أنعمنـا بهـا من زورةٍ ... لو باعدتْ وقت الورود المصدرا

جزعت لو خطات المشيب وإنَّما ... بلغ الشبـاب مدى الكمـال فنوَّرا

والشيب إن أنكـرتَ فيـه مـورداً ... لا بـدَّ يـورده الفتى إن عمَّـرا

يبيضُّ بعـد سواده الشَّعـر الـذي ... إن لم يـزره الشيب واراه الثـرى

زمن الشبيبـة لا عـدتـك تحيَّـة ... وسقـاك منهمر الحيـاء استغـزرا

فلطالما أضحى ردائي ساحباً ... في ظلّك الوافي وعودي أخضرا
أيّام يرمقني الغزال إذا رنا ... شغفاً ويطرقني الخيال إذا سرى
ومرنّحٌ في الكور تحسب أنّه ... اصطبح العقار وانما اغتبق السرى
بطلٌ صفاه للخداع مزلّة ... فاذا مشى فيه الزماع تغشمرا
أمّا سألت به فلا تسأل به ... نأياً يناغي في البطالة مزمرا
واسأل به الجرد العتاق مغيرة ... يخبطن هاماً أو يطأن سنوّرا
يحملن كلَّ مدجَّج يقري الظبا ... علقاً وأنفاس السوافي عثيرا
قومي الذين وقد دجت سبل الهدى ... تركوا طريق الدين فينا مُقمرا
غلبوا على الشرف التليد وجاوزوا ... ذاك التليد تطرّفاً وتخيّرا
كم فيهمُ من قسورٍ متخمّطٍ ... يُردي إذا شاء الهزبر القسورا
متنمّر والحرب إن هتفتْ به ... أدّته بسّام المحيّا مُسفرا
وملوّمٍ في بذله ولطالما ... أضحى جديراً في العلا أن يشكرا
ومرفّع فوق الرّجال تخاله ... يوم الخطابة قد تسنّم منبرا
جمعوا الجميل إلى الجمال وإنّما ... ضمّوا إلى المرأى الممدّح مخبرا
سائلْ بهم بدراً وأُحداً والتي ... ردّت جبين بني الضّلال مُعفّرا
لله درٌّ فوارس في خيبر ... حملوا عن الإسلام يوماً منكرا
عصفوا السلطان اليهود وأولجوا ... تبك الجوانح لوعة وتحسّرا
واستلحموا أبطالهم واستخرجوا ... الأزلام من أيديهمُ والميسرا
وبمرحب ألوى فتىً ذو جمرةٍ ... لا تُصطلى وبسالة لا تُفترى[1]
إن حزَّ حزَّ مطبّقاً أو قال قا ... ل مصدّقاً أو رام رام مظهّرا
فثناه مصفرَّ البنان كأنّما ... لطخ الحمام عليه صبغاً أصفرا
شهق العقاب بشلوه ولقد هفتْ ... زمناً به شمُّ الذوائب والذرى
أمّا الرسول فقد أبان ولاءه ... لو كان ينفع حائراً أن يُنذرا
أمضى مقالاً لم يقله معرّضاً ... وأشاد ذكراً لم يشده معذّرا

(١) لا تفترى : لا تقدر ولا تحمى.

وثنى إليه رقابهم وأقامه ... عَلماً على باب النجاة مشهّرا
ولقد شفى يوم « الغدير » معاشراً ... ثلجت نفوسهم وأودى معشرا
قلعت به أحقادهم فمرجّعٌ ... نفساً ومانع أنّةٍ أن تجهرا
يا راكباً رقصتْ به مهريّةٌ ... أشبت لساحته الهموم فأصحرا
عُج بالغريّ فإنّ فيه ثاوياً ... جبلاً تطأطأ فاطمأنَّ به الثرى
وأقر السّلام عليه من كلفٍ به ... كشفت له حجب الصباح فأبصرا
ولو استطعتُ جعلت دار إقامتي ... تلك القبور الزُّهر حتّى أُقبرا

أخذنا القصيدة من الجزء الأوّل من ديوان ناظمها وفي مفتتح ديوانه والديوان مرتّبٌ على السنين في ستّة أجزاء توجد منه نسخةٌ مقروّةٌ على نفس السيّد الشريف علم الهدى. وذكر إبن شهراشوب لسيّدنا الشريف المرتضى أبياتاً قالها في عيد « الغدير » راجع الجزء الثالث من مناقبه ص ٣٢.

(الشاعر)

السيّد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليُّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السّلام.

لا عتب على اليراع إذا وقف عن تحديد عظمة الشريف المبجّل، كما أنّه لا لوم على المدره اللسن إذا تلجلج في الإفاضة عن رفعة مقامه، فإنَّ نواحي فضله لا تنحصر بواحدة، ولا أنَّ مآثره معدودةٌ يحاولها البليغ المفوّه، ويتحرّى الإبانة عنها الكاتب المتشدّق أو يلقي عنها الخطيب المفصح، فإلى أيّ منصّةٍ من الفضيلة نحوت فله فيها الموقف الأسمى، وإلى أيِّ صهوةٍ وقع خيالك فله هنالك مرتبعٌ ممنّعٌ، فهو إمام الفقه، ومؤسّس أُصوله، واستاذ الكلام، ونابغة الشّعر، وراوية الحديث، وبطل المناظرة، والقدوة في اللغة، وبه الاسوة في العلوم العربيّة كلّها، وهو المرجع في تفسير كتاب الله العزيز، وجماع القول إنّك لا تجد فضيلةً إلّا وهو إبن بجدتها.

أضف إلى ذلك كله نسبه الوضّاح، وحسبه المتألّق؛ وأواصره النبويّة الشذيَّة، ومآثره العلويَّة الوضيئة إلى أياديه الواجبة في تشييد المذهب، ومساعيه المشكورة عند الإماميَّة جمعاء، وهي التي خلّدت له الذكر الحميد، والعظمة الخالدة، ومن هذه الفضائل ما خطّه مزبره القويم من كتب ورسائل إستفاد بها أعلام الدين في أجيالهم وأدوارهم وإليك أسماؤها:

١ - الشافي في الإمامة ط.
٢ - الملخص في الأصول.
٣ - الذخيرة في الأصول.
٤ - جمل العلم والعمل.
٥ - الغُرر والدُّرر ط.
٦ - تكملة الغُرر.
٧ - المقنع في الغيبة.
٨ - الخلاف في الفقه.
٩ - الناصريَّة في الفقه ط.
١٠ - الحلبيَّة الاولى.
١١ - الحلبيَّة الأخيرة.
١٢ - المسائل الجرجانيَّة.
١٣ - المسائل الطوسيَّة.
١٤ - المسائل الصباويَّة.
١٥ - المسائل التبانيات[1].
١٦ - المسائل السلّاريَّة.
١٧ - مسائل في عدَّة آيات.
١٨ - المسائل الرازيَّة.
١٩ - المسائل الكلاميَّة.
٢٠ - المسائل الصيداويَّة.
٢١ - المسائل الديلميَّة في الفقه.
٢٢ - كتاب البرق.
٢٣ - طيف الخيال.
٢٤ - الشيب والشباب ط.
٢٥ - المقمصة.
٢٦ - المصباح في الفقه.
٢٧ - نصر الرِّواية.
٢٨ - الذريعة في أصول الفقه.
٢٩ - شرح بائية الحميري.
٣٠ - تنزيه الأنبياء ط.
٣١ - إبطال القول بالعدد.
٣٢ - المحكم والمتشابه.
٣٣ - النجوم والمنجّمون.
٣٤ - متولّي غسل الإمام.
٣٥ - الأصول الإعتقاديَّة.
٣٦ - أحكام أهل الآخرة.

---

(١) سئلها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التبان المتوفى ٤١٩ وهي ٦٦ مسئلة في عشرة فصول.

٣٧ ـ معنى العصمة .
٣٨ ـ الوجيزة في الغيبة .
٣٩ ـ تقريب الأصول .
٤٠ ـ طبيعة المسلمين .
٤١ ـ رسالةٌ في علم الله .
٤٢ ـ رسالةٌ في الإرادة .
٤٣ ـ أيضاً رسالةٌ في الإرادة .
٤٤ ـ رسالةٌ في التّوبة .
٤٥ ـ رسالة في التأكيد .
٤٦ ـ رسالةٌ في المتعة .
٤٧ ـ دليل الخطاب .
٤٨ ـ طرق الإستدلال .
٤٩ ـ كتاب الوعيد .
٥٠ ـ شرح قصيدةٍ له .
٥١ ـ الحدود والحقائق .
٥٢ ـ مفردات في أصول الفقه .
٥٣ ـ الموصليّة ثلاث مسائل .
٥٤ ـ الموصليّة الثانية تسع مسائل .
٥٥ ـ الموصليّة الثالثة ١٠٩ مسألة .
٥٦ ـ المسائل الطرابلسيّة الأولى .
٥٧ ـ الطرابلسيّة الأخيرة ١٣ مسألة .
٥٨ ـ مسائل ميافارقين ٦٥ مسألة .
٥٩ ـ المسائل الرازيّة ١٤ مسألة .
٦٠ ـ المسائل المحمّديّات ٥ مسائل .
٦١ ـ المسائل البادرات ٢٤ مسألة .
٦٢ ـ المسائل المصريّة الأولى ٥ مسائل .
٦٣ ـ المصريّات الثانية .
٦٤ ـ المسائل الرمليّات ٧ مسائل .
٦٥ ـ مسائل في فنون شتّى نحو مائة مسألة[1]
٦٦ ـ المسائل الرسيّة الاولى[2] .
٦٧ ـ المسائل الرسيّة الثانية .
٦٨ ـ الإنتصار فيما انفردت به الإماميّة ط .
٦٩ ـ تفضيل الأنبياء على الملائكة .
٧٠ ـ النقض على ابن جنّي في الحكاية والمحكي .
٧١ ـ ديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت
٧٢ ـ الصرفة في بيان إعجاز القران .
٧٣ ـ الرّسالة الباهرة في العترة الطاهرة .
٧٤ ـ نقض مقالة ابن عدي فيما لا يتناهى .
٧٥ ـ جواب الملاحدة في قدم العالم .
٧٦ ـ تتمّة الأعراض من جمع أبي رشيد .
٧٧ ـ نكاح أمير المؤمنين إبنته من عمر .
٧٨ ـ إنقاذ البشر من القضاء والقدر ط .

---

(١) سئلها الشيخ أبو الفضل ابراهيم بن الحسن الاباني.
(٢) ٢٨ مسئلة سئلها العلامة ابو الحسين الحسين بن محمد بن الناصر الحسيني الرسي.

٧٩ ـ الـرَّد عـلى أصحـاب العـدد في شهـر رمضان .

٨٠ ـ تفسـير الحمـد وقـطعـة من سـورة البقرة .

٨١ ـ الردّ على ابن عدي في حدوث الأجسام .

٨٢ ـ تفسير قوله تعالى : ﴿قـل تعالـوا اتل مـا حرّم ربّكم عليكم﴾ .

٨٣ ـ كتاب الثمانين[١] .

٨٤ ـ الكلام على ما تعلّق بقوله : ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر

٨٥ ـ تفسير قوله : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا .

٨٦ ـ تتبّع أبيات للمتنبّي التي تكلّم عليها إبن جنّي .

كلمات الثناء عليه

أبو القاسم المرتضى حاز من العلوم مالم يُدانه فيه احدٌ في زمانه ، وسمع من الحديث فأكثر ، وكان متكلّماً شاعراً أديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا .[٢]

أبو القاسم نقيب النقباء الفقيه النظّار المصنِّف بقيَّة العلماء وأوحد الفضلاء رأيته فصيح اللسان يتوقّد ذكاءً .[٣]

المرتضى متوحِّدٌ في علومٍ كثيرة ، مجمعٌ على فضله ، مقدّمٌ في العلوم مثل علم الكلام والفقه واصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر

---

(١) قاله القاضي التنوخي كما في المستدرك ج ٣ ص ٥١٦ .

(٢) النجاشي في فهرسته ص ١٩٢ .

(٣) الانساب للمجدي العمري .

واللغة وغير ذلك ، له من التصانيف ومسائل البلدان شيءٌ كثيرٌ مشتمل على ذلك فهرسته المعروف[١] .

وقال الشيخ في رجاله: إنّه أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متكلّمٌ فقيهٌ جامع العلوم كلّها مدَّ الله في عمره.

وقال الثعالبي في تتميم‌يتيمته ج ١ ص ٥٣ : قد انتهت الرِّئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم وله شعرٌ في نهاية الحسن.

وفي تاريخ ابن خلكان: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقالةٌ في اصول الدين، وذكره إبن بسّام في الذخيرة وقال: كان هذا الشريف إمام أئمّة العراق بين الإختلاف والإتّفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماءها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تآليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد انّه فرع تلك الاصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل، وملح الشريف وفضائله كثيرةٌ.

وحكى الخطيب التبريزي: انَّ أبا الحسن عليَّ بن أحمد بن عليٍّ بن سلك الفالي[٢] الأديب كان له نسخةٌ لكتاب « الجمهرة » لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى بستّين ديناراً فتصفّحها فوجد فيها أبياتاً بخطّ بائعها أبي الحسن المذكور والأبيات قوله:

انستُ بها عشرين حولاً وبعتها	فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أنّني سأبيعها	ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ	صغارٍ عليهم تستهلّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي	مقالة مكويّ الفؤاد حزينِ
: وقد تخرج الحاجات يا امّ مالك	كرائم من ربّ بهنَّ ضنينِ

---

(١) فهرست الشيخ ص ٩٩، وخلاصة العلامة ص ٤٦ .

(٢) نسبة الى فالة وهي بلدة بخوزستان قريبة من أيذج .

فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير رحمه الله تعالى.

وقال السيِّد إبن زهرة في « غاية الإختصار »: علم الهدى الفقيه النظّار، سيِّد الشيعة وإمامهم، فقيه أهل البيت، العالم المتكلّم البعيد، الشاعر المجيد كان له برٌّ وصدقة وتفقّدٌ في السِّر عرف ذلك بعد موته رحمه الله؛ كان أسنَّ من أخيه ولم يُر اخوان مثلهما شرفاً وفضلاً ونُبلاً وجلالة ورئاسة وتحابياً وتوادداً، لَمّا مات الرَّضي لم يُصلِّ المرتضى عليه عجزاً عن مشاهدة جنازته وتهالكاً في الحزن، ترك المرتضى خمسين ألف دينار ومن الآنية والفرش والضياع ما يزيد على ذلك.

وعن الشيخ عزِّ الدين أحمد بن مقبل أنَّه قال: لو حلف إنسان انَّ السيِّد المرتضى كان أعلم بالعربيّة من العرب لم يكن عندي آثماً، وقد بلغني عن شيخٍ من شيوخ الأدب بمصر انّه قال: والله انّي استفدت من كتاب « الغرر والدرر » مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو، وكان نصير الدين الطوسي إذا جرى ذكره في درسه يقول: صلوات الله عليه، ويلتفت إلى القضاة والمدرِّسين الحاضرين ويقول: كيف لا يُصلّى على السيِّد المرتضى؟!

في « عمدة الطالب » ص ١٨١: كان مرتبته في العلم عالية فقهاً وكلاماً وحديثاً ولغةً وأدباً وغير ذلك، وكان متقدِّماً في فقه الإماميّة وكلامهم ناصراً لأقوالهم.

وفي « دمية القصر » ص ٧٥: هو وأخوه من دوح السيادة ثمران، وفي فلك الرِّياسة قمران؛ وأدب الرضي إذا قرن بعلم المرتضى كانن كالفرند في متن الصّارم المنتضى. وفي « لسان الميزان » ج ٤ ص ٢٢٣ قال ابن طي: هو أوّل من جعل داره دار العلم وقدَّرها للمناظرة، ويُقال: إنّه أمر ولم يبلغ العشرين وكان قد حصل على رياسة الدنيا بالعلم مع العمل الكثير والمواظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل وإفادة العلم وكان لا يؤثر على العلم شيئاً مع البلاغة وفصاحة اللهجة.

وحكى عن الشيخ أبي اسحاق الشيرازي انّه قال: كان الشريف المرتضى ثابت الجاش، ينطق بلسان المعرفة، ويردِّد الكلمة المسدَّدة فتمرق مروق السهم من الرمية ما أصاب، وما أخطأ أشوى.

إذا شرع الناس الكلام رأيته لـه جانبٌ منه وللناس جانبُ

وقال السيِّد الشيرازي في « الدرجات الرفيعة »: كان الشريف المرتضى أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابةً وجاهاً وكرماً إلى غير ذلك.

وفي شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٦: نقيب الطالبيِّين؛ وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق، كان إماماً في التشيّع والكلام والشعر والبلاغة كثير التصانيف، متبحِّراً في فنون العلم.

ويجد القارىء لدة هذه الكلمات كثيرة في طيِّ الكتب والمعاجم منها:

تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٢	المنتظم ج ٨ ص ١٢٠	معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧٣
خلاصة العلاّمة ص ٤٦	رجال ابن داود	أنساب أبي نصر البخاري
ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٢٣	غاية الإختصار لابن زهرة	كامل ابن الأثير ج ٩ ص ١٨١
تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص٥٣	مراة الجنان ج ٣ ص ٥٥	لسان الميزان ج ٥ ص ١٤١
بغية الوعاة ص ٣٣٥	إتحاف الورى بأخبار أمّ القُرى	صحاح الأخبار ص ٦١
جامع الأقوال في الرِّجال	مجالس المؤمنين ص ٢٠٩	رجال ابن أبي جامع
تحفة الأزهار لابن شدقم	الإجازة الكبيرة للساهيجي	إتقان المقال ص ٩٣
رياض العلماء للميرزا	كشكول البهائي ج ٢	مجمع البحرين مادة: رضا
ملخّص المقال ص ٨٠	رياض الجنّة للزنوزي	الدرجات الرفيعة للسيِّد
الوسائل ج ٣ ص ٥٥١	أمل الأمل للشيخ العاملي	منهج المقال ص ٢٣١ للميرزا

منتهى المقال ص ٢١٤	عقد اللئالي لأبي علي الرجالي	تتميم الأمل للشيخ الكاظمي
كشكول البحراني ص ٢١٦	المقابيس لشيخنا التستري	مستدرك النوري ج٣ ص ٥١٥
نسمة السحر لليماني	تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٤	الشيعة وفنون الإسلام ص ٥٣
الأعلام ج٢ ص ٦٦٧	تاريخ آداب اللغة ج٢ ص٢٨٨	سفينة البحار ج ١ ص ٥٢٥
الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٣٩	هديّة الأحباب ص ٢٠٣	وفيات الأعلام للرازي خ

دائرة المعارف للبستاني ج ١٠ ص ٤٥٩، دائرة المعارف لمحمّد فريد ج ٤ ص ٢٦٠، معجم المطبوعات ص ١١٢٤، مجلّة العرفان أجزاء المجلد الثاني بقلم العلاّمة سيِّدنا المحسن الأمين العاملي.

مشايخه ومن يروي هو عنه:

١ ـ الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان المتوفّى ٤١٢.

٢ ـ أبو محمّد هارون بن موسى التلعكبري المتوفّى ٣٨٥.

٣ ـ الحسين بن عليّ بن بابويه أخو الصّدوق.

٤ ـ أبو الحسن أحمد بن عليّ بن سعيد الكوفي يروي عنه السيّد كما في إجازة السيِّد ابن أبي الرضا تلميذ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي.

٥ ـ أبو عبد الله محمّد بن عمران الكاتب المرزباني الخراساني البغدادي.

٦ ـ الشيخ الصّدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي المتوفّى ٣٨١ كما في الإجازات.

٧ ـ أبو يحيى إبن نباتة عبد الرَّحيم بن الفارقي المتوفّى ٣٧٤ قرأ عليه كما في الدرجات الرفيعة.

٨ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد الكاتب يروي عنه في أماليه.

٩ ـ أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى يروي عنه في الأمالي.

١٠ ـ أحمد بن سهل الديباجي يروي عنه كما في « الرياض » عن « جامع الاصول » لابن الأثير، وفي تاريخ الخطيب البغدادي، وميزان الاعتدال ولسانه لابن حجر: حدَّث عن سهل الديباجي[1].

تلامذة سيدنا المرتضى:

١ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفّى ٤٦٠.

٢ ـ أبو يعلى سلّار بن عبد العزيز الديلمي.

٣ ـ أبو الصلاح تقيّ بن نجم الحلبي خليفته في بلاد حلب.

٤ ـ القاضي عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي المتوفّى ٤٨١.

٥ ـ الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري المتوفّى ٤٦٣.

٦ ـ أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسيني المروزي.

٧ ـ السيّد نجيب الدين أبو محمّد الحسن بن محمّد بن الحسن الموسوي.

٨ ـ السيّد التقيّ بن أبي طاهر الهادي النقيب الرازي.

٩ ـ الشيخ أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي المتوفّى ٤٤٩ قرأ عليه كما في فهرست الشيخ منتجب الدين.

---

(١) هو سهل بن عبد الله أبو محمد الديباجي.

١٠ - الشيخ أبو الحسن سليمان الصهرشتي صاحب كتاب « قبس المصباح ».

١١ - الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمّد الدوريستي.

١٢ - أبو الفضل ثابت بن عبد الله البناني.

١٣ - الشيخ أحمد بن الحسن بن أحمد النيسابوري الخزاعي يُعدُّ من أجلة تلامذته.

١٤ - الشيخ المفيد الثاني أبو محمّد عبد الرحمن بن أحمد الرازي.

١٥ - الشيخ أبو المعالي أحمد بن قدامة كما في إجازة الشيخ فخر الدين الحلّي للسيِّد مهنّا، وإفادات الشيخ المذكور إبن علاّمة الحلّي ب[1] ج ٢٥ ص ٥٣.

١٦ - الشيخ أبو عبد الله محمّد بن علي الحلواني كما في إجازة السيِّد إبن أبي الرِّضا العلوي تلميذ الشيخ نجيب الدين الحلّي ب ج ٢٥ ص ٨٨.

١٧ - أبو زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني كما في إجازة السيّد المذكور ب ج ٢٥ ص ١٠٨.

١٨ - الشيخ أبو غانم العصمي الهروي الشيعي ب ج ٢٥ ص ١٠٨.

١٩ - الفقيه الداعي الحسيني كما في إجازة صاحب المعالم الكبيرة ب ج ٢٥.

٢٠ - السيِّد الحسين بن الحسن بن زيد الجرجاني يروي عن السيّد المترجَم كما في تاريخ إبن عساكر ج ٤ ص ٢٩٠.

٢١ - أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي قرأ على السيّد قطعة كبيرة من ديوان شعره وأجاز له رواية جميعه في ذي القعدة سنة ٤٠٣.

---

(١) الباء اشارة الى بحار الانوار للعلامة المجلسي.

٢٢ ـ أبو الحسن محمّد بن محمّد البصري أجاز له رواية كتبه وتآليفه في شعبان سنة ٤١٧.

علم الهدى والمعري

قال أبو الحسن العمري في « المجدي »: إجتمعت بالشريف المرتضى سنة ٤٢٥ ببغداد فرأيته فصيح اللسان يتوقّد ذكاءً، وحضر مجلسه أبو العلاء المعري ذات يوم فجرى ذكر أبي الطيِّب المتنبّي فنقّصه الشريف وعاب بعض أشعاره فقال أبو العلاء: لو لم يكن لأبي الطيِّب إلاّ قوله: لكِ يا منازل في القلوب منازل. لكفاه. فغضب الشريف وأمر بأبي العلاء فسحب واخرج، فتعجَّب الحاضرون من ذلك فقال لهم الشريف: أعلمتم ما أراد الأعمى؟! إنّما أراد قوله:

وإذا أتتك مذمَّتي من ناقصٍ ... فهي الشهادة لي بأنّي كامل

قال الطبرسي في الإحتجاج: دخل أبو العلاء المعرّي الدهري على السيِّد المرتضى قدس الله سره فقال له: أيّها السيِّد ما قولك في الكلّ؟ فقال السيِّد: ما قولك في الجزء؟ فقال: ما قولك في الشعرى؟ فقال: ما قولك في التدوير؟ قال: ما قولك في عدم الإنتهاء؟ فقال: ما قولك في التحيّز والناعورة؟ فقال: ما قولك في السبع؟ فقال: ما قولك في الزائد البريء من السبع؟ فقال: ما قولك في الأربع؟ فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟ فقال: ما قولك في المؤثِّر؟ فقال: ما قولك في المؤثِّرات؟ فقال: ما قولك في النحسين؟ فقال: ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء. فقال السيِّد المرتضى رضي الله عنه عند ذلك ألا كلّ ملحد ملهد. وقال: أبو العلاء: أخذته من كتاب الله عزَّ وجلَّ يا بُنيَّ لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ. وقام وخرج.

فقال السيِّد رضي الله عنه: قد غاب عنّا الرجل وبعد هذا لا يرانا. فسئل السيِّد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال: سئلني عن الكلّ وعنده الكلُّ قديم ويُشير بذلك إلى عالم سماء العالم الكبير فقال لي: ما قولك فيه؟ أراد انَّه قديم

فأجبته عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء؟ لأنَّ عندهم الجزء محدَث وهو المتولَّد عن العالم الكبير وهذا الجزء هو العالم الصغير عندهم، وكان مرادي بذلك انَّه إذا صحَّ انَّ هذا العالم محدَث فذلك الذي أشار إليه إن صحَّ فهو محدَث ايضاً، لأنَّ هذا من جنسه على زعمه والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدَثاً فسكت لمّا سمع ما قلته.

وأمَّا الشعرى أراد أنَّها ليست من الكواكب السيّارة لأنَّه قديمٌ، فقلت له: ما قولك في التدوير؟ أردت انَّ الفلك في التدوير والدورات فالشعرى لا يقدح في ذلك.

وأمَّا عدم الإنتهاء أراد بذلك انَّ العالم لا ينتهي لأنَّه قديم، فقلت له: قد صحَّ عندي التحيّز والتدوير وكلاهما يدلان على الإنتهاء.

وأمّا السبع أراد بذلك النجوم السيّارة التي عندهم ذوات الأحكام، فقلت له: هذا باطلٌ بالزائد البريء الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيّارة التي هي الزهرة، والمشتري، والمرّيخ، وعطارد، والشمس، والقمر، والزُّحل.

وأمّا الأربع أراد بها الطبائع فقلت له: ما قولك في الطبيعة الواحدة الناريّة يتولّد منها الدابَّة بجلدها تمسُّ الأيدي ثمّ تطرح ذلك الجلد على النار فيحترق الزهومات ويبقى الجلد صحيحاً لأنَّ الدابّة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحترق بالنار والثلج أيضاً يتولَّد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة، والماء في البحر على طبيعتين يتولَّد عنه السموك والضفادع والحيّات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلّا بالأربع فهذا مناقضٌ لهذا.

وأمّا المؤثّر أراد به الزحل، فقلت له: ما قولك في المؤثّرات أردت بذلك انَّ المؤثّرات كلهنَّ عنده مؤثّرات فالمؤثّر القديم كيف يكون مؤثّراً.

وأمّا النحسين أراد بهما أنَّهما من النجوم السيّارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعدٌ، فقلت له: ما قولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما

نحس؟ هذا حكمٌ أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أنَّ الأحكام لا تتعلّق بالمسخرات لأنَّ الشاهد يشهد على أنَّ العسل والسكر إذا اجتمعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدبس والسكر، هذا دليلٌ على بطلان قولهم.

وأمّا قولي: ألا كلّ الملحد منهد. أردت انَّ كل مشرك ظالمٌ لأنَّ في اللغة ألحد الرجل عن الدين إذا عدل عن الدين، وألهد إذا ظلم. فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرء: يا بُنيَّ لا تُشرك بالله . الآية.

وقيل: إنَّ المعرّي لَمّا خرج من العراق سُئل عن السيِّد المرتضى [رض] فقال:

يـا سـائلي عنـه لَمّـا جئت أسئله	ألا هو الرَّجـل العاري من العـار
لو جئته لـرأيت الناس في رجـل	والدهر في ساعةٍ والأرض في دارِ[1]

علم الهدى وابن المطرز [2]

في « الدرجات الرفيعة »: انَّ الشريف المرتضى كان جالساً في علية له تشرف على الطريق فرأى إبن المطرز الشاعر وفي رجليه نعلان مقطّعان وهما يثيران الغبار فقال له: أمِن مثل هذه كانت ركائبك؟ يشير إلى بيت في قصيدته التي أوَّلها:

سرى مغرباً بالعيش ينتجع الركبا	يُسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
على عذبات الجزع من ماء تغلب	غزالٌ يرى ماء القلوب له شـربا
إذا لم تبلّغنـي إليـك ركـائـبي	فلا وردت ماءً ولا رعت العشبـا

والبيت الأخير هو المشار إليه فقال إبن المطرز: لما عادت هبات سيِّدنا الشريف إلى مثل قوله:

يـا خـليـليَّ مـن ذوابـة قـيس	في التَّصـابي مكـارم الأخـلاقِ
غنيـاني بـذكـرهم تـطربـاني	واسقيـاني دمعي بكـأس دهـاقِ
وخـذا النـوم من جفـوني فـإنّي	قد خلعت الكرى على العشّاقِ

---

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ٥٨٧.

(٢) هو ابو القاسم عبد الواحد البغدادي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٤٣٩.

عادت ركائبي إلى ما ترى فإنّه وهب مالا يملك على من لا يقبل، فأمر له الشريف بجائزة.

المرتضى والزعامة:

كان سيِّدنا الشريف وقد انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا من شتّى النواحي منها:

١ ـ غزارة علمه التي حدت العلماء إلى البخوع له والرضوخ لتعاليمه، فكان يختلف إلى منتدى تدريسه الجماهير من فطاحل العلم والنظر فيميرهم بسائغ علمه، ويُرويهم بنمير أنظاره العالية، فتخرّج من تحت منبره نوابغ الوقت من فقيهٍ بارع، ومتكلّمٍ مناظرٍ، واصوليٍّ مدقّقٍ، وأديبٍ شاعرٍ، وخطيب مُبدع؛ وكان يدرُّ من ماله الطائل[١] على تلمذته الجرايات والمسانهات ليتفرّغوا بكلّهم إلى الدراسة من غير تفكير في أزمة المعيشة، فكان شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي يقتضي منه في الشهر إثني عشر ديناراً، والشيخ القاضي إبن البراج الحلبي يستوفي ثمانية دنانير، وكمثلهما بقيَّة تلامذته، وكان قد وقف قرية على كاغذ الفقهاء، ويقال: إنَّ الناس أصابهم في بعض السنين قحطٌ شديدٌ فاحتال رجلٌ يهوديٌ على تحصيل قوته فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى وسأله أن يأذن له في أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم فأذن له وأمر له بجراية تجري عليه كلّ يوم فقرأ عليه برهة ثمَّ أسلم على يديه[٢] وكان لم ير لثروته الطائلة قيمةً تجاه مكارمه وكراماته وكان يقول:

وما حزني الإملاق والثروة التي ... يذلُّ بها أهل اليسار ضلالُ
أليس يبقّي المال إلاّ ضنانة ... وأفقر أقواماً ندى ونوالُ
إذا لم أنل بالمال حاجة مُعسرٍ ... حصورٍ عن الشكوى فمالي مالُ

---

(١) كان يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار كما في «معجم الادباء» ج ١٣ ص ١٥٤.

(٢) الدرجات الرفيعة للعلامة السيد على خان.

٢ ـ وشرفه الوضّاح النبويّ الذي ألزم خلفاء الوقت تفويض نقابة النقباء الطالبيِّين إليه بعد وفاة أخيه الشريف الرَّضي ، وأنت تعلم أهميَّة هـذا المنصب يومئذ حيث أخـذ فيه السلطة العـامَّة على العلويِّين في أقـطار العالم يـرجع إلى نقيبهم حلّها وربطها وتعليمها وتـأديبها والأخـذ بظلامـاتهم وأخذهـا منهم والنظر في أمورهـم في كلِّ وردٍ وصدَر .

٣ ـ ورفعة بيته وجلالة منبته فقد كانت سلسلة آباءه من طرفيه متواصلةً من أمير إلى نقيب إلى زعيم إلى شريف، وهذه مشفوعةً بما كان فيه من لباقةٍ وحنكةٍ وحذقٍ في الامور هي التي أهَّلته لأن تُفوَّض إليه إمارة الحاجّ فكان يسير بهم سيراً سُجحاً ولا يرجع بهم إلّا من دعةٍ إلى دعةٍ، والحجيج بين شاكرٍ لكلاءته، وذاكرٍ لمقدرته، ومُطرٍ أخلاقه، ومتبرِّكٍ بفضائله، ومثنٍ على أياديه.

٤ ـ ولشموخ محلّه وعظمة قدره بين أظهر الناس ومكـانته العـالية عنـد الأهلين، وجمعه بين سطوة الحماة وثبت القضاة إنقادت إليه ولاية المظالم، فتولّى النقابة شرقاً وغرباً، وإمارة الحاج والحرمين، والنظر في المظالم، وقضاء القضاة ثلاثين سنة وأشهراً[١].

قال إبن الجوزي في « المنتظم » ج ٧ ص ٢٧٦ : في يوم السبت الثالث من صفر ـ سنة ٤٠٦ ـ قلّد الشريف المرتضى ابـو القاسم المـوسوي الحـجّ والمظالم ونقابة النقباء الطالبيِّين وجميع ما كان إلى أخيه الرَّضي، وجمع الناس لقرائة عهده في الدار الملكيَّة وحضر فخر الملك والأشراف والقضاة والفقهاء وكان في العهد: هذا ما عهد عبد الله أبو العبّاس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قرَّبته إليه الأنساب الزكيَّة، وقدَّمتـه لديه الأسباب القويَّة، واستظلَّ معه بأغصان الدوحة الكريمـة، واختصّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلّد الحجَّ والنقابة وأمره بتقوى الله. إلخ

---

(١) صحـاح الاخبار لسراج الـدين الرفـاعي ص ٦١، والمستدرك ج ٣ ص ٥١٦ نقلاً عن القاضي التنوخي.

يُلقَّب بالمرتضى، والأجلّ الطاهر، وذي المجدين، ولقّب بعلم الهدى سنة ٤٢٠ وذلك أنَّ الوزير أبا سعيد محمّد بن الحسن بن عبد الرحيم مرض في تلك السنةفرأى في منامهأمير المؤمنين عليه السلام يقول له: قل لعلم الهدى يقرء عليك حتّى تبرأ. فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟ فقال: عليُّ بن الحسين الموسوي. فكتب إليه فقال رضي الله عنه: الله الله في أمري فإنّ قبولي لهذا اللقب شناعة عليَّ فقال الوزير: والله ما كتبت إليك إلاّ ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السّلام [1].

وكان يُلقَّب بالثمانين لما كان له من الكتب ثمانون ألف مجلّداً ومن القُرى ثمانين قرية تجبى إليه[2] وكذلك من غيرهما حتّى إنَّ مدَّة عمره كانت ثمانين سنة وثمانية أشهر، وصنَّف كتاباً يُقال له الثمانون.

ولادته ووفاته:

وُلد سيِّدنا المرتضى في رجب سنة ٣٥٥ وتوفّي يوم الأحد ٢٥ ربيع الأوّل سنة ٤٣٦ وعلى هذا جلّ المؤرِّخين لولا كلّهم، نعم: هناك خلافٌ يسير[3] لا يُعبأ به، وصلّى عليه إبنه وتولّى غسله أبو الحسين النجاشي ومعه الشريف أبو يعلى محمَّد بن الحسن الجعفري وسلاّر بن عبد العزيز الديلمي كما في رجال النجاشي ص ١٩٣، ودفن في داره عشيَّة ذلك النهار ثمَّ نُقل إلى الحائر المقدَّس ودُفن في مقبرتهم وكان قبره هناك كقبر أبيه وأخيه الشريف الرضي ظاهراً معروفاً مشهوراً كما في عمدة الطالب، وصحاح الأخبار، والدَّرجات الرفيعة.

وهناك فتاوى مجرَّدة من قذف سيِّدنا المترجم بالإعتزال تارةً وبالميل إليه اخرى وبنسبة وضع كتاب « نهج البلاغة » اليه طوراً من أبناء حزمٍ وجوزيٍّ

---

(١) ذكره شيخنا الشهيد في أربعينه.

(٢) الرسالة الخراجية للمحقق الثاني.

(٣) في عمدة الطالب،وصحاح الأخبار في ١٥ ربيع الاول. وفي كامل ابن الأثير اخر ربيع الاول. وفي أنساب المجدي اخر سنة ٤٣٦ أو ٤٣٧. وعن خط الشهيد الاول يوم الاحد السادس والعشرين من ربيع الاول. كل هذه مما لا يعبأ به.

وخلكان وكثير والذهبي، ومن لفّ لفّهم من المتأخّرين[1] وبما أنّها دعاوى فارغة غير مدعومة بشاهد؛ وكتب سيّدنا الشريف يهتف بخلافها ومن عرفه من المنقّبين لا يشكّ في ذلك، وقد أثبتنا نسبة « نهج البلاغة » إلى الشريف الرضي بترجمته؛ نضرب عن تفنيد تلكم الهلجات صفحاً.

ولابن كثير في « البداية والنهاية » ج ١٢ ص ٥٣ عند ذكر السيّد سباب مقذع وتحاملٌ على ابن خلكان في ثنائه عليه جرياً على عادته المطّردة مع عظماء الشيعة [وكلّ إناء بالذي فيه ينضحُ] ونحن لا نُقابله إلّا بما جاء به الذّكر الحكيم: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

نبذة من ديوان المرتضى:

ومن شعر سيّدنا علم الهدى المرتضى نقلاً عن ديوانه قوله يفتخر ويعرّض ببعض أعدائه يوجد في الجزء الأوّل منه:

أمّا الشباب فقد مضت أيّامه ... واستلّ من كفّي الغداة زمامه
وتنكّرت آياته وتغيّرتْ ... جاراته وتقوّضت آطامه
ولقد درى مَن في الشباب حياته ... أنّ المشيب إذا علاه حمامه
عوجا نحيّي الربع يُدللنا الهوى ... فلربّما نفع المحبّ سلامه
واستعبرا عنّي به إن خانني ... جفني فلم يمطر عليه غمامه
فمن الجفون جوامدٌ وذوارف ... ومن السّحاب ركامه وجهامه
دمنٌ رضعت بهنّ أخلاف الصِّبى ... لو لم يكن بعد الرِّضاع فطامه
ولقد مررتُ على العقيق فشفّني ... أن لم تغنّ على الغصون حمامه
وكأنّه دنفٌ تجلّد مونساً ... عوّاده حتّى استبان سقامهُ
من بعد ما فارقته فكأنّه ... نشوان تمسح تربه آكامه
مرحٌ يهزّ قناته لا يأتلي ... أشر الصِّبا وغرامه وعرامه
تندى على حرّ الهجير ظلاله ... ويضيء في وقت العشيّ ظلامه
وكأنّما أطياره ومياهه ... للنازليه قيانه ومُدامه

---

(١) نظراء جرجي زيدان في اداب اللغة ج ٢ ص ٢٨٨، والزركلي في الاعلام ص ٦٦٧.

وكـنّ آرام النسـاء بـأرضـه   للقـانصي طـرد الهـوى آرامـه
وكـأنّما بـرد الصَّبا خـوذانـه   وكـأنّما ورق الشَّبـاب بشـامـه
وعضيهـةٌ جـائتـك من عبقٍ بهـا   أزرى عليـك فلم يجـره كـلامـه
ورمـاك مجترئـاً عليك وإنّمـا   وافـاك من قعـر الـطويّ سـلامـه
وكـأنّمـا تسفى الرِّيـاح بعـالـج   مـا قـال أو مـا سطّرت أقـلامـه
وكـأنّ زوراً لـفّـقـت ألـفـاظـه   سلك وهي فـانحلَّ عنـه نـظامـه
وإذا الفتى قعـدت بـه أخـوالـه   في المجد لم تنهض به أعمـامـه
وإذا خصال السوء بـاعدن امرءاً   عن قـومـه لم يُـدنـه أرحـامـه
ولكم رمـاني قبل رميك حاسـدٌ   طاشت ولم تخدش سواه سهامه
ألقى كـلامـاً لم يضـرني وانثنى   ونُـدوبـه فـي جلده وكِـلامـه
هيهـات أن ألفى وسيـل مسـافـه   ينجـو بـه يـوم السبـاب لـطـامه
أو أن أرى في معـركٍ وسـلاحـه   بـدل السيـوف قـذافـه وعـذامـه
ومن البـلاء عـداوةٌ من خـامـل   لا خـلفـه لـعُـلى ولا قـدّامـه
كثـرت مساويـه فصـار كمـدحـه   بين الـخـلائق عيبـه أو ذامـه
والخرق كلّ الخـرق من متفاوتٍ   الأفعـال يتلو نقـضـه إبـرامـه
جـدب الجناب فجـاره في أزمـة   والضيـف مـوكـولٌ إليـه طعـامـه
وإذا علقت بحبـله مستعـصمـاً   فكفقـع قـرقـرة يكـون زمـامـه
وإذا عهـود القـوم كنّ كنبعـهم   فـالعهـد منـه يـراعـه وثمـامـه
وأنا الذي أعييت قبلك من رست   أطـواده واستشـرفت أعـلامـه
وتتبّـع المعـروف حتّى طنّبت   جـورا على سنن الطريق خيامه
وتـبـادرت أعـداؤه سـطواتـه   كـالليث يـرهب نـائيـاً إرزامـه
وتـرى إذا قـابلتـه عن وجهـه   كـالبـدر أشرق حين تمّ تمـامـه
حتّى تـذلّـل بعـد لأي صعبـه   وانقـاد منبـوذا إليّ خـطامـه
يُهـدى إليّ على المغيب ثنـاؤه   وإذا حضـرتُ أظلّني إكـرامـه
فمضى سليمـاً من أذاة قوارصي   واستـام ذمّي بعـده مستـامـه

والآن يوقظني لنحت صفاته ... مَن طال عن أخذ الحقوق نيامه
ويسومني ولإن خلوت فإنّني ... مَقر وفي حنك العدوِّ سمامه
فلبئسما منّته منّي خالياً ... خطراته أو سوّلت أحلامه
أمّا الطريف من الفخار فعندنا ... ولنا من المجد التليد سنامه
ولنا من البيت المحرَّم كلّما ... طافت به في موسم أقدامه
ولنا الحطيم وزمزم تراثها ... نعم التراث عن الخليل مُقامه
ولنا المشاعر والمواقف والذي ... تُهدى إليه من منى انعامه
وبجدِّنا وبصنوه دُحيت عن الـ ... ـبيت الحرام وزعزعت أصنامه
وهما علينا أطلعا شمس الهدى ... حتّى استنار حلاله وحرامه
وأبي الذي تبدو على رغم العدى ... غرّاً محجّلةً لنا أيّامه
كالبدر يكسو الليل أثواب الضحى ... والفجر شبّ على الظلام ضرامه
وهو الذي لا يقتفي في موقف ... أقدامه نكص به إقدامه
حتّى كأنّ نجاته هي حتفه ... وورائه مما يخاف أمامه
ووقى الرّسول على الفراش بنفسه ... لمّا أراد حمامه أقوامه
ثانيه في كلِّ الامور وحصنه ... في النائبات وركنه ودعامه
لله درُّ بلائه ودفاعه ... واليوم يغشى الدارعين قتامه
وكأنّما اجم العوالي غيله ... وكأنّما هو بينها ضرغامه
وترى الصريع دماؤه أكفانه ... وحنوطه أحجاره ورغامه
والموت من ماء الترائب ورده ... ومن النفوس مزاده ومسامه
طلبوا مداه ففاتهم سبقاً إلى ... أمد يشقُّ على الرِّجال مرامه
فمتى أجالوا للفخار قداحهم ... فالفائزات قداحه وسهامه
وإذا الامور تشابهت واستبهمت ... فجلاؤها وشفاؤها أحكامه
وترى النديَّ إذا احتبى لقضيّة ... عوجاً إليها مصغيات هامه
يفضي إلى لبّ البليد بيانه ... فيعي وينشىء فهمه إفهامه
بغريب لفظٍ لم تدره سقاته ... ولطيف معنى لم يفضّ ختامه

وإذا التفتَّ إلى التقى صادفته ... من كلّ برّ وافرا إقامه
فالليل فيه قيامه مُتهجِّداً ... يتلو الكتاب وفي النهار صيامه
يطوي الثلاث تعفّفاً وتكرُّماً ... حتّى يُصادف زاده معتامه
وتراه عريان اللسان من الخنا ... لا يهتدي للأمر فيه ملامه
وعلى الذي يرضي الآله هجومه ... وعن الذي لا يرتضى احجامه
فمضى بريئاً لم تشنه ذنوبه ... يوما ولا ظفرت به اثامه
ومفاخر ما شئت إن عدَّدتها ... فالسيل. أطبق لا يعدُّ ركامه
تعلو على مَن رام يوماً نيلها ... من يذبل هضباته واكامه

وقال في الجزء الرابع من ديوانه يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السّلام في يوم عاشوراء سنة ٤٢٧ :

أما ترى الرَّبع الذي أقفرا ... عراه من ريب البلى ما عرا؟!
لو لم أكن صباً لسكّانه ... لم يجر من دمعي له ما جرى
رأيته بعد تمامٍ له ... مقلّباً أبطنه أظهرا
كأنّني شكا وعلماً به ... أقرأ من أطلاله أسطرا
وقفت فيه اينقاً ضُمَّراً ... شذَّب من أوصالهنّ السرى
لي بأُناسي شغلٌ عن هوى ... ومعشري أبكي لهم معشرا
أجل بأرض الطفّ عينيك ما ... بين اناس سربلوا العثيرا
حَكّمَ فيهم بغي أعدائهم ... عليهم الذؤبان والأنسرا
تخال من لئلاء أنوارهم ... ليل الفيافي بهمُ مُقمرا
صرعى ولكن بعد أن صرَّعوا ... وقطّروا كلّ فتى قطّرا
لم يرتضوا درعاً ولم يلبسوا ... بالطعن إلاّ العلق الأحمرا
من كلّ طيّان الحشى ضامر ... يركب في يوم الوغا ضمّرا
قل لبني حرب - وكم قولة ... سطّرها في القوم من سطّرا -
: تِهتم عن الحق كأنّ الذي ... أنذركم في الله ما أنذرا
كأنّه لم يقركم ضلّلا ... عن الهدى القصد بامّ القرى

ولا تدرَّعتم بأثوابه … من بعد أن أصبحتمُ حُسَّرا
ولا فريتم ادماً إمرة … ولم تكونوا قطُّ ممن فرى
وقلتمُ عنصرنا واحدٌ … هيهات لا قُربى ولا عنصرا
ما قدَّم الأصل امرءا في الورى … أخَّره في الفرع ما أخَّرا
طرحتم الأمر الذي يُجتنى … وبعتمُ الشيء الذي يُشترى
وغرَّكم بالجهل إمهالكم … وإنَّما اغترَّ الذي غرّرا
حلّأتمُ بالطفِّ قوماً عن الـ … ـماء فحلِّئتم به الكوثرا
فإن لقوا ثمَّ بكم منكراً … فسوف تلقون بهم منكرا
في ساعة يحكم في أمرها … جدّهم العدل كما أمَّرا
وكيف بعتم دينكم بالذي ا … ستنزره الحازم واستحقرا؟!
لولا الذي قُدِّر من أمركم … وجدتمُ شأنكمُ أحقرا
كانت من الدهر بكم عثرة … لا بدَّ للسابق أن يُعثرا
لا تفخروا قطُّ بشيءٍ فما … تركتمُ فينا لكم مفخرا
ونلتموها بيعةً فلتةً[1] … حتى ترى العين الذي قدّرا
كأنَّني بالخيل مثل الدَّبا … هبَّت له نكباؤه صرصرا
وفوقها كلُّ شديد القوى … تخاله من حنقٍ قسورا
لا يمطر السمر غداة الوغا … إلّا برشِّ الدم إن أمطرا
فيرجع الحقُّ إلى أهله … ويقبل الأمر الذي دبرا
يا حجج الله على خلقه … ومَن بهم أبصر مَن أبصرا
أنتم على الله نزولٌ وإن … خال اناس انَّكم في الثرى
قد جعل الله إليكم ـ كما … علمتمُ ـ المبعث والمحشرا
فإن يكن ذنبٌ فقولوا لمن … شفَّعكم في العفو أن يغفرا
: إذا تولَّيتكم صادقاً … فليس منّي منكرٌ منكرا
نصرتكم قولاً على أنَّني … لآملُ بالسيف أن أنصرا

---

(١) اشار إلى ما اخرجه الحفاظ عن عمر أنه قال: بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها.

وبين اضلاعي سرٌّ لكم حوشي أن يبدو او أن يظهرا
أنظرُ وقتاً قيل لي: بُح به وحقَّ للموعود أن ينظرا
وقد تصبَّرتُ ولكنّني قد ضقت أن اكظم أو أصبرا
وأيّ قلب حملت حزنكم جوانح عنه وما فطّرا؟!
لا عاش من بعدكم عائشٌ فينا ولا عمَّر من عمرّا
ولا استقرَّت قدم بعدكم قرارها مبدي ولا محضرا
ولا سقى اللّه لنا ظامئاً من بعد أن جنّبتم الأبحرا
ولا علت رجل - وقد زحزحت أرجلكم عن متنه - منبرا

وقال في الجزء الرابع من ديوانه وهو يفتخر:

مالك فيَّ ربّة الغلائل والشيب ضيفٌ لمّتي من طائل؟!
أما ترين في شواتي[1] نازلاً؟! لا متعة لي بعده بنازل
محا غرامي بالغواني صبغه واجتثَّ من أضالعي بلابلي
ولاح في رأسي منه قبصٌ يدلُّ أيّامي على مقاتلي
كان شبابي في الدمى وسيلة ثمّ انقضت لمّا انقضت وسائلي
يا عائبي بباطلٍ ألفته خذ بيديك من تمنٍّ باطل
لا تعذلني بعدها على الهوى فقد كفاني شيب رأسي عاذلي
وقل لقومٍ فاخرونا ضلّة: أين الحُصيّات من الجراول[2]؟!
وأين قامات لكم دميمة من الرّجال الشمّخ الأطاول؟!
نحن الأعالي في الورى وأنتمُ ما بينهم أسافل الأسافل
ما تستوي - فلا ترومو معوزاً - فضائل السّادات بالرّذائل
ما فيكمُ إلّا دنيٌّ خاملٌ وليس فينا كلّنا من خامل
دعوا النباهات على أهل لها وعرّسوا في أخفض المنازل
ولا تعوجوا بمهبّ عاصفٍ ولا تقيموا في مصبّ الوابل

---

(١) شواة: جلدة الرأس.
(٢) الجراول جمع جرولة وجرول: الحجارة.

أما ترى خير الورى معاشري؟! ثمّ قبيلي أفضل القبائلِ؟!
ما فيهمْ إن وزنوا من ناقصٍ وليس فيهم خبرةٌ من جاهلِ
أقسمت بالبيت تطوف حوله أقدام حافٍ للتّقى وناعلِ
وما أراقوه على واد مِنى عند الجمار من نجيعٍ وسائلِ
وأذرع حاسرة ترمي ـ وقد حان طلوع الشمس ـ بالجنادلِ
والموقفين حطَّ ما بينهما عن ظهره الذنوب كلُّ حاملِ
فإن يخب قومٌ على غيرهما فلم يخب عندهما من آملِ
لقد نمتني من قريش فتيةٌ ليسوا كمن تعهد في الفضائلِ
الواردين من عليً ومن تُقى دون المنايا صفوة المناهلِ
قومٌ إذا ما جهلوا في معرك ولّوا على الأعراق بالشمائلِ
كأنّهم اسد الشّرى يوم الوغى لكنّهم أهلّة المحافلِ
إن ناضلوا فليس من مُناضلٍ أو ساجلوا فليس من مساجلِ
سلْ عنهمُ إن كنتَ لا تعرفهم سل الظبى وشرّع العواملِ
وكلَّ منبوذ على وجه الثرى تسمع فيه رنّة الثواكلِ
كأنّما أيديهمُ مناصلُ يلعبن يوم الرَّوع بالمناصلِ
من كلِّ ممتدِّ القناة سامقٍ يقصر عنه أطول الحمائلِ
ما ضرَّني والعار لا يطور بي إن لم أكن بالملك الحلاحلِ
ولم أكن ذا صامت وناطق ولم أرح بباقرٍ وجاملِ
خير من المال العتيد بذله في طرق الإفضال والفواضلِ
والشكر ممن أنت مُغن فقره خيرٌ إذا أحرزته من نائلِ
فلا تعرّض منك عرضاً أملساً لخدشة اللوّام والقوائلِ
فليس فينا مُقدمٌ كمحجمٍ وليس منّا باذلٌ كباخلِ
وما الغنى إلّا حبالات العنا فانجُ إذا شئت من الحبائلِ
إلى متى أحمل من ثقل الورى ما لم يطقه ظهر عود بازلِ؟!
إن لم يزرني الهمُّ اصباحاً أتى ولم أعره الشوق في الأصائلِ

وكم مقامٍ في عراصٍ ذلّة ... وعطن عن العلاء سافل

وكم أظلُّ مفهقاً عن الأذى ... معلّلاً دهريَ بالأباطل

كأنّني وقد كملت دونهم ... رضىً بدون النصف غير كامل

محسودةٌ مغبوطةٌ ظواهري ... لكنّها مرحومةٌ دواخلي

كأنّني شعبٌ جفاه قطره ... أو منزلٌ أقفر غير آهل

فقل لحسّادي: أفيقوا فالذي ... أغضبكم منّيَ غير آفل

أنا الذي فضحت قولاً مُصقعاً ... مقاولي وفي العلى مطاولي

إن تبتنوا من العدى معاقلاً ... فإنَّ في ظنّ القنا معاقلي

لا تستروا فضلي الذي أُوتيته ... فالشّمس لا تُحجب بالحوائل

فقد فررتم أبداً من سطوتي ... فرَّ القطا الكدر من الأجادل

ولا تذق أعينكم طعم الكرى ... وعندكم وفيكمُ طوائلي

تقوا الرّدى وحاذروا الشرَّ الذي ... شبَّ اواري فغلتْ مَراجلي

وجنَّ تيّار عبابي واشتكت ... خروق أسماعكمُ صلاصلي

إن لم أطركم مزقاً تحملكم ... نكب الأعاصير مع القساطل

فلا أجبتُ من صريخ دعوةً ... ولا أطعت يوم جودٍ سائلي

ولا أناخ كلّ قومي كَلّهم ... في مغنمٍ أو مغرمٍ بكاهل[١]

وفي غدٍ تبصرها مغبرةً ... على الموامي كالنعام الجافل

يخرجن من كلِّ عجاج كالدجى ... مثل الضحى بالغرر السوائل

من يرهنَّ قال: مَن هذا الذي ... سدَّ الملا بالنعم المطافل؟!

وفوقهنَّ كلُّ مرهوب الشذا ... يروي السنان من دم الشواكل[٢]

أبيض كالسَّيف ولكن لم يعج ... صقاله على يمين صاقل

: حيث ترى الموت الزؤام بالقنا ... مستحب الأذيال والذلاذل[٣]

---

(١) الكل: الضعيف. اليتيم. الكاهل من القوم: سندهم ومعتمدهم.

(٢) شواكل ج شاكلة: الخاصرة.

(٣) الزؤام: عاجل. وقيل: سريع مجهز. الذلاذل جمع ذُلذل وذلذل: اسفل الثوب.

والنقع يغشى العين عن لحاظها والركض يرمي الأرض بالزلازلِ
وبزّت الأصلاب أو تمخّضت بلا تمامٍ بطن كلِّ حاملِ
ولم يجز همّ الفتى عن نفسه وذهل الحيّ عن العقائلِ
إن لم أنل في بابل مآربي فلي إذا ما شئت غير بابلِ
وإن أبت في وطنٍ مقلقلاً أبدلته بأظهر الرَّواحلِ
وإن تضق بي بلدةٌ واحدةٌ فلم تضق في غيرها مجاولي
وإن نبا عنّي خليلٌ وجفا نفضتُ من ودّي له أناملي
خيرٌ من الخصب مع الذلّ به معرَّسٌ على المكان الماحلِ

وقال في الإفتخار، في الجزء الرابع من ديوانه:

ماذا جنته ليلة التعريفِ شغفت فؤاداً ليس بالمشغوفِ؟
ولو أنّني أدري بما حمَّلته عند الوقوف حذرت يوم وقوفي
ما زال حتّى حنَّ حبّ قلوبنا بجماله سِرب الظباء الهيفِ
وأرتك مكتتم المحاسن بعدما ألقى تقى الإحرامٍ كلّ نصيفِ
وقنعت منها بالسَّلام لو انَّه أروى صدى أوبلَّ لهف لهيفِ
والحبّ يرضي بالطفيف معاشراً لم يرتضوا من قبله بطفيفِ
ويخفّ مَن كان البطيء عن الهوى فكأنَّه ما كان غير خفيفِ
يا حبّها رفقاً بقلبٍ طالما عرَّفته ما ليس بالمعروفِ
قد كان يُرضى أن يكون محكّماً في لبِّه لو كنت غير عنيفِ
أطرحت يا ظمياء ثقلك كلّه يوم الوداع على فقار ضعيفِ
يقتاده للحبِّ كلّ مُحبَّبٍ ويروعه بالبين كلّ أليفِ
وكأنني لَمّا رجعت عن النوى أبكي رجعت بناظرٍ مطروفِ
وبزفرةٍ شهد العذول بأنَّها من حاملٍ ثقل الهدى ملهوفِ
ومتى جحدتهم الغرام تصنّعاً ظهروا عليه بدمعيَ المذروفِ
وعلى منى غررٍ رمين نفوسنا قبل الجمار من الهوى بحتوفِ
يسحبن أذيال الشفوف غوانياً بالحسن عن حسن بكلّ شفوفِ

وعدلن عن لبس الشفوف وإنّما هنَّ الشنوف محاسناً لشنوفِ
وتعجَّبت للشيب وهي جنايـة لـدلال غانيـةٍ وصدّ صدوفِ
وأنـاطت الحسناء بي تباعته فكأنّما تفويفه تفويفي
هو منزلٌ بدُّلته من غيره وهو الفتى في المنزل المألوفِ
لا تنكريه فهو أبعد لبسة عن قذف قاذفة وقرف قروفِ
وبعيدة الأقطار طامسة الطوى من طول تطواف الرِّياح الهوفِ
لا صوت فيها للأنيس وإنَّما لعصائب الجنّان جرس عزيفِ
وكأنَّما خرق النعام بدوّها ذودٌ شردن لزاجرٍ هنّيفِ
قطعت ركابي وهي غير طلائح مع طول إيضاعي وفرط وجيفي
أبغي الذي كلّ الورى عن بغيه من بين مصدودٍ ومن مصدوفِ
والعزّ في كلف الرِّجال ولم يُنل عزٌّ بلا نصب ولا تكليفِ
والجدب مغنى للأعزَّة داره والذلّ بيتٌ في مكان الريفِ
ولقد تعرَّفت النوائب صعدتي وأجاد صرف الدّهر من تثقيفي
وحللت من ذلّ الأنام بنجوةٍ لا لومتي فيها ولا تعنيفي
فبدار أندية الفخار إقامتي وعلى الفضائل مربعي ومصيفي
وسرى سرى النجم المحلّق في العلى نظمي وما ألّفت من تصنيفي
ورأيت من غدر الزَّمان بأهله من بعد أن أمنوه كل طريفِ
وعجبت من حيد القويّ عن الغنى طول الزَّمان وحظوة المضعوف
وعمى الرِّجال عن الصواب كأنهم يعمون عمّا ليس بالمكشوف
وفديتُ عرضي من لئام عشيرتي بنزاهتي عن شيء وعُزوفي[1]
فبقدر ما أحميهمُ ما ساءهم أعطيهمُ من تالدي وطريفي
كم رُوِّع الأعداء قبل لقائهم ببروق ايعادي ورعد صريفي
وكأنَّهم شُرُدٌ سوامهمُ وقد سمعوا على جوّ السماء حفيفي
قومي الذين تملّكوا ربق الورى بطعان أرماحٍ وضرب سيوف

---

(١) عزوف: ترك الشيء والانصراف عنه.

ومواقفٌ في كلِّ يومٍ عظيمةٍ — ما كان فيها غيرهم بوقوفِ
ومشاهدٌ ملأت شعوب عدائهم — بقذى لأجفانٍ ورغم انوفِ
هم خوَّلوا النِّعم الجسام وأمطروا — في المملقين غمائم المعروفِ
وكأنَّهم يوم الوغى خلل القنا — حيّات رمل أو اسود غريفِ
كم راكبٍ منهم لغارب سدفة — طرباً لجود أو مهين سديفِ
ومتيَّمٍ بالمكرمات وطالما — ألِفَ الندى مَن كان غير ألوفِ
وحللت أندية الملوك مجيبةً — صوتي ومصغيةً إلى توقيفي
وحميتهم بالحزم كلَّ عَضيهةٍ — وكفيتهم بالعزم كلَّ مخوفِ
وتراهمُ يتدارسون فضائلي — ويصنِّفون من الفخار صُنوفي
ويردِّدون على الرُّواة مآثري — ويعدِّدون من العلاء أُلوفي
ويسيِّرون إلى ديار عدوِّهم — من جند رأيي العالمين رجوفي
وإذا همُ نكروا غريباً فاجئاً — فزعوا بنكرهمُ إلى تعريفي
دفعوا بيَ الخطب العظيم عليهمُ — واستعصموا حذر العدى بكنوفي
وصحبت منهم كلَّ ذي جبريَّةٍ — سامٍ على قلل البريَّة موفِ
ترنو إليك وقد وقفت إزاءه — بين الوفود بناظري غطريفِ
فالآن قل للحاسدين: تنازحوا — عن شمس افق غير ذات كسوفِ
ودعوا لسيل الواديين طريقه — فالسيل جرّافٌ لكلِّ جروفِ
وتزوّدوا يأس القلوب عن الندى — فمنيفه دار لكلِّ منيفِ
وإرضوا بأن تمشوا ولا كرم لكم — في دار مجد الأكرمين ضيوفي

وقال في الجزء الخامس من ديوانه يرثي جدَّه الطاهر الإمام السبط الشهيد عليه السّلام، ومَن قُتل معه:

يا دار دار الصوَّم القوَّمِ — كيف خلا افقك من أنجمِ؟!
عهدي بها يرتع سكّانها — في ظلِّ عيشٍ بينها أنعمِ
لم يصبحوا فيها ولم يغبقوا — إلاّ بكاسي خمرة الأنعمِ
بكيتها من أدمع لو أبت — بكيتها واقعة من دمِ
وعجت فيها رائياً أهلها — سواهم الأوصال والملطمِ

نحلن حتّى خالهنَّ السرى بعض بقايا شطن مبرم
لم يدع الآساد هاماتها إلّا سقيطات على المنسم
يا صاحبي يوم أزال الجوى لحمي بخدّيّ عن الأعظم
واريت ما أنت به عالمٌ ودائي المعضل لم تعلم
ولستُ فيما أنا صبٌّ به مَن قرن السالي بالمغرم
وجدي بغير الظعن سيّارةٌ من محرم ناء إلى محرم
ولا بلفّاء هضيم الحشا ولا بذات الجيد والمعصم
فاسمع زفيري عند ذكري الاولى بالطفّ بين الذئب والقشعم
طرحى فإمّا مقعصٌ بالقنا أو سائل النفس على مِخذم (١)
نثراً كدرٍّ بددٍ مهمل أغفله السلك فلم ينظم
كأنّما الغبراء مرميّةٌ من قِبَل الخضراء بالأنجمُ
دُعوا فجاؤا كرأ منهمُ كم غرَّ قوماً قسم المقسم
حتّى رأوها اخريات الدُّجى طوالعاً من رهج أقتم
كأنَّهم بالصمِّ مطرورةٌ لمنجد الأرض على متهم
وفوقها كلُّ مغيظ الحشا مكتهل الطرف بلون الدم
كأنَّه من حنق أجدل أرشده الحرص إلى مطعم
فاستقلبوا الطعن إلى فتيةٍ خوّاض بحر الحذر المفعم
من كلِّ نهّاض بثقل الأذى موكّل الكاهل بالمعظم
ماضٍ لما أمَّ فلو جاد في ال هيجاء بالحوجاء لم يندم
وكالف بالحرب لو أنَّه أطعم يوم السِّلم لم يطعم
مثلّم السيف ومن دونه عرض صحيح الحدِّ لم يثلم
فلم يزالوا يكرعون الظبا بين براقي الفارس المعلم
فمثخنٌ يحمل شهّاقة تحكي لراءٍ فغرة الأعلم
كأنَّما الورس بها سائلٌ أو أنبتت من قضب العندم

---

(١) مقعص من أقعص الرجل: قتله مكانه. أجهز عليه. مخذم: امة الخذم والذم القطع بسرعة.

ومستزلٌّ بالقنا عن قِرى ... عبل الشوى أو عن مطا أدهمِ
لو لم يكيدوهم بها كيدة ... لانقلبوا بالخزي والمرغمِ
فاقتضبت بالبيض أرواحهم ... في ظلٍّ ذاك العارض الأسحمِ
مصيبةٌ سيقت إلى أحمد ... ورهطه في الملأ الأعظمِ
رزءٌ ولا كالرُّزء من قبله ... ومولمٌ ناهيك من مولمِ
ورميةٌ أصمت ولكنَّها ... مصمتة من ساعدٍ أجذمِ
قل لبني حرب ومن جمّعوا ... من حائرٍ عن رشده أو عمي
وكلّ عانٍ في أسار الهوى ... يُحسب يقظان من النوَّمِ
: لا تحسبوها حلوةً انَّها ... أمرُّ في الحلق من العلقمِ
صرَّعهم انَّهمُ أقدموا ... كم فُدي المحجم بالمقدمِ
هل فيكمُ إلاّ أخو سوءةٍ ... مجرّح الجلد من اللوّمِ؟!
إن خاف فقراً لم يجد بالندى ... أو هاب وشك الموت لم يقدمِ
يا آل ياسين ومن حبّهم ... منهج ذاك السنن الأقومِ
مهابط الأملاك أبياتهم ... ومستقرّ المُنزل المحكمِ
فأنتمُ حجَّة ربِّ الورى ... على فصيح النطق أو أعجمِ
وأين إلاّ فيكمُ قربة ... إلى الإله الخالق المنعمِ
والله لا أخليت من ذكركم ... نظمي ونثري ومرامي فمي
كلاّ ولا أغببت أعدائكم ... من كلمي طوراً ومن أسهمي
ولا رُئي يوم مصاب لكم ... منكشفاً في مشهدٍ مبسمي
فإن أغب عن نصركم برهةً ... بمرهفات لم أغب بالفمِ
صلّى عليكم ربّكم وارتوتْ ... قبوركم من مسبلٍ منجمِ
مقعقع تخجل أصواته ... أصوات ليث الغابة المرزمِ
وكيف استسقي لكم رحمةً؟ ... وأنتم الرَّحمة للمجرمِ

وقال يرثي الإمام السبط المفدّى وأصحابه، توجد في الجزء الخامس من ديوانه:

هل أنت راثٍ لصبٍّ القلب معمودِ ... دوي الفؤاد بغير الخرَّد الخودِ؟!
ما شفَّه هجر أحباب وإن هجروا ... من غير جرمٍ ولا خُلف المواعيد
وفي الجفون قذاةٌ غير زائلةٍ ... وفي الضلوع غرامٌ غير مفقودِ
يا عاذلي ليس وجد بتُّ أكتمه ... بين الحشى وجد تعنيفٍ وتفنيدِ
شربي دموعي على الخدَّين سائلة ... إن كان شربك من ماء العناقيدِ
ونم فإنَّ جفوناً لي مُسهَّدةٌ ... عمر الليالي ولكن أيّ تسهيدِ
وقد قضيت بذاك العذل مأدبة ... لو كان سمعي عنه غير مسدودِ
تلومني لم تصبك اليوم قاذفتي ... ولم يعدك كما يعتادني عيدي
فالظلم عذل خليٍّ القلب ذا شجنٍ ... وهجنة لوم موفور لمجهودِ
كم ليلة بتُّ فيها غير مرتفق ... والهمُّ ما بين محلولٍ ومعقود
ما إن أحِنّ إليها وهي ماضيةٌ ... ولا أقول لها مُستدعياً عودي
جاءت فكانت كعوّار على بصر ... وزايلت كزيال المائد المودي
فإن يودُّ اناسٌ صبح ليلهمُ ... فإنَّ صبحيَ صبحٌ غير مورود
عشيَّةٌ هجمت منها مصائبها ... على قلوب عن البلوى محاييدِ
يا يوم عاشور كم طأطأتَ من بصر ... بعد السموِّ وكم أذللتَ من جيد
يا يوم عاشور كم أطردتَ لي أملاً ... قد كان قبلك عندي غير مطرودِ
أنت المرنِّق عيشي بعد صفوته ... ومولج البيض من شيبي على السود
جُز بالطفوف فكم فيهنَّ من جبل ... خرَّ القضاء به بين الـ ـلاميد
وكم جريحٍ بلا آس تمزِّق ـه ... إمّا النسور وإمّا أضبع البيدِ
وكم سليب رماحٍ غير مستترٍ ... وكم صريعِ حمامٍ غير ملحودِ
كأنَّ أوجههم بيضاً ملألأة ... كواكبٌ في عراص القفرة السودِ
لم يطعموا الموت إلّا بعد أن حطموا ... بالضرب والطعن أعناق الصناديدِ
ولم يدعْ فيهمُ خوف الجزاء غداً ... دماً لترب ولا لحماً إلى سيد
من كل أبلج كالدينار تشهده ... وسط النديِّ بفضل غير مجحودِ
يغشى الهياج بكفٍّ غير منقبضٍ ... عن الضّراب وقلب غير مزؤود

لم يعرفوا غيـر بثّ العرف بينهم عفـواً ولا طبعوا إلّا على الجـودِ
يـا آل أحمـد كم تُلوى حقـوقكمُ ليَّ الغـرائب عن نبت القـراديـدِ
وكم أراكم بـأجواز الفـلا جُـزراً مبـدَّدين ولـكـن أيّ تـبـديـدِ
لو كان ينصفكم من ليس ينصفكم ألقى إليكم مـطيعـاً بـالمقـاليـدِ
حُسدتم الفضل لم يحرزه غيركمُ والناس ما بين محرومٍ ومحسودِ
جاءوا إليكم وقد أعطوا عهودهمُ في فيلقٍ كـزهـاء الليـل ممـدودِ
مُستمـرحين بـأيـديهم وأرجلهم كمـا يشاؤن ركض الضمّـر القودِ
تهـوي بهم كلّ جـرداء مـطهّـمـةٍ هـويَّ سجل من الأودام مجـدودِ
مستشعرين لأطراف الـرِّماح ومن حدِّ الظبـا أدرعاً من نسـج داودِ
كـأنَّ أصوات ضـرب الهام بينهمُ أصواتُ دوح بأيدي الريح مبدودِ
حمـائم الأيـك تبكيهم على فننٍ مـرنَّـحٍ بنسيم الـريـح املودِ
نوحي فذاك هديرٌ منـك محتسبٌ على « حسين » فتعديدٌ، كتغريدِ

احبكم والذي طاف الحجيج به بمبتنى بـإزاء العـرش مقصـودِ
وزمـزم كلّمـا قسنـا مـواردهـا أوفى وأربى على كـلِّ المواريـدِ
والموقفين وما ضحَّوا على عجل عند الجمار من الكوم المقاحيـدِ
وكـلّ نسـك تلقّـاه القبـول فمـا أمسى وأصبـح إلّا غيـر مـردودِ
وأرتضي أنَّـني قـد مـتُّ قبـلكمُ في مـوقفٍ بـالـرُّدينيّـات مشهـودِ
جمَّ القتيـل فهامـات الرِّجـال بـه في القاع ما بين متروكٍ ومحصودِ

فـقـل لآل زيـاد: أيّ معـضـلة ركبتمـوهـا بتخبيب وتخـويـدِ؟!
كيف استلبتم من الشجعان أمرهمُ والحرب تغلي بأوغادٍ عراديـدِ؟!
فـرَّقتم الشمل ممن لفَّ شملكم وأنتمُ بين تـطريـدٍ وتشـريـدِ
ومَن أعـزّكمُ بعـد الخمـول ومَن أدنـاكمُ مِن أمـان بعـد تبعيـدِ
لـولاهمُ كنتمُ لحمـاً لـمـزدرد أو خلسـةً لقصيـر البـاع معضـودِ
أو كـالسقاء يبيسـاً غيـر ذي بللٍ أو كـالخباء سقيـطاً غيـر معمـودِ
أعـطاكمُ الدهـر ما لا بـدَّ يرفعـه فسـالب العود فيهـا مورق العـودِ

فلا شربتم بصفوٍ لا ولا علقت ... لكم بنانٌ بأزمانٍ أراغيدِ

ولا ظفرتم وقد جنّت بكم نوبٌ ... مقلقلات بتمهيدٍ وتوطيدِ

وحوّل الدهر ريّاناً إلى ظمأٍ ... منكم وبدّل محدوداً بمجدودِ

قد قلت للقوم: حطّوا من عمائمهم ... تحققاً بمصاب السّادة الصيدِ

نوحوا عليه فهذا يوم مصرعه ... وعدّدوا إنّها أيّام تعديدِ

فلي دموعٌ تُباري القطر واكفةٌ ... جادت وإن لم أقل يا أدمعي جودي

وقال يذكر مصرع جدّه الإمام السبط عليه السّلام، يوجد في الجزء الأوّل من ديوانه:

أسقى نمير الماء ثمّ يلذّلي ... ودوركمُ آل الرّسول خلاءُ؟!

وأنتم كما شاء الشتات ولستمُ ... كما شئتمُ في عيشةٍ وأشاءُ

تُذادون عن ماء الفرات وكارع ... به إبل للغادرين وشاءُ

تنشّر منكم في القواء معاشرٌ ... كأنّهمُ للمبصرين ملاءُ

ألا إنّ يوم الطفّ أدمى محاجراً ... وأودى قلوباً ما لهنّ دواءُ

وإنّ مصيبات الزّمان كثيرةٌ ... وربَّ مصابٌ ليس منه عزاءُ

أرى طخيةً فينا فأين صباحها؟ ... وداءً على داءٍ فأين شفاءُ؟!

وبين تراقينا قلوبٌ صديّةٌ ... يُراد لها ـ لو أعطيته ـ جلاءُ

فيا لائماً في دمعتي ومفنّداً ... على لوعتي واللوم منه عناءُ

فما لك منّي اليوم إلّا تلهّفي ... وما لك إلّا زفرةٌ وبكاءُ

وهل لي سلوانٌ وآل محمّد ... شريدهمُ ما حان منه ثواءُ؟!

يصدُّ عن الروحات أيدي مطيّهم ... ويزوى عطاءٌ دونهم وحباءُ

كأنّهمُ نسلٌ لغير محمّد ... ومن شعبه أو حزبه بُعداءُ

فياأنجماً يهدي إلى الله نورها ... وإن حال عنها للغبيّ غباءُ

فإن يك قومٌ وصلةً لجهنّم ... فأنتم إلى خلد الجنان رشاءُ

دعوا قلبي المحزون فيكم يهيجه ... صباحٌ على اخراكمُ ومساءُ

فليس دموعي من جفوني وإنّما ... تقاطرن ... قلبي فهنّ دماءُ

إذا لم تكونوا فالحياة منيَّةٌ ولا خير فيها والبقاءُ فناءُ
وأمّا شقيتم بالزَّمان فإنَّما نعيمي إذا لم تلبسوه شقاءُ
لحى الله قوماً لم يجازوا جميلكم لأنَّكمُ أحسنتمُ وأساؤا
ولا انتاشهم عند المكاره منهضٌ ولا مسَّهم يوم البلاء جزاءُ
سقى الله أجداثاً طوين عليكمُ ولا زال منهلاًّ بهنَّ رواءُ
يسير إليهنَّ الغمام وخلفه زماجر من قعقاعه وحداءُ
كأنَّ بواديه العشار تروَّحتْ لهنَّ حنينٌ دائمٌ ورغاءُ
ومن كان يسقي في الجنان كرامة فلا مسَّه ريّاً من السحائب ماءُ

وقال يرثيه صلوات الله عليه يوم عاشوراء، توجد في الجزء السادس من ديوانه:

يا يوم أيّ شجى بمثلك ذاقه عصب الرَّسول وصفوة الرحمانِ؟!
جرعتهم غصص الردى حتى ارتووا ولذعتهم بلواذع النيرانِ
وطرحتهم بدراً بأجواز الفلا للذئب آونةً وللعقبانِ
عافوا القرار وليس غير قرارهم أو بردهم موتاً بحدِّ طعانِ
منعوا الفرات وصُرِّعوا من حوله من تائقٍ للورد أو ظمآنِ
أوَ ما رأيتَ قراعهم ودفاعهم قدماً وقد أعروا من الأعوانِ؟!
متزاحمين على الرَّدى في موقفٍ حشى الظبا وأسنّة المرانِ
ما إن به إلاّ الشجاع وطائر عنه حذار الموت كلّ جبانِ
يوم أذلَّ جماجماً من تهاشمٍ وسرى إلى عدنان بل قحطانِ
أرعى جميم الحقِّ في أوطانهم رعي الهشيم سوائم العدوانِ
وأنار ناراً لا تبوخ وربَّما قد كان للنيران لون دخانِ
وهو الذي لم يبق في دينٍ لنا بالغدر قائمة من البنيانِ
يا صاحبيَّ على المصيبة فيهمُ ومشاركيَّ اليوم في أحزاني
قوما خذا نار الصِّلا من أضلعي إن شئتما والنار من أجفاني
وتعلّما انَّ الذي كتَّمته حذر العدى يأبى عن الكتمانِ

فلو أنَّني شاهدتهم بين العدى والكفر مغلولٌ على الإيمانِ
لخضبت سيفي من نجيع عدوِّهم ومحوت من دمهم حجول حصاني
وشفيت بالطعن المبرَّح بالقنا داء الحقود ووعكة الأضغانِ
ولبعتهم نفسي على ضننٍ بها يوم الطفوف بأرخص الأثمانِ

وقال يرثي جدَّه الإمام السبط المفدّى يوم عاشوراء سنة ٤١٣، توجد في الجزء الثالث من ديوانه:

لك الليل بعد الذاهبين طويلا ووفد هموم لم يردن رحيلا
ودمعٌ إذا حبَّسته عن سبيله يعود هتوفاً في الجفون هطولا
فيا ليت أسراب الدموع التي جرت أسون كليماً أو شفين عليلا
إخال صحيحاً كلّ يوم وليلة ويأبى الجوى إلّا أكون عليلا
كأنّي وما أحببت أهوى ممنّعاً وأرجو ضنيناً بالوصال بخيلا
فقل للذي يبكي نؤيّاً ودمنة ويندب رسماً بالعراء محيلا
عداني دمٌ لي طلَّ بالطفِّ أن أرى شجيّاً أُبكّي أربُعاً وطلولا
مصابٌ إذا قابلت بالصبر غربه وجدت كثيري في العزاء قليلا
ورزءٌ حملت الثقل منه كأنَّني مدى الدهر لم أحمل سواه ثقيلا
وجدتم عداة الدين بعد محمَّد إلى كلمه في الأقربين سبيلا
كأنَّكم لم تنزعوا بمكانه خشوعاً مبيناً في الورى وخمولا
وأيّكمُ ما عزّ فينا بدينه وقد عاش دهراً قبل ذاك ذليلا
فقل لبني حرب وآل اميَّة إذا كنت ترضى أن تكون قؤولا
: سللتم على آل النبيِّ سيوفه ملئن ثلوماً في الطلى وفلولا
وقدتم إلى من قادكم من ضلالكم فأخرجكم من واديه خيولا
ولم تغدروا إلّا بمن كان جدُّه إليكم لتحظوا بالنَّجاة رسولا
وترضون ضد الحزم إن كان ملككم ضئيلاً ودينا دنتمُ لهزيلا
نساء رسول الله عقر دياركم يرجِّعن منكم لوعةً وعويلا
لهنَّ ببوغاء الطفوف أعزَّة سقو الموت صرفاً صبيةً وكهولا

كـأنَّهمُ نـوّار روض هـوت بـه ... ريـاحُ جنـوبـاً تـارةً وقبـولا
وأنجمُ ليـل مـا علون طـوالعـاً ... لأعيننـا حتّـى هـبطن افـولا
فـأيّ بدورٍ مـا مُحين بكاسفٍ؟! ... وأيّ غصـونٍ مـا لقين ذبـولا؟!
أمن بعـد أن أعطيتمـوه عهـودكم ... خفـافاً إلى تلك العهـود عجـولا
رجعتم عن القصد المبين تناكصاً! ... وحُلتم عن الحقِّ المنير حؤولا؟!
وقـعقـعتـمُ أبـوابـه تختـلونـه ... ومَن لم يُـرد ختلاً أصـاب ختولا
فمـا زلتمُ حتّى أجـاب نـداءكم ... وأيّ كـريم لا يُجيب سؤولا؟!
فلمّـا دنـا ألفـاكمُ في كتـائب ... تـطاولن أقـطار السباسب طـولا
متى تـك منها حجـزة أو كحجزة ... سمعت رغـاءً مصعقـاً وصهيلا؟
فلم يَـر إلاّ نـاكثـاً أو منكّبـاً ... وإلاّ قـطوعـاً لـلذمـام حـلولا
وإلاّ قعـوداً عن لمـام بنصـره ... وإلاّ جبوهـاً بـالـرَّدى وخـذولا
وضغن شفـاف هبّ بعـد رقـاده ... وأفئـدة مـلأى يفضـن ذحـولا
وبيضـاً رقيقـات الشفـار صقيلة ... وسمراً طويـلات المتون عسـولا
فـلا أنتمُ أفـرجتمُ عن طـريقـه ... إلـيكـم ولا لـمّـا أراد قـفـولا
عـزيزٌ على الشاوي بطيبـة أعظم ... نبذن على أرض الطفوف شكولا
وكـلّ كـريـمٍ لا يلمُّ بـريبـةٍ ... فإن سيم قول الفحش قال جميلا
يذادون عن ماء الفرات وقد سقوا ... الشهـادة من ماء الفـرات بـديـلا
رُموا بالرَّدى من حيث لا يحذرونه ... وغـرّوا وكم غرَّ الغفـول غفـولا
أيـا يـوم عـاشـوراء كم بفجيعـةٍ ... على الغـرِّ آل الله كـنتَ نـزولا
دخلت على أبيـاتهم بمصـابهم ... ألا بئسمـا ذاك الـدخـول دخـولا
نـزعت شهيـد الله منّـا وإنّمـا ... نـزعت يميناً أو قـطعت تليـلا
قتيـلاً وجـدنـا بعـده دين أحمـد ... فقيـداً وعـزَّ المسلمين قتيـلا
فلا تبخسوا بالجور من كـان ربّه ... ـ برجع الـذي نازعتمـوه ـ كفيلا
احـبّـكـمُ آل الـنـبـيِّ ولا أرى ... وكم عـذلوني عن هـواي عديـلا
وقلتُ لمن يلحا على شغفي بكم ... وكم غير ذي نصحٍ يكون عذولا

: رويدكمُ لا تنحلوني ضلالكم　　فلن تُرحلوا منّي الغداة ذلولا
عليكم سلام الله عيشاً وميتةً　　وسفراً تطيعون النَّوى وحلولا
فما زاغ قلبي عن هواكم وأخمصي　　فلا زلَّ عمّا ترتضون زليلا

وقال في الموعظة والإعتبار، توجد في الجزء السادس من ديوانه:

لا تقربنَّ عضيهةً　　إنَّ العضاية مخزياتُ
واجعل صلاحك سرمداً　　فالصّالحات الباقياتُ
في هذه الدنيا ومَن　　فيها لنا أبداً عظاتُ
إمّا صروفٌ مقبلاتٌ　　أو صروفٌ مدبراتُ
وحوادث الأيّام فينا　　آخذاتٌ معطياتُ
والذلُّ موتٌ للفتى　　والعزُّ في الدنيا الحياةُ
والذخر في الدارين إمّا　　طاعةٌ أو مأثراتُ
يا ضيعة للمرء تدعوه　　إلى الهلك الدعاةُ
تغترّه حتّى يزور　　شعابهنَّ الطيِّباتُ
عِبَرٌ تمرُّ وما لها　　منّا عيونٌ مبصراتُ
أين الأولى كانوا بأ　　يدينا حصولاً ثمَّ ماتوا؟!
مِن كلِّ مَن كانت له　　ثمرات دجلة والفراتُ
ما قيل: نالوا فوق ما　　يهوون حتّى قيل: فاتوا
لم يغن عنهم حين همَّ　　بهم حِمامهم الحماةُ
كلّا ولا بيضٌ وسمرٌ　　عاريات مشرعاتُ
نطقوا زماناً ثمَّ ليس　　لنطقهم إلّا الصّماتُ
وكأنَّهم بقبورهم　　سبتوا وما بهمُ سباتُ
من بعد أن ركبوا قرى　　سرر وجردهمُ رفاتُ
سلموا على صلح الأسنَّة　　والظبى لما استماتوا
ونجوا من الغمّاء لمّا　　قيل: ليس لهم نجاةُ
في موقف فيه الصوارم　　والذوابل والكماةُ

وأتاهمُ من حيث لم   يخشوا لحينهم المماتُ
وطوتهمُ طيَ البرود   لهم قبورٌ مظلماتُ
فهمُ بها مثل الهشيم   تعيث فيها العاصفاتُ
شُعثٌ وسائدهم بها   من غير تكرمةٍ علاةُ
قل للّذين لهم إلى   الدنيا دواع مسمعاتُ
وكأنَّهم لم يسمعوا   ماذا تقول الناعياتُ
أو ما تقول لهم إذا اجتا   زوا الديار الخالياتُ؟!
فالضّاحكات وقد نعمن   بهنَّ هنَّ الباكياتُ
: حتّى متى وإلى متى   تأوي عيونكم السّناتُ؟!
كم ذا تفرِّج عنكمُ   أبد الزمان الموغطاتُ؟!
كم ذا وُعظتم لو تكون   لكم قلوبٌ مصغياتُ؟!
لكمْ عقول معوضاتٌ   أو عيونٌ عاشياتُ
عجْ بالديار فنادها: أين الجبال الراسياتُ؟!
أين العصاة على المكا   رم للعواذل والأُباةُ؟!
تجري المنايا من روا   جبهم جميعاً والصِّلاتُ
وإذا لقوا يوم الوغى   أقرانهم كانت هناةُ
والدَّهر طوع يمينهم   وهمُ على الدنيا الولاةُ
أعطاهمُ متبرِّعاً   ثمَّ استردَّ فقال: هاتوا
كانت جميعاً ثمَّ مزَّق   شمل بينهم الشَّتاتُ
فأكفَّهم من بعد أن   سلبوا المواهب مقفراتُ
وسيوفهم ورماحهم   منبوذةٌ والضامراتُ
أمنوا الصباح ومالهم   علمٌ بما يجنى البياتُ
ورماهمُ فبأصابهم   داءٌ تعزُّ له الرقاةُ
وسهام أقواس المنون   الصائباتُ المصمياتُ
مات الندى من بيننا   بمماتهم والمكرماتُ

وقال يرثي الشيخ الأكبر شيخنا المفيد محمَّد بن محمَّد بن نعمان المتوفّى في رمضان ٤١٣ توجد في الجزء الثالث من ديوانه:

مَن على هذه الديار أقاما؟! *** أو ضفا ملبسٌ عليه وداما؟!

عُج بنا نندب الذين تولّوا *** باقتياد المنون عاماً فعاما

فارقونا كهلاً وشيخاً وهمّاً *** ووليداً وناشئاً وغلاما

وشحيحاً جعد اليدين بخيلاً *** وجواداً مخولاً مِطعاما

سكنوا كلَّ ذروةٍ من أشمٍّ *** يحسر الطرف ثمَّ حلّوا الرغاما

يا لحى الله مهملاً حسب الد *** هر نؤم الجفون عنه فناما

وكأنّي لَمّا رأيت بني الدهر *** غفولاً رأيت منهم نياما

أيّها الموت كم حططتَ عليّاً *** ساميَ الطرف؟! أو جببت سناما؟!

وإذا ما حدرتَ خلفاً وظنّوا *** نجوة من يديك كنت إماما

أنت ألحقت بالذكيِّ غبيّاً *** في اصطلامٍ وبالدنيِّ هماما

أنت أفنيت قبل أن تأخذ الأبناء *** منّا الآباء والأعماما

ولقد زادني فأرّق عيني *** حادثٌ أقعد الحجى وأقاما

حدثٌ عنه فزادني حيدي عنه *** لصوقاً بدائه والتزاما

وكأنّي لما حملت به الثقل *** تحمّلت يذبلاً وشماما

فخذ اليوم من دموعي وقد كنَّ *** جموداً على المصاب سجاما

إنَّ شيخ الإسلام والدين والعلم *** تولّى فأزعج الإسلاما

والذي كان غرَّةً في دُجى الأيّا *** م أودى فأوحش الأيّاما

كم جلوتَ الشكوك تعرض في نصٍّ *** وصيٍّ؟! وكم نصرت إماما؟

وخصوم لدّ ملأتهم بالحقّ *** في حومة الخصام خصاما؟!

عاينوا منك مصمياً ثغرة النحر *** وما أرسلت يداك سهاما

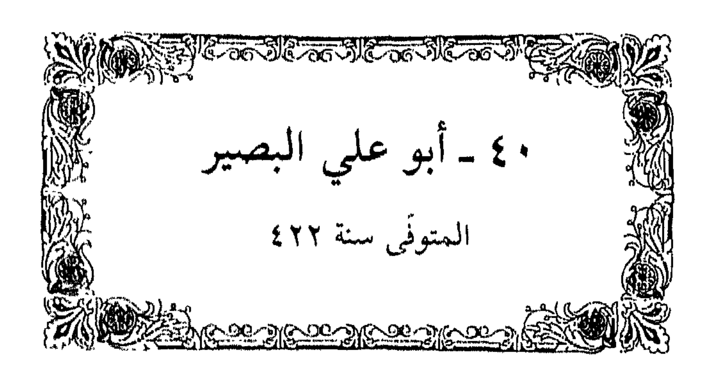
وشجاعاً يفري المراء وما كلُّ *** شجاعٍ يفري الطلى والهاما

مَن إذا مال جانبٌ من بناء *** الدين كانت له يداه دعاما؟!

وإذا ازورَّ جائرٌ عن هداه *** قاده نحوه فكان زماما؟!

مَن لفضل أخرجتَ منه خبيئاً ... ومعانٍ فضضتَ عنها ختاما؟!
مَن لسوء ميَّزت عنه جميلاً ... وحلال خلّصت منه حراما؟!
مَن يُنير العقول من بعدما كنَّ ... همـوداً وينتج الأفهاما؟!
مَن يُعير الصَّديق رأياً إذا ما ... سلّه في الخطوب كان حساما؟!
فامض صفراً من العيوب وكم با ... ن رجالٌ أثروا عيوباً وذاما
إنَّ خلداً أوضحت عاد بهيماً ... وصباحاً أطلعت صار ظلاما
وزلالاً أوردت حال اجاجاً ... وشفاءً أورثت آلَ سقاما
لن تراني وأنت من عدد الأموا ... ت إلا تجمّلاً بسّاما
وإذا ما اخترمتَ منّي فما أرهب ... في سائر الأنام اخترامـا
إن تكن مجرماً ولست فقد وا ... ليت قوماً تجمَّلوا الأجراما
لهمُ في المعاد جاهٌ إذا ما ... بسطوه كفى وأغنى الأناما
لا تخف ساعة الجزاء وإن خا ... ف اناسٌ فقد أخذت ذماما
أودع الله ما حللت من البيد ... اء فيه الإنعام والإكراما
ولوى عنه كلّ ما عاقه التر ... ب ولا ذاق في الزَّمان اواما
وقضى أن يكون قبرك للرَّحمة ... والأمن منزلاً ومقاما
وإذا ما سقى القبور فروّاها ... رهاماً سقاك منه سلاما

رَحِمَ الله مَعشَرَ الماضينَ والسَّلامُ
على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى



٤٠ ـ أبو علي البصير

المتوفّى سنة ٤٢٢

سبحان من ليس في السّماء ولا … في الأرض ندٌّ له وأشباهُ
أحاط بالعالمين مقتدراً … أشهد أن لا إله إلّاهُ
وخاتم المرسلين سيّدنا … أحمد ربُّ السّماء سمّاهُ
أشرقت الأرض يوم بعثته … وحصحص الحقُّ من محيّاهُ
إختار يوم « الغدير » حيدرةً … أخاً له في الورى وآخاهُ
وباهل المشركين فيه وفي … زوجته يقتفيهما ابناهُ
هم خمسةٌ يُرحم الأنام بهم … ويستجابُ الدُّعا ويرجاهُ[١]

(الشاعر)

أبو علي البصير [الضرير] الحسن بن المظفَّر النيسابوري المحتد، الخوارزمي المولد، ذكره إبن شهراشوب من المتّقين من شعراء أهل البيت عليهم السّلام، وذكره أبو أحمد محمود بن أرسلان في تاريخ خوارزم وبالغ في الثناء عليه وقال: كان مؤدّب أهل خوارزم في عصره ومخرّجهم وشاعرهم ومقدّمهم والمشار إليه منهم، له كتاب تهذيب ديوان الأدب. وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب ذيل تتمّة اليتيمة. وديوان شعره في مجلّدين. وديوان رسائله.

---

(١) هذه الابيات ذكرها العلامة السماوي في الجزء الاول من كتابه « الطليعة في شعراء الشيعة » لابي علي الضرير. وذكر الحموي منها أربعة ابيات ونسبها الى ولده عمر أبي حفص، والله العالم.

وكتاب محاسن من اسمه الحسن. وكتاب زيادات أخبار خوارزم. ومن شعره قوله:

أهلاً بعيش كان جِدَّ مواتِ[1] ... أحيا من اللّذات كلَّ مَواتِ
أيّام سرب الإنس غير منفَّر ... والشَّمل غير مروَّعٍ بشتاتِ
عيشٌ تحسَّر[2] ظلّه عنّا فما ... أبقى لنا شيئاً سوى الحسراتِ
ولقد سقاني الدَّهر ماء حياته ... والآن يسقيني دم الحيّاتِ
لهفي لأحرارٍ مُنيت ببعدهم ... كانوا على غِيَر الزَّمان ثقاتي
قد زالت البركات عنّي كلها ... بزيال سيِّدنا أبي البركاتِ
ركن العلا والمجد والكرم الذي ... قد فات في الحلبات أيّ فواتِ
فارقتُ طلعته المنيرة مكرهاً ... فبقيت كالمحصور في الظلماتِ
اضحي وامسي صاعداً زفراتي ... لفراقه متحدِّراً عبراتي

وله قوله في المديح:

جبينك الشمس في الأضواء والقمر ... يمينك البحر في الأرواء والمطرُ
وظلّك الحرم المحفوظ ساكنه ... وبابك الركن للقصّاد والحجَرُ
وسيبك الرِّزق مضمونٌ لكلِّ فمٍ ... وسيفك الأجل الجاري به القدَرُ
أنت الهمام بل البدر التّمام بل السّـ ... ـيف الحسام بل الصّارم الذَّكرُ
وأنت غيث الأنام المستغاث به ... إذا أغارت على أبنائها الغيرُ

وله في الغزل:

أريّا شمال؟! أم نسيم من الصَّبا ... أتانا طُروقاً؟! أم خيال لزينبا؟!
أم الطالع المسعود طالع ارضنا ... فاطلع فيها للسعادة كوكبا؟!

قال أبو علي [المترجَم]: رأيت إبن هودار في المنام بعد موته فقلت له:

---

(١) اي مطاوع وموافق. من واتى مواتاة ووتاء.

(٢) الحسر: الكشف. تحسر: تكشف.

لقــد تحــوَّلتَ من دارٍ إلـى دارِ   فهـل رأيت قراراً يـا بن هودارِ؟!

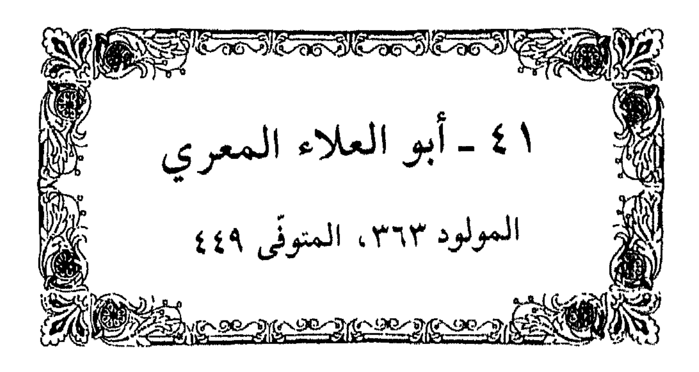
قال: فأجابني:

لا بل وجدت عذاباً لا انقطاع له   مـدى الليـالي وربّـاً غيـر غفّــارِ
ومنـزلاً مـظلمـاً في قعـر هـاويـة   قــرنتُ فيـهــا بكـفّــار وفُجّــارِ
فقل لأهليَ: موتـوا مسلمين فما   للكافرين لدى الباري سوى النارِ

وولده أبو حفص عمر كان فقيهاً فاضلاً أديباً توفّي في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة[1].

---

(١) معجم الادباء ج ٩ ص ١٩١ - ١٩٨ من الطبعة الاخيرة.



٤١ ـ أبو العلاء المعري

المولود ٣٦٣، المتوفّى ٤٤٩

أدنيـاي اذهبي وسـواي أمّي ... فقـد ألممت ليتـكِ لـم تلمّـي
وكـان الـدّهـر ظـرفـاً لا لحمـدٍ ... تُـؤهِّـله الـعـقـول ولا لـذَمِّ
وأحسب سـانـح الأزميم نـادى ... ببين الحيِّ في صحـراء ذمِّ(١)
إذا بـكـرٌ جنـى فتـوقّ عمـراً ... فـإنّ كـليـهـمـا لأبٍ وامِّ
وخف حيوان هذي الأرض واحذر ... مجيء النـطح من رَوق وجُمِّ(٢)
وفي كـلِّ الـطبـاع طباع نكـز ... ولـيس جـمـيـعـهـنَّ ذوات سُـمِّ
ومـا ذنب الضراغم حين صيغت ... وصيِّـر قـوتهـا مـمـا تـدمّي
فقـد جبلت على فرس وضرس ... كمـا جبل الـوفـود على التنمّي
ضيـاءٌ لم يبن لـعيـون كـمـه ... وقـول ضـاع فـي آذان صُـمِّ
لعمـرك مـا أسـرّ بيـوم فـطر ... ولا أضـحى ولا بـغـديـر خـمِّ
وكـم أبـدى تـشـيّـعـه غـويّ ... لأجـل تـنـسّـبٍ ببـلاد قـمِّ

ما يتبع الشعر والشاعر

هـذه الأبيات من قصيدة لأبي العلاء تـوجد في لـزوم ما لا يلزم ج ٢ ص ٣١٨ وقال شارحه المصري: « غدير خم » بين المدينة ومكّة على ثلاثـة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق ويشير أبو العلاء بقوله: ولا أضحى. إلى

(١) ازميم: ليلة من ليالي المحاق. والهلال اذا دق في آخر الشهر واستقوس. ذم: الهلاك.
(٢) الروق. القرن من كل ذي قرن. جم جمع الاجم: الكبش لا قرن له.

التشيّع لعليّ ففيه قال النبيّ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه عند منصرفه من حجّة الوداع : مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ، والشيعة يقصدون هذا المكان ولذلك قال شاعرهم :

ويوماً بالغدير غدير خمّ[1] أبان له الولاية لو اطيعا

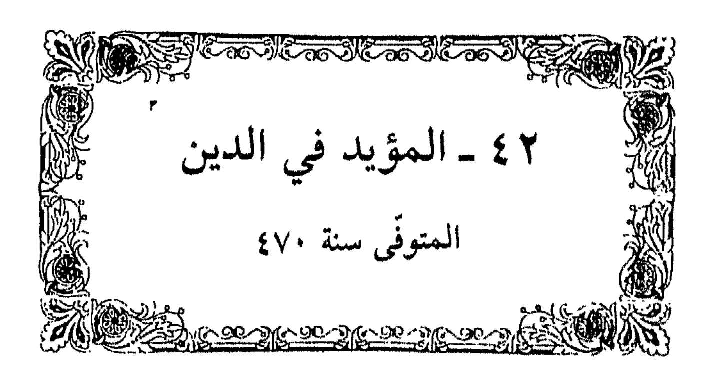
كان حقّاً علينا أن ننوِّه بذكر هذه الأبيات في الجزء الأوَّل عند ذكر عيد الغدير كما كان لنا أن نذكر كلام من علّق عليها في طبقات رواة حديث الغدير فإذ فاتنا العثور عليها هناك إستدركناه هٰهنا .

وقد كثر المترجمون لأبي العلاء المعري حتّى عاد أمره ورفعة مقامه في الأدب من أجلى الواضحات، وإنَّ ديوانه بمفرده أجلُّ شاهد على نبوغه، وأوسع تراجمه وأحسنها ما ألّفه الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلّي المتوفّى ٦٦٠ وسمّاه [كتاب الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعرّي] وقد طبع ملخّصه في الجزء الرّابع من تاريخ حلب ج ٤ ص ٧٧ - ١٨٠ . وإليك فهرسته .

---

(١) هذا البيت من هاشميات الكميت وفيه تصحيف والصحيح كما مر في الجزء الثاني ص٢١٣ :

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيعا



٤٢ ـ المؤيد في الدين

المتوفّى سنة ٤٧٠

قـال والرَّحـل لِلسّرى محمـولُ:   حُقَّ منـك النّوى وجـدَّ الـرَّحيـلُ

وعـدا الهزلُ في القـطيعـة جـدّاً   مـا كذا كـان منك لي المـأمـولُ

قـلتُ والـقـلب حسرةً يـتـقـلّى   وعلى الخـدِّ دمـع عيني يسيـلُ

: بـأبي أنت ما اقتضى البين إلاّ   قـدرٌ ثمَّ عهـدُك المستحيـلُ

كم وكم قلت: خلّني يـا خليلي   من جفـاء منـه الجبـال تـزولُ؟!

إنَّـمـا أمـره لـديـك خفيفٌ   وهـو ثقـلٌ على فؤادي ثقيـلُ

إنّـك السـالم الصحيـح وإنّي   من غرامٍ بك الـوقيذ(١) العليلُ

قـال: قد مـرَّ ذا فهـل من مُقـام   عنـدنـا؟ قلتُ: مـا البه سبيـلُ

قـال: إنّي لـدى مُـرادك بـاقٍ   قلت: ها إن تفي بما قد تقولُ

قال: أضرمتَ في الحشى نار شوق   حـرُّ أنفـاسهـا عليهـا دليـلُ

قلتُ: حسبي الذي لقيت هواها   فلقـاء الهـوان عـنـدي يهـولُ

فـقيـحٌ بـيَّ التَّصـابي وهـذا   عسكر الشَّيب فوق رأسي نـزولُ

* * *

إنَّ أمـر الـمعـاد أكبـر همي   فـاهتمـامي بمـا عـداهُ فضـولُ

كثـر الخـائضـون بحـر ظـلامٍ   فيـه والمؤنسـو الضيـاء قليـلُ

قال قومٌ: قُصرى الجميع التلاشي   فئـةٌ مـنـتـهـاهـمُ الـتَّـعـطيـلُ

---

(١) الوقيذ: الشديد المرض، المشرف على الموت.

وادّعى الآخرون نسخاً وفسخاً ... ولهم غير ذاك حشوٌ طويلُ
وأبوا بعد هذه الدّار داراً ... نحوها كلُّ مَن يؤولُ يَؤولُ
لم يروا بعدها مَقامَ ثوابٍ ... وعقابٍ لهم إليه وُصولُ
فالمثابون عندهم مُترفوهم ... ولذي الفاقة العذابُ الوبيلُ
قال قومٌ وهم ذوو العدد الجـ ... ـمِّ لنا الزَّنجبيل والسَّلسبيلُ
ولنا بعد هذه الدّار دارٌ ... طاب فيها المشروب والمأكولُ
ولكلٍّ من المقالاتِ سوقٌ ... وإمامٌ ورايةٌ ورَعيلُ
ما لهم في قَبيل عقلٍ كلام ... لا ولا في حِمَى الرَّشاد قَبولُ
امّةٌ ضيَّع الأمانةَ فيها ... شيخها الخامل الظَّلوم الجهولُ
بئس ذاك الإنسان في زُمر الإنس ... وشيطانه الخَدوعُ الخذولُ
فهم التائهون في الأرض هلكا ... عقدُ دين الهُدى بهم محلولُ
نكسوا ويلهم ببابلَ جهراً ... جُملٌ ذا وراءها تفصيلُ
مُنعوا صفو شربةٍ من زُلالٍ ... ليس إلّا بذاك يشفى الغليلُ
ملَّكوا الدِّين كلَّ انثى وخُنثى ... وضعيفٍ بغير بأسٍ يصولُ

إلى أن قال:

لو أرادوا حقيقة الدِّين كانوا ... تبعاً للذي أقام الرَّسولُ
وأتت فيه آيةُ النصِّ بلِّغ ... يوم «خُمٍّ» لمّا أتى جبريلُ
ذاكُمُ المرتضى عليٌّ بحقٍّ ... فبعلياه ينطق التَّنزيلُ
ذاك برهان ربِّه في البرايا ... ذاك في الأرض سيفه المسلولُ
فأطيعوا جحداً اولي الأمر منهم ... فلهم في الخلائق التَّفضيلُ
أهل بيتٍ عليهمُ نزل الذكـ ... ـرُ وفيه التَّحريمُ والتَّحليلُ
هم أمانٌ من العمى وصراطٌ ... مستقيمٌ لنا وظِلٌ ظليلُ

القصيدة ٦٧ بيتاً[1]

---

(١) ديوان المؤيد ص ٢١٥ - ٢١٨.

وله من قصيدة ذات ٥١ بيتاً توجد في ديوانه ص ٢٤٥ ، أوّلها:

نسيم الصَّبا ألمِمْ بفارسَ غاديا وأبلغ سلامي أهل وُدّي الأزاكيا

يقول فيها:

فلهفي على أهلي الضِّعاف فقد غدوا لِحدِّ شفار النائبات أضاحيا
فياليت شِعري من يُغيث صريخهم إذا ما شكوا للحادثات العواديا؟!
ويا ليت شعري كيف قد أدرك العدى بتفريق ذات البين فينا المباغيا؟!
أإخواننا صبراً جميلاً فإنّني غدوت بهذا في رضى الله راضيا
وفي آل طه إن نُفيتُ فإنّني لأعدائهم ما زلتُ والله نافيا
فما كنتُ بدعاً في الأولى فيهم نُفوا ألا فخر أن أغدو « لجندب » ثانيا؟!
لئن مسّني بالنّفي قُرحٌ فإنّني بلغتُ به في بعض همّي الأمانيا
فقد زُرتُ في « كوفان » للمجد قبّة هي الدين والدنيا بحقّ كما هيا
هي القُبّة البيضاء قُبّة « حيدر » وصيّ الذي قد أرسل الله هاديا
وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه ومن قام مولى في « الغدير » وواليا
ومَن قال قومٌ فيه قولاً مُناسباً لقول النصارى في المسيح مُضاهيا
فيا حبّذا التطواف حول ضريحه اصلّي عليه في خشوع تواليا
وواحبّذا تعفير خدَّيّ فوقه ويا طيب إكبابي عليه مناجيا
اناجي وأشكو ظالمي بتحرُّقٍ يثير دموعاً فوق خدّي جواريا
وقد زرت مثوى الطهرفي أرض كربلا فدَت نفسي المقتول عطشان صاديا

« القصيدة »

وله من قصيدة ذات ٦٠ بيتاً توجد في ديوانه ص ٢٥٦ مستهلّها:

ألا ما لهذي السّما لا تمورُ وما للجبال تُرى لا تسيرُ؟!؟
وللشمس ما كوِّرت والنجوم تضيء وتحت الثرى لا تغورُ؟!؟
وللأرض ليست بها رجفة وما بالها لا تفور البحورُ؟!؟
وما للدما لا تُحاكي الدموع فتجري لتبتلّ منها النحورُ؟!؟
أتبقى القلوب لنا لا تُشقّ جوى ولو أن القلوب الصخورُ؟

ليوم ببغداد ما مثله   عبوسٌ يراه امرؤٌ قمطريرُ

وقد قام دجّالها أعورٌ   يحفُّ به من بني الزّورعورُ

فلا حَدبٌ منه لا ينسلون   ولا بقعةٌ ليس فيها نفيرُ

يرومون آل نبيِّ الهدى   ليُردى الصغير ويفنى الكبيرُ

لتنهب أنفس أحيائهم   وتُنبش للميّتين القبورُ

ومن نجل « صادق آل العبا »   ينال الذي لم ينله الكفورُ

« فموسى » يُشقّ له قبره   ولمّا أتى حشره والنشورُ

ويُسعر بالنار منه حريمٌ   حرامٌ على زائريه السّعيرُ

وتقتل شيعة آل الرَّسول   عتوّا وتُهتك منهم ستورُ

فواحسرتا لنفوس تسيل   ويا غمّتا لرؤوس تطيرُ

وما نقموا منهمُ غير أنّ   وصيّ النبيّ عليهم أميرُ

كما العذر في غدرهم بغضهم   لمن فرض الحب فيه « الغديرُ »

فيا امّةً عاث فيها الشقاء   فوجه نهار هُداها قتيرُ

وشافعها خصمها في المعاد   لها الويل من ربّها والثبورُ

قتلتم حسينا لملك العراق   وقلتم أتاكم له يستثيرُ

فما ذنب موسى الذي قد محت   معالمه في ثراء الدهورُ؟!

وما وجه فعلكمُ ذابه؟!   لقد غرّكم بالإله الغرورُ

أيا شيعة الحقّ! طاب الممات   فيا قوم! قوموا سراعا نثورُ

فإمّا حياةٌ لنا في القصاص   وإمّا إلى حيث صاروا نصيرُ

أآل المسيِّب ما زلتمُ   عشير الولاء فنعم العشيرُ

ويا آل عوفِ غيوث المُحول   ليوثاً إذا كاع ليثٌ هصورُ

أآل النّهى والندى وانطعان   وحزب الطلى حين حرّ الهجيرُ

أصبرا على الخسف؟ لا همكم   دنيٌّ ولا الباع منكم قصيرُ

أتُهتك حرمة آل النبي   وفي الأرض منكم صبيٌّ صغيرُ؟!

وقبر ابن صادق آل الرَّسول   يُمسّ بسوءٍ وأنتم حضورٌ؟!

ولمّا تخوضوا بحار الرَّدى   وفي شعبه تنجدوا أو تغوروا

لقد كان يوم الحسين المُنى   فتفدى نفوسٌ وتشفى صُدورُ

فهـذا لكـم عـاد يـوم الحسيـن ... فمـاذا القصـور؟! ومـاذا الفتـورُ؟!
فـمـدوا الـذراع وحـدّوا القـراع ... فـيـوم النـواصـب منكم عسيـرُ
وولّـوا « ابـن دمنـة » أعـمـالـه ... تبـور كمـا المكـر منـه يبـورُ
فـقتـلاً بـقتـلٍ وثـكـلاً بـثـكـل ... ذروه تـجـزُّ عـلـيـه الـشـعـورُ

« القصيدة »

(ما يتبع الشعر)

هذه القصيدة نظمها شاعرنا المؤيَّد في فتنة بغداد الهائلة الواقعة سنة ٤٤٣ يلفظ نفثات لوعته من تلكم الفظائع التي أحدثتها يد العداء المحتدم على اهل بيت الوحي وشيعتهم يوم شنّت الغارة على مشهد الإمام الطاهر موسى بن جعفر ومشاهد أوليائه المدفونين في جوار أمنه وحرم قدسه.

قال ابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ٢١٥ : وكان سبب هذه الفتنة أنَّ أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ففزع أهلُ الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: محمّد وعليّ خير البشر، وأنكر السنَّة ذلك وادَّعوا: انَّ المكتوب محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومَن أبى فقد كفر. وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العبّاسيّين، ونقيب العلويّين وهو عدنان[1] ابن الرضي لكشف الحال وإنهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيّين فأمر حينئذ الخليفة ونـوّاب الرحيم بكفّ القتال فلم يقبلوا، وانتدب إبن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصّمد بحمل العـامّة على الاغـراق في الفتنة، فـأمسك نـوّابُ

(١) الشريف عدنان هو ابن الشريف الرضي المترجم في هذا الجزء صفحة ٢٠٩ ولي النقابة بعد وفاة عمه الشريف المرتضى المترجم في هذا الجزء ٢٩٧. واستمر الى ان توفّي ببغداد سنة ٤٤٩ .

الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء[١] لميله إلى الحنابلة، ومنع هذه السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه[٢] فعظم الأمر عليهم، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبّوا عليه ماء الورد ونادوا: الماء للسبيل. فأغروا بهم السنّة وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا: خير البشر. وكتبوا: عليهما السّلام. فقالت السنّة: لا نرضى إلاّ أن يقلع الآجر الذي عليه محمّد وعليّ، وأن لا يؤذّن حيّ على خير العمل. وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأوّل وقُتل فيه رجلٌ هاشميٌّ من السنّة فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربيّة وباب البصرة وسائر محالّ السنّة واستنفروا الناس للأخذ بثاره ثمّ دفنوه عن أحمد بن حنبل، وقد اجتمع معهم خلقٌ كثيرٌ أضعاف ما تقدّم، فلما رجعوا من دفنه قصدوا باب مشهد التبن[٣] فأُغلق بابه فنقبوا في سورها وتهدّدوا البوّاب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في الترب والدور، وأدركهم الليل فعادوا، فلمّا كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والآزاج واحترق ضريح موسى[٤] وضريح إبن إبنه محمّد بن عليّ والجوار والقبّتان السّاج اللتان عليهما، واحترق ما يُقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معزّ الدولة

---

(١) ابو القاسم ابن المسلمة علي بن الحسن بن أحمد وزير القائم بأمر الله مكث في الوزارة ثنتي عشرة سنة وشهراً، قتله البساسيري سنة ٤٥٠. قال ابن كثير في تاريخه ج١٢ ص٦٨: كان كثير الاذية للرافضة، الزم الروافض بترك الاذان بحي على خير العمل، وامروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم. مرتين. وازيل ما كان على ابواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر. وأمر رئيس الرؤساء بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

(٢) انفتح بثقه: اي كسر سده. بثق السيل: أي خرق وشق

(٣) باب التبن: اسم محلة كبيرة ببغداد على الخندق وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل ويلصق هذا الموضع في مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم، ويعرف قبره بمشهد باب التبن. معجم.

(٤) الامام الطاهر موسى بن جعفر الكاظم، وحفيده الامام الجواد محمد بن علي بن موسى سلام الله عليهم.

وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقبر الأمين محمَّد بن الرَّشيد، وقبر امِّه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله، فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمَّد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه، وسمع أبو تمام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين والسنّة الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك، وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيّين فنهبوه وقتلوا مدرِّس الحنفيّة أبا سعد السَّرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والأساكفة وغيرهم، ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلّهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بأنَّ أهل ولايته شيعة واتّفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشقّ عليهم كما أنَّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها.

وزاد إبن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ١٥٠: ظهر عيار الطقطقي من أهل درزيجان وحضر الديوان واستتيب وجرى منه في معاملة أهل الكرخ ونتبّعهم في المحال وقتلهم على الإتِّصال ماعظمت فيه البلوى، واجتمع أهل الكرخ وقت الظهيرة فهدمت حائط باب القلائين ورموا العذرة على حائطه وقطع الطقطقي رجلين وصلبهما على هذا الباب بعد أن قتل ثلاثة من قبل ، وقطع رؤسهم ورمى بها إلى أهل الكرخ وقال: تغدوا برؤس. ومضى إلى درب الزعفراني فطالب أهله بمائة ألف دينار وتوعّدهم ان لم يفعلوا بالإحراق فلاطفوه فانصرف، ووافاهم من الغد فقاتلوه فقُتل منهم رجلٌ هاشميٌّ فحمل إلى مقابر قريش.

واستنفر البلد ونقب مشهد باب التين ونهب ما فهي واخرج جماعة من

القبور فأُحرقوا مثل العوني[١] والناشي[٢] والجذوعي، ونقل من المكان جماعة موتى فدفنوا في مقابر شتّى وطرح النار في الترب القديمة والحديثة، واحترق الضّريحان والقبّتان السّاج، وحفروا أحد الضريحين ليخرجوا مَن فيه ويدفنوه بقبر أحمد، فبادر النقيب والناس فمنعوهم. إلخ.

وذكر القصّة على الإختصار إبن العماد في شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠، وإبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٦٢.

(الشاعر)

هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي المؤيّد في الدين داعي الدُّعاة، أوحديٌّ من حملة العلم، وفذٌ من أفذاذ الأُمّة، وعبقريٌّ من جِلّة أعلام العلوم العربيّة، ونابغةٌ من نوابغ الأدب العربيّ، وله نصيبه الوافر من القريض بلغة الضّاد وإن وُلد في قاعة الفرس ونشأ في مهدها، كان من الدُّعاة إلى الفاطميّة منذ بلغ أشدّه في كلّ حاضرة حلّ بها، وله في تلك الدّعوة خطوات واسعة، وهو كما وصف نفسه للمستنصر بالله بقوله في سيرته ص ٩٩: وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ومَن لا يُماثلني أحدٌ فيها. وقد كابد دون تلك الدعوة كوارث، وقاسى نوازل ملمّة، وعانى شدائد فادحة، غير أنّه كان يستخفّ ورائها كلّ هامّة ولامّة، ولم يك يكترث لأيّ نازلة.

ولد بشيراز حوالي سنة ٣٩٠ كما يظهر من شعره، وبها شبَّ ونما إلى أن غادرها سنة ٤٢٩ ويمّم الأهواز وفارق مسقط رأسه خائفاً يترقّب فرقاً من السلطان أبي كاليجار بعد ما جرى بينه وبين الملك ما يورث البغضاء، وما تأتّى له إقتناء مرضاته بارجوزته « المسمطة » في ١٥٣ بيتاً ذكرها في سيرته ص ٤٨ ـ ٥٤ فنزل الأهواز غير أنّ هواجسه ما حدّثته بالطمأنينة إلى الأمن من غيلة الملك فهبط حلّة

(١) في المنتظم: العوفي: والصحيح: العوني كما في الشدرات. وقد مرت ترجمة العوني في هذا الجزء ص ١٢٤ ـ ١٤١.

(٢) هو علي بن الوصيف احد شعراء الغدير مر ذكره في هذا الجزء ص ٤٥

منصور بن الحسين الأسدي الذي ملك الجزيرة الدبيسيَّة بجوار خوزستان، ومكث هنالك نحو سبعة أشهر، ثمَّ اتَّجه إلى قرواش أبي المنيع إبن المقلد أمير بني عقيل صاحب الموصل والكوفة والأنبار، فلمّا لم يجده آخذاً بناصره في دعوته سار إلى مصر بعد سنة ٤٣٦ وقبل سنة ٤٣٩ ومكث فيها ردحاً من الزمن إلى أن غدا وله بعض النفوذ في البلاد، فسيِّر إلى الشام باقتراح الوزير عبد الله بن يحيى بن المدبِّر، ثمَّ عاد إلى مصر بعد مدَّة، فقطن فيها بقيّة حياته إلى أن توفّي بها سنة ٤٧٠.

وللمؤيَّد آثار علميّة تنمّ عن طول باعه في الحجاج والمناظرة، وعن سعة اطلاعه على معالم الدين ومباحثه الراقية، وتضلّعه في علمي الكتاب والسنَّة ووقوفه على ما فيهما من دقائق، ورقائق، له رسائل ناظر بها أبا العلاء المعرّي في موضوع أكل اللحم، نشرت في مجلة «الجمعيّة الملكيّة الآسيويّة» سنة ١٩٠٢ م. ومناظرته القيِّمة مع علماء شيراز في حضرة السلطان أبي كاليجار تعرب عن مبلغه من العلم، ذكرها على تفصيلها في سيرته ص ١٦ ـ ٣٠.

ومناظرته مع الخراساني المذكورة في سيرته ص ٣٠ ـ ٤٣ شاهد صدق على تضلّعه في العلوم وذُكر للمؤيّد من التأليف:

١ ـ المجالس المؤيّديَّة.

٢ ـ المجالس المستنصريّة.

٣ ـ ديوان المؤيّد.

٤ ـ سيرة المؤيّد.

٥ ـ شرح العماد.

٦ ـ الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير.

٧ ـ الابتداء والإنتهاء.

٨ ـ جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان.

٩ ـ القصيدة الإسكندريَّة وتسمّى ايضاً بذات الدوحة.

١٠ ـ تأويل الأرواح.

١١ ـ نهج العبارة.

١٢ ـ المسائلة والجواب.

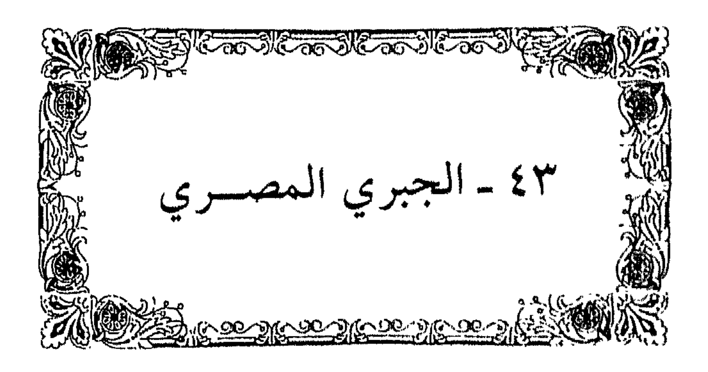
١٣ ـ اساس التأويل. وفي نسبة غير واحد من هذه الكتب إلى مترجمنا المؤيّد نظر وللبحث فيه مجالٌ واسع.

توجد ترجمة شاعرنا المترجم له بقلمه في كتاب أفرده في سيرته بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠، وهو المصدر الوحيد للباحثين عن ترجمته طبع بمصر في ١٨٤ صحيفة، وللاستاذ محمّد كامل حسين المصري بكليّة الأداب دراسة ضافية حول حياة المترجَم بحث عنها من شتّى النواحي في ١٨٦ صحيفة[١] وجعلها تقدمة لديوانه المطبوع بمصر، ففي الكتابين مقنع وكفاية عن التبسّط في ترجمة المؤيّد[٢].

---

(١) فيها مواقع للنظر عندما نهى سيره إلى الأراء المذهبية.

(٢) المؤيد شعره وترجمته من أولها إلى اخرها من ملحقات الطبعة الثانية.



٤٣ - الجبري المصري

يا دار غادرني جديد بلاكِ ... رثّ الجديد فهل رثيت لذاكِ؟!

أم أنت عمّا أشتكيه من الهوى ... عجماء مذ عجم البلى مغناكِ؟!

ضفناك نستقري الرسول فلم نجد ... إلّا تباريح الهموم قِراكِ

ورسيس شوقٍ تمتري زفراته ... عبراتنا حتّى تبلّ ثراكِ

ما بال ربعك لا يبلّ؟ كأنّما ... يشكو الذي أنا من نحولي شاكِ

طلّت طلولك دمع عيني مثلما ... سفكت دمي يوم الرَّحيل دماكِ

وأرى قتيلك لا يَديه قاتلٌ ... وفتور ألحاظ الظباء ظباكِ

هيّجت لي إذ عجت ساكن لوعة ... بالساكنيك تشبّها ذكراكِ

لمّا وقفت مسلّما وكأنّما ... ريّا الأحبَّة سقت من ريّاكِ

وكفت عليك سماء عيني صيّباً ... لو كفّ صوب المزن عنك كفاكِ

سقيا لعهدي والهوى مقضيّةٌ ... أوطاره قبل احتكام نواكِ

والعيش غضٌّ والشباب مطيّةٌ ... للّهو غير بطيئة الإدراكِ

أيّام لاواش يُطاع ولا هوىً ... يُعصى فنقصى عنك إذ زرناكِ

وشفيعنا شرخ الشبيبة كلّما ... رمنا القصاص من اقتناص مهاكِ

ولئن أصارتك الخطوب إلى بلى ... ولحاك ريب صروفها فمحاكِ

فلطالما قضّيت فيك مآربي ... وأبحت ريعان الشباب حماكِ

ما بين حور كالنجوم تزيّنت ... منها القلائد للبدور حواكي

هيف الحصور من القصور بدت لنا ... منهـا الأهلّة لا من الأفـلاكِ
يجمعن من مرح الشبيبة خفّة الـ ... ـمتغـزّلـين وعـفّـة النّسـاكِ
ويصدن صادية القلوب بأعينٍ ... نجـل كصيد الطير بالأشراكِ
من كلِّ مخطفة الحشا تحكي الرشا ... جيداً وغصن البان لين حراكِ
هيفـاء ناطقة النطاق تشكّياً ... من ظلم صامتة البُرين ضناكِ[1]
وكأنّما من ثغرها من نحرها ... درٌّ تباكره بعود أراكِ
عذب الرُّضاب كأنَّ حشو لثاتها ... مسكاً يعلُّ به ذرى المسواكِ
تلك التي ملكت عليَّ بدلِّها ... قلبي فكانت أعنف المـلاّكِ
إنَّ الصّبى يا نفس عزَّ طلابه ... ونهتك عنه واعظات نهاكِ
والشيب ضيفٌ لا محالة مؤذنٌ ... بـرداك فاتّبعي سبيل هداكِ
وتـزوَّدي من حبِّ آل محمَّد ... زاداً متى أخلصته نجّاكِ
فلنعم زادٌ للمعاد وعدّةٌ ... للحشر إن علقت يداك بذاكِ[2]
وإلى الوصيِّ مهمَّ أمرك فوِّضي ... تصلي بذاك إلى قصيِّ مناكِ
وبه ادرئي في نحر كلِّ ملمَّة ... وإليه فيها فاجعلي شكواكِ
وبحبِّه فتمسَّكي أن تسلكي ... بالزيغ عنه مسالك الهلاّكِ
لا تجهلي وهواه دأبك فاجعلي ... أبداً وهجر عداه هجر قلاكِ
فسواءٌ انحرف امرؤٌ عن حبّه ... أو بات منطوياً على الإشراكِ
وخذي البراءة من لظى ببراءة ... من شانئيه وامحضيه هواكِ
وتجنّبي إن شئت أن لا تعطبي ... رأي ابن سلمى فيه وابن صهاكِ
وإذا تشابهت الامور فعوِّلي ... في كشف مشكلها على مولاكِ
خير الرجال وخير بعل نساءها ... والأصل والفرع التقيّ الزاكي
وتعوَّذي بالزَّهر من أولاده ... من شرِّ كلِّ مُضلّل أفّاكِ
لا تعدلي عنهم ولا تستبدلي ... بهمُ فتحظى بالخسار هناكِ

---

(١) البرين بالضم جمع بره: الخلخال.

(٢) للحشر ان ظفرت بذلك يداك. كذا في نسخة.

فهمُ مصابيح الدُّجى لذوي الحجى والعروة الوثقى لـذي استمساكِ
وهم الأدلَّةُ كالأهلّة نـورهـا يجلو عمى المتحيِّـر الشكّـاكِ
وهم الصِّراط المستقيم فأرغمي بهـواهمُ أنف الـذي يلحـاكِ
وهم الأئمَّـة لا إمـام سـواهمُ فـدعي لِتيم وغيـرهـا دعـواكِ
يـا امَّـة ضلّت سبيـل رشادهـا إنَّ الـذي استرشـدته أغـواكِ
لئن ائتمنت على البريَّة خائنـاً للنفس ضيَّعهـا غـداة رعـاكِ
أعـطاك إذ وَطـاك عشـوة رأيـه خـدعـاً بحبـل غـرورهـا دلاَّكِ
فتبعتـه وسخيف دينـك بعتـه مـغتـرَّةً بـالـنـزر من دنيـاكِ
لقد اشتريت به الضَّلالة بالهدى لَمَّـا دعـاكِ بمكـره فـدهـاكِ
وأطعتـه وعصيت قـول محمَّـد فيمـا بـأمـر وصيِّـه وصّـاكِ
خلّفت واستخلفت من لم يرضه لـلدين تـابعـة هـوىً هـوّاكِ
خلت اجتهادك للصَّواب مؤدِّيـاً هيـهـات مـا أدّاك بـل أرداكِ
لقد إجتريت على اجتراحِ عظيمةٍ جعلت جهنـم في غـدٍ مثـواكِ
ولقـد شققت عصا النبيِّ محمَّـد وعققت من بعـد النبيِّ أبـاكِ
وغـدرت بالعهـد المؤكّـد عقـده يـوم « الغدير » لـه فما عـذراكِ
فلتعلمنّ ولقـد رجعت به على الأ عقـاب نـاكصـةً بـه على عقبـاكِ
أعن الـوصيِّ عـدلت عـادلـة بـه مَن لا يساوي منه شسع شراكِ؟!
ولتسـألـنَّ عن الـولاء لـحيـدر وهـو النعيم شقـاكِ عنه ثنـاكِ[1]
قست المحيط بكلِّ علمٍ مشكلٍ وعـرٍ مسـالكـه على السُّـلاّكِ
بـالمعتريه ـ كما حكى ـ شيطانه وكفـاه عنـه بنفسـه من حـاكي
والضارب الهامات في يوم الوغى ضـربـاً يقـدُّ بـه إلى الأوراكِ
إذ صـاح جبـريـلٌ بـه متعجِّبـاً من بـأسـه وحسـامـه البتّـاكِ
لا سيف إلّا ذو الفقـار ولا فتىً إلّا عـلـيٌّ فـاتـك الـفـتّـاكِ
بـالهـارب الفـرّار من أقـرانـه والحـرب يـذكيهـا قنـاً ومـذاكي

---

(١) ثناك عنه شقاك. كذا في نسخة.

والقاطع الليل البهيم تهجّداً … بفؤاد ذي روع وطرفٍ باكي

بالتارك الصّلوات كفراناً بها … لولا الرياء لطال ما راباكِ

أبعد بهذا من قياسٍ فاسدٍ … لم تأت فيه امّةٌ مأتاكِ

أوَ ما شهدت له مواقف أذهبت … عنك اعتراك الشك حين عراكِ؟!

من معجزات لا يقوم بمثلها … إلّا نبيٌّ أو وصيٌّ زاكي

كالشمس إذ رُدَّت عليه ببابل … لقضاء فرض فائت الإدراك

والريح إذ مرَّت فقال لها: احملي … طوعاً وليّ الله فوق قواكِ

فجرت رجاء بالبساط مطيعة … امر الإله حثيثة الايشاك[1]

حتّى إذا وافى الرقيم بصحبه … ليزيل عنه مرية الشكّاك

قال: السّلام عليكمُ فتبادروا … بالردّ بعد الصّمت والإمساكِ

عن غيره فبدت ضغائن صدر ذي … حنق لستر نفاقه هتّاك

والميت حين دعا به من صرصر … فأجابه وأبيت حين دعاكِ

لا تدّعي ما ليس فيكِ فتندمي … عند امتحان الصّدق من دعواكِ

والخفُّ والثعبان فيه ايةٌ … فتيقّظي ياويك من عمياكِ

والسّطل والمنديل حين أتى به … جبريل حسبك خدمة الأملاك

ودفاع أعظم ما عراك بسيفه … في يوم كلِّ كريهة وعراك

ومقامه - ثبت الجنان - بخيبر … والخوف إذ ولّيت حشو حشاكِ

والباب حين دحى به عن حصنهم … سبعين باعاً في فضا دكداك

والطائر المشويُّ نصٌّ ظاهرٌ … لولا جحودك ما رأت عيناكِ

والصخرة الصّما وقد شفّ الظما … منها النفوس دحى بها فسقاكِ

والماء حين طغى الفرات فأقبلوا … ما بين باكية إليه وباكي

قالوا: أغثنا يا بن عمّ محمّد … فالماء يؤذننا بوشك هلاكِ

فأتى الفرات فقال: يا أرض ابلعي … طوعاً بأمر الله طاغي ماكِ

---

(١) وفي نسخة:

فغدت رخاء بالبساط مطيعة … أمر الإله حثيثة الادراك

فأغاضه حتّى بدت حصباؤه ... من فوق راسخة من الأسماكِ
ثمَّ استعادوه فعاد بأمره ... يجري على قدَر، ففيم مراكِ؟!
مولاكِ راضيةً وغضبى فاعلمي ... سيّان سخطك عنده ورضاكِ
يا تيم تيَّمك الهوى فأطعته ... وعن البصيرة يا عديُّ عداكِ
ومنعتِ إرث المصطفى وتراثه ... ووليته ظلماً، فمن وَلّاكِ؟!
وبسطت أيدي عبد شمس فاغتدتْ ... بالظلم جاريةً على مغناكِ
لا تحسبيكِ بريئةً ممّا جرى ... والله ما قتل الحسين سواكِ
يا آل أحمد كم يكابد فيكمُ ... كبدي خطوباً للقلوب نواكي
كبدي بكم مقروحةٌ ومدامعي ... مسفوحةٌ وجوى فؤادي ذاكي
وإذا ذكرتُ مصابكم قال الأسى ... لجفوني: اجتنبي لذيذ كراكِ
وابكي قتيلاً بالطفوف لأجله ... بكت السَّماء دماً فحقَّ بكاكِ
إن تبكهم في اليوم تلقاهم غداً ... عيني بوجهٍ مسفرٍ ضحّاكِ
يا ربِّ فاجعل حبّهم لي جُنَّةً ... من موبقات الظلم والإشراكِ
واجبر بها الجبري ربِّ وبرّه ... من ظالمٍ لدمائهم سفّاكِ
وبهم ـ إذا أعداء آل محمّد ... غلقت رهونهمُ ـ فجد بفكاكِ[1]

(الشاعر)

إبن جبر المصري أحد شعراء مصر على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله المولود سنة ٤٢٠ والمتوفّى ٤٨٧، ذكر المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٣٦٥ موسماً من مواسم فتح الخليج في أيّام المستنصر وقال: وتقدَّم شاعرٌ يقال له: إبن جبر وأنشأ قصيدةً منها:

فتح الخليج فسال منه ماءُ ... وعلت عليه الراية البيضاءُ
فصفت موارده لنا فكأنّه ... كفّ الإمام فعرفها الإعطاءُ

---

(١) أخذتهما من نسخة عتيقة جداً مكتوبة في القرون الوسطى وتوجد ناقصة منها تسعة أبيات في أعيان الشيعة في الجزء الخامس عشر ص ٢٦٣.

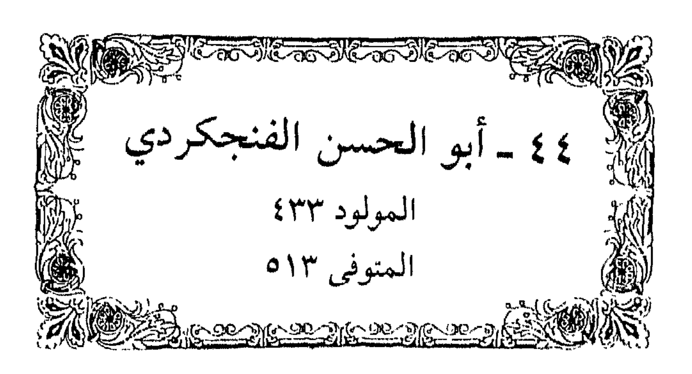
فانتقد الناس عليه في قوله: فسال منه الماء قالوا: أيّ شيء يخرج من البحر غير الماء، فضيع ما قاله بعد هذا المطلع.

وهنالك قصائد غديريّة لإبن طوطي الواسطي، والخطيب المنبجي، وعليّ بن أحمد المغربي، من شعراء القرن الخامس توجد مبثوثةً في مناقب إبن شهراشوب، وتفسير أبي الفتوح الرازي، والصِّراط المستقيم للبياضي، والدر النظيم في الأئمّة اللهاميم لإبن حاتم الدمشقي، وغيرها لم نذكرها لعدم عرفاننا بترجمة أولئك الشعراء وتاريخ حياتهم؛ غير أنّهم من شعراء هذه الأثارة مأثرة الغدير ومنضِّدي عقودها وناظمي حديثها من الذين استفادوا من لفظه معنى الإمامة والمرجعيّة الكبرى في الدين والأولويّة بالناس من أنفسهم.

شعراء الغدير

في القرن السادس





٤٤ ـ أبو الحسن الفنجكردي

المولود ٤٣٣

المتوفى ٥١٣

لا تـنكـرنَّ غـديـر خـمٍ إنَّـه ... كالشمس في إشراقها بل أظهرُ
ما كان معروفاً بإسناد إلى ... خير البرايا أحمد لا ينكرُ
فيه إمامة « حيدر » وكماله ... وجلاله حتّى القيامة يُذكرُ
أولى الأنام بأن يوالي « المرتضى » ... من يأخذ الأحكام منه ويأثرُ

(ما يتبع الشعر)

هذه الأبيات نسبها إلى الفنجكردي شيخنا الفتّال في « روضة الواعظين » ص ٩٠ وهو أحد معاصريه، وذكرها إبن شهراشوب في « المناقب » ج ١ ص ٥٤٠ طبع ايران، والقاضي الشهيد في « مجالس المؤمنين » ص ٢٣٤، وصاحب « رياض العلماء » وقطب الدين الأشكوري في « محبوب القلوب ».

وذكر له في « مناقب » إبن شهراشوب ج ١ ص ٥٤٠، و« مجالس المؤمنين » ص ٢٣٤، و« رياض العلماء » قوله:

يوم الغدير سوى العيدين لي عيدُ ... يوم يسرُّ به السّادات والصيدُ
نال الإمامة فيه « المرتضى » وله ... فيه من الله تشريفٌ وتمجيدُ
يقول« أحمد» خير المرسلين ضحى ... في مجمع حضرته البيض والسودُ
والحمد لله حمداً لا انقضاء له ... له الصنائع والألطاف والجودُ

إنَّ الشاعر كما سيوافيك في الترجمة من أئمّة اللغة الواقفين على حقائق معاني الألفاظ وتصاريفها، ومن المطّلعين على معاريض الكلام ولحن القول

وفحوى التعابير، وقد استفاد من لفظ المولى معنى الإمامة والمرجعيَّة في أحكام الدين، فنظم ذلك في شعره الدرِّي فهو من الحجج لما نتحرّاه في معنى الحديث الشريف.

(الشاعر)

الشيخ أبو الحسن عليّ بن أحمد الفَنجكردي[١] النيسابوري، من أساتذة الأدب المحنّكين المتقدِّمين فيه بالإمامة والتضلّع، وهو مع ذلك معدودٌ من أعاظم حملة العلم، ومشيخة الحديث البارعين، ففي « الأنساب » للسمعاني: أبو الحسن الفنجكردي عليّ بن أحمد الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، الباقيين معه على هرمه وطعنه في السنّ، قرأ اصول اللغة على يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وكان عفيفاً خفيفاً ظريف المجاورة قاضياً للحقوق محمود الأحوال، أصابته علّة أزمنته ومنعته من الخروج وطعن في السنّ فتأخَّر عن الزِّيارة بالقدم فاستناب عنها التعهد بالعلم، سمع الحديث من القاضي الناصحي[٢] وكتب لي الإجازة لجميع مسموعاته وحدَّثني عنه جماعةٌ من مشايخنا وتوفّي ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٥١٣ وصلّوا عليه في الجامع القديم ودفن بالحيرة[٣] في مقبرة نوح.

وفي « معجم الادباء » ج ٥ ص ١٠٣: كان أديباً فاضلاً ذكره الميداني في خطبة كتاب (السامي) وأثنى عليه ومات سنة ٥١٢: عن ثمانين سنة وذكره البيهقي في « الوشاح » فقال: الإمام عليّ بن أحمد الفنجكردي الملقَّب ،شيخ الأفاضل، اعجوبة زمانه، وآية أقرانه، وشيخ الصناعة، والممتطي غوارب البراعة. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: عليٌّ بن أحمد الفنجكردي الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، قرأ اللغة على

---

(١) بفتح الفاء وسكون النون وضم الجيم او سكونها وبكسر الكاف وسكون الراء وبعدها الدال المهملة نسبة الى « فنجكرد » قرية من نواحي نيسابور « الانساب ».

(٢) ابو الحسن محمد بن محمد بن جعفر المتوفى ٤٧٩ .

(٣) محلة كبيرة بنيسابور فيها كانت جبانة نوح ولعلها سميت بالحيرة لنزول جمع من اهل حيرة الكوفة بها.

يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وأحكمها وتخرّج فيها، وأصابته علّة لزمته في آخر عمره ومات بنيسابور في ثالث عشر رمضان سنة ٥١٣هـ.

ومدحه معاصره الكاتب أبو ابراهيم أسعد بن مسعود العتبي[١] كما في « معجم الادباء » ج ٢ ص ٢٤٢ بقوله:

يا أوحد البلغاء والادباء ... يا سيّد الفضلاء والعلماءِ

يا من كأنّ عطارداً في قلبه ... يملي عليه حقائق الأشياءِ

وذكره السيوطي في « بغية الوعاة » ص ٣٢٩ بما يقرب من كلام الحموي صاحب المعجم وحكى عن « الوشاح » انه مات سنة ٥١٣ عن ثمانين سنة وروى له قوله:

زماننا ذا زمان سوء ... لا خير فيه ولا صلاحا

هل يبصر المسلمون فيه ... لليل أحزانهم صباحا؟!

فكلّهم منه في عناءٍ ... طوبى لمن مات فاستراحا

وعبّر عنه معاصره شيخنا الفتّال في « روضة الواعظين » بالشيخ الإمام تارة وبالشيخ الأديب اخرى، وترجمه وأطراه القاضي في « المجالس » ص ٢٣٤، وصاحب « رياض العلماء » و« روضات الجنات » ص ٤٨٥، و« الشيعة في فنون الاسلام » ص ١٣٦، وذكر ابن شهراشوب في « معالم العلماء » له كتاب « تاج الأشعار وسلوة الشيعة» قال: وهي أشعار أمير المؤمنين عليه السلام وينقل عنه في كتابه « مناقب آل أبي طالب[٢] » كما أنّ شيخنا قطب الدين الكيدري[٣] جعله من مصادر كتابه « أنوار العقول من أشعار وصيّ الرّسول » ونصّ فيه بأنّ الفنجكردي قد جمع في كتابه « تاج الأشعار » مائتي بيت من شعر أمير المؤمنين عليه السلام وترجمه سيّدنا صاحب « رياض الجنّة » في الروضة الرّابعة وذكر له قوله:

---

(١) ولد سنة ٤٠٤ وتوفّي في جمادى الاولى ٤٩٤.

(٢) راجع ج ٢ ص ١٢٢ و١٦٥ و٢٠٧

(٣) هو الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري شارح نهج البلاغة توفّي حدود سنة ٥٧٤.

إذا ذكـرتَ الـغـرّ من هـاشـم تنـافرت عنـك الكـلاب الشـارده
فـقــل لمـن لامَـكَ في حـبِّـهِ : خـانتك في مـولودك الـوالـده

قـال الأميني : أشار المتـرجم بهذين البيتين إلى مـا ورد في جملة من الأحاديث من أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يُبغضه إلاّ دعيّ وإليك منها :

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : كنّا معشر الأنصار نبور[١] أولادنا بحبِّهم عليّاً رضي الله عنه ، فاذا وُلد فينا مولودٌ فلم يحبّه عرفنا انّه ليس منّا[٢] .

٢ ـ عبادة بن الصامت كنّا نبور أولادنا بحبِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاذا رأينا أحدهم لا يحبّ علي بن أبي طالب علمنا انّه ليس منّا وانَّه لغير رشدة[٣] . قال الحافظ الجزري في « أسنى المـطالب » ص ٨ بعد ذكـر هذا الحديث : وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم انّه ما يبغض عليّاً رضي الله عنه إلاّ ولد الزنا .

٣ ـ أخرج الحافظ الحسن بن علي العدوي قال حدّثنا أحمـد بن عبدة الضبّي عن أبي عيينة عن إبن الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نعرض أولادنا على حبِّ عليٍّ بن أبي طالب . رجاله رجال الصحيحين كلّهم ثقات .

٤ ـ أخـرج الحافظ إبن مردويه عن أحمـد بن محمّد النيسـابوري عن عبـد الله بن أحمد بن حنبـل عن أحمد قـال سمعت الشافعي يقـول : سمعت مالك بن أنس يقول : قال أنس بن مالك : ما كنّا نعرف الرَّجل لغير أبيه إلاّ ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥ ـ أخرج إبن مردويه عن أنس في حديث : كان الرَّجل من بعد يوم خيبر

---

(١) باره يبوره بوراً : جربه واختبره .
(٢) أسنى المطالب للحافظ الجزري ص ٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٧٣ ، وهناك تصحيف .
(٣) مكان نبور ، لسان العرب ج ٥ ص ١٥٤ ، تاج العروس ج ٣ ص ٦١ .

يحمل ولده على عاتقه ثمَّ يقف على طريق عليّ رضي الله عنه فاذا نظر إليه أومأ بإصبعه: يا بُنيَّ تحبُّ هذا الرجل؟! فإن قال: نعم. قبّله. وإن قال: لا. خرق به الأرض وقال له: إلحق بامّك.

٦ ـ أخرج الحافظ الطبري في كتاب الولاية باسناده عن عليّ عليه السلام انَّه قال: لا يحبّني ثلاثة: ولد الزنا. ومنافق. ورجل حملت به امّه في بعض حيضها.

٧ ـ أخرج الحافظ الدارقطني وشيخ الاسلام الحمّوبي في فرائده باسنادهما عن أنس مرفوعاً قال: إذا كان يوم القيامة نُصب لي منبر ثمَّ ينادي مناد من بطنان العرش: أين محمَّد! فأُجيب. فيقال لي: ارق. فأكون أعلاه ثمَّ ينادي الثانية: أين عليّ! فيكون دوني بمرقاة فيعلمْ جميع الخلائق انَّ محمَّداً سيِّد المرسلين وانَّ عليّاً سيِّد المؤمنين[1]. قال أنس: فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله!من يبغض عليّاً بعدُ؟! فقال: يا أخا الأنصار لا يبغضه من قريش إلّا سفحيّ، ولا من الأنصار إلّا يهوديّ، ولا من العرب إلّا دعيّ، ولا من سائر الناس إلّا شقيّ.

هذا الحديث ضعَّفه السيوطي لمكان إسماعيل بن موسى الفزاري في سنده. وقد ذكره إبن حبّان في الثقات وقال مطين: كان صدوقاً. وقال النسائي: لا بأس به. وعن أبي داود: انّه صدوق في الحديث روى عنه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وأبو داود والترمذي، وابن ماجة، وابن خزيمه، والساجي، وأبو يعلي وغيرهم. ولم يذكر غمزٌ فيه عن أحد من هؤلاء الأعلام، نعم: ذنبه الوحيد انّه شيعيٌّ علويُّ المذهب.

٨ ـ عن أبي بكر الصدّيق قال: رأيت رسول الله ﷺ خيَّم خيمة وهو متَّكىءٌ على قوس عربيَّة وفي الخيمة عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين! أنا سلمٌ لمن سالمَ أهل الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ

---

(١) في لفظ الحموبي: الوصيين.

لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ طيّب المولد، ولايبغضهم إلاّ شقيُّ الجدِّ رديء المولد[١]

٩ - عن أبي مريم الأنصاري عن عليٍّ عليه السلام قال: لا يحبّني كافر ولا ولد زنا [٢] .

١٠ - أخرج إبن عدي والبيهقي وأبو الشيخ والديلمي عن رسول الله ﷺ انّه قال: مَن لم يعرف عترتي والأنصار والعرب فهوَ لإحدى الثلاث: إمّا منافق. وإمّا ولد زانية. وإمّا امرؤ حملت به امّه في غير طُهر[٣].

١١ - روى المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٥١ عن كتاب الأخبار لأبي الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي باسناده عن العبّاس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذا أقبل عليّ بن أبي طالب فلمّا رآه اسفر في وجهه فقلت: يا رسول الله! إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: يا عمّ رسول الله والله لله أشدُّ حبّاً له منّي، ولم يكن نبيٌّ إلاّ وذريّته الباقية بعده من صلبه وإنَّ ذريّتي بعدي من صلب هذا، إنّه إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء امهاتهم إلاّ هذا وشيعته فانّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحّة ولادتهم.

١٢ - عن إبن عبّاس قال قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت النبيَّ ﷺ عند الصّفا وهو مقبلٌ على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه فقلت: ومَن هذا الذي يلعنه رسول الله؟! قال: هذا الشيطان الرَّجيم. فقلت: والله يا عدوَّ الله لأقتلنَّك ولأُريحنَّ الأُمَّة منك. قال: والله ما هذا جزائي منك. قلت: وما جزائك منّي يا عدوَّ الله؟! قال: والله ما أبغضك أحدٌ قطُّ إلاّ شركت أباه في رحم امّه.

---

(١) الرياض النضرة للحافظ محب الدين الطبري ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٧٣.

(٣) الصواعق لابن حجر ص ١٠٣، ١٣٩، الفصول المهمة ١١، الشرف المؤيّد ص ١٠٣ وليس فيه كلمة: والعرب.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٢٩٠، والكنجي في « الكفاية » ص ٢١ عن أربع من مشايخه.

روى شيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثاني والعشرين من طريق أبي الحسن الواحدي باسناده، والزرندي في « نظم درر السمطين » عن الرّبيع بن سلمان قال: قيل للشافعي: إنّ قوماً لا يصبرون على سماع فضيلة لأهل البيت فإذا أراد أحدٌ يذكرها يقولون: هذا رافضيٌّ قال: فأنشأ الشافعيُّ يقول:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً ... وسبطيه وفاطمة الزكيّه
فأجرى بعضهم ذكرى سواهم ... فأيقن انّه لسلقلقيّه
إذا ذكروا عليّاً أو بنيه ... تشاغل بالرّوايات الدنيّه
وقال: تجاوزوا يا قوم! هذا ... فهذا من حديث الرافضيّه
برئتُ إلى المهيمن من اناس ... يرون الرفض حبَّ الفاطميّه
على آل الرَّسول صلاة ربّي ... ولعنته لتلك الجاهليّه

وقد نظم هذه الإثارة كثيرٌ من الشعراء قديماً وحديثاً يضيق المجال بذكر شعرهم ومنه قول الصّاحب ابن عباد:

بحبِّ عليّ تزول الشكوك ... وتصفو النفوس ويزكو النجارُ
فمهما رأيتَ محبّاً له ... فثَمَّ العلاء وثَمّ الفخارُ
ومهما رأيتَ بغيضاً له ... ففي أصله نسبٌ مستعارُ
فمهّد على نُصبه عذره ... فحيطان دار أبيه قصارُ

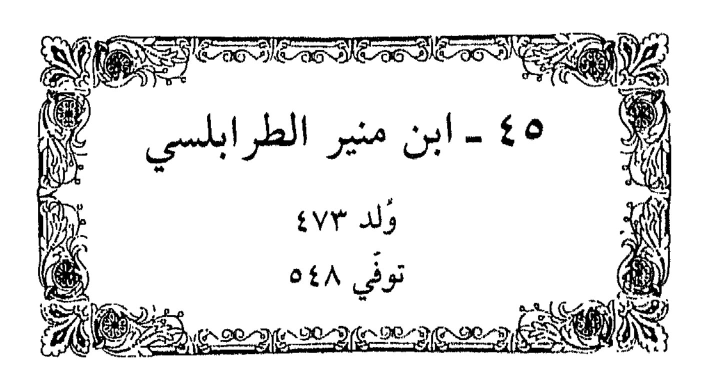
وقال ايضاً:

حبُّ عليّ بن أبي طالب ... فرضٌ على الشاهد والغائبِ
وامٌّ من نابذه عاهرٌ ... تبذل للنازل والراكبِ

وقال ابن مدلل:

ولقد روينا في حديث مسند ... عمّا رواه حذيفة بن يمانِ

إنّي سألت المرتضى لِمَ لم يكن عقد الولاء يصيب كلّ جنانِ؟!
فأجابني بإجابة طابت لها نفسي وأطربني لها استحساني
: الله فضّلني وميّز شيعتي من نسل أرجاس البعول زوانِ
وروايةٌ اخرى إذا حُشر الورى يوم المعاد رويت عن سلمانِ
: للناصبين يقال: يا بن فلانة ويقال: للشيعيّ: يا بن فلانِ
كتموا أبا هذا لخبث ولادةٍ ولطيب ذا يُدعى بلا كتمانِ



٤٥ ـ ابن منير الطرابلسي

وُلد ٤٧٣

توفي ٥٤٨

عـذَّبـتَ طـرفي بـالـسـهـرْ … وأذبـتَ قـلـبـي بـالـفـكـر
ومـزجـتَ صـفـو مـودَّتـي … مـن بَـعـدِ بُـعـدك بـالـكـدر
ومنحتَ جثـمـاني الضـنى … وكـحـلتَ جفني بـالسـهـرْ
وجـفـوتَ صـبّـاً مـا لـه … عن حسن وجهك مصطبرْ
يـا قـلـب: ويحـك لم تـخـاد … ع بـالـغـرور؟! وكـم تُـغـرْ؟!
وإلى مَ تـكـلف بـالأغـنّ … مـن الـظـبـاء وبـالأغـرْ؟!
لئن الشّـريـف الـمـوسـوي … إبـن الـشـريـف أبي مـضـرْ
أبـدى الـجـحـود ولـم يـردّ … الـيَّ مـمـلـوكـي تَـتَـرْ
والـيـتُ آل اميَّـة الـطهـر … الـمـيـامـيـن الـغـررْ
وجـحـدتُ بيـعـة «حـيـدر» … وعـدلـت عـنـه إلى عـمـرْ
واكـذِّب الرّاوي وأطـعـن … فـي ظـهـور الـمـنـتـظرْ
وإذا رووا خـبـر «الـغـديـر» … أقـول: مـا صـحَّ الـخـبـرْ
ولـبـست فـيـه من الـملابس … مـا اضـمـحـلّ ومـا دثـرْ
وإذا جـرى ذكـر الـصـحـابـة … بـيـن قـومٍ واشـتـهـرْ
قـلت: الـمـقـدَّم شيـخ تيـم … ثـمَّ صـاحـبـه عـمـرْ
مـا سـلَّ قطّ ظـبـا عـلى … آل الـنـبـيِّ ولا شـهـرْ
كـلّا ولا صـدَّ الـبـتـول … عـن الـتـراث ولا زجـرْ

وأقول: إنَّ يزيد ما ... شرب الخمور ولا فجرْ
ولجيشه - بالكفِّ عن ... أبناء فاطمة - أمرْ
والشِّمر ما قتل الحسين ... ولا إبن سعد ما غدرْ
وحلقتُ في عشر المحرَّم ... ما استطال من الشعرْ
ونويتُ صوم نهاره ... وصيام أيّام اخرْ
ولبستُ فيه أجلّ ثوب ... للمواسم يُدَّخرْ
وسهرتُ في طبخ الحبوب ... من العشاء إلى السّحرْ
وغدوتُ مكتحلاً اصا ... فح من لقيت من البشرْ
ووقفتُ في وسط الطر ... يق أقصُّ شارب من عبرْ
وأكلت جرجير البقول ... بلحم جري الحفرْ
وجعلتها خير المآكل ... والفواكه والخضرْ
وغسلتُ رجلي حاضراً ... ومسحتُ خفّي في السفرْ
آمين أجهر في الصلاة ... بها كمن قبلي جهرْ
وأسنّ تسنيم القبور ... لكلِّ قبر يُحتفرْ
وأقول في يوم تحار ... له البصيرة والبصرْ
والصحف يُنشر طيّها ... والنار تُرمى بالشَّررْ
: هذا الشريف أضلّني ... بعد الهداية والنظرْ
فيقال: خذ بيد الشريف ... فمستقرّكما سقرْ
لوّاحةٌ تسطو فما ... تبقي عليه وما تذرْ
والله يغفر للمسيء ... إذا تنصَّل واعتذرْ
الاّ لمن جحد الوصيَّ ... ولاءه ولمن كفرْ
فاخش الآله بسوء فعلك ... واحتذر كلَّ الحذرْ

(ما يتبع الشعر)

هذه القصيدة العروفة ب [التَتريَّة] ذكرها بطولها ١٠٦ أبيات ابن حجَّة الحموي في « ثمرات الأوراق » ج ٢ ص ٤٤ - ٤٨، وذكر منها في كتابه [خزانة

الأدب] ٦٨ بيتاً، وتوجد برمَّتها في تذكرة إبن العراق، ومجالس المؤمنين ص ٤٥٧، نقلاً عن التذكرة، و« أنوار الرَّبيع » للسيِّد علي خان ص ٣٥٩، وكشكول شيخنا البحراني صاحب الحدائق ص ٨٠، ونامه دانشوران ج ١ ص ٣٨٥، وتزيين الأسواق للأنطاكي ص ١٧٤، ونسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر، وذكر الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل منها تسعة عشر بيتاً.

أرسل إبن منير إلى الشريف المرتضى الموسوي[1] بهديّة مع عبدٍ أسود له فكتب إليه الشريف: أمَّا بعد فلو علمت عدداً أقلّ من الواحد أو لوناً شرّاً من السواد بعثت به إلينا والسَّلام. فحلف إبن منير ان لايرسل إلى الشريف هديَّة إلاّ مع أعزِّ الناس عليه فجهَّز هدايا نفيسة مع مملوك له يسمّى [تَتَر] وكان يهواه جدّاً ويحبّه كثيراً ولا يرضى بفراقه حتّى انّه متى اشتدَّ غمّه أو عرضت عليه محنةٌ نظر إليه فيزول ما به، فلما وصل المملوك إلى الشريف توهَّم انَّه من جملة هداياه تعويضاً من البعد الأسود فأمسكه وعزَّت الحالة على إبن منير فلم ير حيلةً في خلاص مملوكه من يد الشريف إلاّ إظهار النزوع عن التشيّع إن لم يرجِّعه إليه وإنكار ما هو المتسالم عليه من قصَّة الغدير وغيرها، فكتب إليه بهذه القصيدة، فلمّا وصلت إلى الشريف تبسَّم ضاحكاً وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذورٌ، ثمَّ جهَّز المملوك مع هدايا نفيسة، فمدحه إبن منير بقوله:

إلى المرتضى حثَّ المطيَّ فإنَّه ... إمامٌ على كلِّ البريَّة قد سما
ترى الناس أرضاً في الفضائل عنده ... ونجل الزكيِّ الهاشميِّ هو السّما

وقد خمَّس [التتريَّة] العلاّمة الشيخ إبراهيم يحيى العاملي[2] وهو بتمامه مع القصيدة مذكورٌ في مجموعة شيخنا العلاّمة الشيخ علي آل كاشف الغطاء، وفي الجزء الأوَّل من « سمير الحاضر ومتاع المسافر » له، وفي « المجموع

---

(١) كان نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك ورئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان بينه وبين مهذب الدين مودة (تزيين الاسواق ص ١٧٤) ومهذب الدين هو أبو الحسن علي بن أبي الوفاء الموصلي الشاعر المقدم توفّي سنة ٥٤٣ .

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأتي هناك ترجمته.

الرائق » ص ٧٢٧ لزميلنا العلاّمة السيِّد محمّد صادق آل بحر العلوم أوّله:

أفدي حبيباً كالقمرْ ناديته لمّا سفرْ
يا صاحب الوجه الأغرْ عذّبت طرفي بالسهرْ
وأذبت قلبي بالفكر

أبلى صدودك جدَّتي وتركتني في شدَّتي
وأطلت فيها مدَّتي ومزجت صفو مودَّتي
من بعد بُعدك بالكدرْ

ولهذه القصيدة أشباهٌ ونظائر في معناها سابقة ولاحقة، منها:

١ - مدح الخالديّان أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخوه أبو بكر محمَّد [من شعراء اليتيمة] الشريف الزبيدي أبا الحسن محمّد بن عمر الحسيني فابطأ عليهما بالجائزة وأراد السفر فدخلا عليه وأنشداه:

قل للشريف المستجار به إذا عدم المطرْ
وابن الأئمَّة من قريش والميامين الغررْ
: أقسمت بالرَّحمن و النعم المضاعف والوترْ
لإن الشَّريف مضى ولم ينعم لعبديه النظرْ
لنشاركنَّ بني اميَّة في الضَّلال المشتهرْ
ونقول: لم يغصب أبو بكر ولم يظلم عمرْ
ونرى معاوية إماماً مَن يخالفه كفرْ
ونقول: إنَّ يزيد ما قتل الحسين ولا أمرْ
ونعدُّ طلحة والزبير من الميامين الغررْ
ويكون في عنق الشريف دخول عبديه سقرْ

فضحك الشريف لهما وأنجز جائزتهما.

٢ - حبس الشريف الحسن بن زيد الشهيد وزيره لتقصيره فكتب إلى الشَّريف بقوله:

أشكو إلى الله ما لقيتُ أحببت قوماً بهم بليتُ

لأشتم الصّالحين جهراً ولا تشيّعت ما بقيتُ
أمسح خفّي ببطن كفّي ولو على جيفةٍ وطيتُ

٣ ـ كتب أبو الحسن الجزّار المصري [الآتي ترجمته] إلى الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ليلة عاشوراء عندما أخّر عنه إنجاز موعده بقوله:

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيِّد ابن السيِّد ابن السيِّدِ
: اقسم بالفرد العليِّ الصَّمدِ إن لم يبادر لنجاز موعدي
لأحضرنَّ للهناء في غدِ مكحَّل العينين مخضوب اليدِ
والإثم في عنق الشريف الأمجدِ لأنّني جننت في التردّدِ
حتّى نصبت وكسرت عددي في شهر حزني وجزمت لددي

٤ ـ كتب القاضي جمال الدين عليّ بن محمّد العنسي إلى شريف عصره قوله:

بالبيت اقسم أو بأهل البيت سادات البشرْ
وبصولة المولى الذي تاهت به عليا مضرْ
إن طال غصب مطهَّر عمد الدراري واستمر
لأُقلّدنَّ أبا حنيفة صاحب الرأي الأغرْ
ولأسمعنَّ له وإن حلَّ النبيذ المعتصرْ
حبّاً لقوم أنزلوا بمطهَّر أقوى ضررْ
أعني بهم أبناء خا قان الميامين الغررْ
ولأتركنَّ الترك تر فل من مديحي في حبرْ
ولأنظمنَّ شوارداً فيهم تحار لها الفكرْ
وأسوقها زمراً إلى زمر وتتلوها زمرْ
ولأبكينَّ على الوزير بكلّ معنى مبتكرْ
أعني به حسناً وإن فعل القبيح فمغتفرْ
وأقول: إنَّ سنانهم سيف نضته يد القدرْ
ما جار قطُّ ولا أرا ق دماً وبالتقوى أمرْ
وإذا جرى ذكر الخمور ومن حساها واعتصرْ

نزَّهتهمم عنها سوا لام المفنِّد أو عذرْ
أستغفر الله العظيم سوى النبيذ إذا حضرْ
فالرأي رأيهم السديد وقد رووا فيه خبرْ
ولأمقتنَّ على بكير في العشايا والبُكرْ
أقضي بتربته الفروض ومن زيارته الوطرْ
ولأملأنَّ على العوام مسائلاً فيها غررْ
نقضي بتطويل الشوا رب عند تقصير الشعرْ
ولأرخينَّ من العمائم ما تكوَّر واعتصرْ
ولأرفعنَّ إلى الصَّلاة يدي وأرويها أثرْ
[وأقول في يوم تحا ر له البصائر والبصرْ]
[والصحف تنشر طيّها والنار ترمي بالشررْ]
[: هذا الشريف أضلّني بعد الهداية والنظرْ][1]

٥ - كتب في هذا المعنى أبو الفتح سبط إبن التعاويذي إلى نقيب الكوفة الشريف محمَّد بن مختار العلوي يعاتبه على عدم الوفاء بما كان وعده به بقصيدة تأتي في ترجمة أبي الفتح أوَّلها:

يا سميَّ النبيِّ يا بن عليٍّ قامع الشرك والبتول الطهورِ

(الشاعر)

أبو الحسين مهذَّب الدين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي[2] الشامي نازل درب الخابوري على باب الجامع الكبير الشمالي عين الزمان الشهير بالرفا، أحد أئمَّة الأدب، وفي الطبقة العليا من صاغة القريض، وقد أكثر وأجاد وله في أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام عقودٌ عسجديَّة أبقت له الذكر الخالد والفخر الطريف والتالد، وقد أتقن اللغة والعلوم والأدبيَّة كلّها، أنجبت به الطرابلس فكان زهرة رياضها، ورواء أرباضها، ثمَّ هبط دمشق فكان شاعرها المفلق، وأديبها المِدره، فنشر في عاصمة الأمويِّين فضائل العترة الطاهرة بجمان نظمه

(١) الابيات الثلاثة الاخيرة من قصيدة ابن منير.
(٢) طرابلس: بلدة على ساحل الشام مما يلي دمشق.

الرائق، وطفق يتذمَّر على من ناواهم أو زواهم عن حقوقهم محقِّقاً فيه مذهبه الحق، فبهظ ذلك المتحايدين عن أهل البيت عليهم السَّلام فوجَّهوا إليه القذائف والطامّات، وسلقوه بألسنة حداد فمن قائل: إنَّه كان خبيث اللسان، وآخر يعزو إليه التحامل على الصحابة، ومن ناسبٍ إليه الرَّفض، ومن مفتعلٍ عليه رؤيا هائلة، لكن فضله الظاهر لم يدع لهم مُلتحداً عن اطرائه وإكبار موقفه في الأدب بالرَّغم من كلٍّ تلكم الهلجات، وجمع شعره بين الرِّقَّة والقوَّة والجزالة، وازدهى بالسلاسة والإنسجام، وقبل أيٍّ مأثرة من مآثره انَّه كان أحد حفّاظ القرآن الكريم كما ذكره إبن عساكر وإبن خلكان وصاحب [شذرات الذهب].

قال ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٩٧: حفظ القرآن، وتعلّم اللغة والأدب، وقال الشعر، وقدم دمشق فسكنها، كان رافضيّاً خبيثاً يعتقد مذهب الإماميَّة، وكان هجّاءً خبيث اللسان يكثر الفحش في شعره، ويستعمل فيه الألفاظ العاميَّة، فلمّا كثر الهجو منه سجنه بوري بن طغتكين أمير دمشق في السِّجن مدَّة وعزم على قطع لسانه فاستوهبه يوسف بن فيروز الحاجب فوهبه له وأمر بنفيه من دمشق، فلمّا ولي ابنه إسماعيل بن بوري عاد إلى دمشق ثمَّ تغيَّر عليه إسماعيل لشيء بلغه عنه فطلبه وأراد صلبه فهرب واختفى في مسجد الوزير أيّاماً ثمَّ خرج من دمشق ولحق بالبلاد الشماليَّة ينقل من حماة[1] إلى شيزر وإلى حلب ثمَّ قدم دمشق آخر قدمة في صحبة الملك العادل لمّا حاصر دمشق الحصر الثاني، فلما استقرَّ الصلح دخل البلد ورجع مع العسكر إلى حلب فمات بها، لقد رأيته غير مرَّة ولم أسمع منه، فأنشدني والأمير أبو الفضل إسماعيل ابن الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ قال: أنشدني ابن منير لنفسه:

أخلى فصدَّ عن الحميم وما اختلى ... ورأى الحمام يغصّه فتوسَّلا
ما كان واديه بأوَّل مرتع ... ودعت طلاوته طلاه فاجفلا

---

(١) بلدة شهيرة بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين الحلب أربعة أيام.

وإذا الكـريم رأى الخمول نـزيله   في منـــزل فالحزم أن يتـــرحَّـلا
كـالبـدر لمّـــا أن تضـاءل نـــوره   طلب الكمـــال فحـــازه متنـقّـــلا
ســاهمت عيسك مـرّ عيشـك قـا   عداً أفلا فليت بهنَّ ناصية الفلا؟!
فارق ترق كالسيّف سُلّ فبان في   متنيـه ما أخفى القـراب وأخمـلا
لا تحسبنَّ ذهـاب نفسـك ميتــة   ما الموت إلّا أن تعيش مذلَّلا[1]
للقفـــر لا للفقـــر هبهـــا إنَّـمـــا   مغنـاك مـا أغنـــاك أن تتـوسّـــلا
لا تـرض من دنياك مـا أدناك من   دنسٍ وكن طيفـاً جلا ثمَّ انجلى
وصِـل الهجير بهجـر قومٍ كلّمـا   أمطرتهم عسلاً جنوا لك حنـظلا
من غـــادرٍ خبـثت مـغـــارس ودّه   فـإذا محضـت لـه الـوفـاء تــأوَّلا
أو حلف دهـر كيف مال بـوجهه   أمسى كـذلـك مُـدبـراً أو مُقبـلا
لله عـلمـي بـــالــزَّمـــان وأهـــله   ذنب الفضيلة عنـدهم أن تكمـلا
طُبعـوا على لؤم الطبـاع فخيرهم   إن قلت قـال وإن سكتَّ تقـوّلا

وفي غير هذه الرِّواية زيادة وهي:

أنـا مَن إذا الـدَّهـر همَّ بخفضـه   سـامتـه همَّتـه السَّمـاك الأعـــزلا
واعٍ خطاب الخطب وهو مجمجمٌ   راعٍ أكول العيس من عدم الكلا
زعـمٌ كمـنبـلج الـصَّبـــاح وراءه   عـزمٌ كحدِّ السيف صـادف مقتلا

قال الأميني: والشاعر يصف في نظمه هذا مناوئيه من أهل زمانه الذين نبزوه بالسفاسف ورموه بالقذائف ممن أوعزنا إليهم في الترجمة وكلّ هجوه من هذا القبيل ولذلك كان يثقل على مهملجة الضغائن والإحن.

وقال إبن عساكر: وانشد ايضاً له:

عـــدمـــتُ دهـــراً ولـــدتُ فيـــه   كـم أشـــرب المـــرَّ من بـنـيـــه
مـــا تـعـتـــريـنـي الـهـمـــوم إلّا   مـن صـــاحـب كنـتُ أصطفيه
فـهـــل صـــديقٌ يـبـــاع؟! حتّى   بـمـهـجـتـي كـنـــت أشـتـــريـــه

---

(١) هذا البيت وبيت واحد بعده ذكرهما ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٥١.

يكون في قلبه مثالٌ يشبه ما صاغ ليَّ فيه
وكم صديقٍ رغبتُ عنه قد عشتُ حتّى رغبت فيه

وقال الأمير أبو الفضل: عمل والدي طستاً من فضَّة فعمل إبن منير أبياتاً كتبت عليه من جملتها:

يا صنو مائدة لأكرم مطعم مأهولة الأرجاء بالأضيافِ
جمعت أياديه إليَّ أيادي ال آلاف بعد البذل للآلافِ
ومن العجائب راحتي من راحة معروفة المعروف بالاتلافِ

ومن محاسن شعره القصيدة التي أوَّلها:

من ركب البدر في صدر الردينيِّ وموَّه السحر في حدِّ اليمانيِّ
وأنزل النيِّر الأعلى إلى فلك مداره في القباء الخسروانيِّ
طرفٌ رنا أم قرابٌ سلّ صارمه؟! وأغيدٌ ماس أم أعطاف خطيٍّ؟!
أذلَّني بعد عزٍّ والهوى أبداً يستعبد الليث للظبي الكناسيِّ

وذكر منها إبن خلكان ايضاً:

أما وذائب مسك من ذوائبه على أعالي القضيب الخيزرانيِّ
وما يجنّ عقيقيّ الشفاه من الريـ ـق الرحيقيِّ والثغر الجمانيِّ
لو قيل للبدر: من في الأرض تحسده إذا تجلّى؟ لقال: ابن الفلانيِّ
أربى عليَّ بشتّى من محاسنه تألَّفت بين مسموعٍ ومرئيِّ
إباء فارس فأني لين الشآم مع الظرف العراقيِّ والنطق الحجازيِّ
وما المدامة بالألباب أفتك من فصاحة البدو في ألفاظ تركيِّ

ويوجد تمام القصيدة ٢٧ بيتاً في « نهاية الإرب » ج ٢ ص ٢٣، وتاريخ حلب ج ٤ ص ٢٣٤: وذكر إبن خلكان له ايضاً:

أنكرت مقلته سفك دمي وعلى وجنته فاعترفتْ
لا تخالوا خاله في خدِّه قطرةٌ من دم جفني نقطتْ
ذاك من نار فؤادي جذوةٌ فيه ساخت وانطفت ثمَّ طفتْ

وكان بين المترجم وابن القيسراني[1] مهاجاة واتّفق أنَّ أتابك عماد الدين زنكي صاحب الشام غنّاه مغنٍّ على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول المترجم:

ويلي من المعرض الغضبان إذ نقل ... الـواشي إليه حـديثاً كلّه زورُ
سلّمت فازورَّ يزوي قوس حاجبه ... كـأنّني كأس خمرٍ وهو مخمورُ

فاستحسنها زنكي وقال: لمن هذه؟ فقيل: لابن منير وهو بحلب فكتب إلى والي حلب يسيِّره إليه سريعاً فسيّره فليلة وصل إبن منير قُتل أتابك زنكي فعاد إبن منير صحبة العسكر إلى حلب فلما دخل قال له إبن القيسراني: هذه بجميع ما كنت تبكتني به.

كان شاعرناالمترجم عند امراءبني منقذ بقلعةشيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعرٌ يقال له: أبو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه وبين أبي الحكم عبيد الله[2] مُداعبات فسأل منه كتاباً إلى إبن منير بالوصيَّة عليه فكتب أبو الحكم:

أبـا الحسين اسمـع مقـال فتى ... عـوجـل فيمـا يقـول فـارتجـلا
: هذا أبو الوحش جاء ممتدحاً ... لـلقـوم فـاهنـأبـه إذا وصـلا
واتـل عليهم بحسن شرحـك مـا ... أنـقـله مـن حـديثـه جـمـلا
وخـبِّـر الـقـوم انَّـه رجـلٌ ... مـا أبصـر النـاس مثله رجـلا

ومنها:

وهـو عـلى خـفّـةٍ بـه أبـدا ... مـعـتـرفٌ انَّـه مـن الـثـقـلا
يمتّ بالثلب والـرقـاعـة والسخـ ... ـف وأمّـا بـغـيـر ذاك فـلا
إن أنت فـاتحـتـه لتـخبـر مـا ... يصـدر عنه فتحت منـه خـلا
فنبِّـه إن حـلَّ خـطَّة الخسف و ... الـهـون ورحِّب بـه إذا رحـلا
وأسـقـه السـمَّ إن ظفـرتَ بـه ... وامزج له من لسـانك العسـلا[3]

---

(١) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن نصر الخالدي الحلبي الشاعر الفذ المتوفى بدمشق ٥٤٨.

(٢) هو أبو الحكم عبيد الله بن المظفر المغربي الشاعر المتضلع في الأدب والطب والهندسة له أشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد ولد باليمن سنة ٤٨٦ وتوفي بدمشق سنة ٥٤٩. توجد ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٥، ونفح الطيب ج ١ ص ٣٨٥ وغيرهما.

(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٣٥٨.

وذكر النويري له في « نهاية الإرب » ج ٢ :

لاح لنا عاطلاً فصيغ له ... مناطقٌ من مراشق المقلِ
حياة روحي . وفي لواحظه ... حتفي بين النشاط والكسلِ
ما خاله من فتيت عنبر صُد ... غيه ولا قطر صبغة الكحلِ
لكن سويداء قلب عاشقه ... طفت على نار وردة الخجلِ

وله في النهاية ايضاً :

كأنَّ خدَّيه ديناران قد وُزنا ... وحرَّر الصيرفيّ الوزن واحتاطا
فخفّ إحداهما عن وزن صاحبه ... فحطَّ فوق الذي قد خفَّ قيراطا

وله في « بدائع البداية » ج ١ ص ٤٤ في صبيٍّ صبيح سرّاج يُسمّى يوسف قوله :

يا سميَّ المتاح في ظلمة الجـ ... ـبِّ لمن ساقه القضاء إليها
والذي قطَّع النساء له الأيـ ... ـدي ومكَّنَّ حبله من يديها
لك وجه مياسم الحسن فيه ... صكّة تطبع البدور عليها

كتب إبن منير للقاضي أبي الفضل هبة الله المتوفّى ٥٦٢ يلتمس منه كتاب [الوساطة بين المتنبّي وخصومه] تأليف القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني وكان قد وعده بها :

يا حائزا غايَ كلِّ فضيلة ... تضلُّ في كنهه الإحاطه
ومن ترقّى إلى محلٍّ ... أحكم فوق السّهى مناطه
إلى متى أسعط التمنّي؟ ... ولا ترى المنَّ بالوساطه

وُلد المترجم [إبن منير] سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس، وتوفّي في جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [عند جلِّ المؤرِّخين] بحلب ودفن في جبل جوشن[1] بقرب المشهد الذي هناك، قال إبن خلكان : زرت قبره

---

(١) جوشن جبل في غربي حلب ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه ويقال : إنه بطل منذ عبر سبي الحسين بن علي رضي الله عنه ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً أو ماء فشتموها ومنعوها فدعت عليهم فمن الان من عمل فيه لا يربح . وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة والسقط يسمى محسن بن الحسين رضي الله عنه (معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣) .

ورأيت عليه مكتوباً:

من زار قبري فليكن موقناً ... أنَّ الذي ألقاه يلقاهُ

فيرحم الله امرءاً زارني ... وقال لي يرحمك الله

ثمَّ وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله أنَّ إبن منير توفّي بدمشق في سنة سبع وأربعين ورثاه بأبيات على أنَّه مات بدمشق وهي هزليَّة على عادته ومنها:

أتوا به فوق أعواد تسيِّره ... وغسّلوه بشطّي نهر قلّوطِ

وأثخنوا الماء في قِدرمرضّعةٍ ... وأشعلوا تحته عيدان بلّوطِ

وعلى هذا التقدير فيحتاج إلى الجمع بين هذين الكلامين فعساه أن يكون قد مات في دمشق ثمّ نقل إلى حلب فدفن بها اهـ.

وأما أبو المترجم « المنير » فكان شاعراً كجدِّه « المفلح » كما في « نسمة السحر » وكان منشداً لشعر العوني، ينشد قصائده في أسواق طرابلس كما ذكر إبن عساكر في تاريخ الشام ج ٢ ص ٩٧، وبما أنَّ العوني من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام ولم يؤثر عنه شيءٌ في غيرهم، وكان منشده الشيعي هذا يهتف بها في أسواق طرابلس وفيها أخلاطٌ من الامم والأقوام كانوا يستثقلون نشر تلكم المآثر بملأٍ من الأشهاد، وبالرغم من غيظهم الثائر في صدورهم لذلك ما كان يسعهم مجابهته والمكاشفة معه على منعه لمكان من يجنح إلى العترة الطاهرة هنالك فعملوا بالميسور من الوقيعة فيه من انّه كان يغنّي بها في الأسواق كما وقع في لفظ إبن عساكر وقال: كان منشداً ينشد أشعار العوني في أسواق طرابلس ويغنّي. وأسقط إبن خلكان ذكر العوني وإنشاد المنير لشعره فاكتفى بأنَّه كان يُغنّي في الأسواق - زيادة منه في الوقيعة وعلماً بأنَّه لو جاء بذكر العوني وشعره لعرف المنقبون بعده مغزى كلامه كما عرفناه، وعلم أنّ ذلك الشعر لا يُغنّى به بل تُقرَّط به الأذن لإحياء روح الإيمان وإرحاض معرَّة الباطل.

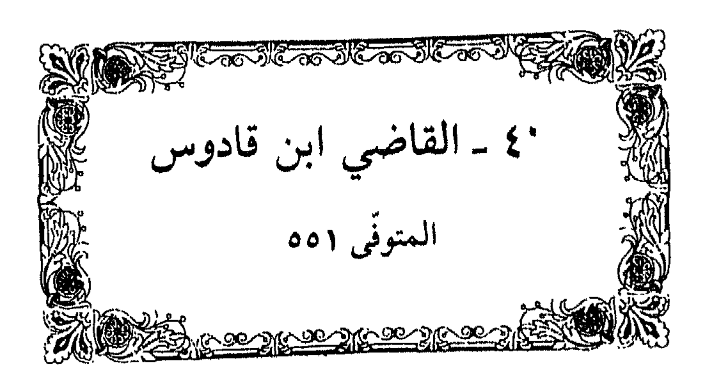
توجد ترجمة إبن منير في كثير من المعاجم وكتب السير منها:

تـاريخ إبن خلكـان ج ١ ص ٥١ . الخريـدة للعماد الكـاتب. الأنساب للسمعاني[١]. تاريخ إبن عساكر ج ٢ ص ٩٧. مرآة الجنـان ج ٣ ص ٢٨٧ . تـاريخ إبن كثيـر ج ١٢ ص ٢٣١ . مجالس المؤمنين ص ٤٥٦ . أمـل الآمـل لصاحب الوسائل. شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٦. نسمـة السحر في الجـزء الأوّل. روضات الجنات ص ٧٢. أعلام الزركلي ج ١ ص ٨١. تارخي آداب اللغة ج ٣ ص ٢٠ . دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٧٠٩. تاريخ حلب ج ٤ ص ٢٣١ .

---

(١) قال: أدركته حياً بالشام وكان قد نزل شيراز في آخر عمره. قال الاميني: شيراز تصحيف « شيزر » وهي تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة. وقال: توفي في حدود سنة ٥٤٠ وهو كما ترى.





٤٠ ـ القاضي ابن قادوس

المتوفّى ٥٥١

يا سيِّد الخلفاء طرّاً ... بدوهم والحضَّرِ
إنْ عظَّموا ساقي الحجيج ... فأنتَ ساقي الكوثرِ
أنت الإمام المرتضى ... وشفيعنا في المحشرِ
ووليُّ خيرة «أحمد» ... وأبو شبير وشبَّرِ
والحائز القصبات في ... يوم «الغدير» الأزهرِ
والمطفىء الغوغا ببد ... رٍ والنّضير وخيبرِ[1]

(الشاعر)

القاضي جلال الدين أبوالفتح محمود ابن القاضي إسماعيل بن حميد الشهير بابن قادوس الدمياطي المصري. أحد عباقرة الأدب، وفذٌّ من صيارفة البيان، مقدَّم في حلبة القريض، كاتب الإنشاء بالديار المصريَّة للعلويِّين، وتصدَّر بالقضاء، جمع بين فضيلتي العلم والأدب فعدَّ من أئمَّة البيان الرائع الذين جعلوا من رسائلهم الخلافيّة والديوانيّة نماذج من الفصاحة الباهرة، تلمَّذ عليه القاضي الفاضل[2] وكان يسميه ذا البلاغتين : «الشعر والنثر» له ديوان شعر في مجلّدين توفّي بمصر سنة خمسمائة وإحدى وخمسين[3].

---

(١) مناقب ابن شهراشوب.

(٢) أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني ثم المصري أحد أئمّة البلاغة ولد سنة ٥٢٩ وتوفي ٥٩٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢٣٥، الحاكم بأمر الله ص ٢٣٤، الاعلام ج ٣ ص ١٠١ .

ذكر إبن خلكان في تاريخه ج١ ص٥٤ له في القاضي الرشيد[1]. وكان أسود اللون:

يـا شبـه لقمـان بـلا حكمـة   سلخت أشعـار الـورى كلّهـا
وخـاسـراً في العلم لا راسخـاً   فصـرت تُدعى الأسـود السالخـا

حكى الحموي في « معجم الادباء » ج ٤ ص ٦٠ قال: إجتمع ليلة عند الصالح ابن رزيّك جماعةٌ من الفضلاء فألقى عليهم مسألة في اللغة فلم يجب عنها بالصّواب سوى القاضي الرّشيد فقال: ما سُئلت قطّ في مسألة إلاّ وجدتُني أتوقّد فهماً فقال إبن قادوس وكان حاضراً:

إنْ قـلـتَ مـنْ نـارٍ خُلقـ   ـتُ وفُقتُ كـلَّ النـاس فهـمـاً
قـلـنـا: صـدقتَ فـمـا الـذي   أطفـاك حتى صـرت فحـمـاً؟

وذكر له إبن كثير في تاريخه فيمن يكرِّر التكبير ويوسوس في نيّة الصَّلاة:

وفـاتـر الـنـيَّـة عـنّـيـنـهـا   مـع كثـرة الـرعـدة والهمـزة
يـكـبِّـر الـتـسـعـيـن في مـرَّة   كـأنّـه صـلّى على حـمـزة[2]

وذكر له المقريزي في « الخطط » ج ٢ ص ٢٩٨ في ذكر قلعة الروضة المعروفة بالجزيرة:

أرى سـرح الجـزيـرة من بعيـد   كـأحـداق تغـازل في المغـازلْ
كـأنَّ مجـرَّة الجـوزا أحـاطت   وأثبتت المنـازل في الـمنـازلْ

ومن شعره في المذهب كما في مناقب ابن شهراشوب قوله:

هي بيعة الرضـوان أبرمهـا التّقى   وأنـارهـا النصُّ الجليُّ وألحمـا
ما اضطرَّ جـدّك في أبيك وصيَّـة   وهو ابن عمّ أن يكون لـه انتمى
وكـذا الحسين وعن أخيه جـازها   ولـه البنـون بغيـر خلف منهمـا

---

(١) أبو الحسن أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير المصري المقتول سنة ٥٦٣.
(٢) اشارة الى ما ورد في صلاة النبي صلى الله عليه واله على حمزة سيد الشهداء يوم احد من انه عليه السلام كبر فيها سبعين أو اثنين وتسعين تكبيرة.

وله في الإمام زين العابدين عليه السّلام:

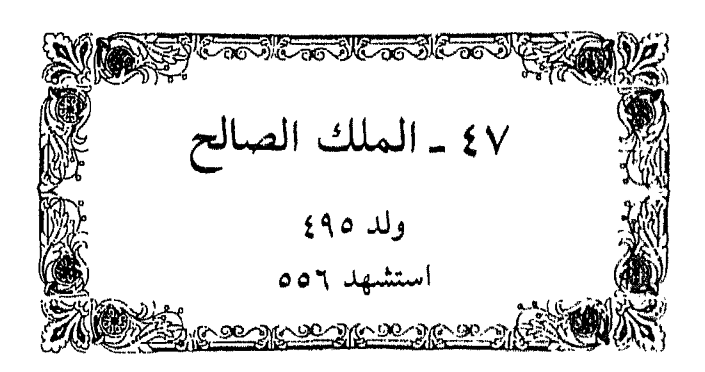
أنت الإمـام الآمر العـدل الـذي خبب البـراق لجـدّه جبـريـلُ
الفـاضـل الأطـراف لم يُـرَ فيهمُ إلّا إمـامٌ طـاهـرٌ وبـتـولُ
أنتم خـزائن غـامضـات علومـه وإليكـم التحـريم والتحليـلُ
فعلى المـلائـك أن تؤدّي وحيـه وعـليكـم التبييـن والتـأويـلُ

ذكر سيّدنا الأمين في « أعيان الشيعة » في الجزء السابع عشر ص٣٣٢ إبن قادوس المصري وقال: ذكرنا في ج ٦ ص ٩٣: أنّا لم نعرف اسمه، وذكرنا في ج ١٣ ص ٢٠٦: انَّ اسمـه محمود بن إسمـاعيل بن قـادوس الـدميـاطي المصري إعتماداً على ما وجدناه في الطليعة « للعلّامـة السماوي » من نسبـة الشعر الذي في « المناقب » إليه، ثمَّ وجدناه في كتاب « شذرات الذهب » في حوادث سنة ٦٣٩ ما صورته: وفيها توفي النفيس إبن قادوس القاضي أبو الكرم أسعـد بن عبد الغني العـدوي. فرجحنـا أن يكون هـو الـذي نسب إليـه إبن شهراشوب الشعـر الصريـح في تشيّعه وتـرجمناه في مستـدركات هـذا الجزء « ص ٤٦٨ » وسبب الترجيح وصفه بالقاضي في « المناقب » والذي كان قاضياً بنصِّ المناقب والشذرات هو أسعد لا محمود ومحمود إنّما كان كاتباً للعلويّين بنصِّ الطليعة لكن يبعده أنَّ صاحب « المناقب » مات سنة ٥٨٨ وأسعد مات سنة ٦٣٩ بعده بإحدى وخمسين سنة، غير أنه يمكن نقله عنه لأنَّ أسعد عاش ٩٦ سنة.

قال الأميني: ما ذكره شيخنا صاحب « الطليعة » هو الصَّواب. وقد خفي على سيّدنا الأمين امورٌ: الأوّل: كون أبي الفتح ابن قادوس المترجم قاضيا وقد ذكره معاصره القاضي الرشيد المقتول سنة ٥٦٣ في كتابه « جنان الجنـان ورياضـة الأذهان » ونقله عنه صاحب تاريخ حلب ج٤ ص١٣٣، ووصفه بذلك المقريزي في الخطط ج ٢ ص ٣٠٦ والدكتور عبد اللطيف حمـزة في كتابـه « الحركـة الفكريّة في مصر » ص٢٧١.

والثاني : أنَّ المعروف بابن قادوس هو محمود شاعرنا لا أسعد فإنَّه يُعرَفُ بالقاضي النفيس لا بابن قادوس.

والثالث: أنَّ القاضي النفيس لم يُذكر قطُّ بالأدب والشعر في أيّ معجم والذي يُذكر شعره في المعاجم ويعرف بديوانه المجلّدين أبو الفتح إبن قادوس مترجمنا. والله من ورائهم محيط.



٤٧ ـ الملك الصالح

ولد ٤٩٥

استشهد ٥٥٦

سقى الحمى ومحلاً كنت أعهدهُ حيا بحور بصوب المزن أجوده

فإن دنى الغيث واستسقت مرابعه ربا فدمعي بالتّسكاب يِنجده

ويقول فيها:

يا راكب الغيِّ دع عنك الضّلال فهذا الرُّشد بالكوفة الغرّاء مشهدهُ

مَن رُدّت الشمس من بعد المغيب له فأدرك الفضل والأملاك تشهدهُ

ويوم « خمّ » وقد قال النبيُّ له بين الحضور وشالت عضده يدهُ

: مَن كنت مولى هذا يكون له مولى أتاني به أمرٌ يؤكّدهُ

مَن كان يخذله فالله يخذله أو كان يعضده فالله يعضدهُ

والباب لمّا دحاهُ وهو في سغبٍ من الصّيام وما يخفى تعبّدهُ

وقلقل الحصن فارتاع اليهود له وكان أكثرهم عمداً يفنِّدهُ

نادى بأعلى السّما جبريل ممتدحاً هذا الوصيُّ وهذا الطّهر أحمدهُ

وفي الفرات حديثٌ إذ طغى فأتى كلٌّ إليه لخوف الهلك يقصدهُ

فقال للماء: غض طوعاً فبان لهم حصباؤه حين وافاهُ يهدِّدهُ[1]

وله من قصيدة توجد منها ٥٧ بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام:

وفي مواقف لا يُحصى لها عدداً ما كان فيها برعديد ولا نكلِ

(١) القصيدة ٣٩ بيت يوجد شطر منها في مناقب ابن شهراشوب، والصراط المستقيم للبياضي، وذكرها برمتها العلامة السيد احمد العطار في كتابه « الرائق ».

كم كربة لأخيه المصطفى فرجت   به وكان رهين الحادث الجللِ ؟!
كم بين من كان قد سنَّ الهروب ومَن   في الحرب إن زالت الأجبال لم يزلِ
في هل أتى بيَّن الرَّحمن رتبته   في جوده فتمسَّك يا أخي بهلِ
عليٌّ قال: اسألوني كي أبين لكم علمـ   ـي وغير عليٍّ ذاك لم يقلِ
بل قال: لستُ بخير إذ وليتكمُ   فقوِّموني فإنِّي غير معتدلِ
إن كان قد أنكر الحسّاد رتبته   فقد أقرَّ له بالحقِّ كلُّ ولي
وفي« الغدير »له الفضل الشهير بما   نصَّ النبيُّ له في مجمعٍ حفلِ

قال من قصيدة ذات ٤٤ بيتاً أوّلها:

لا تبك للجيرة السّارين في الظعنِ   ولا تعرج على الأطلال والدمنِ
فليس بعد مشيب الرأس من غزل   ولا حنين إلى إلف ولا سكنِ
وتُب إلى اللّه واستشفع بخيرته   من خلقه ذي الأيادي البيض والمننِ
«محمَّدٌ» خاتم الرُّسل الذي سبقت   به بشارة قسّ وابن ذي يزنِ

يقول فيها:

فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً   له وبالمرتضى الهادي أبي الحسنِ
وصيِّه ومواسيه وناصره على   أعاديه من قيسٍ ومن يمنِ
أوصى النبيُّ إليه لا إلى أحدٍ   سواه في «خمّ» والأصحاب في علنِ
فقال: هذا وصيّي والخليفة من   بعدي وذو العلم بالمفروض والسننِ
قالوا: سمعنا فلمّا قضى غدروا   والطهر « أحمد » ماواروه في الجبنِ

وله من قصيدة ذات ٢٧ بيتاً:

أنا من شيعة الإمام عليٍّ   حرب أعدائه وسلم الوليِّ
أنا من شيعة الإمام الذي ما   مال في عمره لفعلٍ دنيِّ
أنا عبدٌ لصاحب الحوض ساقي   من توالى فيه بكأس رويِّ
أنا عبدٌ لمن أبان لنا المشكل   فارتاض كلّ صعب أبيِّ
والّذي كبّرت ملائكة الله له   عند صرعة العامريِّ
الإمام الذي تخيَّره الله   بلا مرية أخاً لِلنبيِّ

قسماً ما وقاه بالنفس لمّا با ت في الفرش عنه غير عليٍّ
ولعمري إذ حلَّ في يوم « خمّ » لم يكن موصياً لغير الوصيِّ

وله من قصيدة ذات ٤١ بيتاً مطلعها:

ما كان أوَّل تائهٍ بجماله بدرٌ منال البدر دون منالهِ
متباينٌ فالعدل من أقواله ليغرَّنا والجور من أفعالهِ
صرعِ الفؤاد بسحر طرفٍ فاترٍ حتّى دنى فأصابه بنبالهِ
متعوِّدٌ لِلرَّمي حاجبه غدا من قسيه واللحظ بِعَض نصالهِ
ما بلبل الأصداغ فوق عذاره إلّا انطوى قلبي على بلبالهِ
يبغي مغالطة العيون بها لكي يخفي عقاربه مدبّ صلالهِ
ويظلّ من ثقل الضَّلالة تشتكي ما يشتكيه القلب من أغلالهِ
جعل السهاد رقيب عيني في الدجا كي لا ترى في النوم طيف خيالهِ
وحفظت في يدي اليمين وداده جهدي وضيَّع مهجتي بشمالهِ
وأباح حسّادي موارد سمعه وحميت ورد السمع عن عذّالهِ
أغراه تأنيسي له بنفاره عنّي وإذلالي بفرط دلالهِ
ولربَّما عاتبته فيقول لي: قولي يكذِّبه بفتح فعالهِ
كمعاشر أخذ النبيّ عهودهم واستحسنوا الغدر الصراح بآلهِ
خانوه في أمواله وزروا على أفعاله وعصوه في أقوالهِ
هذا « أمير المؤمنين » ولم يكن في عصره مَن حاز مثل خصالهِ
العلم عند مقاله والجود حـ ـين نواله والبأس يوم نزالهِ
وأخوه من دون الورى وأمينه قِدماً على المخفيِّ من أحوالهِ
وصّاهمُ بولاية فكأنَّما وصّاهمُ بخلافه وقتالهِ
واستنقصوا الدين الحنيف بكتمهم يوم « الغدير » وكان يوم كمالهِ

أخذنا هذه القصائد من كتاب « الرائق » لسيّدنا العلّامة السيِّد أحمد العطّار وقد ذكر فيه شطراً مهمّاً من شعر الملك الصالح في العترة الطاهرة ولعلّه جلّ ما فيهم

(الشاعر)

أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلائع بن رزّيك بن الصالح الإرمني[1] أصله من الشيعة الإماميّة في العراق كما في [أعلام الزركلي].

هو من أقوام جمع الله سبحانه لهم الدنيا والدين، فحازوا شرف الدارين، وحُبوا بالعلم الناجع والإمرة العادلة، بينا هو فقيهٌ بارعٌ كما في [خواصّ العصر الفاطمي] وأديبٌ شاعرٌ مجيدٌ كما طفحت به المعاجم، فإذا به ذلك الوزير العادل تزدهي القاهرة بحسن سيرته، وتعيش الامّة المصريّة بلطف شاكلته، وتزدان الدولة الفاطميّة بأخذه بالتدابير اللازمة في إقامة الدولة وسياسة الرعيّة ونشر الأمن وإدامة السلام، وكان كما قال الزركلي في [الأعلام] وزيراً عصاميّاً يعدُّ من الملوك، ولقّب بالملك الصّالح، ولقد طابق هذا اللفظ معناه كما يُنبئك عنه تاريخه المجيد فلقد كان صالحاً بعلمه الغزير وأدبه الرائق، صالحاً بعدله الشامل وورعه الموصوف صالحاً بسياسته المرضيّة وحسن مداراته مع الرعيّة، صالحاً بسيبه الهامر ونداه الوافر، صالحاً بكلّ فضائله وفواضله دينيّة ودنيويّة، وقبل هذه كلّها تفانيه في ولاء أئمّة الدين عليهم السّلام ونشر مآثرهم ودفاعه عنهم بفمه وقلمه ونظمه ونثره، وكان يجمع الفقهاء ويناظرهم في الإمامة والقدَر، وكان في نصر التشيّع كالسكّة المحماة كما في « الخطط والشذرات ».

وله كتاب [الإعتماد[2] في الردّ على أهل العناد] يتضمّن إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام والكلام على الأحاديث الواردة فيها، وديوانه مجلّدان فيه كلّ فنّ من الشعر، وقد شرح سعيد بن مبارك النحوي الكبير المتوفّى سنة ٥٦٩ بيتاً من شعر المترجم في عشرين كرّاساً، وكان الادباء يزدلفون إلى دسته كلّ ليلة ويدوّنون شعره، والعلماء يَفدون إليه من كلّ فجّ فلا يخيب أمل آمل منهم، وكان يحمل إلى العلويّين في المشاهد المقدّسة كلّ سنة أموالاً جزيلة وللأشراف من

---

(١) بكسر الهمزة وكسر الميم نسبة الى ارمينية على غير قياس وهي اسم لصقع عظيم واسع.

(٢) الاجتهاد: في شذرات الذهب.

أهل الحرمين ما يحتاجون إليه من كسوة وغيرها حتّى ألواح الصِّبيان التي يكتب فيها والأقلام وأدوات الكتابة ووقف ناحية « المقس »[١] لأن يكون ثلثاها على الأشراف من بني الحسنين السبطين الإمامين عليهما السَّلام، وتسعة قراريط منها على أشراف المدينة النبويَّة المنوَّرة، وجعل قيراطاً على مسجد أمين الدولة، وأوقف بلقس بالقليوبيَّة وبركة الحبش[٢] وجدَّد الجامع بالقرافة الكبرى، وبنى الجامع الذي على باب زُويلة بظاهر القاهرة ويسمّى بجامع الصّالح، ولم يترك غزو الإفرنج مدَّة حياته في البرّ والبحر، فكانت بُعوثه إليهم تترى في كلّ سنة[٣] ولم يزل له صدر الدست وذرى الفخر ونفوذ الأمر وعرش الملك حتّى اختار الله تعالى له على ذلك كلّه الفوز بالشهادة وقُتل غيلةً في دهليز قصره سنة ٥٥٦ يوم الإثنين ١٩ شهر الصيام ودُفن في القاهرة بدار الوزارة ثمَّ نقله ولده العادل إلى القرافة الكبرى.

كلمات حول المترجم:

١ ـ قال إبن الأثير في الجزء الحادي عشر من تاريخه « الكامل » ص ١٠٣ : في هذه السنة « يعني سنة ٥٥٦ » في شهر رمضان قُتل الملك الصّالح وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله انّه تحكّم في الدولة التحكّم العظيم واستبدَّ بالأمر والنهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد ولأنّه هو الذي ولّاه ووتر الناس فإنّه أخرج كثيراً من أعيانهم وفرَّقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه، ثمَّ انّه زوَّج ابنته من العاضد فعاداه ايضاً الحرم من القصر فأرسلت عمَّة العاضد الأموال إلى الامراء المصريّين ودعتهم إلى قتله وكان أشدَّهم عليه في ذلك إنسانٌ يُقال له: إبن الدّاعي. فوقفوا له في دهليز القصر فلمّا دخل ضربوه بالسَّكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة إلّا أنَّه حُمل إلى داره وفيه حياةٌ فأرسل إلى العاضد يُعاتبه على الرِّضا بقتله مع أثره في خلافته فأقسم العاضد انّه

(١) بفتح الميم ثم السكون كان قبل الاسلام يسمى « ام دنين ».

(٢) قال الحموي: هي أرض في وهدة من الارض واسعة طولها نحو ميل مشرفة على نيل مصر خلف القرافة وقف على الاشراف.

(٣) الخطط ج ٤ ص ٨١ وص ٣٢٤، تحفة الاحباب للسخاوي ص ١٧٦.

لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال: إن كنت بريئاً فسلّم عمّتك إليّ حتى أنتقم منها فأمر بأخذها فأرسل إليها فأخذها قهراً واحضرت عنده فقتلها ووصّى بالوزارة لابنه رزيك ولقّب العادل فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه، وللصّالح أشعارٌ حسنةٌ بليغةٌ تدلّ على فضل غزير فمنها في الإفتخار:

أبى الله إلّا أن يدوم لنا الدّهرُ ... ويخدمنا في ملكنا العزُّ والنصرُ
علمنا بأنَّ المال تفنى أُلوفه ... ويبقى لنا من بعده الأجر والذكرُ
خلطنا النّدى بالباس حتّى كأنّنا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطرُ
قِرانا إذا رحنا إلى الحرب مرَّة ... قِراناً ومن أضيافنا الذئب والنَّسرُ
كما أنّنا في السِّلم نبذل جودنا ... ويرتع في إنعامنا العبد والحرُّ

وكان الصّالح كريماً فيه أدب وله شعرٌ جيِّد وكان لأهل العلم عنده إتّفاقٌ، ويرسل إليهم العطاء الكثير، بلغه أنَّ الشيخ أبا محمَّد بن الدّهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتاً من شعره وهو هذا:

تجنَّب سمعي ما يقول العواذلُ ... وأصبح لي شغلٌ من الغزو شاغلُ

فجهَّز إليه هديَّة سنيَّة ليرسلها إليه فقُتل قبل إرسالها، وبلغه ايضاً انَّ إنساناً من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكّة فأرسل إليه كتاباً يشكره ومعه هديَّه، وكان الصالح إمامياً لم يكن على مذهب العلويِّين المصريِّين، ولمّا ولي العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجَّة عظيمة فقال: ما الخبر؟ فقيل: إنَّهم يفرحون. فقال: كأنّي بهؤلاء الجهلة وهم يقولون: ما مات الأوّل حتّى استخلف هذا. وما علموا أنّني كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم قال عمارة[(١)]: دخلت على الصالح قبل قتله بثلاثة أيّام فناولني قرطاساً فيه بيتان من شعر وهما:

نحن في غفلةٍ ونومٍ وللمو ... ت عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمام سنيناً ... ليت شعري متى تكون الحِمام؟!

فكان آخر عهدي به. وقال عمارة ايضاً: ومن عجيب الإتّفاق انّني أنشدت

(١) أحد شعراء الغدير في القرن السادس يأتي شعره وترجمته في هذا الجزء.

إبنه قصيدة أقول فيها:

أبوكَ الذي تسطو الليالي بحدِّه — وأنت يمينٌ إن سطا وشمالُ
لرتبته العظمى وإن طال عمره — إليك مصيرٌ واجبٌ ومنالُ
تخالصك اللحظ المصون ودونها — حجابٌ شريفٌ لاانقضى وحجالُ

فانتقل الأمر عليه بعد ثلاثة أيّام.

٢ ـ وقال إبن خلكان في تاريخه ج١ ص٢٥٩: دخل الصّالح إلى القاهرة وتولّى الوزارة في أيّام الفائز، واستقلّ بالامور وتدبير أحوال الدولة، وكان فاضلاً محبّاً لأهل الفضائل سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء جيِّد الشعر ومن شعره:

كم ذا يُرينا الدَّهر من أحداثه — عبراً وفينا الصدُّ والإعراضُ
ننسى الممات وليس يجري ذكره — فينا فتذكرنا به الأمراضُ

ومنه ايضاً:

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى — أعطافه النشوات من عينيهِ
ماضي اللحاظ كأنَّما سلَّت يدي — سيفي غداة الرَّوع من جفنيهِ
قد قلت إذ خطَّ العذار بمسكه — في خدِّه ألفيه لا لاميهِ
: ما الشعر دبَّ بعارضيه وإنَّما — أصداغه نفضت على خدّيهِ
النّاس طوع يدي وأمري نافذ — فيهم وقلبي الآن طوع يديهِ
فاعجب بسلطان يعمُّ بعدله — ويجور سلطان الغرام عليهِ
والله لولا اسم الفرار وإنَّه — مستقبحٌ لفررت منه إليه

وأنشد لنفسه بمصر:

مشيبك قد نضا صبغ الشَّباب — وحلَّ الباز في وكر الغرابِ
تنام ومقلة الحدثان يقظى — وما ناب النَّوائب عنك نابِ
وكيف بقاء عمرك وهو كنزٌ — وقد أنفقت منه بلا حسابِ؟!

وكان المهذّب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حمص قد قصده من الموصل ومدحه بقصيدته الكافيَّة التي أوّلها:

أما كفاك تلاقي في تلاقيكا ... ولست تنقم إلّا فرط حبّيكا
وفيم تغضب إن قال الوشاة سلا ... وأنت تعلم أني لست أسلوكا؟!
لا نلت وصلك إن كان الذي زعموا ... ولا شفى ظمأي جود ابن رزّيكا

وهي من نخب القصائد.

٣ - قال المقريزي في « الخطط » ج ٤ ص ٨١ - ٨٣ : زار الملك الصالح مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في جماعة من الفقراء وإمام مشهد عليٍّ رضي الله عنه يومئذ السيِّد إبن معصوم[1] فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى السيِّد في منامه الإمام صلوات الله عليه يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجلٌ يقال له: طلائع بن رزّيك من أكبر محبِّينا فقل له: إذهب فإنّا قد ولّيناك مصر، فلمّا أصبح أمر من يُنادي: مَن فيكم اسمه طلائع بن رزّيك؟ فليقم إلى السيِّد ابن معصوم. فجاء طلائع إلى السيِّد وسلّم عليه فقصَّ عليه رؤياه، فرحل إلى مصر وأخذ أمره في الرُّقيّ، فلمّا قتل نصر بن عبّاس الخليفة الظافر إسماعيل إستثارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيّه شعورهنَّ، فحشد طلائع الناس يريد النكبة بالوزير القاتل، فلمّا قرب من القاهرة فرَّ الرَّجل ودخل طلائع المدينة بطمأنينة وسلام، فخلعت عليه خلائع الوزارة ولُقِّب بالملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين، فنشر الأمن وأحسن السيرة. [ثمَّ ذكر حديث قتله[2]] وقال: كان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محبّاً لأهل الأدب جيِّد الشعر رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسةً وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصّلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيّع صنّف كتاباً سمّاه [الإعتماد في الردّ على أهل العناد] جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمّن إمامة عليٍّ بن أبي طالب عليه السّلام وله شعرٌ كثيرٌ يشتمل على مجلّدين في كلِّ فنٍّ فمنه في إعتقاده:

---

(١) قال السيد ابن شدقم في « تحفة الازهار »: كان أبو الحسن بن معصوم ابن ابي الطيب احمد سيداً شريفاً جليلاً عظيم الشأن رفيع المنزلة كان في المشهد الغروي كبيراً عظيماً ذا جاه وحشمة ورفعة وعز واحترام عليه سكينة ووقار. اه‍. وهو جد الاسرة الكريمة النجفية المعروفة اليوم ببيت خرسان.

(٢) راجع كتابنا شهداء الفضيلة ص ٥٨.

يـا امَّـةً سلكت ضـلالاً بيِّنـاً حتى استوى إقرارها وجحودها
قلتم: ألا إنَّ المعـاصي لم تكن إلّا بتقـديـر الآلـه وجـودهـا
لـو صحَّ ذا كـان الآلـه بـزعمكم منع الشريعـة أن تُقام حـدودهـا
حـاشـا وكـلاّ أن يكـون آلهنـا ينهى عن الفحشاء ثمَّ يـريـدهـا

وله قصيدةٌ سمّاها [الجوهريَّة في الردِّ على القدريَّة]. ثمَّ قال: ويُروى: انَّه لمّا كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها قال: هذه الليلة ضرب في مثلها الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام وأمر بقراءة مقتله واغتسل وصلّى مائة وعشرين ركعةً أحيى بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته واضطرب لذلت وجلس في دهليز دار الوزارة فأحضر ابن الصيف وكان يلفُّ عمائم الخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل ليصلح عمامته وعند ذلك قال له رجلٌ: إنَّ هذا الذي جرى يُتطيَّر منه فإن رأى مولانا أن يُؤخِّر الركوب فعل. فقال: الطيرة من الشيطان وليس إلى التأخير سبيلٌ. ثمّ ركب فكان من أمره ما كان.

وقال في ج ٢ ص ٢٨٤: قال إبن عبد الظاهر: مشهد الإمـام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا انَّ طلائع بن رزّيك المنعوت بالصّالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان[1] لما خاف عليها من الفرنـج وبنى جامعـه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلاّ عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وسمعت من يحكي حكاية يستدلُّ بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي: أنَّ السلطان الملك الناصر رحمه الله لمّا أخذ هذا القصر وشي إليه بخادم له قدر في الدولة المصريَّة وكان بيده زمام القصر وقيل له: انَّه يعرف الأموال التي بالقصر والدفائن فأُخذ وسُئل فلم يجب بشيء وتجاهل فأمر طلاح الدين نوّابه بتعذيبه فأخذه متولّي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدَّ

---

(١) مدينة بالشام من اعمال فلسطين على ساحل البحر يقال لها: عروس الشام.

عليها قرمزية، وقيل: إنَّ هذه أشدُّ العقوبات، وانَّ الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلّا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مراراً وهو لا يتأوَّه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له: هذا سرٌّ فيك ولا بدَّ أن تعرِّفني به. فقال: والله ما سبب هذا إلّا أني لمّا وصلت رأس الإمام الحسين حملتها. قال: وأيّ سرٍّ أعظم من هذا. وراجع في شأنه فعفا عنه. إنتهى.

٤ - وقال الشعراني في مختصر تذكرة القرطبي ص ١٢١: قد ثبت انَّ طلائع بن رزّيك الذي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فتلقّاها من خارج مصر حافياً مكشوف الرأس هو وعسكره، وهو في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسيٍّ من خشب الآبانوس، ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد. إلى أن قال في ص ١٢٢: فزر يا أخي هذا المشهد بالنيَّة الصالحة إن لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبي: إنَّ دفن الرأس في مصر باطلٌ. صحيحٌ في أيّام القرطبي فإنَّ الرأس إنَّما نقلها طلائع إبن رزِّيك بعد موت القرطبي.

قال الأميني: هذا التصحيح لقول القرطبي يكشف عن جهل الشعراني بترجمة القرطبي وطلائع، وقد خفي عليه أنَّ القرطبي توفّي سنة ٦٧١ بعد وفاة طلائع الملك الصالح بمائة وخمس عشرة سنة فإنّه توفّي سنة ٥٥٦ ونطفة القرطبي لم تنعقد بعدُ.

ثمَّ مشهد رأس الحسين الذي بناه طلائع احترق سنة ٧٤٠ فأُعيد بناؤه مراراً وأخيراً اقيم في جواره جامعٌ حتّى إذا كانت أيّام الأمير عبد الرَّحمن كخيا أحد امراء المماليك فأُعيد بناء المشهد الحسيني في أواخر القرن الماضي للميلاد وبعد ذلك اعيد بناؤه برمَّته في أيّام الخديوي السابق، ولم يبق من البناء القديم إلّا القبَّة المغطية لمقام الإمام فأصبح على ما نشاهده الآن وهو الجامع المعروف بجامع سيِّدنا الحسين[1]

---

(١) تاريخ مصر الحديث ج ١ ص ٢٩٨.

ولادته ووفاته ، مدائحه ومراثيه

ولد الملك الصالح سنة خمس وتسعين وأربعمائة ومدحه الفقيه عمارة اليمني « الآتي ذكره » بقصائد توجد في كتابه « النكت العصريَّة » منها :

دعوا كلَّ برق شمتمُ غير بارق ... يلوح على الفسطاط صادق بشرهِ
وزوروا المقام الصالحيَّ فكلُّ من ... على الأرض ينسى ذكره عند ذكرهِ
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى ... فتجنوا على مجد المقام وفخرهِ
ولكن سلوا منه العُلى تظفروا بها ... فكلُّ امرىءٍ يُرجى على قدر قدرهِ

ومدحه في شعبان سنة ٥٠٥ بقصيدة منها :

قصدتك من أرض الحطيم قصائدي ... حادي سُراها سنَّةٌ وكتابُ
إن تسألا عمّا لقيت فإنَّني ... لا مخفقٌ أملي ولا كذّابُ
لم أنتجع ثمد النطاف ولم أقف ... بمذانب وقفت بها الأذنابُ

وقال يمدحه :

أعندك أنَّ وجدي واكتئابي ... تراجع مذ رجعت إلى اجتنابي؟!
وأنَّ الهجر أحدث لي سلواً ... يسكّن برده حرَّ التهابي؟!
وأنَّ الأربعين إذا تولَّت ... بريعان الصّبا قبح التصابي؟!
ولو لم ينهني شيبٌ نهاني ... صباح الشيب في ليل الشبابِ
وأيّامٌ لها في كلِّ وقت ... جنايات تجلّ عن العتابِ
أقضّيها وتحسب من حياتي ... وقد أنفقتهنَّ بلا حسابِ
وقد حالت بنو رزّيك بيني ... وبين الدَّهر بالمنن الرغابِ

ومنها :

ولولا الصّالح انتاش القوافي ... لكان الفضل مجتنب الجنابِ
وكنت وقد تخيَّره رجائي ... كمن هجر السَّراب إلى الشرابِ
ولم يخفق بحمد الله سعيي ... إلى مصر ولا خاب انتخابي
ولكن زرت أبلج يقتضيه ... نداه عمارة الأمل الخرابِ

ومنها:

أقمتَ الناصر[1] المحيي فأحيى رسوماً كنَّ كالرَّسم اليبابِ
وبثَّ العدل في الدنيا فأضحى قطيع الشاء يأنس بالذئابِ
وأنت شهاب حقٍّ وهو منه بمنزلة الضِّياء من الشهابِ
سعى مسعاك في كرمٍ وبأس وشبَّ على خلائقك العذابِ
فأصبح معلم الطرفين لمّا حوى شرف انتساب واكتسابِ
وصُنتَ الملك من عزمات بدر بميمون النقيبة والركابِ
بأورع لم يزل في كلِّ ثغرٍ زعيم القبّ مضروب القبابِ
فخوف البأس في حربٍ وسلمٍ وحدُّ السيف يُخشى في القرابِ

وقال يمدحه بقصيدة أوّلها:

إذا قدرت على العلياء بالغلبِ فلا تعرّج على سعي ولا طلبِ
واخطب بألسنة الأغماد ما عجزتْ عن نيله ألسن الأشعار والخطبِ

ويقول فيها:

ألقى الكفيل أبو الغارات كلكله على الزَّمان وضاعت حيلة النّوبِ
وداخلت أنفس الأيّام هيبته حتى استرابت نفوس الشك والريبِ
بثَّ الندى والرَّدى زجراً وتكرمةً فكلّ قلبٍ رهين الرعب في الرعبِ
فما لحامل سيف أو مثقَّفةٍ سوى التحمّل بين النّاس من إربِ
لمّا تمرَّد بهرام واسرته جهلاً وراموا قراع النبع بالغربِ
صدعت بالنّاصر المحيي زجاجتهم وللزجاجة صدعٌ غير منشعبِ
أسرى إليهم ولو أسرى إلى الفلك الأعلى لخافت قلوب الأنجم الشهبِ
في ليلة قدحت زرق النّصال بها ناراً تشبُّ بأطراف القنا الأشبِ
ظنّوا الشجاعة تنجيهم فقارعهم أبو شجاع قريع المجد والحسبِ
سقوا بأسكر سكراً لا انقضاء له من قهوة الموت لا من قهوة العنبِ

ومنها:

---

(١) هو الملك الناصر العادل بن الصالح بن رزيك.

لله عزمة محيي الدين كم تركت ... بتربة الحيِّ من خدِّ امرئٍ تربِ
سما إليهم سموّ البدر تصحبه ... كواكب من سحاب النقع في حجبِ
في فتيةٍ من بني رزّيك تحسبهم ... عن جانبيه رحىً دارت على قطبِ

وقال يمدحه بقصيدة منها:

هل القلب إلاَّ بضعةٌ يتقلّبُ؟ ... له خاطرٌ يرضى مراراً ويغضبُ
أم النّفس إلّا وهدةٌ مطمئنّةٌ ... تفيض شعاب الهمّ منها وتنضبُ؟!
فلا تلزمنَّ الناس غير طباعهم ... فتتعب من طول التعاب ويتعبوا
فإنّك إن كشّفتهم ربما انجلى ... رمادهمُ من جمرة تتلهَّبُ
فتاركهمُ ما تاركوك فإنّهم ... إلى الشرّ مذ كانوا من الخير أقربُ
ولا تغترر منهم بحسن بشاشةٍ ... فأكثر ايماض البوارق خُلّبُ
واصغ إلى ما قلته تنتفع به ... ولا تطّرح نصحي فإنّي مجرّبُ
فما تنكر الأيّام معرفتي بها ... ولا انّني أدرى بهنّ وأدربُ
وإنّي لأقوام جُذيل محكّكٌ ... وإنّي لأقوام عُذيقٌ مرجَّبُ
عليمٌ بما ترضى المروءة والتقى ... خبيرٌ بما آتي وما أتجنّبُ
حلبت أفاويق الزّمان براحةٍ ... تدرُّ بها أخلافه حين تخلبُ
وصاحبت هذا الدهر حتّى لقد غدت ... عجائبه من خبرتي تتعجّبُ
ودوَّخت أقطار البلاد كأنّني ... إلى الريح اعزى أو إلى الخضر انسبُ
وعاشرت أقواماً يزيدون كثرةً ... على الألف أو عدّ الحصى حين يحسبُ
فما راقني في روضهم قطُّ مرتعٌ ... ولا شاقني في وردهم قطُّ مشربُ
تراني وإيّاهم فريقين كلّنا ... بما عنده من عزّة النفس معجبُ
فعندهمُ دنيا وعندي فضيلةٌ ... ولا شكَّ انَّ الفضل أعلى وأغلبُ
على أنَّ ما عندي يدوم بقاؤه ... عليَّ ويفنى المال عنهم ويذهبُ
اناسٌ مضى صدرٌ من العمر عندهم ... اصعّد ظنّي فيهمُ واصوّبُ
رجوت بهم نيل الغنى فوجدته ... كما قيل في الأمثال: عنقاء مغربُ
وكسّل عزم المدح بعد نشاطه ... ندى ذمّه عندي من المدح أوجبُ

كأنَّ القوافي حين تُدعى لشكرهم على الجمر تمشي أو على الشوك تسحب
أفـوه بـحقٍّ كـلّمـا رمتُ ذمَّـهم وما غير قول الحقّ لي قطُّ مذهبُ
وأصـدق إلّا أن اريـد مـديحهم فإنّي على حكم الضرورة أكذبُ
ولو علموا صـدق المدائح فيهمُ لكانت مساعيهم تهشُّ وتـطربُ
ولكن دروا انَّ الذي جاء مـادحاً بغيـر الـذي فيهم يُسبّ ويُثلبُ
ومـا زال هذا الأمـر دأبي ودأبهم اغـالب لـومي فيهمُ وهـو أغلبُ
إلى أن أذلّتني الليـالي وأعتبـت ومـا خلتها بعـد الإسـاءة تعتبُ
فهاجرت نحو الصالح الملك هجرةً غدت سبباً لـلأمن وهو المسبَّبُ

وقال يمدحه من قصيدة:

هي البـدر من سنـة البـدر أملحُ وغـرَّتها من غـرَّة الصبـح أصبـحُ
منعَّمـةٌ تسبي العقـول بصـورةٍ إلى مثلهـا لبّ الجـوانـح يجنـحُ
كأنَّ الظباء العفر يحكين جيـدها ومقلتهـا في حين تـرنـو وتسنـحُ
كأنَّ اهتزاز الغصن من فوق ردفها هـضيـمٌ بـأعلى رمـلة يتـرنّـحُ
تعلّمت من حبّي لها عزَّة الهـوى وقـد كنتُ فيه قبلهـا أتسمَّـحُ
وهيَّج نار الـوجد والشـوق قولهـا أحتّى إلى الجوزاء طرفك يطمحُ؟!
فـلا جفن إلّا مـاؤه ثمَّ يسفـح ولا نـار إلّا زنـدهـا ثمَّ يقـدحُ
وما علمت أنّي إذا شفَّني الهوى إليهـا بدعـوى الصَّبر لا أتبجَّـحُ
وإنَّ اعتـرافي بـالتـأخـر حيث لا يقـدِّمني فضـلٌ أجـلُّ وأرجـحُ
ألم ترَ فضل الصالح الملك لم يدع على الأرض من يثني عليه ويمدحُ؟
كـأنَّ مساعي جملة الخلق جملةً غـدت بمساعيـه الحميدة تشـرحُ
تجمَّـع فيه مـا تفرَّق في الـورى على انّـه أسنى وأسمى وأسمـحُ
يُرجَى الندى منـه فيغني ويسمح ويخشى الرَّدى منه فيعفو ويصفحُ
لـه كلّ يـومٍ منَّـةٌ مستجـدَّةٌ يضوع جميل الـذِّكر منهـا وينفحُ

وقال يمدحه من قصيدة:

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا ثمَّ ادَّعى لـذَّة الدنيـا فما صـدقا

في العشق معنى لطيف ليس يعرفه   من البريّة إلّا كلُّ من عشقا
لا خفَّف الله عن قلبي صبابته   للغانيات ولا عن طرفي الأرقا

ويقول فيها:

لو كنت أملك روحي وارتضيت بها   بذلتها لكِ لا زوراً ولا ملقا
وإنّما الصّالح الهادي تملّكها   بفيض جودٍ رعى آماله وسقى
واقتادها الحظّ حتّى جاورت ملكاً   تمسي ملوك. الليالي عنده سُوقا

وقال يمدحه وولده وأخاه فارس المسلمين:

أبيضٌ مجرَّدةٌ؟! أم عيونْ   تسلّ وأجفانهنّ الجفونْ؟!

عجبت لها قضباً باتره
تصول بها المقل الفاتره
فتغدو لأرواحنا واتره

ظباءٌ فتكن بأسد العرينْ   وغائرةٌ خرجت من كمينْ

إذا ما هززن رماح القدود
حمين النفوس لذيذ الورود
حياض اللّمى ورياض الخدود

فلا تطمعنّك تلك الغصونْ   فإنَّ كثيب نقاها مصونْ

وفيهنَّ فتّانةٌ لم تزلْ
أوامر مقلتها تُمتثلْ
ومن أجل سلطانها في المقلْ

تقول لها أعين الناظرينْ   إذا مارنت: ما الذي تأمرينْ؟!

منعّمةٌ ردفها مخصبُ
وما اهتزَّ من خصرها مجذبُ
مقسّمة كلّها يعجبُ

فجسمٌ جرى فيه ماءُ معينْ   وقلبٌ غدا صخرةً لا تلينْ

أمـا وعـلى الصّـالـح الأوحـدِ
ردى المعتـدي ونـدى المجتـدي
وجعـد العـقـوبـة سمط اليـدِ
ومَن نصـر العترة الـطاهـرينْ ونعم النصير لهم والمعينْ

لقـد شرفت مصـر والقـاهـره
بـأيّـام دولـتـه الـقـاهـره
وأصـبـح لـلدّولـة الـطاهـره
بعـزم ابن رزّيـك فـتـحٌ مبينْ وعزم ابنه ناصر الناصرينْ

إذا مـا بـدا الـمَلِك الـنـاصـرُ
بـدت شيمٌ مـا لـهـا حـاصـرُ
يـطول بـهـا الأمـل القـاصـرُ
كـريم السجيَّـة طـلق الجبينْ برى الله كلتا يديه يمينْ

فـتـىً شـأو هـمَّتـه لا يُـنـالْ
فمـاذا عسى في عـلاه يُقـالْ؟!
وقـد حـاز أنهى صفـات الكمـال
وخـوَّلـه الله دنـيـاً وديـنْ وأصخى له كلُّ خلق يدينْ

فـلا زال ظـلُّ أبـيـه مـديـدْ
مـدى الـدهـر في دولـةٍ لا تميدْ
وبلغ فـي نـفـسـه مـا يـريـدْ
وإخـوتـه السّـادة الأكـرمينْ وفي عمِّهم فـارس الـمسلمينْ

وقال يمدح الصّالح ويرثي أهل البيت عليهم السّلام:

شـأن الغـرام أجـلُّ أن يلحـاني فيـه وإن كنت الشفيق الحـاني
أنا ذلك الصبُّ الذي قطعت بـه صلة الغـرام مـطامـع السّلوان
ملئت زجـاجـة صـدره بضميره فبـدت خفيَّة شـأنـه للشـاني
غدرت بموثقها الدمـوع فغادرت سـرّي أسيراً في يـد الإعـلان
عنَّفت أجفـاني فقـام بعـذرهـا وجـدٌ يبيـح ودائـع الأجفـان

ومنها:

يا صاحبيَّ وفي مجانبة الهوى ... رأي الرَّشاد فما الذي تريانِ؟!
بي ما يذود عن التسبّب أوله ... ويزيل أيسره جنون جناني
قبضت على كفّ الصّبابة سلوة ... تنهى النّهى عن طاعة العصيانِ
أُمسي وقلبي بين صبرٍ خاذلٍ ... وتجلّدٍ قاصٍ وهمٍّ دانِ
قد سهّلت حزن الكلام لنادب ... آل الرَّسول نواعب الأحزانِ
فابذل مشايعة اللسان ونصره ... إن فات نصر مهنَّدٍ وسنانِ
واجعل حديث بني الوصي وظلمهم ... تشبيب شكوى الدَّهر والخذلانِ
غصبت أميَّة إرث آل محمَّد ... سفهاً وشنَّت غارة الشنآنِ
وغدت تخالف في الخلافة أهلها ... وتُقابل البرهان بالبهتانِ
لم تقتنع أحلامها بركوبها ... ظهر النِّفاق وغارب العدوانِ
وقعودهم في رتبةٍ نبويَّةٍ ... لم يبنها لهمُ أبو سفيانِ
حتّى أضافوا بعد ذلك أنَّهم ... أخذوا بثار الكفر في الإيمانِ
فأتى زيادٌ في القبيح زيادة ... تركت يزيدَ يزيد في النقصانِ
حربٌ بنو حرب أقاموا سوقها ... وتشبَّهت بهمُ بنو مروانِ
لهفي على النّفر الذين أكفّهم ... غيث الورى ومعونة اللهفانِ
أشلاؤهم مزقٌ بكلِّ ثنيَّةٍ ... وجسومهم صرعى بكلِّ مكانِ
مالت عليهم بالتمالىء امَّةٌ ... باعت جزيل الربح بالخسرانِ
دفعوا عن الحقِّ الذي شهدت لهم ... بالنصِّ فيه شواهد القرآنِ
ما كان أولاهم به لو أيّدوا ... بالصّالح المختار من غسّانِ
أنساهم المختارَ صدق ولائه ... كم أوّلٌ أربى عليه الثاني

وقضى شاعرنا الملك الصالح شهيداً يوم الإثنين تاسع عشر من شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ورثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة أوَّلها:

أفي أهل ذا النادي عليمٌ اسائله؟! ... فإنّي لما بي ذاهب اللبِّ ذاهله
سمعت حديثاً أحسد الصمّ عنده ... ويذهل واعيه ويخرس قاتله
فهل من جواب يستغيث به المنى ... ويعلو على حقِّ المصيبة باطله؟!؟

وقد رابني مَن شاهد الحال إنّني أرى الدست منصوباً وما فيه كافله
فهل غاب عنه واستناب سليله؟! أم اختار هجراً لا يُرجّى تواصله؟!
فإنّي أرى فوق الوجوه كآبةً تدلُّ على أنَّ الوجود ثواكله

ويقول فيها:

دعوني فما هذا أوان بكائه سيأتيكمُ طلُّ البكاء ووابله
ولا تنكروا حزني عليه فإنّني تقشّع عنّي وابلٌ كنت آمله
ولم لا نبكّيه ونندب فقده وأولادنا أيتامه وأرامله؟!
فيا ليت شعري بعد حسن فعاله وقد غاب عنّا ما بنا الله فاعله
أيكرم مثوى ضيفكم وغريبكم فيمكث أم تطوى ببين مراحله؟!

ومنها:

فيا أيّها الدست الذي غاب صدره فماجت بلاياه وهاجت بلابله
عهدت بك الطود الذي كان مفزعاً إذا نزلت بالملك يوماً نوازله
فمن زلزل الطود الذي ساخ في الثرى وفي كلِّ أرض خوفه وزلازله؟!
ومَن سدَّ باب الملك والأمر خارج إلى سائر الأقطار منه وداخله؟!
ومَن عوّق الغازي المجاهد بعدما أعدّت لغزو المشركين جحافله؟!
ومَن أكره الرمح الردينيَّ فالتوى وأرهقه حتّى تحطّم عامله؟!
ومَن كسر العضب المهنّد فاغتدى وأجفانه مطروحةٌ وحمائله؟!
ومَن سلب الإسلام حلية جيده إلى أن تشكّى وحشة الطرق عاطله
ومَن أسكت الفضل الذي كان فضله خطيباً إذا التفّت عليه محافله؟!
وما هذه الضوضاء من بعد هيبةٍ إذا خامرت جسماً تخلّت مفاصله؟
كأنَّ أبا الغارات لم يُشن غارة يريك سواد الليل فيها قساطله
ولا لمعت بين العجاج نصوله ولا طرّزت ثوب الفجاج مناصله
ولا صار في عالي ركابيه موكبٌ ينافس فيه فارس الخيل راجله
ولا مرحت فوق الدروع يراعه كما مرحت تحت السّروج صواهله
ولا قُسمت ألحاظه بين مخلصٍ جميل السجايا أو عدوٍّ يُجامله

ولا قابل المحراب والحرب عاملاً ... من البأس والاحسان ما الله قابله
تعجَّبت من فعل الزَّمان بنفسه ... ولا شكَّ إلّا أنَّه جنَّ عاقله
بمن تفخر الأيّام بعد طلائع ... ولم يك في أبنائها من يُماثله؟!
أتنزل بالهادي الكفيل صروفها ... وقد خيّمت فوق السَّماك منازله؟!
وتسعى المنايا منه في مهجة امرىء ... سعت همم الأقدار فيما تحاوله

ورثاه بقصيدة اخرى منها:

تنكَّد بعد الصّالح الدَّهر فاغتدت ... مجالس أيّامي وهنَّ غيوبُ
أيجدب خدِّي من ربيع مدامعي ... وربعي من نعمى يديه خصيبُ؟!
وهل عنده انَّ الدخيل من الجوى ... مقيمٌ بقلبي ما أقام عسيبُ؟!
وإنْ برقت سنّي لذكر حكايةٍ ... فإنَّ فؤادي ما حييتُ كئيبُ

ورثاه بقصيدة أوَّلها:

طمع المرء في الحياة غرورُ ... وطويل الآمال فيها قصيرُ
ولكم قدَّر الفتى فأتته ... نُوبٌ لم يحط بها التقديرُ

منها:

فضَّ ختم الحياة عنك حِمامٌ ... لا يراعي إذناً ولا يستشيرُ
ما تخطَّى إلى جلالك إلّا ... قدرٌ أمره علينا قديرُ
بذرتْ عمرك الليالي سفاهاً ... فسيعلمن ما جنى التبذيرُ

وقال:

ليت يوم الإثنين لم يتبسَّم ... عن محيَّاه للّيالي ثُغورُ
طلعتْ شمسه بيوم عبوسٍ ... خيّر الطير شرُّه المستطيرُ
وتجلّى صباحه عن جبينٍ ... إثمد الليل فوقه مذرورُ
صَبَحَ المجد في صبيحة ذاك ... اليوم غبراءَ صيلمٌ عنقفيرُ[1]

---

(١) صبح القوم صبحاً: أتاهم صباحاً. صيلم: الامر الشديد. يقال: وقعة صيلمة أي مستأصلة عنقفير أحسبه مصحف «خنشفير» أي الداهية.

بلغ الدهر عندها ما تمنّى وعليها كان الزَّمان يدورُ
حادثٌ ظلّت الحوادث ممّا شاهدته من جوره تستجيرُ
ترجف الأرض حين يذكر عنه وتكاد السَّماء منه تمورُ
طبَّق الأرض من مصاب أبي الغا رات خطبٌ له النجوم تغورُ

ومنها:

لك رضوان زائرٌ ولقومٍ هلكوا فيه منكرٌ ونكيرُ
حفظتْ عهدك الخلافة حفظاً أنت منها به خليقٌ جديرُ
أحسنتْ بعدك الصنيعة فينا فاستوت منك عيبةٌ وحضورُ
وأبى الله أن يتمَّ عليها ما نوى حاسدٌ لها أو كفورُ
ضيَّقوا حفرة المكيدة لكن ضاق بالناكثين ذاك الحفيرُ
وتجرَّوا على القصور بغدرٍ وسراج الوفاء فيها ينيرُ
حَرَمٌ آمنٌ وشهرٌ حرامٌ هتكتْ منهما عرىً وستورُ
لا صيامٌ نهاهمُ لا إمامٌ طاهرٌ تربُ أخمصيه طهورُ
أخفروا ذمَّة الهدى بعد علمٍ ويقينٍ انَّ الإمام خفيرُ
وإذا ما وفت خدور البوادي بذمامٍ فما تقول القصورُ؟!
غضب العاضد الإمام فكادت فرقاً منه أن تذوب الصخورُ
أدرك الثأر من عداه بعزمٍ لم يكن في النشاط منه فتورُ
واستقامتْ بنصره وهداه حجَّة الله واستمرَّ المريرُ

دُفِنَ الملك الصالح بالقاهرة ثمَّ نقل ولده العادل سنة سبع وخمسين وخمسمائة في تاسع صفر تابوت أبيه من القاهرة إلى مشهد بُنيِ له في القرافة[١] في وزارته وحفر سرداباً يوصل فيه من دار الوزارة إلى دار سعيد السعداء وعمل فيه الفقيه عمارة اليمني قصائد منها:

خرجت ربوع المكرمات لراحل عمرت به الأجداث وهي قفارُ
نعش الجدود العاثرات مشيَّعٌ عميتْ برؤية نعشه الأبصارُ

---

(١) جبانة في مصر والكلام فيها طويل بسط القول فيها المقريزي في الخطط ج ٤ ص ٣١٧.

نعشٌ تـودُّ بنات نعشٍ لـو غدت ونـظامهـا أسفـاً عـليـه نثـارُ
شخص الأنـام إليه تحت جنـازة خفضتْ بـرفعـة قـدرهـا الأقـدارُ

ومنها:

وكـأنَّهـا تـابـوت مـوسى أودعت في جـانبيـه سكينـةٌ ووقـارُ
أوطـنـتـه دار الـوزارة ريثـمـا بُنيت لنقلتـه الكـريمـة دارُ
وتغيـر الهـرمـان والحـرمـان في تـابـوتـه وعلى الكـريم يغـارُ
آثرت مصراً منه بالشَّـرف الذي حسـدت قـرافتهـا لـه الأمصـارُ
غضب الإلـه على رجال أقـدموا جهـلاً عليه وآخـرين أشـاروا
لا تعجبن لقـدار نـاقـة صـالـح فلكـلِّ عصـر صـالـحٌ وقـدارُ
أحللت دار كـرامـة لا تنقضي أبـداً وحلَّ بقـاتليـك بـوارُ
وقع القصاص بهم وليسـوا مقنعاً يـرضى وأين مِن السَّماء غبـارُ؟!
ضـاقت بهم سعة الفجـاج وربَّما نـام الـوليُّ ولا ينـام الثـارُ
فتهنّ بـالأجـر الجـزيـل وميتـة درجـت عليهـا قبلك الأخيـارُ
مـات الوصيُّ بهـا وحمـزة عمّـه وابن البتـول وجعفـر الـطيّـارُ

وقال في يوم الخميس وقد نُقل الصالح إلى تربته بالقرافة:

يـا مُطلق العبـرات وهي غـزارُ ومقيِّـد الـزفـرات وهي حـرارُ
مـا بال دمعـك وهو مـاءٌ سـافـحٌ يُـذكى به من حـدّ وجدك نـارُ؟!
لا تتَّخذني قدوةً لـك في الأسى فـلديَّ منـه مشـاعـرٌ وشعـارُ
خفِّض عليـك فـإنَّ زنـد بليَّتي وارٍ وفي صـدري صـدىً وأُوارُ
إن كـان في يدك الخيـار؟ فإنَّني وَلهـانُ لم أتـرك ومـا أختـارُ
في كـلِّ يـوم لي حنينُ مضـلّة يؤدى لهـا بعـد الحـوار حـوارُ
عـاهدتُ دمعي أن يقـرَّ فخـانني قـلبٌ لسـائله الهـمـوم قـرارُ
هـل عنـد محتقـر يسيـر بليَّـة إنَّ الصغـار من الهموم كبـارُ؟!

ومنها:

حتّى إذا شيَّدتها ونصبتها علماً يُحجُّ فناؤه ويُزارُ

ومنها:

أكفيل آل محمَّد ووليّهم في حيث عرف وليّهم إنكارُ

ومنها:

ولقد وفى لك من صنائعك امرؤٌ بثنائه تستسمع السمّارُ
أوفى أبو حسن بعهدك عندما خذلت يمينٌ اختها ويسارُ
غابت حُماتك واثقين ولم تغب فكأنَّهم بحضوره حُضّارُ

ومنها:

ملك جناية سيفه وسنانه في كلِّ جبّار عصاه جُبارُ
جمعت له فرق القلوب على الرِّضى والسيف جامعهنَّ والدينارُ
وهما اللذان إذا أقاما دولة دانت وكان لأمرها استمرارُ
وإذا هما افترقا ولم يتناصرا عزَّ العدوّ وذلَّت الأنصارُ
يا خير من نقضت له عقد الحبى وغدا إليه النقض والإمرارُ
ومضت أوامره المطاعة حسب ما يقضي به الإيراد والإصدار
إنَّ الكفالة والوزارة لم يزل يومى إليك بفضلها ويُشارُ
كانت مسافرة إليك وتعبد الأ خطار ما لم تركب الأخطارُ
حتّى إذانزلت عليك وشاهدت ملكاً لزند الملك منه اوارُ
ألقت عصاها في ذراك وعريت عنها السّروج وحطّت الأوكارُ
لله سيرتك التي أطلقتها وقيودها التأريخ والأشعارُ
جلّت فصلّى خاطري في مدحها وكبت ورائي قُرّحٌ ومهارُ
والخيل لا يرضيك منها مخبرٌ إلّا إذا ما لزَّها المضمارُ
ومدائحي ما قد علمتَ وطالما سبقت ولم يبلل لهنَّ عذارُ
إن أخَّرتني عن جنابك محنةٌ بأقلّ منها تبسط الأعذارُ
فلديَّ من حسن الولاء عقيدةٌ يرضيك منها الجهر والاسرارُ

وقال يرثيه ويمدح ولده الملك الناصر العادل بن الصالح أنشدها في مشهده بالقرافة في شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة:

أرى كلَّ جمع بالرَّدى يتفرَّقُ ... وكلّ جديد بالبلى يتمزَّقُ
وما هذه الأعمار إلّا صحائفٌ ... تؤرَّخ وقتاً ثمَّ تمحى وتمحقُ

ومنها:

ولمّا تقضّى الحول إلّا لياليا ... تضاف إلى الماضي قريباً وتلحق
وعجنا بصحراء القرافة والأسى ... يغرِّب في أكبادنا ويُشرِّقُ
عقدنا على ربِّ القوافي عقائلاً ... تغرُّ إذا هانت جيادٌ وأينقُ
وقلنا له: خذ بعض ما كنتَ منعماً ... به وقضاء الحقِّ بالحرِّ أليقُ
عقود قواف من قوافيك تُنتقى ... ودرُّ معانٍ من معانيك يُسرق
نثرنا على حصباء قبرك درَّها ... صحيحاً ودرُّ الدمع في الخدِّ يفلقُ

ويقول فيها:

وجدناكمُ يا آل رُزّيك خير من ... تنصُّ إليه اليعملات وتعنقُ
وفدنا إليكم نطلب الجاه والغنى ... فأكرم ذو مثوى وأغنى مملّقُ
وعلّمتمونا عزَّة النفس بالنَّدى ... وملقى وجوه لم يشنها التملّقُ
وصيَّرتم الفسطاط بالجود كعبةً ... يطوف بركنيها العراق وجلّقُ[1]
فلا ستركم عن مرتجٍ قطُّ مرتجٌ ... ولا بابكم عن مغلق الحظِّ مغلقُ
وليس لِقلب في سواكم علاقةٌ ... ولا لِيدٍ إلّا بكم متعلّقُ

نماذج من شعر الملك الصالح:

ذكر إبن شهراشوب كثيراً من شعره في كتابه [مناقب آل أبي طالب] منه قوله:

محمَّد خاتم الرُّسل الذي سبقت ... به بشارة قُسٍّ وإبن ذي يزنِ
وأنذر النّطقاء الصّادقون بما ... يكون من أمره والطهر لم يكنِ

---

(١) جلق بكسرتين وتشديد اللام: اسم لكورة الغوطة كلها وقيل. بل هي دمشق نفسها.

الكامل الوصف في حلمٍ وفي كرمٍ   والطهر الأصل من ذمٍّ ومن دَرَنِ
ظِلُّ الآلـه ومفتـاح النجـاة وينـ   ـبوع الحياة وغيث العارض الهتنِ
فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً   به وبالمرتضى الهادي أبي الحسنِ

وله:

ولايتي لأمـيـر المـؤمنين عـلي   بها بلغت الذي أرجـوه من أملي
إن كـان قد أنكـر الحسّـاد رتبتـه   في جوده فتمسَّك يا أخي بهلِ[1]

وله:

كـأنّي اذ جعلت إليك قصـدي   قصـدت الرُّكن بـالبيت الحـرامِ
وخيِّـل لي بـأنّي في مقـامي   لـديـه بين زمـزم والمقـامِ
أيـا مـولاي ذكـرك في قعـودي   ويـا مـولاي ذكـرك في قيـامي
وأنت إذا انتبهت سمير فكـري   كـذلك أنت انسي في مقـامي
وحبّك إن يكن قـد حـلَّ قلبي   ففي لحمي استكنَّ وفي عـظامي
فلولا أنت لـم تُقبـل صلاتي   ولـولا أنت لم يُقبـل صيـامي
عسى اسقى بكأسك يوم حشري   ويبـرد حيـن أشـربهـا أُوامي

وله:

يـا عـروة الـديـن المـتـيـن   وبـحـر عـلـم الـعـارفـيـنـا
يـا قـبـلةً   لـلأولـيـاءِ   وكـعـبـةً   لـلطـائـفـيـنـا
مـن أهـل بيـتٍ لـم يـزالـوا   فـي الـبـريَّـة مُـحـسـنـيـنـا
الـتّـائـبـيـن الـعـابـديـن   الـصـائـمـيـن الـقـائـمـيـنـا
الـعـالـمـيـن الـحـافـظيـن   الـرّاكـعـيـن الـسـاجـديـنـا
يـا مـن إذا نـام الـورى   بـاتـوا قـيـامـاً سـاهـريـنـا

وله:

قـومٌ علومهم عن جدِّهم اخـذت   عن جبرئيـل وجبـريـلُ عن الله

---

(١) اشار إلى سورة هل اتى ونزولها في العترة الطاهرة عليهم السلام.

هم السفينة ما كنّا لنطمع أن ننجو من الهول يوم الحشر لولا هي

الخاشعون إذا جنّ الظلام فما تغشاهمُ سنةٌ تنفي بأنباءِ

ولا بدت ليلةٌ إلّا وقابلها من التهجّد منهم كل أوّاهِ

وليس يشغلهم عن ذكر ربّهمُ تغريد شاد ولا ساقٍ ولا طاهي

سحائبٌ لم تزل بالعلم هاميةً أجلّ من سحب تهمي بأمواهِ

وله:

إنَّ النبيَّ محمّداً ووصيَّه وابنيه وابنته البتول الطاهره

أهل العباء فإنّني بولائهم أرجو السلامة والنجا في الآخره

وأرى محبَّة مَن يقول بفضلهم سبباً يُجير من السبيل الحائره

أرجو بذاك رضا المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهور الساحره

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السّلام

هو النور نور الله والنور مشرقٌ علينا ونور الله ليس يزولُ

سما بين أملاك السَّماوات ذكره نبيهٌ فما أن يعتريه خمولُ

وله:

لا تعذلنّي إنّني لا أقتفي سبل الضَّلال لقول كلِّ عذولِ

عند التباهل ما علمنا سادساً تحت الكسا منهم سوى جبريلِ

وله في أمير المؤمنين واولاده الأئمَّة الطاهرين عليهم السَّلام:

بحبِّ عليٍّ أرتقي منكب العلى وأسحب ذيلي فوق هام السحائبِ

إمامي الذي لمّا تلفَّظتُ باسمه غلبتُ به من كان بالكثر غالبي

أئمَّة حقٍّ لو يسرّون في الدُّجى بلا قمرٍ لاستصحبوا بالمناسبِ

بهم تبلغ الآمال من كلِّ آملٍ بهم تُقبل التوبات من كلِّ تائبِ

وله في زهد أمير المؤمنين عليه السّلام:

ذاك الذي طلّق الدنيا لعمري عن زهد وقد سفرت عن وجهها الحسنِ

وأوضح المشكلات الخافيات وقد دقت عن الفكر واعتاصت على الفطنِ

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم:

آل رسول الإله قومٌ ... مقدارهم في العُلى خطيرُ
إذ جاءهم سائلٌ يتيمٌ ... وجاء من بعده أسيرُ
أخافهم في المعاد يومٌ ... معظَّم الهول قمطريرُ
فقد وقوا شرَّ ما اتّقوه ... وصار عقباهم السرورُ
في جنَّةٍ لا يرون فيها ... شمساً ولا ثَمَّ زمهريرُ
يطوف ولدانهم عليهم ... كأنَّهم لؤلؤٌ نثيرُ
لباسهم في جنان عدن ... سندسها الأخضر الحريرُ
جزاهمُ ربّهم بهذا ... وهو لما قد سعوا شكورُ

وله في المعنى[1]:

إنَّ الأبرار يشربون بكأس ... كان حقّاً مزاجها كافورا
ولهم أنشأ المهيمن عيناً ... فجَّروها عباده تفجيرا
وهداهم وقال: يوفون بالنّذ ... ر فمن مثلهم يوفّي النذورا؟!
ويخافون بعد ذلك يوماً ... هائلاً كان شرُّه مُستطيرا
يُطعمون الطَّعام ذا اليُتم ... والمسكين في حب ربِّهم والأسيرا
إنَّما نطعم الطعام لوجه الله ... لا نبتغي لديكم شكورا
غير أنّا نخاف من ربِّنا يوماً ... عبوساً عصبصباً قمطريرا
فوقاهم إلههم ذلك اليوم ... يُلقّون نضرةً وسرورا
وجزاهم بأنَّهم صبروا ... في السرِّ والجهر جَنَّةً وحريرا
متكئين لا يرون لدى الجنَّة ... شمساً كلّا ولا زمهريرا
وعليهم ظلالها دانياتٌ ... ذلّلت في قطوفها تيسيرا
وبأكواب فضَّةٍ وقوارير ... قوارير قُدِّر ت تقديرا
ويطوف الولدان فيها عليهم ... فيخالون لؤلؤاً منثورا
بكؤسٍ قد مزّجت زنجبيلاً ... لذّة الشاربين تشفي الصّدورا

---

(١) مرحديث هذا المعنى في الجزء الثالث من كتابنا ص١٤٢ ـ ١٤٧، ٢١٥، ٣٠١.

ويُحلّون بالأساور فيها ... وسقاهم ربّي شراباً طهورا
وعليهم فيها ثيابٌ من السندس ... خضرٌ في الخلد تلمع نورا
إنَّ هذا لكم جزاءٌ من الله ... وقد كان سعيكم مشكورا

وله في المعنى ايضاً:

والله أثنى عليهم ... لمّا وفوا بالنذورِ
وخصَّهم وحباهم ... بجنَّةٍ وحريرِ
لا يعرفون بشمس ... فيها ولا زمهريرِ
يسقون كاساً رحيقاً ... مزيجة الكافور

وله في المعنى ايضاً:

في هل أتى إن كنت تقرأ هل أتى ... ستصيب سعيهم بها مشكورا
إذ أطعموا المسكين ثمَّة أطعموا ... الطفل اليتيم وأطعموا المأسورا
قالوا: لوجه الله نطعمكم فلا ... منكم جزاءً نبتغي وشكورا
إنّا نخاف ونتَّقي من ربِّنا ... يوماً عبوساً لم يزل مجذورا
فوقوا بذلك شرّ يوم باسل ... ولقوا بذلك نضرةً وسرورا
وجزاهمُ ربُّ العباد بصبرهم ... يوم القيامة جنَّةً وحريرا
وسقاهمُ من سلسبيل كأسها ... بمزاجها قد فجِّرت تفجيرا
يُسقون فيها من رحيق تختم ... بالمسك كان مزاجها كافورا
فيها قواريرٌ وأكوابٌ لها ... من فضَّة قد قدِّرت تقديرا
يسعى بها ولدانها فتخالهم ... للحسن منهم لؤلؤاً منثورا

وله في المعنى المذكور:

هل أتى فيهمُ تنزَّل فيها ... فضلهم محكماً وفي السّوراتِ
يُطعمون الطَّعام خوفاً فقيراً ... ويتيماً وعانياً في العناتِ
إنَّما نُطعم الطعامٍ لوجه ... الله لا للجزاء في العاجلاتِ
فجزاهم بصبرهم جنّةً الخلد ... بها من كواعب خيراتِ

ومن شعر الملك الصالح قصيدته التي جارى بها قصيدة دعبل الخزاعي الشهيرة التي أولها:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحي مُقفر العرصاتِ

وأول قصيدة الملك قوله:

ألائمُ دع لومي على صبواتي ... فما فات يمحوه الذي هو آتِ

وما جزعي من سيّئاتٍ تقدّمت ... ذهاباً إذا اتبعتها حسناتِ

ألا إنّني أقلعت عن كلِّ شبهةٍ ... وجانبت غرقى أبحر الشبهاتِ

شغلت عن الدنيا بحبّيَ معشراً ... بهم يصفح الرَّحمن عن هفواتي

وقال في آخرها:

اعارض من قول الخزاعيِّ دعبلاً ... وإن كنت قد أقللت في مدحاتي

[مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍ مقفر العرصاتِ][1]

وفي « أنوار الربيع » ص ٣١٢: ومن الإستثناء الذي ما خرج حجاب السمع ألطف منه قول الصالح طلائع، وقد ألزم الأمير إبن سنان بمال رفع عليه لكونه كان يتولّى أموالاً له واعتقله فأرسل إليه يمتُّ بقديم الخدمة والتشيّع الموافق لمذهبه فقال الصّالح:

أتى ابن سنان ببهتانه ... يحصّن بالدِّين ما في يديهِ

برئت من الرَّفض إلاّ له ... وتبت من النّصب إلاّ عليه

وكان قدر المال ستّين ألف دينار فأخذ منه اثني عشر ألفاً وترك له الباقي.

كتب الملك الصالح إلى صاحب الروم قلج أرسلان بن مسعود في تنافس وقع بينه وبين نور الدين محمود بن زنكي:

نقول ولكن: أين من يتفهَّمُ ... ويعلم وجه الرأي والرأي مبهمُ؟!

وما كلُّ مَن قاس الامور وساسها ... يوفّق للأمر الذي هو أحزمُ

وما أحدٌ في الملك يبقى مخلّداً ... وما أحدٌ مما قضى الله يسلمُ

---

(١) انوار الربيع ص ٣١٢. الرائق ذكر من القصيدة ٤٠ بيتاً.

أمن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم بفيهم وكانت وهي صابٌ وعلقمُ
رجعتم إلى حكم التنافس بينكم وفيكم من الشحناء نارٌ تضـرَّمُ؟!
أما عندكم مَن يتقي الله وحده؟! أما في رعاياكم من الناس مُسلمُ؟
تعـالـوا لعـل الله ينصـر دينكم إذا مـا نصرنـا الـدين نحن وأنتمُ
وننهض نحـو الكـافـرين بعـزمـةٍ بـأمثـالهـا تحـوى البـلاد وتُقسمُ

ويأتي من شعر المترجم في ترجمة الفقيه عمارة اليمني. ووقفت من شعر الملك الصالح على شطر مهمّ في أهل البيت عليهم السَّلام مدحاً ورثاءاً يربو على ألف وأربعمائة بيتاً. وقد جمعها سيِّدنا العلاّمة السيِّد أحمد العطار في كتابه « الرائق » ولعلَّ ما فاته من شعره في أهل البيت عليهم السَّلام نزرٌ يسيرٌ.

توجد ترجمة طلائع الملك الصالح في كثير من الكتب والمعاجم منها:
وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٩. الكامل لابن الأثيـر ج ١١ ص ١٠٣. الخطط للمقريزي ج ٤ ص ٨١ تاريخ إبن كثير ج ١٢ ص ٢٤٣. روض المناظر لابن شحنة. تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٤٠. مرآة الجنان ج ٣ ص ٣١٠. أنوار الربيع ص ٣١٢. تحفة الأحباب للسخاوي ص ١٧٦ شذرات الـذهب ج ٤ ص ١٧٧. نسمة السحر الجزء الثاني. خواصّ العصر الفاطمي ص ٢٣٤ دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٥ ص ٧٧١. الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٤٤٩.
تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ١ ص ٢٩٨. شهداء الفضيلة ص ٥٧.

الملك العادل:

خلّف الصالح ولده رُزّيك بن طلائع، الملقَّب بالملك الناصر والعادل، ولي الوزارة بعد والده الصالح ستة عشر شهراً وعدَّة أيّام وكان والده قد أوصاه بأن لا يتعرَّض شاور ولا يغيّر عليه حاله فانّه لا يأمن عصيانه والخروج عليه وكان كما أشار فإنّ العادل حسّن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوّفوه منه إن أقرّه على عمله فأرسل إليه بالعزل فجمع جمـوعاً كثيـرة وسار بهم إلى القـاهرة ودخلهـا يوم الأحـد الثاني والعشـرين من المحـرم سنة٥٥٨ وهـرب العادل بن الصالح وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرَّم فأُخذ وقُتل وأخذ

موضعه من الوزارة واستولى شاور على ديار مصر، ودُفن العادل في تربة الملك الصالح وبها جماعةٌ اخرى.

ترجمه الفقيه عمارة في كتابه [النكت العصريَّة] ص ٥٣ وقال في ص ٦٦: دخلت قاعة السرِّ من دار الوزارة فيها طيّ بن شاور وضرغام وجماعةٌ من الامراء مثل عزِّ الزَّمان، ومرتفع الظهير، ورأس رُزّيك بن الصالح بين أيديهم في طست فما هو إلّا أن لمحته عيني ورددت كمي على وجهي ورجعت على عقبي، وما ملأت عيني من صورة الرأس وما من هؤلاء الجماعة الذين كان الرأس بين أيديهم إلّا من مات قتيلاً وقطعت رأسه عن جسده فأمر طيّ من ردَّني فقلت: والله ما أدخل حتّى تغيب الرأس عن عيني. فرفع الدست وقال لي ضرغام: لِمَ رجعت؟ قلت: بالأمس وهو سلطان الوقت الذي نتقلّب في نعمته قال: لو ظفر رزّيك بأمير الجيوش أو بنا ما أبقى علينا. قلت: لا خير في شيءٍ يؤول الأمر بصاحبه من الدست إلى الطست ثمَّ خرجت وقلت:

أعزز عليَّ أبا شجاع أن أرى ذاك الجبين مضرَّجاً بدمائهِ
ما قلّبته سوى رجال قلّبوا أيديهمُ من قبل في نعمائهِ

وللفقيه عمارة اليمني شعرٌ كثيرٌ يمدح به الملك العادل رُزّيك بن طلائع ذكره في كتابه [النكت العصريَّة] وفي ديوانه، منه قصيدةٌ أوَّلها:

جاور بمجدك أنجم الجوزاءِ وازدد علوّاً فوق كلِّ علاءِ

وقصيدةٌ اخرى مُستهلّها:

تبسم في ليل الشباب مشيبُ فأصبح برد الهم وهو قشيبُ

وثالثة مطلعها:

دانت لأمرك طاعة الأقدار وتواضعت لك عزَّة الأقدارِ

ورابعة أوّلها:

في مثل مدحك شرح القول مختصرُ وفي طوال القوافي عنده قِصرُ

وخامسة مبدؤها:

لـمَّا أراد مدامة الأحداقِ دبَّت حُميّا نشوة الأخلاق

وسادسة مطلعها:

لكـلِّ مقـام في عُـلاك مقـالُ   يُصدِّقه بـالجـود منـك فِعالُ

وسابعة أوَّلها:

فُقتَ الملوك مهـابـةً وجـلالا   وطـرائقـاً وخـلائقـاً وخـلالا

وثامنة مطلعها:

لـك أن تقـول إذا أردتَ وتفعـلا   ولمن سعى في ذا المدى أن يخجلا

ولتاسعة أوَّلها:

لله مِن يـوم أغـرٍّ مـحـجَّـلِ   في ظلِّ محترم الفنـاء مبجَّلِ

وعاشرة مستهلّها:

لـولا جـفـونٌ ومُـقـلْ   مـكـحـولـةٌ مـن الـكـحـلْ
ولـحـظاتٌ لـم تـزلْ   أرمـى نـبـالاً مـن ثـعـلْ
وبـرَدٌ رُضـابـه   ألـذُّ مـن طـعـم الـعـسـلْ
يـظمـا إلـى بـروده   مَـن عـلَّ مـنـه ونـهـلْ
لـمَّـا وصـلت قـاطـعـاً   إذا رأى جِـدّي هـزلْ
مـخـالـفٌ لـو أنَّـه   أضـمـر هـجـري لـوصـلْ
وأغـيَـدٌ مـنـعَّـمٌ   يـمـيـل كـلّمـا اعـتـدلْ
يـهـتـزُّ غـصـن قـدِّه   لـيـنـاً إذا ارتـجَّ الـكـفـلْ
غـرٌّ إذا جـمَّـشـتـه   أطـرق مـن فـرط الـخـجـلْ
أُريـعـنٌ مـدلَّـل   غُـزيِّـل يـأبـى الـغـزلْ
سـألـتـه فـي قُـبـلة   مـن ثـغـره فـمـا فـعـلْ
راضـتـه لـي مـشـمـولـة   تـرمي الـنـشـاط بـالـكـسـلْ
حـتَّـى أتـانـي صـاغـراً   يـحـدوه سـكـرٌ وثـمـلْ
أمـسـى بـغـيـر شـكـره   ذاك الـمـصـون يـبـتـذلْ
وبـات بـيـن عـقـده   وبـيـن قـرطـيـه جـدلْ

وكـدت أمـحـو لـعـسـاً فـي شـفـتـيـه بـالـقـبـلْ
فـديـتـه مـن مـبـسـم ألـثـمـه فـلا أمـلْ
كـأنّـه أنـامـلٌ لـمـجـد الإسـلام الأجـلْ
مـعـروفـهـنّ أبـداً يـضـحـك فـي وجـه الأمـلْ

وقال يمدحه من قصيدةٍ أوّلها:

أيـا اذن الأيّام إن قلت فـاسمعي لنفثـة مصـدور وأنّـة مـوجـعِ
وعي كـلّ صوت تسمعين نـداءه فلا خير في اذن ينـادى فلا تعي

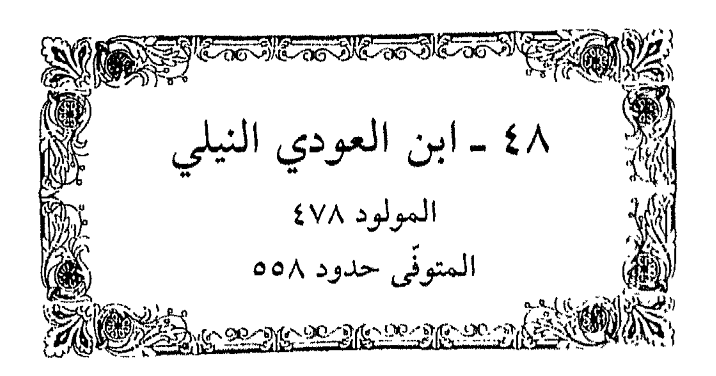
ويقول فيها:

ملوكٌ رعوا لي حرمـةً صار نبتهـا هشيمـاً رعته النـائبات ومـا رُعي
ورُدّت بهم شمس العطايا لوفدهم كمـا قال قـومٌ في عليً وتوسّعِ

قال الأميني: كذا يوجد البيت الأخير في مختار ديوانه المطبوع في ألمانيا ص ٢٨٨ وهو تصحيفٌ غريبٌ مع التشكيل لحروفه والصحيح:

كما قال قومٌ في عليٍّ ويوشع

وهذا ينمُّ عن ضئولة أمر المتطفلين على موائد العربيَّة وذهولهم عن معنى البيت الذي لا يستقيم إلاّ على ما ذكرناه وقد أوعز الشاعر إلى حديث ردِّ الشمس لمـولانـا عليّ أميـر المؤمنين ويـوشـع عليهما السَّـلام من قبله، هــذا أحسن الإحتمالين دعانا إليه حسن ظنِّنا بالقوم وإن كان بعيـداً جدّاً، والأقـرب ما لا يفوتك عرفانه، والله أعلم.



٤٨ ـ ابن العودي النيلي

المولود ٤٧٨

المتوفّى حدود ٥٥٨

متى يشتفي من لاعج القلب مغرمُ ... وقد لجَّ في الهجران مَن ليس يرحمُ

إذا همَّ أن يسلو أبى عن سُلوِّه ... فؤادٌ بنيران الأسى يتضرَّمُ

ويثنيه عن سلوانه لفضيلةٍ ... عهود التّصابي والهوى المتقدّمُ

رمته بلحظٍ لا يكاد سليمه ... من الخبل والوجد المبرِّح يسلمُ

إذا ما تلظّت في الحشا منه لوعةٌ ... طفتها دموعٌ من أماقيه تسجمُ

مقيمٌ على أسر الهوى وفؤاده ... تغور به أيدي الهموم وتتهمُ

يجنّ الهوى عن عاذليه تجلّداً ... فيبدي جواه ما يجنُّ ويكتمُ

يعلّل نفساً بالأماني سقيمةً ... وحسبك من داءٍ يصحُّ ويسقمُ

وقد غفلت عنّا الليالي وأصبحت ... عيون العدى عن وصلنا وهي نُوَّمُ

فكم من غصون قد ضممت ثديّها ... إليَّ وأفواه بها كنت ألثمُ

اجيل ذراعي لاهياً فوق منكب ... وخصراً غدا من ثقله يتظلَّمُ

وأمتاح راحاً من شنيبٍ كأنّه ... من الدرِّ والياقوت في السِّلك يُنظمُ

فلمّا علاني الشيب وابيضّ عارضي ... وبان الصبا واعوجَّ منّي المقوّمُ

وأضحى مشيبي للعذار ملثِّماً ... به ولرأسي بالبياض يُعمِّمُ

وأمسيت من وصل الغواني ممنّعاً ... كأنّيَ من شيبي لديهنَّ مجرمُ

بكيت على ما فات منّي ندامة ... كأنّيَ خنسٌ في البكا أو متمّمُ

وأصفيت مدحي للنبيِّ وصنوه ... وللنّفر البيض الذين همُ همُ

هم التين والزيتون آل محمَّد | همُ شجر الطوبى لمن يتفهَّمُ
همُ جنَّة المأوى هم الحوض في غدٍ | هم اللوح والسقف الرَّفيع المعظمُ
همُ آل عمران همُ الحجّ والنسا | هم سبأ والذاريات ومريمُ
همُ آل ياسين وطاها وهل أتى | هم النحل والأنفال إن كنت تعلمُ
هم الآية الكبرى هم الركن والصَّفا | هم الحجُّ والبيت العتيق المكرَّمُ
همُ في غدٍ سُفن النَّجاة لمن وعى | هم العروة الوثقى التي ليس تفصمُ
همُ الجنب جنب الله في البيت والورى | هم العين عين الله في الناس تعلمُ
همُ الآل فينا والمعالي هم العُلى | ينمّم في منهاجهم حيث يمّموا
همُ الغاية القصوى همُ منتهى العُلى | سل النصَّ في القرآن يُنبئك عنهمُ
هم في غدٍ للقادمين سقاتهم | إذا وردوا والحوض بالماء مفعمُ
فلولا همُ لم يخلق الله خلقه | ولا هبطا للنسل حوّا وادمُ
همُ باهلوا نجران من داخل العبا | فعاد المناوي فيهمُ وهو مفحمُ
وأقبل جبريلٌ يقول مفاخراً | لميكال: مَن مثلي وقد صرت منهمُ
فمن مثلهم في العالمين وقد غدا | لهم سيِّد الأملاك جبريل يخدمُ؟!
ومَن ذا يُساويهم بفضلٍ ونعمةٍ | من الناس والقرآن يُؤخذ عنهمُ؟!
أبوهم أمير المؤمنين وجدُّهم | أبو القاسم الهادي النبيُّ المكرَّمُ
همُ شرعوا الدين الحنيفيّ والتقى | وقاموا بحكم الله من حيث يحكمُ
وخالهم إبراهيم والأُمّ فاطم | وعمّهم الطيّار في الخُلد يُنعمُ
إلى الله أبرا من رجالٍ تنابعوا | على قتلهم يا للورى كيف أقدموا؟
حموهم لذيذ الماءِ والورد مفعمٌ | وأسقوهمُ كأس الرّدى وهو علقمُ
وعاثوا بآل المصطفى بعد موته | بما قتل الكرّار بالأمس منهمُ
وثاروا عليه ثورةً جاهليَّةً | على أنّه ما كان في القوم مسلمُ
وألقوهمُ في الغاضريّات صُرَّعاً | كأنّهمُ قفٌّ على الأرض جُثَّمُ(١)

---

(١) القف: ما يبس من احرار البقول وذكورها. جثم جمع جاثم من جثم جثماً: تلبد بالأرض، ولزم مكانه فلم يبرح.

تحاماهمُ وحش الفلا وتنوشهم — بأرياشهم طير الفلا وهي حُوّمُ(١)
بأسيافهم أردوهمُ ولديهم — اريق بأطراف القنا منهمُ الدَّمُ
وما قدمت يوم الطفوف اميَّةٌ — على السبط إلاّ بالذين تقدَّموا
وأنّى لهم أن يبرأوا من دمائهم — وقد أسرجوها للخصام وألجموا
وقد علموا أنَّ الولاء لحيدر — ولكنَّه ما زال يُؤذى ويُظلمُ
تعدّوا عليه واستبدّوا بظلمه — واخِّر وهو السيِّد المتقدّمُ
وقد زعموها فلتةً كان بدؤها — وقال:اقتلوا من كان في ذاك يخصمُ
وأفضوا إلى الشورى بها بين ستَّة — وكان ابن عوف منهم المتوسِّمُ
وما قصدوا إلاّ ليُقتل بينهم — عليٌّ وكان الله للطّهر يعصمُ
وإلاّ فليثٌ لا يُقاس بأضبعٍ — وأين من الشمس المنيرة أنجمُ؟!
فوا عجباً من أين كانوا نظائراً؟! — وهل غيره طبّ من الغيِّ فيهمُ؟!
ولكن امورٌ قدِّرت لضلالهم — والله صنعُ في الإرادة محكمُ
عصوا ربَّهم فيه ضلالاً فأهلكوا — كما هلكت من قبل عاد وجرهمُ
فما عذرهم للمصطفى في معادهم — إذا قال: لِمْ ختنم عليّاً وجرتمُ؟!
وما عذرهم إن قال: ماذا صنعتمُ — بصنوي من بعدي؟! وماذا فعلتمُ؟
عهدتُ إليكم بالقبول لأمره — فلِم حلتمُ عن عهدِهِ وغدرتمُ؟!
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم — وخالفتموه بئس ما قد صنعتمُ
وخلَّفت فيكم عترتي لهداكمُ — فكم قمتمُ في ظلّهم وقعدتمُ؟!
قلبتم لهم ظهر المجنّ وجرتمُ — عليهم وإحساني إليكم كفرتمُ
ومازلتمُ بالقتل تطغون فيهمُ — إلى أن بلغتم فيهم ما أردتم
كأنَّهمُ كانوا من الرّوم فالتقت — سرايَاكمُ صلبانهم وظفرتمُ
ولكن أخذتم من بنيٍّ بثاركم — فحسبكمُ خزياً على ما اجترأتمُ
منعتم تراثي ابنتي لا أباً لكم — فلِم أنتمُ آباءكم قد ورثتمُ؟!
وقلتم: نبيٍّ لا تُراث لولده — ألالأجنبيِّ الإرث فيما زعمتمُ؟!
فهذا سليمانُ لداود وارثٌ — ويحيى لزكريّا فلِم ذا منعتمُ؟!

(١) حوم جمع حائم من حام على الشيء وحوله: داربه وحام الرجل: عطش.

فإن كان منه للنبوَّة وارثاً؟! ... كما قد حكمتم في الفتاوى وقلتمُ

فقد ينبغي نسل النبيّين كلّهم ... ومن جاء منهم بالنبوَّة يوسمُ

وقلتم: حرامٌ متعة الحجِّ والنسا ... أعن ربّكم؟! أم عنكمُ ما شرعتمُ؟

زناتكم تعفون عنهم ومن أتى ... إليكم من المستمتعين قتلتمُ

ألم يأت: ما استمتعتمُ من حليلةٍ ... فآتوا لها من أجرها ما فرضتمُ؟!

فهل نسخ القرآن ما كان قد أتى ... بتحليله؟! أم أنتمُ قد نسختمُ؟!

وكلُّ نبيٍّ جاء قبل وصيّه ... مطاعٌ وأنتم للوصيِّ عصيتمُ

ففعلكمُ في الدين أضحى منافياً ... لفعلي وأمري غير ما قد أمرتمُ

وقلتم: مضى عنّا بغير وصيّةٍ ... ألم يوص لو طاوعتمْ وامتثلتمُ؟!

وقد قال: من لم يوص من قبل موته ... يمت جاهلاً. بل أنتمُ قد جهلتمُ

نصبتُ لكم بعدي إماماً يدلّكم ... على الله فاستكبرتمُ وظلمتمْ

وقد قلت في تقديمه وولائه ... عليكم بما شاهدتمُ وسمعتمْ

: عليٌّ غدا منّي محلاً وقربةً ... كهارون من موسى فلِمْ عنه حلتمُ؟

شقيتم به شقوى ثمود بصالح ... وكلُّ امرئٍ يبقى له ما يُقدِّمُ

وملتم إلى الدنيا فضلّت عقولكم ... ألا كلّ مغرورٍ بدنياه يندمُ

لحى الله قوماً أجلبوا وتعاونوا ... على «حيدر» فيما أساؤا وأجرموا

زووا عن أمير النحل بالظلم حقّه ... عناداً له والطّهر يغضي ويكظمُ

وقد نصَّها يوم «الغدير» محمَّدٌ ... وقال: ألا أيّها الناس فاعلموا

لقد جاءني في النصِّ: بلّغ رسالتي ... وها أنا في تبليغها المتكلّمْ

عليٌّ وصيّي فاتبعوه فإنّه ... إمامكمُ بعدي إذا غبتُ عنكمُ

فقالوا: رضيناه إماماً وحاكماً ... علينا ومولى وهو فينا المحكّمُ

رأوا رشدهم في ذلك اليوم وحده ... ولكنّهم عن رشدهم في غد عموا

فلمّا توفّي المصطفى قال بعضهم: ... أيحكم فينا؟ لا، وباللّات نقسمْ

ونازعه فيها رجال ولم يكن ... لهم قدمٌ فيهم ولا متقدّمْ

وظلّوا عليها عاكفين كأنّهم ... على غرّةٍ كلٌّ لها يتوسّمْ

يقيمُ حدود الله في غير حقّها ... ويفتي إذا استفتي بما ليس يعلمْ

يُكفّر هذا رأي هذا بقوله ... وينقض هذا ما له ذاك يبرمُ

وقالوا: اختلاف الناس في الفقه رحمةٌ … فلم يكُ من هذا يحلُّ ويحرمُ
أربّان للإنسان؟! أم كان دينهم … على النقص من دون الكمال فتمّموا
أم الله لا يرضى بشرع نبيِّه … فعادوا وهم في ذاك بالشرع أقومُ؟!
أم المصطفى قد كا ن في وحي ربِّه … ينقص في تبليغه ويُجمجمُ؟!
أم القوم كانوا أنبياءً صوامتاً … فلمّا مضى المبعوث عنهم تكلّموا؟
أم الشَّرع فيه كان زيغٌ عن الهدى … فسوَّوه من بعد النبي وقوَّموا؟!
أم الدين لم يكمل على عهد أحمد … فعادوا عليه بالكمال وأحكموا؟!
أما قال: إنّي اليوم أكملتُ دينكم … وأتممت بالنعماء منّي عليكمُ؟!
وقال: أطيعوا الله ثمَّ رسوله … تفوزوا ولا تعصوا أولي الأمر منكمُ
فلِمْ حرَّموا ما كان حلاًّ؟! وحلّلوا … بفتواهمُ ما جاز وهو محرَّمُ؟!
ترى الله فيما قال قد زلَّ؟! أم هَذا … نبيُّ الهدى؟! أم كان جبريل يوهمُ؟
لقد أبدعوا مّما نووا من خلافهم … وقال: اقبلوا مّما يقول وسلّموا
وإلاّ تركتم إنْ أبيتم رماحنا … وأسيافنا فيكم تسدّى وتلحمُ
وما مات حتّى أكمل الله دينه … ولم يبق أمرٌ بعد ذلك مبهمُ
ولكنْ حقودٌ أظهرت وضغائنٌ … وبغيٌ وجورٌ بيِّنُ الظلم منهمُ
يُقرَّب مفضولٌ ويُبعَد.فاضلٌ … ويَسكت منطيقٌ وينطق أبكمُ
وما أخّروا فيها عليّاً لموجبٍ … ولكن.تعدّ منهمُ وتظلّمُ
وكم شرعوا في نقض ما شاد أحمدُ … ولكنَّ دين الله لا يتهدَّم
وحاشى لدينٍ شيَّد الحقُّ ركنه … بسيف عليّ يعتريه التهدُّمُ
فحسبهمُ في ظلم «آل محمّد» … من الله في العقبى عقابٌ ومأثمُ
فإن غصبوهم أمر دنيا دنيَّة … فما لهمُ في الحشر أبقى وأدومُ
فهل عظمتْ في الدهر قطّ مصيبة … على الناس إلاّ وهي في الدين أعظمُ
تولّى بإجماع على النّاس أوّلٌ … ونصَّ على الثاني بها وهوُ مغرمُ
وقال: اقيلوني فلستُ بخيركم … فلِمْ نصّها لو صحَّ ما كان يزعمُ؟!
وأثبتها في جوره بعد موته … صهاكيّةٌ خشناء للخصم تكلمُ
ولو أدرك الثاني لمولى حذيفة … لولاه دون الغير والأنف يُرغمُ

وقد نالها شورى من القوم ثالثٌ ... وجُرِّد سيفٌ للوصي ولهذمُ
أشورى؟ وإجماعٌ؟ ونصٌّ؟ خلافةٌ ... تعالوا على الإسلام نبكي ونلطمُ
وصاحبها المنصوص عنها بمعزلٍ ... يُديمُ تلاوات الكتاب ويختمُ
ولو أنَّه كان المولّى عليهمُ ... إذن لهداهم فهو بالأمر أعلمُ
هو العالم الحَبر الذي ليس مثله ... هو البطل القرم الهزبر الغشمشمُ
وما زال في بدرٍ وأُحدٍ وخيبرٍ ... يفلُّ جيوش المشركين ويحطمُ
يكرُّ ويعلوهم بقائم سيفه ... إلى أن أطاعوا مكرهين وأسلموا
وما دخلوا الإسلام ديناً وإنَّما ... منافقة كي يُرفع السَّيف عنهمُ
وقالوا: عليٌّ كان في الحكم ظالماً ... ليكثر بالدَّعوى عليه التظلّمُ
وقالوا: دماء المسلمين أراقها ... وقد كان في القتلى بريءٌ ومجرمُ
فقلتُ لهم: مهلاً عدمتم صوابكم ... وصيُّ النبيِّ المصطفى كيف يظلمُ
أراق دماء المسلمين؟! فوالذي ... هدانا به ما كان في القوم مسلمُ
ولكنّه للناكثين بعهدهِ ... وممن تعدّى منهم كان ينقمُ
أما قال: أقضاكم عليٌّ. محمّدٌ ... كذا قد رواه الناقد المتقدّمُ
فإن جار ظلماً في القضايا بزعمكم ... عليٌّ فمن زكّاه لا شكّ أظلمُ
فيا ليتني قد كنت بالأمس حاضراً ... فأشركه في قتلهم واصمّمُ
وألقى إلهي دونهم بدمائهم ... فننظر عند الله مَن يتندَّمُ
فمن كعليٍّ عند كلّ ملمّةٍ ... إذا ما التقى الجمعان والنقع مفعمُ؟
ومَن ذا يُساميه بعلمٍ ولم يزلْ ... يقول: سلوني ما يحلّ وما يحرمُ؟!
سلوني ففي جنبيَّ علمٌ ورثته ... عن المصطفى ما فاه مني به الفمُ
سلوني عن طرق السّموات إنَّني ... بها من سلوك الأرض والطرق أعلمُ
ولو كشف الله الغطا لم أزد به ... يقيناً على ما كنت أدري وأعلمُ
وكائن له من آيةٍ وفضيلةٍ ... ومن مكرمات ما تعمُّ وتكتمُ
فمن ختمت أعماله عند موته ... بخير فأعمالي بحبّيه تختمُ
فيا ربّ بالأشباح « آل محمّد » ... نجوم الهدى للناس والأفق مظلمُ
وبالقائم المهدي من « آل أحمد » ... وآبائه الهادين والحقُّ معصمُ

تفضّل على « العودي » منك برحمة ... فأنت إذا استرحمت تعفو وترحمُ
تجاوز بحسن العفو عن سيّئاته ... إذا ما تلظّت في المعاد جهنّمُ
ومنّ عليه من لدنك برأفةٍ ... فإنّك أنت المنعم المتكرِّمُ
فإن كان لي ذنبٌ عظيمٌ جنيته ... فعفوك والغفران لي منه أعظمُ
وإن كنت بالتشبيب في الشعر ابتدي ... فإنّي بمدح الصفوة الزّهر أختمُ

وله قصيدةٌ اخرى يذكر فيها حديث الغدير ويراه نصّاً على الإمامة والخلافة لأمير المؤمنين عليه السّلام بعد النبيِّ الأعظم صلوات الله عليه وآله أوّلها:

بفنا الغريّ وفي عراص العلقم ... تمحا الذنوب عن المسيء المجرم
قبران قبرٌ للوصيّ وآخرٌ ... فيه الحسين فعج عليه وسلّمِ
هذا قتيلٌ بالطفوف على ظماً ... وأبوه في كوفان ضُرّج بالدمِ
وإذا دعا داعي الحجيج بمكّة ... فإليهما قصد التقيِّ المسلمِ
فاقصدهما وقل: السَّلام عليكما ... وعلى الأئمَّة والنبيِّ الأكرمِ
أنتم بنو طاها وقاف والضّحى ... وبنو تبارك والكتاب المحكمِ
وبنو الأباطح والمسلخ والصَّفا ... والركن والبيت العتيق وزمزمِ
بكم النجاة من الجحيم وأنتمُ ... خير البريَّة من سلالة آدمِ
أنتم مصابيح الدُّجى لمن اهتدى ... والعروة الوثقى التي لم تُفصمِ
وإليكمُ قصد الوليِّ وأنتمُ ... أنصاره في كلِّ خطبٍ مولمِ
وبكم يفوز غداً إذا ما أُضرمت ... في الحشر للعاصين نار جهنمِ
مَن مثلكم في العالمين وعندكمْ ... علم الكتاب وعلم ما لم يعلمِ ؟!
جبريل خادمكم وخادم جدِّكمْ ... ولغيركم في ما مضى لم يخدمِ
أبني رسول الله: إنَّ أباكمُ ... من دوحةٍ فيها النبوَّةُ ينتمي
آخاه من دون البريّة « أحمد » ... واختصَّه بالأمر لو لم يُظلم
نصَّ الولاية والخلافة بعده ... يوم « الغدير » له برغم اللوَّمِ
ودعا له الهادي وقال ملبياً ... يا ربِّ قد بلّغت فاشهد واعلمِ
حتّى إذا قبض النّبي وأصبحوا ... مثل الذباب تلوح حول المطعمِ

نكثتْ ببيعته رجالٌ أسلمتْ أفواههم وقلوبهم لم تسلم
وتداولوها بينهم فكأنَّها كأسٌ تدور على عطاشٍ حُوَّم

[القصيدة ٥٧ بيتاً

(الشاعر)

الزَّبيب أبو المعالي سالم بن عليّ بن سلمان بن عليّ المعروف بابن العودي [العودي(١)] التغلبي النيلي نسبة إلى بلدة النيل على نهر النيل المستمد من الفرات الممتدّ نحو الشرق الجنوبي وكانت ولادته بها سنة ٤٧٨ .

لم أقف على ترجمة [أبي المعالي] أبسط مما نشرته مجلّة الغري [النجفيّة] الغرّاء في العدد ال ٢٢ و٢٣ من السنة السابعة بقلم الدكتور مصطفى جواد البغدادي ذلك البحّاثة المنقِّب وإليك نصّه قال:

كان أبو المعالي من الشعراء الذين اشتهر شعرهم وقلّت أخبار سيرهم، فهو كوكبٌ من كواكب الأدب، ومشاهد نوره مجهولةٌ حقيقته أو حقائق أوصافه، وكان في الأيام التي جمع فيها عماد الدين الإصفهاني أخبار الشعراء ولذلك قال في نعته: شابٌّ شبت له نار الذكاء وشاب لنظمه صرف الصهباء بصافي الماء، ودرّ من فيه شؤبوب الفصاحة يسقي من ينشده شعره راح الراحة، وردت واسطا سنة خمسين [يعني خمسين وخمسمائة] فذكر لي انّه كان بها للاسترفاد وقام في بعض الأيّام ينشد خادم الخليفة « فاتنا »(٢) فسبقه غيره إلى الانشاد، فقعد ولم يعد إليه وسلّم على رفده وعليه وصمّم عزم الرحيل إلى وطنه بالنيل، ولقيته بعد ذلك في سنة أربع وخمسين بالهماميّة اهـ . وإشارة العماد إلى أنّه كان شابّا من فلتات الشباب .

ويلوح لنا من أثناء هذا الخبر أنّ إبن العودي كان مع تحريره انشاده

(١) كما في شعره.
(٢) هو شمس الدين أبو الفضائل من أكابر مماليك بني العباس كان ناظر واسط يومئذ.

لاسترفاده أبيّ النفس معتدّا؟ بشعره والشاعر الأبيُّ المسترفد لا يورثه إبائه إلّا الحرمان وإساءة الزَّمان. ومن شعره الذي نقله قطب الدين أبو يعلى محمَّد بن عليّ بن حمزة العلوي الأقساسي تغزّله بامرأة نصف «أي متوسطة العمر»:

أبى القلب إلّا امّ فضل وإن غدت ... تُعدّ من النصف الأخير لداتها
لقد زادها عندي المشيب ملاحةً ... وإن زعم الواشي وساء عداتها
فإن غيَّرت منها الليالي ففي الحشا ... لها حرق ما تنطفي زفراتها
فما نال منها الدَّهر حتّى تكاملت ... كمالاً وأعيى الواصفين صفاتها
سبتني بفرع فاحم وبمقلةٍ ... لها لحظاتٌ تفكُّ عناتها
وثغرٌ زهتْ فيه ثنايا كأنَّها ... حصى بَرَد تشفي الصدار[1] شفاتها
ولمّا التقينا بعد بُعدٍ من النَّوى ... وقد حان نحوي بالسّلام التفاتها
رأيتُ عليها للجمال بقيَّةً ... فعاد لنفسي في الهوى نشواتها

وأنشد القاضي عبد المنعم بن مقبل الواسطي له:

هم أقعدوني في الهوى وأقاموا ... وأبلوا جفوني بالسهادِ وناموا
وهمْ تركوني للعتاب دريئة ... اؤنّب في حبّيهم وأُلام
ولو انصفوا في الحبّ قسمة بيننا[2] ... لهاموا كما بي صبوةٌ وهيامُ
ولكنَّهم لمّا استدرّ لنا الهوى ... كرمت بحفظي للوداد ولاموا
ولمّا تنادوا للرَّحيل وقوَّضت ... لبينهمُ بالأبرقين خيامُ
رميت بطرفي نحوهم متأمِّلاً ... وفي القلب منّي لوعةٌ وضرامُ
وعدتُ وبي مما أجنّ صبابةٌ ... لها بين أثناه الضلوع كلامُ
إذا هاج بي وجدٌ وشوقٌ كأنّما ... تضمَّر أعشار الفؤاد سهامُ
ولائمة في الحبِّ قلت لها: اقصري ... فمثلي لا يُسلي هواه ملامُ
أأسلو الهوى بعد المشيب ولم يزل ... يصاحبني مذ كنت وهو غلامُ؟!

---

(١) وفي نسخة قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية عبد العزيز بن جماعة «تسقي الصدار سفاتها» قال الاميني: ما في المتن والهامش فيه تصحيف والصحيح: تشفي الصدى رشفاتها.
(٢) وفي نسخة صلاح الدين الصفدي: ولو أنصفوني قسمة الحب بيننا.

ولمّا جزعنا الرَّمل رمل عنيزة ... وناحت بأعلى الدوحتين حَمامُ
صبوت اشتياقاً ثمَّ قلت لصاحبي ... : ألا إنّما نوح الحَمام حمامُ
تجهَّز لبين أو تسلَّ عن الهوى ... فما لك من ليلي الغداة لمامُ
وكيف يُرجّى النول عند بخيلةٍ ... تروم الثريّا وهي ليس تُرامُ؟!
مهفهفة الأعطاف أما جبينها ... فصبحٌ وأمّا فرعها فظلامُ
فيا ليت لي منها بلوغاً إلى المنى ... حلالاً فإن لم يُقض لي فحرامُ

وهذه المعاني التي أودعها إبن العودي قصيدة مألوفة متعالمة بين الشعراء إلاّ أن نسج شعره عربيٌّ بحتٌ يضفي على تلك المعاني مالا يستطيعه النسج السابري؛ وقد نقل الصفدي أبياتاً من هذه القصيدة ومن غيرها من شعر إبن العودي وذكر: أن شعره متوسّطٌ. ولا نرى في هذا الحكم حنقاً فإنَّه متوسط حقّاً من حيث المعاني، ولكنَّه في حبكه وتأليفه من الطبقة الاولى فإنَّ العرب تنظر إلى المباني قبل المعاني، بحكم ما في لغتها من موسيقى وجرس ورنين، وهذا لا يعني انّها تقر من النظم ما لا معنى له لأنَّ شرط صحة المباني احتوائها على صحَّة المعاني كائنةً ما كانت.

وقد نظم إبن العودي في الشعر المذهبيِّ الذي أكثر منه السيِّد الحميري وإبن حمّاد والعوني والناشي الأصغر وإبن علويَّة الأصفهاني[1] والورّاق القمي، ولما دخل إبن شهراشوب العراق في أواسط القرن السادس ألفى شعر إبن العودي في المذهب تستهديه الآذان أفواه الشداة المنشدين فضمن كتابه مناقب آل أبي طالب شيئاً منه وكثيراً من شعر الناظمين في المذهب، وبعد ترك ابن شهراشوب العراق إلى الشام حدثت ببغداد فتنٌ مذهبيَّة ووثب الحنابلة كعادتهم بأعدائهم في المذهب فأحرقوا كتبهم وفيها دواوين شعرائهم واضطهدوهم اضطهاداً فظيعاً فضاع كلُّ ذلك الأدب غثّه وسمينه وصار طعمة للنار، والظاهر انَّ ذلك الضرب من النظم في شعر إبن العودي هو الذي حمل محبّ الدين

(١) مرت تراجم هؤلاء الشعراء الخمسة في الجزء الثاني، والثالث، والرابع، من كتابنا هذا وكلهم من شعراء الغدير.

محمَّداً المعروف بابنّ النجّار البغدادي على أن يقول في ترجمة ابن العودي : [كان رافضيّاً خبيثا يهجو الصَّحابة] . ومن شعر ابن العودي في إقامته مدّة بواسط :

يؤرّقني في واسط كلّ ليلة ... وساوس همٍّ من نوى وفراقِ
فيا للهوى هل راحمٌ لمتيَّم ... يعلُّ بكأس للفراق دهاقِ؟!
خليليَّ هل ما فات يُرجى؟ وهل لنا ... على النأي من بعد الفراق تلاقي؟
فإن كنت ابدي سلوةً عن هواكمُ ... فإنَّ صباباتي بكم لبواقي
ألا يا حمامات على نهر سالمٍ ... سلمت ووقّاكِ التفرُّق واقي
تعالي نُبد النّوح كلٌّ بشجوه ... فإنَّ اكتتام الوجد غير مطاقِ
على أنّ وجدي غير وجدك في الهوى ... فدمعيَ مهراقٌ ودمعك راقي
وما كنت أدري بعدما كان بيننا ... من الوصل انّي للفراق مُلاقي
فها أنتِ قد هيجتِ لي حرق الجوى ... وأبديت مكنون الهوى لوفاقي
وأسهرتني بالنّوح حتّى كأنَّما ... سقاك بكاسات التفرُّق ساقي
فلا تحسبي انّي نزعت عن الهوى ... وكيف نزوعي عنه بعد وفاقي؟!
ولكنّني أخفيت ما بي من الجوى ... لكي لا يرى الواشون ما أنا لاقِ

قال الشريف قطب الدين أبو يعلى محمَّد بن علي بن حمزة: أنشدني الربيب أبو المعالي سالم إبن العودي في منزلي مستهلّ صفر سنة خمسين وخمسمائة:

ما حسبت الكتاب عنك لهجر ... لا ولا كان ذاكمُ عن تجافي
غير أنَّ الزَّمان يحدث للمر ... ء اموراً تنسيه كلّ مصافي
شيمٌ مرَّت الليالي عليها ... والليالي قليلة الإنصافِ

وهذه أبياتٌ حكميَّةٌ كريمةٌ منتزعةٌ معانيها من صميم الحقيقة الحيويَّة، وقال الحسن بن هبة الله التغلبي المعروف بابن مصري الدمشقي: أنشدني أبو المعالي سالم بن علي العودي لنفسه:

دع الدنيا لمن أمسى بخيلا ... وقاطع من تراه لها وصولا
ولا تركن إلى الأيّام واعلم ... بأنَّ الدهر لا يُبقي جليلا
فكم قد غرَّت الدنيا اناساً ... وكم قد أفنت الدنيا قبيلا

وما هـذي الحياة وإن تـراخت بـمـمـتـعـة بـهـا إلاّ قـليـلا

فـويـلٌ لابـن آدم مـن مـقـام يكـون بـه العـزيـز غـداً ذليـلا

قال: وأنشدني أبو المعالي لنفسه:

أُخـيَّ إنَّـك مـيِّـتٌ فـدع التـعـلّل بـالتَّـمـادي

لا تـركـنـنَّ إلـى الـحيـا ة فـإنَّ عـزّك فـي نـفـاد

أزف الـرَّحـيـل فـلا تـكـن مـمـن يـسـيـر بـغـيـر زاد

يـا غـافـلاً والـمـوت يقـ ـدح فـي سـنـيـه بـلا زنـاد

لا بـدَّ يـومـاً لـلـنبـا ت إذا تـكـامـل مـن حـصـاد

وأنشدني لنفسه:

لا أقتضيك على السَّماح فإنَّه لـك عـادةٌ لكنّني أنـا مـذكـرُ

إنَّ السحـاب إذا تمسَّك بالندى رغبـوا إليه بـالـدعـاء فيمـطرُ

وأنشدني نفسه:

سـيِّـدي عُـدْ إلـى الـوصـا ل فـقـد شفَّـنـي الـضـنـا

وتـرفَّـق بـعـاشـق مـا لـه عـنـك مـن غـنـى

إن تـكـن تـطلب الـصَّـوا ب بـوصـل فـهـا أنـا

أو تـرد بـالـنَّـوى دنـوَّ حِـمـامـي فـقـد دنـا

وأنشد:

يـا عـاتبين على عـانٍ يحبّكمُ لاتجمعوابين عتب في الهوى وعنا

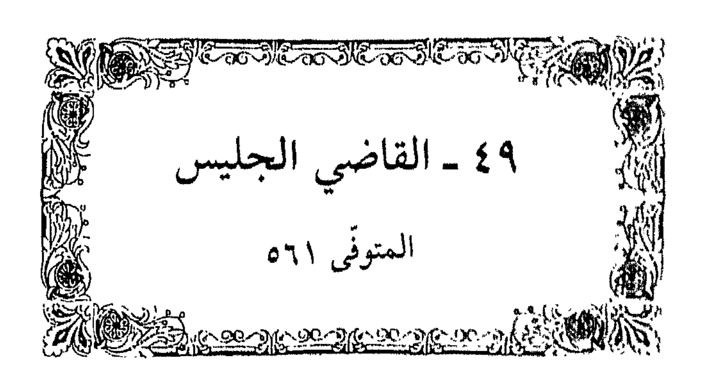
إن كان صدَّكمُ عني حدوث غنى فما لنا عنكمُ حتّى الممات غنى

ومن شعره قوله:

يقولون: لو داويت قلبك لارعوى بسلوانه عن حبّ ليلى وعن جملْ

وهيهـات يبـرأ بـالنمـائم والـرُّقى سليم الثنايا الغرّ والحدق النجلْ

ولم أقف على سنة وفاة إبن العـودي، إلاّ أنّ سنة ولادتـه [أعني سنة ٤٧٨] ورواية عماد الدين الإصفهاني له سنة ٥٥٤ بـالهماميّة قرب واسط لا تتركان للظنّ أن يغالي في بقائه طويلاً بعد سنة ٥٥٤ المذكورة بل لا أراه قد جاوز سنة ٥٥٨ فإنّها تجعل عمره ثمانين سنة وذلك من نوادر الأعمار في هذه الدِّيار.



٤٩ ـ القاضي الجليس

المتوفّى ٥٦١

دعاه لوشك البين داعٍ فأسمعا ... وأودع جسمي سقمه حين ودَّعا

ولم يُبق في قلبي لصبريَ موضعاً ... وقد سار طوع النأي والبعد موضعا

أجنّ إذا ما الليل جنّ كآبة ... وابدي إذا ما الصبح أزمع أدمعا

وما انقدتُ طوعاً للهوى قبل هذه ... وقد كنت الوى عنه ليناً وأخدعا

إلى أن يقول:

تصاممتُ عن داعي الصبابة والصبى ... ولبَّيتُ داعي آل أحمد إذ دعا

عشوتُ بأفكاري إلى ضوء علمهم ... فصادفتُ منه منهج الحقّ مهيعا

علقت بهم فليلح في ذاك من لحى ... تولّيتهم فلينع ذلك من نعا

تسرعت في مدحي لهم متبرّعاً ... وأقلعت عن تركي لهم متورّعا

هم الصّائمون القائمون لربّهم ... هم الخائفوه خشيةً وتخشّعا

هم القاطعو الليل البهيم تهجّداً ... هم العامروه سُجّداً فيه ركّعاً

هم الطيبو الأخيار والخير في الورى ... يروقون مرئى أو يشوقون مسمعا

بهم تُقبل الأعمال من كلّ عاملٍ ... بهم تُرفع الطاعات ممن تطوّعا

بأسمائهم يُسقى الأنام ويهطل الغما ... م وكم كربٍ بهم قد تقشّعا

هم القائلون الفاعلون تبرّعاً ... هم العالمون العاملون تورّعا

أبوهم وصيّ المصطفى حاز علمه ... وأودعه من قبل ما كان أودعا

أقام عمود الشرع بعد اعوجاجه ... وساند ركن الدين أن يتصدّعا

وواساه بالنفس النفيسة دونهم ... ولم يخش أن يلقى عداه فيجزعا

وسمّاه مولاهم وقد قام معلناً ليتلوّه في كلّ فضل ويشفعا
فمن كشف الغمّاء عن وجه أحمد وقد كربت أقرانه أن يقطّعا؟!
ومَن هزَّ باب الحصن في يوم خيبر فزلزل أرض المشركين وزعزعا؟!
وفي يوم بدرٍ من أحنَّ قليبها جسوماً بها تدمى وهاماً مقطَّعا؟!
وكم حاسدٍ أغراه بالحقد فضله وذلك فضلٌ مثله ليس يُدَّعا
لوى غدره يوم « الغدير » بحقّه وأعقبه يوم « البعير » وأتبعا
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى وعاتبه الإسلامُ فيه فما وعى
إذا رام أن يخفي مناقبه جلت وإن رامَ أن يُطفى سناه تشعشعا
متى همّ أن يطوي شذى المسك كاتم أبى عرفه المعروف إلّا تضوّعا

ومنها:

أيا امّةً لم ترع للدين حرمةً ولم تبق في قوس الضّلالة منزعا
بأيّ كتاب أم بأيّة حجّة نقضتم بها ما سنّه الله أجمعا؟!
غصبتم وليّ الحق مهجة نفسه وكان لكم غصب الامامة مقنعا
وألجمتمُ آل النبيّ سيوفكم تفرى من السادات سوقاً وأذرعا
وحلّلتمُ في كربلاء دماءَهم فأضحت بها هيم الأسنّة شرّعا
وحرَّمتمُ ماء الفرات عليهمُ فأصبح محظوراً لديهم ممنَّعا

القصيدة ٥٦ بيتاً

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام قوله:

إن خانها الدمع الغزيرُ فمن الدّماء لها نصيرُ
دعها تسحّ ولا تشحّ فرزءها رزءٌ كبيرُ
ما غصبُ فاطمة تراث « محمّد » خطبٌ يسيرُ
كلّا ولا ظلم الوصيّ و حقّه الحقّ الشهيرُ
نطق النّبيّ بفضله وهو المبشّر والنذيرُ

جحدوه عقد ولايةٍ قد غرّ جاحده الغرورُ
غدروا به حسداً له وبنصّه شهد « الغديرُ »
حظروا عليه ما حباه بفخره وهمُ حضورُ

يـا أمّـةً رعـت الـسّـهـا ... وإمـامهـا الـقـمـر المنيـرُ
إن ضـلَّ بـالـعجـل الـيهـ ... ـود فـقـد أضلّكم البـعيـرُ
لـهفـي لـقـتـلى الـطفّ إذ ... خـذل المصاحب والعشيـرُ
وافـاهـمُ فـي كـربـلا ... يـومٌ عـبـوسٌ قـمـطريـرُ
دلـفتْ لـهـمْ عـصب الـضـ ... ـلال كـأنّمـا دُعي النفيـرُ
عجبـاً لـهم لـم يلقـهم مـن ... دونـهـم قـدرٌ مـبـيـرُ
أيُـمـار فـوق الأرض فـيـ ... ـض دم الحسين ولا تمورُ؟!
أتـرى الـجـبـال درت ... ولم تقـذفهمُ منها صخـورُ؟!
أم كـيـف إذ مـنـعـوه ورِ ... رد المـاء لم تَغـرِ البحـورُ؟!
حـرم الـزّلال عـلـيـه ... لمّـا حُلّت لـهم الـخمـورُ

القصيدة ٣٦ بيتاً

وله من قصيدة تناهز ٢٩ بيتاً مطلعها:

كم قد عصيت مقال الناصح الناهي ... ولـذت منكم بحبـلٍ واهنٍ واهِ

ويقول فيها:

حبّي لآل رسـول الله يعصمني ... من كلّ إثمٍ وهم ذخري وهم جاهي
يا شيعة الحقّ قـولي بالـوفاء لهم ... وفاخري بهمُ من شئت أو بـاهي
إذا علقت بحبـلٍ من أبي حسنٍ ... فقـد علقت بحبـلٍ في يـد الله
حمى الآلـه به الإسـلام فهو بـه ... يـرهي على كـلّ دين قبله زاهِ
بعـل البتـول ومـا كنّـا لتهـدينـا ... أئـمّـة من نـبيّ الله لـولا هي
نصّ النبيّ عليه في « الغدير » فما ... زواه إلّا ظـنـيـنٌ ديـنـه واهِ

(الشاعر)

أبـو المعالي عبـد العزيـز بن الحسين بن الحبـاب[1] الأغلبي السعـدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس. من مقدّمي شعراء مصر وكتابهم، ومن ندماء الملك الصالح طلائع بن رزّيك [الذي مرّت ترجمته ص ٣٨٨] وأحسب أنّ تلقيبه بالجليس كان لمجالسته إيّاه متواصلاً، وهو ممن اغرق نزعاً في موالاة

---

(١) في معجم الادباء ج ٣ ص ١٥٧: الخباب.

العترة الطاهرة كما ينم عنه شعره، ولمعاصره الفقيه عمارة اليمني [الآتي ذكره] شعر يمدحه، منه قصيدة في كتابه « النكت العصرية» ص ١٥٨ قالها سنة أحدى وخمسين وخمسمائة، أوّلها:

هي سلوةٌ حلّت عقــود وفـائهــا مذ شفَّ ثوب الصبر عن برحائها

ومنها:

لم أسـأل الرُّكبـان عن أسمـائهـا كفـلاً بهـا لـولا هـوى أسمـائهـا

وسـألت أيّامي صـديقـاً صـادقـاً فوجدت مـا أرجوه جـلَّ رجائهـا

ومنها:

ولقد هجرت إلى الجليس مهاجراً عصبـاً يضيم الدهـر جار فنـائهـا

مستنجـداً لأبي المعـالي همَّــة تغدو المعالي وهي بعض عطائها

لمّـا مدحتَ عـلاه أيقنت العدى أنَّ الـزمـان أجـار من عـدوائهـا

واغــدَّ سعــديّ الأوامــر أبـلج يلقى سقيمـات المنى بشفـائهـا

ومنها:

نـذرت مصافحـة الغمام أنـاملي فــوفت غمـائم كفِّــه بـوفـائهـا

وقال كما في نكته العصريَّة ص ٢٥٢ وقد حدث للقاضي الجليس مرضٌ أخَّره عن حضور مجلس الملك الصّالح طلائع بن رُزّيك:

وحقّ المعـالي يا أبـاها وصنـوها يمين امرىء عاداتـه القسم البـرُّ

لقد قصرت عمّا بلغت من العلى وأحـرزتـه أبنـاء دهـرك والـدهـرُ

متى كنتَ يا صدر الزمان بموضع فرتبتك العليـا وموضعـك الصدرُ

ولمّا حضرنا مجلس الانس لم يكن على وجهه إذ غبت إنسٌ ولا بشرُ

فقـدناك فقـدان النفوس حيـاتهـا ولم يك فقد الارض أعوزها القطرُ

وأظلم جوُّ الفضل إذ غـاب بدره وفي الليلة الـظلماء يفتقـد البدرُ

ترجمه العماد في « الخريدة » وأثنى عليه بالفضل المشهور. وإبن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ٢٥١، وإبن شاكر في « فوات الوفيات » ج ١ ص ٢٧٨ فقال: تولّى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال ومن شعره:

ومن عجبي انَّ الصــوارم والقنـا تحيض بـأيدي القـوم وهي ذكورُ

وأعجب من ذا أنَّهـا في أكفّهم ... تـأجَّـج نـاراً والأكفُّ بحـورُ

وله في طبيب:

وأصـل بليّتي مَن قـد غـزاني ... من السقم الملحِّ بعسكـرينِ

طبيبٌ طبّه كغـراب بيـنٍ ... يفـرِّق بين عـافيتي وبينـي

أتى الحمّى وقد شاخت وباخت ... فعـاد لهـا الشبـابُ بنسختينِ

ودبَّـرهـا بتـدبيـرٍ لـطيـفٍ ... حكـاه عن سنين أو حنـينِ

وكـانت نـوبـة في كـلِّ يـوم ... فصيَّـرهـا بحـذقٍ نـوبتيـنِ

وله في طبيب ايضاً:

يـا وارثـاً عـن أبٍ وجـدٍّ ... فـضـيـلة الطبِّ والسـدادِ

وحـامـلاً ردَّ كـلِّ نـفس ... همت عن الجسم بـالبعـادِ

اقسم لـو قـد طببتَ دهـراً ... لـعـاد كـونـاً بـلا فسـادِ

وله:

حيّـا بتفـاحـةٍ مخضّبـة ... مَن شفَّني حبّه وتيَّمنـي

فقلت: مـا إن رأيت مشبههـا ... فـأحمـرَّ من خجلة فكـذَّبنـي

وله:

رُبَّ بيض سالـن بـاللحظ بيضاً ... مـرهفـات جفـونهنّ جفـونُ

وخـدودٍ للدمـع فيهـا خـدودٌ ... وعيـونٍ قـد فـاض فيها عيـونُ

وقال ايضاً:

ألمَّتْ بنـا والليل يـزهي بلمَّةٍ ... دجـوجيَّةٍ لم يكتهـل بعد فـوداها

فأشرق ضوء الصبح وهـو جبينها ... وفاحت أزاهير الرّبا وهي ريّـاها

إذا ما اجتنت من وجهها العين روضة ... أسالت خلال الروض بالدَّمع أمواها

وإنّي لأستسقي السحاب لربعهـا ... وإن لم تكن إلاّ ضلوعي مَـأواها

إذا استعرت نار الأسى بين أضلعي ... نضحت على حرِّ الحشا برد ذكراها

ومـا بيَ أن يصلى الفؤاد بحرِّهـا ... ويضرم لولا أنّ في القلب سكناها

كان القاضي الجليس كبير الأنف وكان الخطيب أبو القاسم هبة الله بن

البدر المعروف بابن الصيّاد مولعاً بأنفه وهجائه وذكر أنفه في أكثر من ألف مقطوع انتصر له ابو الفتح ابن قادوس [المترجم في هذا الجزء ص ٣٣٨] فقال :

يا مَن يعيب انوفنا الشمّ التي ليست تُعابُ
الأنف خلقة ربّنا وقرونك الشمّ اكتسابُ

وله شعرٌ في رثاء واده وقد غرق في البحر بريح عاصفٍ.

والمترجم هو الذي قرظ أبا محمَّد بن الزبير الحسن بن علي المصري المتوفّى سنة ٥٦١ عند الملك الصّالح حتّى قدمه، فلمّا مات شمت به إبن الزبير ولبس في جنازته ثياباً مذهّبة، فنقص عند الناس بهذا السبب واستقبحوا فعله، ولم يعش بعد الجليس إلاّ شهراً واحداً[١] .

كان الملك الصّالح طلائع لا يزال يحضر في ليالي الجمع جلساؤه وبعض امراءه لسماع قراءة صحيح مسلم والبخاري وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذي يقرأ رجلاً أبخر فلعهدي وقد حضر المجلس مع الأمير عليّ بن الزبير والقاضي الجليس أبي محمَّد وقد أمال وجهه إلى القاضي إبن الزبير وقال له :

وأبخر قلت: لا تجلس بجنبي

فقال ابن الزبير:

إذا قابلت بالليل البخاري

فقال القاضي الجليس:

فقلت وقد سألت بلا احتشام: لأنّك دائماً من فيك خاري

أنشد بعض جلساء الملك الصالح بمجلسه بيتا من الأوزان التي يسمّيها المصريّون [الزكالش] ويسمّيها العراقيّون [كان وكان].

النّار بين ضلوعي ونا غريقٌ في دموعي
كنّي فتيلة قنديل أموت غريق وحريق

---

(١) معجم الادباء ج ٣ ص ١٥٧ .

وكان عنده القاضي الجليس والقاضي ابن الزبير فنظما معناه بديهاً فقال الجليس:

هل عاذرٌ إن رمت خلع عذاري ... في شمِّ سالفةٍ ولثم عذارِ؟!
تتألّف الأضداد فيه ولم تزل ... في سالف الأيّام ذات نفارِ
وله من الزَّفرات لفح صواعق ... وله من العبرات لجُّ بحارِ
كذبالة القنديل قدّر هلكها ... ما بين ماءٍ في الزجاج ونارِ

وقال إبن الزبير:

كأنّي وقد سالت سيول مدامعي ... فاذكت حريقاً في الحشا والترائبِ
ذبالة قنديل تقوم بمائها ... وتشعل فيها النار من كلِّ جانبِ[1]

كتب أبو المعالي إلى القاضي الرشيد المصري[2] قوله:

ثروة المكرمات بعدك فقرُ ... ومحلّ العلى ببعدك قفرُ
بك تجلى إذا حللت الدياجي ... وتمرّ الأيّام حيث تمرُّ
أذنب الدهر في مسيرك ذنباً ... ليس منه سوى إيابك عذرُ[3]

حُكي انَّه استأذن هو والقاضي الرشيد ذات يوم على أحد الوزراء فلم يأذن لهما واعتذر عن المواجهة ووجدا عنده غلظة من الحجّاب، ثمَّ عاوداه مرَّة اخرى واستأذنا عليه فقيل لهما: إنَّه نائمٌ. فخرجا من عنده فقال القاضي الرشيد:

توقَّع لأيّام اللئام زوالها ... فعمّا قليل سوف تنكر حالها
فلو كنت تدعو الله في كلِّ حالةٍ ... لتبقى عليهم ما أمنت انتقالها

وقال القاضي الجليس:

لئن أنكرتمُ منّا ازدحاما ... ليجتنبنَّكم هذا الزحامُ
وإن نمتم عن الحاجات عمداً ... فعين الدهر عنكم لا تنامُ

فلم يكن بعد أيّام حتى نكب الوزير نكبة عظيمة [مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٠٢]

---

(١) بدائع ج ١ ص ١٧٦ و٢٣٧.
(٢) ابو الحسين احمد بن علي الغساني المقتول ٥٦٣.
(٣) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٤.

قال الصفدي في « نكت الهميان »، كان الموفق بن الخلّال خال القاضي الجليس فحصل لابن الخلّال نكبة وحصل للقاضي بسبب خاله إبن الخلّال صداعٌ فكتب القاضي إلى القاضي الرشيد.

تسمَّع مقاليَ يابن الزبير   فأنت خليقٌ بأن تسمعه
نكبنا بذي نسبٍ شابكٍ   قليل الجدى في زمان الدعه
إذا ناله الخير لم نْرجه   وإن صفعوه صُفعنا معه

توفي القاضي الجليس سنة ٥٦١ وقد أناف على السبعين كما في « فوات الوفيات ».

ذكر سيِّدنا العلّامة السيِّد أحمد العطّار البغدادي في الجزء الأوّل من كتابه « الرائق » جملة من شعر شاعرنا الجليس منها قصيدةٌ يرثي بها أهل البيت الطاهرين ويمدح الملك الصالح بن رزّيك، ويذكر مواقفه المشكورة في خدمة آل الله أوّلها: [٥٠ بيتا]

لولا مجانبة الملوك الشاني   ما تمّ شاني في الغرام بشاني

وقصيدة في رثاء العترة الطاهرة تناهز ٦٦ بيتا مطلعها:

أرأيت جرأة طيف هذا الزائر   ما هاب عاديه الغيور الزائر
وافى وشملته الظلام ولم يكن   ليزور إلّا في ظلام ساتر
فكأنّه إنسان عين لم يلحْ   مذ قطّ إلّا في سواد الناظر
ما حكم أجفاني كحكم جفونها   شتّان بين سواهر وسواحر

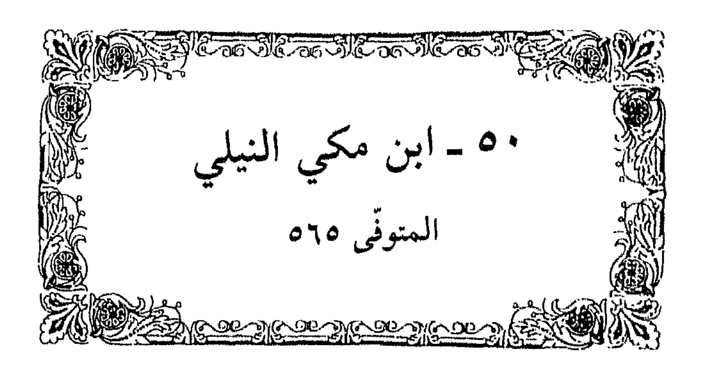
وقصيدة يمدح بها الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويذكر الملك الصالح ويثني عليه تبلغ ٧٢ بيتا مستهلّها:

على كلّ خير من وصالك مانعُ   وفي كلّ لحظ من جمالك شافعُ

وقصيدةٌ ٦٢ بيتا يدعم بها إمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ويرثي الإمام السبط عليه السلام، ويذكر الملك الصالح إبن رزّيك ويطريه أوّلها:

ألا هل لدمعي في الغمام رسيلُ؟!   وهل لي إلى برد الغليل سبيل؟!

وذكر له قصيدةً لاميّة تبلغ ٥١ بيتا في المديح والرثاء لأهل البيت الطاهر



٥٠ - ابن مكي النيلي

المتوفى ٥٦٥

ألم تعلموا أنَّ النبيَّ « محمَّداً » بحيدرة أوصى ولم يسكن الرمسا؟!
وقال لهم والقوم في « خمٍّ » حُضَّر ويتلو الذي فيه وقد همسوا همسا
: عليٌّ كزرّي من قميصي وإنّه نصيري ومنّي مثل هارون من موسى
ألم تبصروا الثعبان مستشفعاً به إلى الله والمعصوم يلحسه لحسا؟!
فعاد كطاووس يطير كأنَّه تغشرم في الاملاك فاستوجب الحبسا
أما ردَّ كفَّ العبد بعد انقطاعها؟! أما ردَّ عيناً بعد ما طمست طمسا [1]

(الشاعر)

سعيد[2] بن أحمد بن مكّي النيلي المؤدِّب، من أعلام الشيعة وشعرائها المجيدين المتفانين في حبِّ العترة الطاهرة وولائها، المتصلِّبين في اعتناق مذهبهم الحقِّ، ولقد أكثر فيهم وأجاد وجاهر بمديحهم ونشر مئاثرهم حتّى نسبه القاصرون إلى الغلوِّ، ولكن الرجل موالٍ مقتصد قد أغرق نزعاً في اقتفاء أثر القوم والإستضائة بنورهم الأبلج، وقد عدَّه إبن شهراشوب في معالمه من المتّقين من شعراء أهل البيت عليهم السَّلام.

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٥٢٤ ط ايران.
(٢) في معجم الادباء وفوات الوفيات « سعد » وهو تصحيف.

قال الحموي في « معجم الادباء » ج ٤ ص ٢٣٠ : المؤدّب الشيعيّ كان نحويّاً فاضلاً عالماً بالأدب مغالياً في التشيّع له شعرٌ جيّدٌ أكثره في مديح أهل البيت وله غزلٌ رقيقٌ مات سنة ٥٦٥ وقد ناهز المائة ومن شعره:

قمرٌ أقام قيامتي بقوامه ... لمَ لا يجود لمهجتي بذمامهِ؟!
ملّكتُه كبدي فأتلفَ مهجتي ... بجمال بهجته وحسن كلامهِ
وبمبسمٍ عذبٍ كأنَّ رُضابه ... شهدٌ مذابٌ في عبير مُدامهِ
وبناظرٍ غنجٍ وطرفٍ أحورٍ ... يصمي القلوب إذا رنا بسهامهِ
وكأنَّ خطّ عذاره في حسنه ... شمس تجلّت وهي تحت لثامهِ
فالصبح يسفر من ضياء جبينه ... والليل يُقبل من أثيث ظلامهِ
والظبي ليس لحاظه كلحاظه ... والغصن ليس قوامه كقوامهِ
قمرٌ كأنَّ الحسن يعشق بعضه ... بعضاً فساعده على قسّامهِ
فالحسن من تلقائه وورائه ... ويمينه وشماله وأمامهِ
ويكاد من تَرَفٍ لدقة خَصره ... ينقدُّ بالأرداف عند قيامهِ

وقال العماد الكاتب: كان غالياً في التشيّع، حالياً بالتورُّع، عالماً بالأدب، معلّماً في الكتب، ومقدّماً في التعصّب، ثمَّ أسنَّ حتّى جاوز حدّ الهرم؛ وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم، وأناف على التسعين، وآخر عهدي به في درب صالح ببغداد في سنة إثنتين وستّين وخمسمائة.

قال الأميني: الصحيح في تاريخ آخر عهد العماد بالمترجم سنة ٥٦٢ وهي سنة خروجه من بغداد ولم يعد إليها بعدها حتى مات سنة ٥٩٧ كما أرّخه إبن خلكان في وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٩. فما في « فوات الوفيات » ج ١ ص ١٦٩ و« دائرة المعارف » لفريد وجدي ج ١٠ ص٤٤٠ نقلاً عن العماد من سنة ٥٩٢ تصحيفٌ واضحٌ. والعجب أنَّ هذا التاريخ أعني ٥٩٢ جُعل في [شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠٩] و[أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٩٥] تاريخ وفاة إبن مكّي المترجَم له وأنت ترى انّه تاريخ آخر عهد العماد بالمترجم لا تاريخ وفاته، على أنَّ الصحيح ٥٦٢ لا ٥٩٢ فالصحيح في وفاته كما مرَّ عن الحموي

٥٦٥ . وكون المترجَم مذكوراً في معجم العماد الكاتب يومي إلى عدم وفاته سنة ٥٩٢ ، إذ الكتاب موضوعٌ لترجمة الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٢ كما في تاريخ إبن خلكان ج ٢ ص ١٩٠ .

وقال عماد الدين ايضاً : أنشدني له إبن اخته عمر الواسطي الصفّار ببغداد قال : أنشدني خالي سعيد بن مكّي من كلمة له :

ما بال مغاني اللوى بشخصك إطلالْ ... قد طال وقوفي بها وبثّي قد طالْ
الربع دثور متناه قفار ... والرِّبع محيلٌ بعد الأوانس بطّالْ
عفته دبورٌ وشمالٌ وجنوبه ... مع مرِّ ملث مرخي العزالي محلالْ
يا صاح قف باللوى فسائل رسماً ... قد خال لعلَّ الرسوم تنبي عن حالْ
ما شفّ فؤادي إلّا لغيبِ غراب ... بالبين يُنادي قد طار يضرب بالغالْ
مذ طار شجا بالفراق قلباً حزيناً ... بالبين وأقصى بالبعد صاحبة الخالْ
تمشي تتهادى وقد ثناها دلٌّ ... من فرط حياها تخفي رنين الخلخالْ

وترجمه الصفدي في « نكت الهميان » وابن شاكر في « فوات الوفيات » ج ١ ص ١٦٩ وقالا : له شعرٌ وأكثره مديحٌ في أهل البيت، ثمّ ذكرا عبارة العماد الاولى . وتوجد ترجمته في « لسان الميزان » ج ٣ ص ٢٣ و« مجالس المؤمنين » ص ٤٦٩ ومن شعره المذهبيّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

فان يكن آدم من قبل الورى ... نُبِّي وفي جنّة عدن دارهُ؟!
فإنَّ مولاي عليّاً ذا العُلى ... من قبله ساطعةٌ أنوارهُ
تاب على آدم من ذنوبه ... بخمسةٍ وهو بهم أجارهُ
وإن يكن نوحٌ بنى سفينةً ... تُنجيه من سيل طمى تيّارهُ؟!
فإنَّ مولاي عليّاً ذا العُلى ... سفينةٌ تنجو بها أنصارهُ
وءن يكن ذو النّون ناجى حوته ... في اليمِّ لمّا كضّه حصارهُ؟!
ففي جلندي[1] لِلإمام عبرةٌ ... يعرفها مَن دلّه اختيارهُ
رُدَّت له الشمس بأرض بابلٍ ... والليل قد تجلّلت أستارهُ

(١) قصة الجلندي مذكورة في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٥٥ ط ايران.

وإن يكن موسى دعى مجتهداً   عشراً إلى أن شقّه انتظارهُ؟!
وسار بعد ضرّه بأهله   حتّى علت بالواديين نارهُ
فإنّ مولاي عليّاً ذا العُلى   زوّجه واختار مَن يختارهُ
وإن يكن عيسى له فضيلة   تدهش من أدهشه انبهارهُ؟!
مَن حملته امّه ما سجدت   للاّت بل شغّلها استغفاره؟!

البيت الأخير فيه إشارة إلى ما رواه الحلبي في السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٢٨٥، وزيني دحلان في سيرته، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٠ والشبلنجي في نور الأبصار من أنّ أمير المؤمنين كان يمنع امّه من السجود للصنم وهو حملٌ[١]

وله:

و« محمّد » يوم القيامة شافعٌ   للمؤمنين وكلّ عبد مُقنت
وعليّ والحسنان إبنا فاطمٍ   للمؤمنين الفائزين الشيعةِ
وعليّ زين العابدين وباقر العـ   ـلم التقيُّ وجعفر هو منيتي
والكاظم الميمون موسى والرِّضا   علم الهدى عند النوائب عُدّتي
ومحمّد الهادي إلى سبل الهدى   وعليّ المهدي جعلت ذخيرتي
والعسكريّين اللذين بحبِّهم   أرجو إذا أبصرت وجه الحجّة

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام ودحوه باب خيبر:

فهزّها فاهتزَّ من حولهم   حصناً بنوه حجراً جلمدا
ثمّ دحا الباب على نبذة   تمسح خمسين ذراعاً عددا
وعبّر الجيش على راحته   حيدرة الطاهر لمّا وردا

وله من قصيدة مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

رددت الكفّ جهرا بعد قطع[٢]   كردّ العين من بعد الذهاب

---

(١) مرت كلمتنا حول هذه الرواية في الجزء الثالث ص ٢٩٦.

(٢) اشارة الى قصة يد هشام بن عدي الهمداني وهي مذكورة في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٧٣ ط ايران.

وجمجمة الجلندي وهـو عظمٌ[1]   رميمٌ جـاوبتـك عن الخـطابِ

وله من قصيدة مرَّت عشرة أبيات منها نقلاً عن الحموي:

دع يا سعيد هواك واستمسك بمن   تسعد بهم وتـزاح من آثـامـه
بمحـمَّـدٍ وبحيـدرٍ وبفـاطـمٍ   وبـولـدهم عقـد الـولا بتمـامه
قـومٌ يـسـرُّ وليّهم فـي بعثـه   ويعضُّ ظـالمهم على إبهـامـه
ونـرى ولـيَّ وليِّهـم وكـتـابـه   بـيمينـه والنـور من قـدّامـه
يسقيه من حـوض النبيِّ محمَّـدٍ   كـأسـاً بهـا يشفي غليـل اوامـه
بيـدي أمير المؤمنين وحسب من   يسقى بـه كـأسـاً بكفّ إمامـه
ذاك الـذي لولاه مـا اتَّضحت لنا   سُبـل الهـدى في غـوره وشـآمـه
عبـد الآلـه وغيـره مـن جهـله   مـا زال معتكفـاً على أصنـامـه
مـا آصف يومـاً وشمعون الصَّفـا   مع يوشـع في العلم مثل غـلامه

وله في ردِّ بيتي يوسف الـواسطي في الغمـز على أمير المؤمنين عليه السلام وتخلّفه عن البيعة قوله:

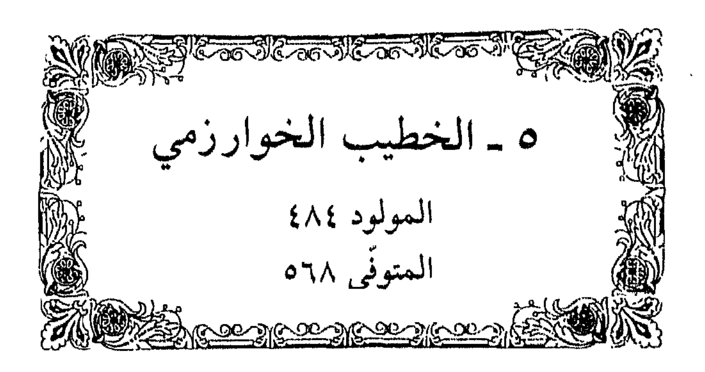
ألا قـل لـمن قـال فـي كفـره   وربِّـي عـلى قـولـه شـاهـدُ
:[اذا اجتمـع الناس في واحـد   وخـالفهم في الـرِّضـا واحـدُ]
[فـقـد دلَّ إجمـاعـهم كـلّهـم   عـلى أنَّـه عـقـله فـاسـدُ]
: كـذبت وقولـك غير الصحيـح   وزعـمـك ينـقـده النـاقـدُ
فقـد أجمعت قوم مـوسى جميعاً   على العجـل يـا رجس يـا مـاردُ
ودامـوا عكـوفـا على عجلهـم   وهـارون مـنـفـردٌ فـاردُ
فكـان الكثيـرهـم المخـطئـون   وكـان المصيب هـو الـواحـدُ

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام:

خصّـه الله بـالعلوم فـأضحى   وهـو يُنبىء بسـرِّ كـلِّ ضميـرِ
حـافظ العلم عن أخيـه عن الله   خـبيـراً عـن اللطيف الخـبيـرِ

(١) شرح في قصة جمجمة جلندي توجد في مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٤٧٤.

(لفت نظر) ذكر سيِّدنا الأمين في « أعيان الشيعة » ج ٦ ص ٤٠٧ ترجمة تحت عنوان [أبي سعيد النيلي] وأخذ ما في « مجالس المؤمنين » من ترجمة المترجم له وجعله ترجمة لما عنونه، وأردفها بتحقيق في إسمه يقضى منه العجب، إستخرجه من شعر المترجم المذكور « دع يا سعيد هواك واستمسك بمن » فقال: قوله: دع با سعيد (با) بالباء الموحَّدة مخفَّف أبا وحذف منه حرف النداء أي يا أبا. وقال في ج ١٤ ص ٢٠٧ : إبن مكّي اسمه سعد أو سعيد. وأرّخ وفاته في ج ١ ص ٥٩٥ من الطبعة الاولى بسنة ٥٩٢، وفي الطبعة الثانية في القسم الثاني من الجزء الأول ج ١ ص ١٧٧ بسنة ٥٩٥، ونقل ترجمته عن إبن خلكان وإبن خلكان لم يذكره.



ألا هل من فتىً كأبي ترابِ ... إمام طاهر فوق الترابِ؟!

إذا ما مقلتي رمدت فكحلي ... ترابٌ مسَّ نعل أبي ترابِ

محمَّد النبيُّ كمصر علم ... أمير المؤمنين له كبابِ

هو البكّاء في المحراب لكن ... هو الضحاك في يوم الحرابِ

وعن حمراء بيت المال أمسى ... وعن صفرائه صفر الوطابِ

شياطين الوغى دُحروا دحوراً ... به إذ سلَّ سيفاً كالشهابِ

عليٌّ بالهداية قد تحلّى ... ولمّا يدَّرع برد الشبابِ

عليٌّ كاسر الأصنام لمّا ... علا كتف النبيِّ بلا احتجابِ

عليٌّ في النساء[1] له وصيٌّ ... أمينٌ لم يمانع بالحجابِ

عليٌّ قاتلٌ عمرو بن ودّ ... بضرب عامر البلد الخرابِ

حديث براءة وغدير خمّ ... وراية خيبر فصل الخطابِ

هما مثلاً كهارون وموسى ... بتمثيل النبيِّ بلا ارتيابِ

بنى في المسجد المخصوص باباً ... له إذ سدَّ أبواب الصّحابِ

كأنَّ الناس كلّهمُ قشورٌ ... ومولانا عليٌّ كاللبابِ

ولايته بلا ريبٍ كطوقٍ ... على رغم المعاطس في الرِّقابِ

إذا عمر تخبَّط في جواب ... ونبَّهه عليٌّ بالصَّوابِ

---

(١) اقرأ واضحك.

يقول بعدله: لولا عليٌّ هلكتُ هلكتُ في ذاك الجوابِ
فـفـاطـمـةٌ ومولانا عليٌّ ونجلاه سروري في الكتابِ
ومن يك دأبه تشييد بيتٍ فهاأنا مدح أهل البيت دابي
وإن يك حبّهم هيهات عاباً فها أنا مذ عقلت قرين عابِ
لقد قتلوا عليّاً مذ تجلّى لأهل الحقِّ فحلاً في الضرابِ
وقد قتلوا الرِّضا الحسن المرجّى جواد العرب بالسمِّ المذابِ
وقد منعوا الحسين الماء ظلماً وجُدِّل بالطعان وبالضِّرابِ
ولولا زينب قتلوا عليّاً[1] صغيراً قتل بقٍّ أو ذُبابِ
وقد صلبوا إمام الحقِّ زيداً فيا لله من ظلم عجابِ
بنات محمَّد في الشمس عطشى وآل يزيد في ظلِّ القبابِ
لآل يزيد من ادم خيامٌ وأصحاب الكساء بلا ثيابِ[2]

(الشاعر)

الحافظ أبو المؤيّد وأبو محمَّد موفّق[3] بن أحمد بن[4] أبي سعيد إسحاق إبن المؤيّد المكّي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم.

كان فقيهاً غزير العلم، حافظاً طائل الشهرة، محدِّثاً كثير الطرق، خطيباً طائر الصيت، متمكّناً في العربيَّة، خبيراً على السيرة والتاريخ، أديباً شاعراً، له خطبٌ وشعرٌ مدوَّن.

ذكره الحموي في « معجم الادباء » في ترجمة أبي العلاء الهمداني[5] بالحفظ، وأثنى عليه الصفدي في « الوافي بالوفيات » والتقيّ الفارسي في

---

(١) يعني الامام السجاد علي بن الحسين.

(٢) القصيدة تبلغ ٤٦ بيتاً طبعت في آخر كتابه « المناقب » وتوجد جملة منها في مقتله وأخذ منها ابن شهراشوب في مناقبه.

(٣) في الفوائد البهية: موفق الدين أحمد بن محمد وهو تصحيف. وقد ذكر اسمه في شعره موفقا كما يأتي وهكذا يوجد في المصادر القديمة.

(٤) في العقد الثمين موفق بن أحمد بن محمد.

(٥) الحافظ الحسن العطار المقري المتوفى ٥٦٩.

« العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » والقفطي في « أخبار النحاة » والسيوطي في « بغية الوعاة » ص ٤٠١ ، ومحمّد عبد الحيّ في « الفوائد البهيَّة » ص ٣٩ ، والسيِّد الخونساري في « روضات الجنات » ص ٢١ ، وجرجي زيدان في [تاريخ آداب اللغة العربيَّة] ج ٣ ص ٦٠ ، وصاحب « معجم المطبوعات » ص ١٨١٧ نقلاً عن الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة للشيخ عبد القادر المصري ، وتوجد ترجمته نقلاً عن الجواهر المضيَّة في أوَّل كتابه مناقب أبي حنيفة ، والمعاجم بأسرها فارغةٌ عن بسط القول في مشايخه وتلامذته والرُّواة عنه وتآليفه القيّمة ، فنحن نأخذ دروس تلكم النواحي من تآليفه وإجازات مشيخة العلم والحديث .

مشايخه في الأخذ والرواية :

١ ـ الحافظ نجم الدين عمر بن محمَّد بن أحمد النسفي المتوفّى ٥٣٧ ، أخذ منه العلم ويروي عنه .

٢ ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفّى ٥٣٨ ، قرأ عليه في العربيّة والأدب ويروي عنه .

٣ ـ أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي[1] الهروي المتوفّى ٥٤٨ ، أخذ عنه الحديث في منصرفه من الحجِّ ببغداد كما في الجزء الأوّل من مقتله .

٤ ـ أبو الحسن عليُّ بن الحسين الغزنوي الملقب بالبرهان المتوفّى ٥٥١ ، أخذ منه الحديث في مدينة السَّلام في داره سلخ ربيع الأوّل سنة ٥٤٤ .

٥ ـ شيخ الدين أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمويه الجويني البرذي المتوفّى ٥٥١ .

٦ ـ أبو بكر محمَّد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني المتوفّى ٥٥٢ ، أخذ منه الحديث في مدينه السَّلام .

---
(١) بالفتح نسبة الى كروخ بلدة بنواحي هرات .

٧ - مجد الدين أبو الفتوح محمَّد بن أبي جعفر محمَّد الطائي المتوفّى ٥٥٥، يروي عنه مكاتبة.

٨ - زين الدين أبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي المتوفّى ٥٥٨، يروي عنه بالإجازة وبينهما مكاتبات.

٩ - أبو العلا الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمَّد العطار الهمداني المتوفّى ٥٦٩ يروي عنه بالإجازة.

١٠ - أبو المظفَّر عبد الملك بن عليّ بن محمَّد الهمداني نزيل بغداد، له منه إجازة.

١١ - أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المروزي، يروي عنه بالمكاتبة.

١٢ - أبو الفرج شمس الأئمَّة محمّد بن أحمد المكي أخوه كما نصَّ به في مقتله ويعبّر عنه هناك بالإمام الأجلّ الكبير أخي سراج الدين ركن الإسلام شمس الأمَّة إمام الحرمين. ثمّ يترحّم عليه، يروي عنه إملاءً.

١٣ - أبو طاهر محمّد بن محمّد الشيحي الخطيب بمرو وله منه إجازة.

١٤ - أبو بكر محمّد بن الحسن بن أبي جعفر بن أبي سهل الزورقي، يروي عنه بالمكاتبة.

١٥ - أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي[١].

١٦ - أبو عفان عثمان بن أحمد الصرام الخوارزمي.

١٧ - نجم الدين أبو منصور محمّد بن الحسين بن محمّد البغدادي، له منه إجازة كما ذكره الحمويي في « فرائد السمطين ».

١٨ - أبو داود محمّد بن سليمان بن محمّد الخيام الهمداني، يروي عنه بالمكاتبة.

---

(١) الباقرحي بفتح القاف نسبة الى باقرحا من قرى بغداد.

١٩ ـ الحسن بن النجّار يروي عنه كما في « فرائد السمطين » للحمويي.

٢٠ ـ أبو محمّد عبّاس بن محمّد بن أبي منصور الفضاري الطوسي.

٢١ ـ كمال الدين أبو ذر أحمد بن محمّد بن بندار.

٢٢ ـ أفضل الحفّاظ تاج الدين محمّد بن سمّان بن يوسف الهمداني، يروي عنه بالمكاتبة.

٢٣ ـ فخر الأئمّة أبو الفضل بن عبد الرَّحمن الحفربندي يروي عنه بالإجازة.

٢٤ ـ الشيخ سعيد بن محمّد بن أبي بكر الفقيهي يروي عنه بالإجازة كما في مقتله.

٢٥ ـ أبو علي الحدّاد.

٢٦ ـ سيف الدين أبو جعفر محمّد بن عمران بن أبي علي الجمحي يروي عنه بالمكاتبة.

٢٧ ـ أبو الحسن بن بشران العدل أخذ عنه الحديث ببغداد.

٢٨ ـ المبارك بن محمّد الشعطي.

٢٩ ـ ركن الأئمّة عبد الحميد بن ميكائيل.

٣٠ ـ أبو القاسم منصور بن نوح الشهرستاني أخذ منه الحديث في رجوعه من حجّه سنة ٥٤٤ بشهرستان.

٣١ ـ أبو الفضل عبد الرَّحمن بن محمّد الكرماني.

٣٢ ـ أبو داود محمود بن سليمان بن محمّد الهمداني، يروي عنه وبينهما مكاتبة.

٣٣ ـ سديد الدين محمّد بن منصور بن علي المقري المعروف بالديواني.

٣٤ - أبو الحسن عليٌّ بن أحمد الكرباسي يروي عنه إملاء.

٣٥ - الإمام مسعود بن أحمد الدهستاني يروي عنه بالمكاتبة.

تلامذته والرواة عنه:

١ - برهان الدين أبو المكارم ناصر بن أبي المكارم عبد السيِّد المطرزي الخوارزمي الحنفي المولود ٥٣٨ والمتوفّى ٦١٠، قرأ على المترجم وأخذ منه كما في « بغية الوعاة » ص ٤٠٢ و« مفتاح السعادة » ج ١ ص ١٠٨ ويروي عنه كما في « فرائد السمطين » وفي إجازة العلاّمة الحلّي الكبيرة لبني زهرة، والإجازة الكبيرة لصاحب المعالم.

٢ - مسلم بن علي بن الاخت يروي عنه كتابه « المناقب » كما في إجازة أحد تلامذة الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي المتوفّى ٦٨٩ للسيِّد شمس الدين محمّد بن جمال الدين أحمد استاذ الشهيد الأوَّل[1].

٣ - الشيخ أبو الرِّضا طاهر بن أبي المكارم عبد السيِّد بن علي الخوارزمي يروي عنه كتابه « المناقب » كما في الإجازة المذكورة الأخيرة.

٤ - الشيخ أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الحسيني يروي عنه كتابه « المناقب » كما في الإجازة التي أوعزنا إليها.

٥ - أبو جعفر محمّد بن علي بن شهراشوب السروي المازندراني المتوفّى ٥٨٨ كما في « المقاييس » وكانت بينه وبين المترجم مكاتبة كما في أوَّل مناقبه.

٦ - جمال الدين إبن معين يروي عنه كتاب مقتله كما ذكره الحمويي في « فرائد السمطين ».

---

(١) استظهر العلامة المجلسي في كتاب اجازات البحار ص٣٠ :ان الاجازة المذكورة للسيد محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوى.

٧ ـ أبو القاسم ناصر بن أحمد بن بكر النحوي المتوفّى سنة ٦٠٧ قرأ على المترجم كما في « بغية الوعاة » ص ٤٠٢.

تآليفه

إنَّ تضلّع الرجل في الفقه والحديث والتاريخ والأدب إلى علوم متنوِّعة اخرى وكثرة شهرته في عصره ومكاتبته مع أساتذة الفنون تستدعي لـه تآليف كثيرة، وأحسب أنَّ الأمر كان كذلك لكن ما اشتهر منها إلّا كتبـه السبعة التي قضت على أكثرها الأيّام وهي:

١ ـ كتاب مناقب الإمام أبي حنيفة المطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٢١ في مجلّدين.

٢ ـ كتاب ردّ الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام ذكره له معاصره والرّاوي عنه أبو جعفر ابن شهراشوب في « المناقب » ج ١ ص ٤٨٤.

٣ ـ كتاب الأربعين في مناقب النبيِّ الأمين ووصيِّه أمير المؤمنين [صلوات الله عليهما وآلهما] كما في مقتله يرويه عنه أبو جعفر ابن شهراشوب وقـال: كاتبني به مؤلِّفه الخوارزمي، وينقل عنه كثيراً في « المناقب » ونحن راجعنـا الأحاديث المنقولة عنه في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كتاب مناقبه الدائر السائر وما وجدناها فيه فاحتمال إتّحاد كتابه هذا مع مناقبه في غير محلّه.

٤ ـ كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام ذكره ا. إبن شهراشوب في منـاقبه ج١ ص٤٨٤.

٥ ـ كتاب مقتل الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه يرويه عنه جمال الدين إبن معين كما في الإجازات رتَّبه على خمسة عشر فصلاً في مجلّدين وإليك فهرست فصوله:

١ ـ في ذكر شيءٍ من فضائل النبيِّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ في فضائل ام المؤمنين خديجة بنت خويلد.

٣ ـ في فضائل فاطمة بنت أسد ام أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ نماذج من فضائل أمير المؤمنين وذريّته الطاهرة صلوات الله عليهم.

٥ ـ في فضائل الصّديقة فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ ـ في فضائل الحسن والحسين عليهما الصلاة والسّلام.

٧ ـ في فضائل الحسين خاصّة.

٨ ـ في اخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسين وأحواله.

٩ ـ في ما جرى بينه وبين الوليد ومروان حال حياة معاوية وبعد وفاته.

١٠ ـ في أحواله مدّة مقامه بمكّة وبيان ما ورد عليه من كتب أهل الكوفة وإرساله مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومقتله بها.

١١ ـ في خروجه من مكّة إلى العراق وما جرى عليه في طريقه ونزوله بالطفّ ومقتله بها.

١٢ ـ في عقوبة قاتله وخاذله صلى الله عليه ولعن قاتله.

١٣ ـ في ذكر المصيبة به ومرثيته عليه السلام.

١٤ ـ في ذكر زيارة تربته.

١٥ ـ في انتقام مختار بن أبي عبيد الثقفي من قاتليه وخاذليه.

١٦ ـ ديوان شعره قال الچلبي في كشف الظنون ج ١ ص ٥٢٤: ديوانه جيِّدٌ وكان في الشعر في طبقة معاصريه.

١٧ ـ كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بالمناقب المطبوع سنة ١٢٢٤ وهذا الكتاب يرويه عن المؤلّف غير واحد من أئمّة الحديث كما مرّ الإيعاز إليه، منهم:

١ ـ الشيخ مسلم بن علي بن الاخت.

٢ ـ الشيخ أبو الرِّضا طاهر بن أبي المكارم عبد السيِّد الخوارزمي.

٣ ـ السيِّد أبو محمّد عبد الله بن جعفر الحسيني.

٤ ـ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي المتوفّى ٦٨٩ قال: قرأت كتاب المناقب للخوارزمي على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الحسيني في سنة ٥٩٣.

٥ ـ برهان الدين أبي المكارم ناصر بن أبي المكارم المطرزي.

٦ ـ قال الأميني: وأنا أروي هذا الكتاب عن فقيه الطائفة في علويَّة الشيعة آية الله الحاج آقاحسين القمي[١] المتوفّى ١٤ ربيع الأوَّل ١٣٦٦، عن العلاّمة الأكبر السيِّد مرتضى الكشميري المتوفّى ١٣٢٣، عن السيّد مهدي القزويني المتوفّى ١٣٠٠، عن عمِّه السيِّد محمَّد باقر بن أحمد القزويني المتوفّى ١٢٤٦، عن خاله السيِّد محمَّد المهدي بحر العلوم المتوفّى ١٢١٢، عن الاستاذ الأكبر البهبهاني المتوفّى ١٢٠٨، عن والده الأكمل البهبهاني، عن جمال الدين الخوانساري المتوفّى ١١٢٥، عن العلاّمة التقيِّ المجلسي المتوفّى ١٠٧٠، عن الشيخ جابر بن عبّاس النجفي عن المحقِّق الكركي الشهيد ٩٤٠، عن الشيخ

---

(١) هو الفقيه من ال محمد، وجماع الفضل الكثار من مآثر أولئك الصفوة، بطل المسلمين والفقيه المقدم الورع الزاهد والمجاهد الناهض الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ومنبثق مكارم الاخلاق الى فضائل جمة يفوتها حد الاحصاء، وقصارى القول: انه لو كانت لهذه المناقب شخصية ماثلة لماعدته، أنالا احاول سرد القول عن فقاهته وتقواه وزهادته وقداسته وكرامته على الدين وعند المؤمنين فانهاحقائق جلية وإنما انوّه بكلمة لا أكثر منها عن بطولته وشجاعته وشممه واباءه، وهو ذلك البطل الناهض المدافع عن الدين وعن شرعة جده الامين من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، هذه حقيقة عرفها الملأ الديني السابر صحيفته البيضاء في مناوئته جبابرة الوقت وطواغيت الزمن بجاش طامن، وقلب مطمأن، وجنان ثابت، وروح قوية، ومثابرة جبارة، نعم يقابل هـذا اليفن الكبير بعزمه الفتيّ أقوى العوامل الفعالة، يقابل عدتها والعتاد، يقابل غلوائها بشخصية عزلاء الا عن الشجاعة الدينية، وقوة الايمان. وابهة العلم والتقوى، وعز المجد والشرف، ومنعه السؤدد والخطر، فكانت من جراء هاتيك كلها أعمال مبرورة ومساع مشكورة حتى انتهت الى هجرته من خراسان ببثّ المعروف واكتساح المنكر واقامة عمد الدين حتى ألقى عصا السير في كربلاء المشرفة وهو رابض فيها بحمى عمه الامام الشهيد ينتظر آونة الوثبة مرة اخرى الى أن اتيحت له بعد أن كبت بمناوئه بطنته، وأجهز عليه أمله، ولم يبق منه الا البدع والمخازي، فقفل سيدنا المترجم الى ايران ولم يبرح بها حتى اكتسح تلكم المعرات، ولقي من حفاوة المؤمنين به ما لا يوصف، وعرج على العراق تعريجه الفاتح الظافر، ولم يزل بها حتى أهاب به داعي ربه فأجابه.

زين الدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أبي العبّاس أحمد بن فهد الحلّي المتوفّى ٨٤١، عن الشيخ شرف الدين أبي عبد الله الحلّي الأسدي المتوفّى ٨٢٦، عن شيخنا الشهيد الأوّل المستشهد ٧٨٦، عن رضي الدين أبي الحسن علي المزيدي الحلّي المتوفّى ٧٥٧، عن آية الله العلاّمة الحلّي المتوفّى ٧٢٦، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد الحلّي المتوفّى ٦٨٩، عن السيِّد أبي محمَّد عبد الله بن جعفر الحسيني عن المؤلّف الخوارزمي.

وبطريق آخر للعلاّمة الحلّي عن برهان الدين أبي المكارم ناصر بن أبي المكارم عن أبي المؤيَّد المؤلِّف الخوارزمي.

وهذا الكتاب [المناقب] نسبه إليه الذهبي في « ميزان الإعتدال » ج ٣ ص ٢٠ في ترجمة محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان وقال: لقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجّال إبن شاذان أحاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب السيِّد عليّ رضي الله عنه[1].

وذكره له الچلبي في « كشف الظنون » ج ٢ ص٥٣٢ وقال: مناقب عليّ بن أبي طالب لأبي المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي.

وينقل عنه من عصره حتّى اليوم جمعٌ من حملة الحديث منهم:

١ - الحافظ مفتي الحرمين صاحب [كفاية الطالب المطبوع في مصر والعراق وايران] الكنجي الشافعي المتوفّى ٦٥٨، ينقل عنه في الكتاب ص ١٢٠ و١٢٤ و١٤٨ و١٨٢ و١٩١ و١٥٢ ط النجف الأشرف ونصّ بنسبة الكتاب إلى المترجم في غير واحد من تلكم المواضع.

---

(١) لقد اندفع الذهبي في قيله هذا الى ما هو شنشنة كثير من قومه « وهو بمقربة منه » من تخرق الوقيعة في الصالحين والسباب من غير سبب والتحكم بالباطل لا عن موجب له، فحسب ابن شاذان دجلا وهو ذلك العبد الصالح، والعالم المتبحر، والراوية النيقد، وحسب احاديثه أباطيل سمجة ركيكة على حين انه لم ينفرد بروايتها وانما خرجها قبله محدثو أهل السنة في مسانيدهم وهي مما أطبق على روايته الفريقان. نعم: التصقت بها الركة والسماجة في مزعمة الذهبي لانها فضائل مولانا امير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ سيِّد الأصحاب رضيُّ الدين إبن طاووس المتوفّى ٦٦٤ ينقل عن الكتاب في تأليفه [اليقين في أنّ عليّاً أمير المؤمنين] في غير واحد من أبوابه، وقال في الباب السادس والعشرين: الخوارزمي صاحب « المناقب » من أعظم علماء الأربعة المذاهب وقد أثنوا عليه وذكروا ما كان عليه من المناقب. وقال في موضع آخر: هو الذي أثنى عليه ومدحه محمَّد بن النجّار شيخ المحدِّثين ببغداد وزكّاه.

٣ ـ العلاّمة يوسف بن أبي حاتم الشامي ينقل عنه كثيراً في [الدرِّ النظيم في الأئمَّة اللهاميم] مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٤ ـ بهاء الدين عليّ بن عيسى الأربلي المتوفّى ٦٩٢ نقل عنه كثيراً في كتابه « كشف الغمَّة » مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٥ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الشيخ إبراهيم الحمويي المتوفّى ٧٢٢؛ يروي عنه في كتابه « فرائد السمطين » مصرِّحاً بنسبة الكتاب إليه.

٦ ـ اية الله العلاّمة الحلّي المتوفّى ٧٢٦، ينقل عنه في كتابه «كشف اليقين».

٧ ـ نور الدين إبن الصبّاغ المكّي المالكي المتوفّى ٨٥٥، قد أكثر النقل عنه قائلا بأنّ الخوارزمي روى في « المناقب ».

٨ ـ الشيخ عليّ بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفّى ٨٧٧؛ ينقل عنه في كتابه [الصراط المستقيم].

٩ ـ إبن حجر العسقلاني المتوفّى ٩٧٣، روى عن الخوارزمي حديث زفاف الزهراء سلام الله عليها والحديث موجودٌ في [المناقب].

١٠ ـ السيّد هاشم بن سليمان التوبلي البحراني المتوفّى ١١٠٧، ينقل عنه في [غاية السرام] وغيره.

١١ ـ شيخنا أبو الحسن الشريف المتوفّى ١١٣٨، ينقل عنه كثيراً في

كتابه [ضياء العالمين] في الإمامة الموجود عندنا قائلاً في بعض مواضعه: رواه الخطيب الخوارزمي المشهور الموثوق به عندهم بنصِّ جماعة منهم في كتاب مناقبه.

١٢ ـ السيِّد الشبلنجي الشافعي نصَّ في كتابه [نور الأبصار] على نسبة الكتاب إلى الخوارزمي وينقل عنه.

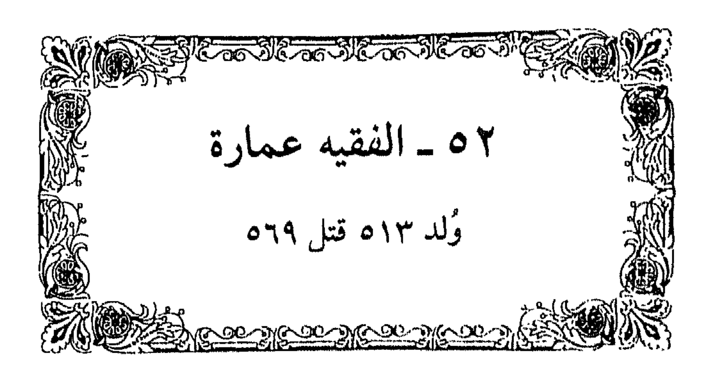
١٣ ـ القاضي القندوزي الشافعي ينقل عنه في كتابه [ينابيع المودَّة] معبِّراً عن الكتاب بفضائل أهل البيت.

١٤ ـ السيِّد أبو بكر بن شهاب الدين الحضرمي الشافعي، ينقل عنه في « رشفة االصادي » معبِّراً عنه بكتاب المناقب.

شعره وخطبه، ولادته ووفاته

قال الصفدي كما في « بغية الوعاة »: إنَّ للمترجم خطبٌ وشعرٌ. ولم نقف على شيءٍ من خطبه وكلمه وشعره غير ما في كتابيه: « المناقب » و« مقتل الإمام السبط » إلاّ القليل، مع أنَّ له ديوان شعر كما ذكره الچلبي؛ ويوجد شطر من شعره في « المناقب » لابن شهراشوب، و« الصِّراط المستقيم » للبياضي، و« معجم الادباء » للحموي ج٣ ص٤١ في ترجمة أبي العلاء الهمداني المتوفَّى سنة ٥٦٧.

وُلد المترجم في حدود سنة ٤٨٤ كما في « بغية الوعاة » و« طبقات الحنفيَّة » لمحيي الدين الحنفي، وديباجة كتابه مناقب أبي حنيفة عن القفطي، و« الوافي بالوفيات » للصفدي، وفي « الفوائد البهيَّة » انّ مولده سنة ٤٨٤.
وتوفي سنة ٥٦٧ كما في «بغية الوعاة» عن القفطي، وفي « الفوائد البهيَّة » عن الصفدي، والتقيّ الفارسي مؤلّف « العقد الثمين » في تاريخ البلد الأمين عن الذهبي في « تاريخ الإسلام »، وهكذا أرّخها الچلبي في كشف الظنون، والخوانساري في روضات الجنات، فما في الفوائد البهيَّة عن القفطي: انّه توفي سنة ٥٦٩ تصحيفٌ واضحٌ، وقد نقله عنه صحيحاً السيوطي وغيره، كما انّ ما في الفوائد من ٥٦٩. وما في تاريخ أداب اللغة من انَّه توفي سنة ٥٦٧ بعيدان عن الصَّواب « والله العالم ».



٥٢ ـ الفقيه عمارة

وُلد ٥١٣ قتل ٥٦٩

ولاءك مفروضٌ على كلِّ مسلمٍ   وحبّك مفروضٌ وأفضل مغنمِ
إذا المرء لم يُكرم بحبِّك نفسه   غدا وهو عند الله غير مُكرَّمِ
ورثت الهدى عن نصّ عيسى بن حيدر   وفاطمةٍ لا نصَّ عيسى بن مريمِ
وقال: أطيعوا لابن عمّي فإنّه   أميني على سرِّ الإِلٓه المكتَّمِ
كذلك وصّى المصطفى وابن عمّه   إلى منجد يوم « الغدير » ومتهمِ
على مُستوىً فيه قديمٌ وحادثٌ   وإن كان فضل السبق للمتقدِّمِ
ملكت قلوب المسلمين ببيعةٍ   أمدَّت بعقدٍ من ولائك مبرمِ
واوتيت ميراث البسيطة عن أبٍ   وجدٍّ مضى عنها ولم يتقسَّمِ
لك الحقّ فيها دون كلِّ مُنازعٍ   ولو أنّه نال السّماك بُسلّمِ
ولو حفظوا فيك الوصيّة لم يكن   لغيرك في أقطارها دون درهمِ [1]

وله من قصيدة تأتي يرثي بها أهل القصر قوله:

والأرض تهتزُّ في يوم « الغدير » كما   يهتزُّ ما بين قصريكم من الأسلِ

(الشاعر)

الفقيه نجم الدين أبو محمَّد عمارة بن أبي الحسن عليّ بن زيدان بن

---

(١) يمدح بها الخليفة العاضد بن الظافر.

أحمد الحكمي اليمني، من فقهاء الشيعة الإماميَّة ومدرِّسيهم ومؤلِّفيهم ومن شهداء أعلامهم على التشيّع، وقد زان علمه الكامل وفضله الباهر أدبه الناصع المتقارب من شعره المتألق، وإنّك لا تدري إذا نظم شعراً هل هو يُنضِّد درّاً؟ أو يفرغ في بوتقة القريض تبراً؟ فقد ضمَّ شعره إلى الجزالة قوّةً، وإلى السَّلاسة رونقاً، وفوق كلِّ ذلك مودّته المتواصلة لعترة الوحي وقوله بإمامتهم عليهم السَّلام حتّى لفظ نفسه الأخير ضحيّة ذلك المذهب الفاضل؛ وقد أبقت تآليفه القيّمة وآثاره العلميّة والأدبيّة له ذكراً خالداً مع الأبد منها: النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة. وتاريخ اليمن. وكتاب في الفرائض. وديوان شعره، وقصيدةٌ كتبها إلى صلاح الدين سمّاها: [شكاية المتظلّم ونكاية المتألِّم].

قال في كتابه « النكت العصريَّة »[1] ص٧ عند ذكر نسبه: فأمّا جرثومة النسب فقحطان ثمَّ الحكم بن سعد العشيرة المذحجي، وأمّا الوطن فمن تهامة باليمن مدينة مرطان من وادي وساع وبُعدها من مكّة في مهبِّ الجنوب أحد عشر يوماً، وبها المولد والمربى وأهلها بقيّة العرب في تهامة، وكانت رئاستهم وسياستهم تنتهي إلى المشيب بن سليمان وهو جدّي من جهة الوالدة، وإلى زيدان بن أحمد وهو جدّي لأبي، وهما إبنا عمّ، وكان زيدان يقول: أنا أعدّ أسلافي أحد عشر جدّاً ما منهم إلّا عالمٌ مصنِّف في عدَّة علوم، ولقد أدركت عمِّي عليّ بن زيدان، وخالي محمّد بن المشيب، ورئاسة حكم بن سعد العشيرة تقف عليهما وتنتهي إليهما. إلى أن قال: قلتُ لأخي يحيى يوماً: من القائل في جدّيك: المشيب بن سليمان وزيدان بن أحمد:

إذا طرقتك أحداث الليالي ... ولم يوجد لعلّتها طبيبُ

وأعوز من يجيرك من سطاها ... فزيدان يجيرها والمشيبُ

هما ردّا عليَّ شتيت ملكي ... ووجه الدّهر من رغم قطوبُ

وقاما عنه خذلاني بنصري ... قياماً تستكين به الخطوبُ

---

(١) طبع مع مختار ديوانه في ٣٩٩ صحيفة في (شالون) على نهر (سون) بمطبع مرسو سنة ١٨٩٧ المسيحية.

فقال: هو السلطان عليّ بن حبابة الفرودي كان قومه قد أخرجوه من ملكه وأفقروه من ملكه وولّوا عليهم أخاه سلامة فنزل بهما فسارا معه في جموع من قومهما حتّى عزلا سلامة وولّيا عليّاً وأصلحا له قومه، وكان الذي وصل إليه من برِّهما وأنفقاه على الجيش في نصرته، وحملا إليه من خيل ومن إبل ما ينيف على خمسين ألفاً من الذهب، قال يحيى: وفي أبي وخالي يقول مدبِّر الشاعر الحكمي من قصيدة طويلة:

أبــواكمـا ردّا على ابن حبــابــةٍ ... مـلكــاً تبــدَّد شمله تبــدـــدا
كفل المشيب على الحسام بعوده ... مُـذْ صـال زيــدانٌ بـه فــأعيـدا
وبنيتمــا مــا شيّــدا من سؤددٍ ... قــدماً فــأشبه والــدُ مـولــودا

قـرّبن وحدَّثني أبي قال: مرض عمّك عليّ مرضاً أشرف فيه على الموت ثمَّ أبلَّ منه فأنشدته لرجل من بني الحارث يُدعى سلم بن شافع كان قد وفد عليه يستعينه في دية قتيل لزمته فلمّا شغلنا بمرض صاحبنا إرتحل الحارثي إلى قومه وأرسل إليَّ بقصيدة منها:

إذا أودى ابـــن زيـــدانٍ عـــليٌّ ... فـلا طلعتْ نجـومُـك يـا سمــاءُ
ولا اشتمــل النســاء على جنين ... ولا روّى الثــرى للسحب مــاءُ
على الــدنيـا وســاكنهـا جميعــاً ... إذا أودى أبــو الحسـن العـفــاءُ

قال فبكى عمّك وأمرني باحضار الحارثي ودفع له ألف دينار وساق عنه الدية بعد ستة أشهر، وكان إذا رآه أكرمه ورفع مجلسه، وبسط القول في جود عمّه عليّ بن زيدان وسعة ثروته وعظم شجاعته. ثمَّ قال ما ملخصه: أدركتُ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وفي سنة إحدى وثلاثين بعثني والدي إلى زبيد مع الوزير مسلم بن سخت فنزلت فيها ولازمت الطلب فأقمت أربع سنين لا أخرج عن المدرسة إلّا لصلاة يوم الجمعة، وفي السنة الخامسة زرت الوالدين وأقمت في زبيد ثلاث سنين وجماعة من الطلبة يقرؤون عندي مذهب الشافعي والفرائض في المواريث، ولي في الفرائض مصنَّف يُقرأ في اليمن، وفي سنة تسع وثلاثين زارني والدي وخمسة من اخوتي إلى زبيد وأنشدت والدي

شيئاً من شعري فاستحسنه ثمَّ قال: تعلم والله إنَّ الأدب نعمةٌ من نعم الله عليك فلا تكفرها بذمٍّ الناس واستحلفني أن لا أهجو مسلماً قطُّ ببيت شعر فحلفت له على ذلك، وحججت مع الملكة الحرَّة ام فاتك ملك زبيد، وخرجت مرَّة اخرى إلى مكّة سنة تسع وأربعين وخمس مائة وفي موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة وولّى الحرمين ولده قاسم بن هاشم فألزمني السفارة عنه والرسالة المصريَّة فَقَدمتها في شهر ربيع الأوَّل سنة خمسين وخمسمائة والخليفة بها يومئذ الإمام الفائز بن الظافر، والوزير له الملك الصّالح طلائع بن رُزّيك، فلمّا احضرت للسّلام عليهما في قاعة الذهب في قصر الخليفة أنشدتهما قصيدة أوَّلها:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمداً يقوم بما أولت من النعم

لا أجحد الحقّ عندي للركاب يد ... تمنّت اللجم فيها رتبة الخطم

قرَّبن بُعد مزار العزِّ من نظري ... حتّى رأيت إمام العصر من أمم

ورُحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفداً إلى كعبة المعروف والكرم

فهل درى البيت انّي بعد فرقته ... ما سرتُ من حرم إلّا إلى حرم ؟!

حيث الخلافة مضروبٌ سُرادقها ... بين النقيضين من عفو ومن نقم

وللإمامة أنوارٌ مقدّسةٌ ... تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم

وللنبوَّة أبيات ينصُّ لنا ... على الخفيّين من حُكم ومن حكَم

وللمكارم أعلامٌ تُعلّمنا ... مدح الجزيلين من بأس ومن كرم

وللعُلى ألسن تثني محامدها ... على الحميدين من فعل ومن شيم

وراية الشرف البذّاخ ترفعها ... يد الرفيعين من مجد ومن همم

أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً ... فوز النجاة وأجر البرِّ في القسم

لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما ... وزيره الصّالح الفرّاج للغمم

اللابس الفخر لم تنسج غلائله ... إلّا يدا لصنيع السيف والقلم

وجوده أوجد الأيّام ما اقترحت ... وجوده أعدم الشاكين للعدم

قد ملّكته العوالي رقّ مملكة ... تعير أنف الثريّا عزّة الشمم

أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني ... في يقظتي انّها من جملة الحلم

يومٌ من العمر لم يخطر على أملي ... ولا ترقَّت إليه رغبة الهممِ
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود مدحٍ فما أرضى لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلةٌ ... عند الخلافة نصحاً غير متَّهمِ
عواطفٌ علّمتنا أنَّ بينهما ... قرابة من جميل الرأي لاالرَّحمِ
خليفةٌ ووزيرٌ مدَّ عدلهما ... ظلاًّ على مفرق الإسلام والاممِ
زيادة النيل نقصٌ عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى مُنّة الديمِ

وعهدي بالصالح وهو يستعيدها في حال النشيد مراراً والاستاذون وأعيان الامراء والكبراء يذهبون في الإستحسان كلَّ مذهب، ثمَّ افيضت عليَّ خلع من ثياب الخلافة المذهَّبة ودفع لي الصالح خمسمائة دينار، وإذا بعض الأستاذين قد أخرج لي من عند السيِّدة الشريفة بنت الإمام الحافظ خمسمائة دينار أخرى، وحمل المال معي إلى منزلي، واطلقت لي من دار الضيافة رسومٌ لم تطلق لأحد من قبلي، وتهادتني امراء الدولة إلى منازلهم للولائم، واستحضرني الصّالح للمجالسة، ونظمني في سلك أهل المؤانسة، وانثالت عليَّ صِلاته وغمرني برُّه، ووجدت بحضرته من أعيان أهل الأدب الشيخ الجليس أبا المعالي ابن الحباب[١] والموفّق ابن الخلّال صاحب ديوان الإنشاء، وأبا الفتح محمود بن قادوس[٢] والمهذّب أبا محمَّد الحسن بن الزبير، وما من هذه الحلبة أحدٌ إلاّ ويضرب في الفضائل النفسانيَّة والرئاسة الإنسانيَّة بأوفر نصيب ويرمي شاكلة الأشكال فيصيب.

وقال في ص ٦٩: لمّا جلس شاور في دار الذهب قام الشعراء والخطباء ولفيفٌ من الناس إلاّ الأقلّ ينالون من بني رُزِّيك وضرغام نائب الباب ويحيى بن الخيّاط اسفهسلّار[٣] العساكر وكانت بيني وبين شاور أنسة تامَّة مستحكمة فأنشدته في اليوم الثاني من جلوسه والجمع حافلٌ قصيدة أوَّلها:

صحّت بدولتك الأيام من سقمِ ... وزال ما يشتكيه الدَّهر من ألمِ

---

(١) أحد شعراء العصر تقدمت ترجمته في هذا الجزء ص٤٣١.
(٢) أحد شعراء العصر أسلفنا ترجمته في هذا الجزء ص ٣٨١.
(٣) معرب «سپهسالار» قائد الجيش.

زالت ليالي بني رُزِّيك وانصرمت   والحمد والذم فيها غير مُنصرمِ
كأنَّ صالحهم يوماً وعادلهم   في صدر ذاك الدست لم يقعد ولم يقمِ
هم حرَّكوها عليهم وهي ساكنةٌ   والسِّلم قد تنبت الأوراق في السّلمِ
كنّا نظنُّ وبعض الظنِّ مأثمةٌ   بأنَّ ذلك جمعٌ غير منهزمِ
فمذ وقعتَ وقوع النسر خانهمُ   من كان مجتمعاً من ذلك الرخم

كان ضرغام ينقم عليَّ هذا البيت ويقول: أنا عندك من الرخم.

ولم يكونوا عدوّاً زلَّ جانبه   وإنَّما غرقوا في سيلك العرمِ
وما قصدت بتعظيمي سواك سوى   تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم
ولو شكرتُ لياليهم محافظةً   لعهدها لم يكن بالعهد من قدم
ولو فتحت فمي يوماً بذمِّهمُ   لم يرض فضلك إلاّ أن يسدّ فمي
والله يأمر بالإحسان عارفة   منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

فشكرني شاور وابناه في الوفاء لبني رُزّيك. اهـ.

كان يحمي الذمار بالذمارة، ويوفي بعهد من صاحبه ونادمه ويدافع عنه بصراحة اللهجة، وله مواقف مشكورة تنمُّ عن أنّه ذو حفاظ وذو محافظة، حضر يوماً هو والرضي أبو سالم يحيى الأحدب بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤ بعد موت الخليفة العاضد عند نجم الدين أيّوب بن شادي فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفا   منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجّل الله هذي الدار تسكنها   وقد أعدَّ لك الجنّات والغرفا
تشرَّفت بك عمَّن كان يسكنها   فالبس بها العزَّ ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفاً والدار لؤلؤة   وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يردُّ عليه:

أثِمتَ يا من هجا السادات والخلفا   وقلت ما قلته في ثلبهم سخفا
جعلتهم صَدفاً حلوا بلؤلؤة   والعرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وإنَّما هي دارٌ حلَّ جوهرهم   فيها وشفَّ فأسناها الذي وصفا

فقـال: لؤلؤة عجبـاً ببهجـتهـا　　وكونها حـوت الأشراف والشـرفا
فهم بسكنـاهم الآيات إذ سكنـوا　　فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجـوهر الفـرد نورٌ ليس يعـرفه　　من البـريَّـة إلّا كـلّ من عـرفـا
لـولا تجسّمهم فيـه لكـان على　　ضعف البصائر للأبصار مختـطفا
فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة[١]　　لأنَّ فيـه حفـاظـاً دائمـاً ووفـا

قال المقريزي : فللّه درُّ عمارة لقد قام بحقِّ الوفاء ووفى بحسن الحفـاظ كما هي عادته ، لا جرم أنَّه قُتل في واجب من يهـوى كما هي سنَّـة المحبين ، فالله يرحمه ويتجاوز عنه .

لا جرم انَّه قُتل في واجب من يهوى كما هي سنَّة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه.

وله قصائد يرثي أهل القصر من الملوك الفاطميِّين بعد انقراض دولتهم وفاءً بعهدهم منها قصيدةٌ أوَّلها:

لا تنـدبنْ ليلى ولا أطـلالـهـا　　يـومـاً وإن ظعنت بهـا أجمـالهـا
واندب هديت قصور سادات عفت　　قـد نـالهم ريب الـزمـان ونـالهـا
درست معـالمهم لدرس ملوكهم　　وتغيَّـرت من بعـدهم أحـوالهـا

ومنها:

رميتَ يا دهر كفَّ المجد بالشللِ　　وجيده بعد حسن الحلي بالعطلِ
سعيتَ في منهج الرأي العثور فإن　　قدرتَ من عثرات الدهر فاستقلِ
جدعتَ مارنك الأقنى فأنفـك لا　　ينفكُّ ما بين قرع السنِّ والخجلِ
هدمتَ قاعدة المعروف عن عجلٍ　　سعيتَ مهلاً أما تمشي على مهلٍ؟
لهفي ولهف بني الآمـال قـاطبةً　　على فجيعتهـا في أكـرم الـدُّولِ
قـدمتُ مصـر فـأولتني خـلائفهـا　　من المكارم ماأربى على الأمـلِ
قومٌ عرفتُ بهم كسب الالوف ومن　　كمـالها انَّهـا جـاءت ولم أسـلِ
وكنتُ من وزراء الدست حين سما　　رأس الحصان يُهاديه على الكفلِ

---

(١) في منتخب ديوانه ص ٢٩٢ : معرفة .

ونلتُ من عظماء الجيش مكـرمة … وخلّة حرست من عارض الخللِ
يـا عاذلي في هـوى أبناء فـاطمةٍ … لك الملامة إن قصّرت في عذلي
بالله دُر ساحة القصرين وابك معي … عليهمـا لا على صفّين والجملِ
وقـال لأهليهما والله مـا التحمتْ … فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ
ما ذا عسى كانت الإفرنج فـاعلة … في نسل آل أمير المؤمنين علي؟!
هل كان في الأمر شيءٌ غير قسمة ما … ملكتمُ بين حكم السبي والنقلِ؟
وقد حصلتم عليها واسم جـدّكمُ … « محمّـد » وأبـوكم غيـر منتقلِ
مـررت بالقصـر والأركان خـاليةٌ … من الـوفـود وكـانت قبلة القبـلِ
فملت عنها بوجهي خـوف منتقدٍ … من الأعادي ووجه الـودّ لم يملِ
أسلت من أسفي دمعي غداة خلت … رحابكم وغدت مهجـورة السبلِ
أبكي على ما تراءت من مكارمكم … حال الزمان عليها وهي لم تحلِ
دار الضيـافة كـانت انس وافدكم … واليوم أوحش من رسم ومن طللِ
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم … تشكو من الدهر حيفاً غير محتملِ
وكسوة الناس في الفصلين قد درست … ورثّ منهـا جديـدٌ عنـدهم وبُلي
وموسمٌ كان في يوم الخليج لكم … يأتي تجمّلكم فيه على الجمـلِ
وأوّل العـام والعيـدين كم لكمُ … فيهنّ من وَبل جود ليس بالوشلِ
والأرض تهتزّ في يوم « الغدير » كما … يهتزّ ما بين قصريكم من الأسلِ
والخيل تعرض في وشي وفي شية … مثل العرائس في حُليٍ وفي حللِ
ولا حملتم قِرى الأضياف من سعة … الأطباق إلّا على الأكتاف والعجلِ
ومـا خصصتم ببرٍّ أهـل ملّتكم … حتّى عممتم به الأقصى من المللِ
كـانت رواتبكم لـلذمّتين ولـلـ … ـضيف المقيم وللطاري من الرُسلِ
ثمّ الـطراز بتنّيس الذي عـظمت … منها الصّلات لأهل الأرض والدُولِ
وللجـوامع من إحسـانكم نعمٌ … لمن تصـدّر في علم وفي عملِ
وربّمـا عـادت الـدنيـا فمعقلهـا … منكم وأضحت بكم محلولة العقلِ
والله لا فاز يوم الحشـر مبغضكم … ولا نجا من عذاب الله غيـر ولي

ولا سقى الماء من حرٍّ ومن ظمأٍ　　من كفِّ خير البرايا خاتم الرُّسلِ
ولا رأى جنَّة اللّه التي خُلقت　　من خان عهد الإمام العاضد بن علي
أئمَّتي وهُداتي والذخيرة لي　　إذا ارتهنت بما قدَّمت من عملي
تالله لم اوفهم في المدح حقَّهم　　لأنَّ فضلهمُ كالوابل الهطلِ
ولو تضاعفت الأقوال واتَّسعتْ　　ما كنتُ فيهم بحمد الله بالخجلِ
باب النجاة همُ دنيا وآخرة　　وحبّهم فهو أصل الدين والعملِ
نور الهدى ومصابيح الدُّجى ومحل الغيث إن ربت الأنواء في المحلِ
أئمَّةٌ خُلقوا نوراً فنورهمُ　　من محض خالص نور الله لم يفلِ
واللّه ما زلت عن حبّي لهم أبداً　　ما أخّر الله لي في مدَّة الأجلِ

قُتل المترجم بسبب هذه القصيدة مع جمع نسب إليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم إليه حتى يجلسوا ولداً للعاضد وكانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح الدين وأخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكراً فأمر بصلبهم وصلبوا يوم السبت في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة، وقد قبض عليهم يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان، وصلت مع الفقيه عمارة قاضي القضاة أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن الكامل، وابن عبد القوي داعي الدعاة، كان يعلم بدفائن القصر فعوقب ليدلَّ عليها فامتنع من ذلك فمات واندرست، والعويرس ناظر الديوان، وشبريا كاتب السرّ، وعبد الصَّمد الكاتب أحد امراء مصر، ونجاح الحمامي، ومنجِّمٌ نصرانيٌّ كان قد بشَّرهم بأنَّ هذا الأمر يتمُّ لهم.

قال الصفدي في [الغيث المنسجم]: انَّه لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه وحرَّض عليه لأنَّ صلاح الدين لمّا استشاره في أمره قال: يُنفى. قال: يُرجى رجوعه. قال يؤدَّب. قال: الكلب يسكت ثمَّ ينبح. قال: يُقتل. قال: الملوك إذا ارادوا فعلوا. وقام من فوره، فأمر بصلبه مع القاضي العويرس وجماعة معه من شيعتهم، ولَمّا اخذ ليشنق قال: مرّوا بي على

باب القاضي الفاضل، لحسن ظنّه فيه، فلمّا رآه قام وأغلق بابه فقال عمارة:

عبد العزيز قد احتجبْ ... إنَّ الخلاص من العجبْ

وذكر عماد الدين الكاتب في « الخريدة » لتاج الدين الكندي أبي اليمن بعد صلب المترجم:

عُمارة في الإسلام أبدى خيانةً ... وبايع فيها بيعة وصليبا

وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد ... وأصبح في حبِّ الصليب صليبا

وكان خبيث الملتقى إن عجمته ... تجد منه عوداً في النِّفاق صليبا

سيلقى غداً ما كان يسعى لنفسه ... ويُسقى صديداً في لظىً وصليبا

كان للمترجم مكانةٌ عاليةٌ عند بني رزّيك وله فيهم شعرٌ كثير يوجد في ديوانه وكتابه [النكت العصرية] وفي الثاني: انَّ الملك الصّالح طلائع بعث إليه بثلاثة آلاف دينار في ثلاثة أكياس وكتب فيها بخطِّه:

قل للفقيه عمارة: يا خير مَن ... قد حاز فهماً ثاقباً وخطابا

اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى ... قل: حطّة وادخل إلينا البابا

تجد الأئمَّة شافعين ولا تجد ... إلّا لدينا سنّة وكتابا

وعليَّ أنْ أُعلي محلّك في الورى ... وإذا شفعت إليَّ كنت مجابا

وتعجَّل الآلاف وهي ثلاثة ... ذهباً وقلَّ لك النضار مذابا

فراجعه عمارة بقوله:

حاشاك من هذا الخطاب خطابا ... يا خير أملاك الزَّمان نصابا

لكنْ إذا ما أفسدت علماؤكم ... معمور معتقدي وصار خرابا

ودعوتمُ فكري إلى أقوالكم ... من بعد ذاك أطاعكم وأجابا

فاشدد يديك على صفاء محبّتي ... وامنن عليَّ وسدَّ هذا البابا

توفّي للفقيه المترجم في حياته ستّة أولاد ذكور ورثاهم ألا وهم: عبد الله ويحيى ومحمّد وعطيّة وإسماعيل وحسين، وتوفّي أولا ولداه عبد الله ويحيى ثمّ بعدهما محمّد في سنة ٥٦ ليلة الإثنين ٤ جمادى الاولى بمصر ورثاهم بقصيدة أوّلها:

أحببت في خير أعضائي وأعضادي / وخيــر أهلي إذا عــدُّوا وأولادي
بأبلج الوجه من سعد العشيرة لم / يعرف بغير الندى والبشر في النادي

وله في رثاء محمّد قصيدة مطلعها:

سأبكي على ابني مدَّتي وحياتي / ويبكيـه عنّي الشعر بعـد مماتي

ومنها:

أتبلي المنـايا مهجـة ابن ذخرتـه / لـدهـري ويبلوني بخمس بنـات

وتوفّي بعدهم عطيَّة ورثاه بقصيدة منها:

عـطيَّة إن صـادفت روح محمَّـد / أخيك وصنويك العليَّين من قبلِ
فسلّم عليهم لا شقيت وقل لهم: / سقيتُ أباكم بعدكم جرعة الثكلِ

وقال في رثائه:

عــطيّــة إنْ ذقتَ طعم الحِمــام / فــإنَّ فــراقــك عــنــدي أمــرّ
هـوى كوكبٌ منـك بعد الـطلوع / ذوى غصنٌ منــك بعــد الثمــرْ
ولــو لـم تـكـن قـمــراً زاهــراً / لمــا متَّ عنـد خســوف القمـرْ

وتوفّي بعدهم ولده إسماعيل سنة ٥٦١ في ربيع الآخر ورثـاه بقصيدة أوَّلها:

مــا كنتُ آلف منــزلـي إلاّ بـــه / ولقـد كرهتُ الـدار بعد مصـابـه

وقال يرثيه:

أأرجــو بقــاءاً أم صفــاء حيــاة / وقد بدّدت شملي النوى بشتاتِ؟!

يقول فيها:

أتُبلي الليــالي لي بُنيّاً ذخــرتـه / وتُبقـي لي الأيّـام شـرَّ بنــاتي؟!

ومنها:

وما عشتَ إلاّ سبعة من سني الورى / سقى عهــدهنَّ الله من سنــواتِ

وقال في رثائه:

حسبت الدهر في ولدي يساعدني ويسعدني

ويقول فيها:

لاسماعيل أشواقي تزيد على مدى الزمنِ
وإسماعيل لي شغلٌ عن اللذات يشغلني
وإسماعيل لا أسلو ه حتّى الموت يصرعني
سأبكيه وأندبه بنوحٍ زائد الشجنِ
كما قمريَّة ناحت ببغداد على غصنِ
وأبقى بعده أسفاً مدى الأيّام والزمنِ

وتوفِّي حسين سنة ٥٦٣ ورثاه بقوله:

أترى يكون لي الخلاص قريبُ؟ فالموت بعدك يا بُنيَّ يطيب
علّلت فيك الحزن كلّ تعلّةٍ لم تنفعنّي شربةٌ وطبيبُ

ورثاه بقصيدة أوَّلها:

داويت ما نفع العليل دوائي بل زاد سقماً في خلال ضنائي

يقول فيها:

ما عاش إلّا سبعة من عمره ونأى إلى دار البلى لبلائي

وله في رثائه من قصيدة مستهلّها:

قل للمنيَّة لا شوى لم يخط سهمك إذ رمى

ومنها:

ما كان إلّا سبعة وثلاثة ثمَّ انقضى

وقال في رثائه:

خطبتني الخطوب بالهمِّ لمَّا حدَّثتني بألسن الحدثانِ

ومنها:

يا لها نكبة على نكبة جا ءت وجرحاً يبكي بجرحٍ ثان
ومصابٌ على مصابٍ وثكلٍ بعد ثكلٍ اصيب به جناني

ويقول فيها:

كلّ عامٍ للموت عندي نصيبٌ   في سراة البنين والإخوانِ

ونختم الترجمة وهي ختام هذا الجزء من الكتاب بقول المترجم يدعو ربَّه:

يا ربّ هيِّىء لنا من أمرنا رشَدا   واجعل معونتك الحسنى لنا مَددا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا   فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت الكريم وقد جهَّزت من أملي   إلى أياديك وجهاً سائلاً ويدا
وللرَّجاء ثوابٌ أنت تعلمه   فاجعل ثوابي دوام الستر لي أبدا[1]

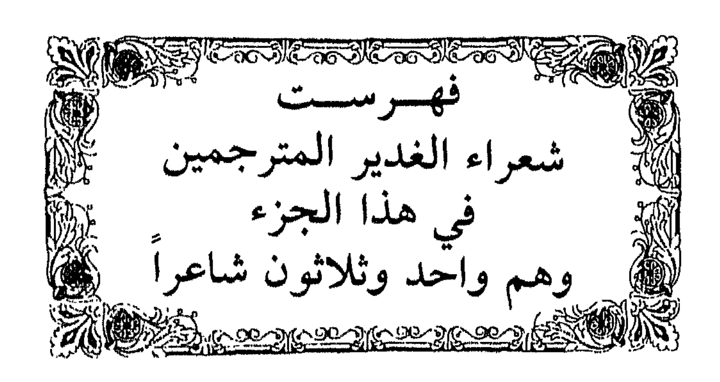
انتهى الجزء الرابع من كتاب الغدير

ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) أخذنا الترجمة من النكت العصرية، الخريدة لعماد الكاتب، الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٦٣، تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٤٠٩، تاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٢٧٥، مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٩٠، وتوجد في غير واحد من كتب المتأخرين ومعاجمهم.


فهـــرســـت
شعراء الغدير المترجمين
في هذا الجزء
وهم واحد وثلاثون شاعراً


الفهرس

